مذكرات نيلسون مانديلا

حواري مع نفسي

مقدمة بقلم الرئيس

باراك أوباما

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

ولد نيلسون مانديلا في ترانسكي، جنوب إفريقيا في ١٨ تموز ١٩١٨.

انضم إلى الكونغرس الوطني الإفريقي عام ١٩٤٤ وانخرط في المقاومة ضد سياسات التمييز العنصري للحزب الوطني الحاكم لعدة سنوات قبل أن يُعتقل في آب ١٩٦٢.

تم سجن مانديلا لأكثر من ٢٧ سنة، راح خلالها يذيع صيته كرمز بارز لحركة مقاومة التمييز العنصري.

أُطلق سراحه من السجن عام ١٩٩٠.

فاز مانديلا بجائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٣ وتم تنصيبه كأول رئيس لجنوب إفريقيا مُنتخب ديموقراطياً عام ١٩٩٤.

إنه مؤلف كتاب «مشوار طويل نحو الحرية» الذي حقق أفضل المبيعات دولياً.

مذكرات نيلسون مانديلا

مذكرات نيلسون مانديلا

حواري مع نفسي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد
ص.ب.: ٨٣٧٥ - بيروت، لبنان
تلفون: ٣٥٠٧٢٢ - ٧٥٠٨٧٢ - ٣٤٤٢٣٦ - ١ ٩٦١+
تلفون + فاكس: ٣٤١٩٠٧ - ٣٤٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ ١ ٩٦١+

email: tradebooks@all-prints.com
website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠١٣

ISBN: 978-9953-88-769-2

Originally published as: **Conversations with Myself.**

ترجمة: حنان محمد كسروان
تدقيق لغوي: محمد زينو شومان
الإخراج الفني: فدوى قطيش
صورة الغلاف: الأمامي Andrew Zuckerman
الخلفي Matthew Willman
تصميم الكتاب: Cameron Gibb

المحتويات

إلى زيناني زانيشيمبا نوماسونتو مانديلا، التي توفت بشكل مأساوي في ١١ حزيران/يونيو من العام ٢٠١٠ في الثالثة عشرة من عمرها.

الزنزانة هي المكان الأفضل لتعلّم المرء تعرُّف نفسه، والبحث بشكل واقعي ودائم عن طريقة عمل ذهنه ومشاعره. لدى الحكم على تقدمنا كأفراد، نميل إلى التركيز على عوامل خارجية، مثل الحالة الاجتماعية للمرء، تأثيره وشعبيته، ثرائه ومستوى تعليمه. هذه العوامل تُعد هامة في قياس نجاح المرء في الأمور المادية، ومن المفهوم تماماً أن يعمد المرء إلى بذل الجهود لتحقيق هذا كله. لكن العوامل الداخلية قد تكون أكثر أهمية في تقويم تطور المرء كإنسان. الصدق، الإخلاص، البساطة، التواضع، الكرم الدافق، عدم الغرور، الاستعداد لخدمة الآخرين (خصائص تُعد في متناول كل شخص) تلك هي أساس الحياة الروحية للفرد. إن التقدم في أمور من هذا النوع، لا يمكن تحقيقه من دون استبطان المرء دخيلته جدياً، ومعرفة نفسه، أن يعرف نقاط ضعفه، وأخطاءه. من بين أشياء كثيرة تمنحك الزنزانة، أقله، الفرصة يومياً لتفحّص سلوكك في مجمله، وللتغلب على المساوئ وتنمية الخير كله الكامن في داخلك. إن المواظبة على التأمل، قرابة ١٥ دقيقة مثلاً يومياً قبل الخلود إلى النوم، يمكن أن تكون مثمرة جداً في هذا الخصوص. قد تجد صعوبة في البداية في تحديد النواحي السلبية في حياتك، لكن المحاولة العاشرة قد تفضي إلى أفضل النتائج. لا تنسوا قط أن القدّيس هو آثم لا يتوانى في المحاولة.

كلمة أولى

كحال العديد من الأشخاص في العالم، تسنَّت لي معرفة نيلسون مانديلا عن بُعد، حينما كان مسجوناً في جزيرة روبن. بالنسبة إلى الكثير منا، كان أكثر من رجل عادي: كان رمزاً للنضال من أجل العدالة، والمساواة، والكرامة في جنوب أفريقيا وفي العالم. كانت تضحياته جليلة إلى درجة أنه دفع الناس في كل مكان، إلى فعل ما في وسعهم من أجل تقدم البشرية.

كنت بكل تواضع أحد الأشخاص الذين حاولوا الاستجابة لندائه. أول مرة نشطت فيها سياسياً، كانت في خلال سنوات دراستي الجامعية، حينما انضممت إلى حملة تناهض التجريد من الملكية، وتسعى إلى وضع حد لسياسة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا. لم تكن أي من العواقب الشخصية التي واجهتها، كشاب، تُقارن البتة بما اختبره ضحايا التمييز العنصري يومياً. وأتخيل مدى الشجاعة التي دفعت مانديلا إلى شغل زنزانة السجن عدة سنوات. لكن نموذجه ساعد على تنبيهي على العالم الأكبر، وعلى الواجب الذي نحمله جميعاً تجاه الدفاع عن الحق. أوضح مانديلا من خلال خياراته، أننا لسنا مجبرين على تقبل العالم على ما هو عليه، وأن في مقدورنا أن نسعى بدورنا إلى جعل العالم كما يجدر به أن يكون.

واصلتُ على مر السنوات، متابعة نيلسون مانديلا بحس من الإعجاب والتواضع، مستلهماً حياته الزاخرة بالتضحيات التي كانت لازمة لتحقيق حلمه بالعدالة والمساواة. في الواقع، تخبر حياته قصة تتعارض مباشرة مع السخرية واليأس اللذين يبتليان عالمنا في معظم الأحيان. سجين أمسى حراً. رمز التحرير أصبح صوتاً شغوفاً بالمصالحة. قائد حزب أصبح رئيساً قدّم الديموقراطية والتنمية، وعمِل على تحقيقهما من خارج المناصب الرسمية، وما زال مانديلا يواصل العمل لتحقيق المساواة وضمان الفرص وكرامة الإنسان. لقد فعل الكثير لتغيير بلاده والعالم إلى درجة أنه من الصعب تخيل تاريخ العقود الماضية الكثيرة من دونه.

* * *

بعد مرور عقدين على إقدامي على الخطوة الأولى لي في الحياة السياسية، وفي إثر حركة مناهضة التجريد من الملكية التي قمت بها كطالب جامعي في كاليفورنيا، وقفت في زنزانة مانديلا السابقة في جزيرة روبن. كنت منتَخَباً حديثاً في منصب سيناتور الولايات المتحدة. آنئذ، كانت الزنزانة قد تحولت من معتقل إلى رمز تذكاري يكرم التضحيات التي بذلها أشخاص عديدون في سبيل التحول السلمي لجنوب أفريقيا. حاولت لدى وقوفي في تلك الزنزانة استذكار تلك الأيام، حينما كان الرئيس مانديلا لا يزال السجين الرقم ٤٦٦/٦٤، وهو الوقت الذي كان فيه نجاح نضاله أمراً محتوماً. حاولت تخيل مانديلا - الأسطورة التي غيرت التاريخ - كرجل ضحّى بالكثير من أجل التغيير.

هذا الكتاب يمنح العالم خدمة استثنائية، ويعطينا تلك الصورة عن مانديلا الرجل. من خلال عرض اليوميات والرسائل والخطب والمقابلات وغيرها من الأوراق التي تعود إلى كثير من العقود. ويمنحنا لمحة عن الحياة التي عاشها مانديلا: من الأعمال الروتينية الدنيوية التي ساعدته على تمضية وقته في السجن؛ إلى القرارات التي

اتخدها كرئيس. هنا، نراه كدارس وسياسي، كرب عائلة وصديق، وكمتبصر وقائد سياسي. لقد عَنْوَن مانديلا مذكراته الشخصية بـ«المشوار الطويل إلى الحرية». وهذا الكتاب يساعدنا الآن على إعادة تخيل الخطوات المختلفة - إضافة إلى المنعطفات - التي سلكها في هذا المشوار.

* * *

يذكّرنا مانديلا عبر تقديم هذه الصورة الكاملة، بأنه لم يكن رجلاً مثالياً. فقد ارتكب، كحالنا جميعاً، الأخطاء. لكن هذه الهفوات بالتحديد، هي التي يجدر، أن تلهم كل واحد منا، لأنه إن كنا صادقين مع أنفسنا، نعلم بأننا نواجه جميعاً عقبات تكون كبيرة وصغيرة، شخصية وسياسية: كي نتغلب على الخوف والشك، ونواصل العمل حينما لا تكون نتيجة كفاحنا أكيدة؛ كي نسامح الآخرين ونتحدى أنفسنا. القصة الموجودة في هذا الكتاب، التي ترويها حياة مانديلا، لا تدور حول أشخاص معصومين من الخطأ، أو من نصر محتوم. إنها قصة رجل كان مستعداً للمخاطرة بحياته، لأجل ما كان يؤمن به وعمل بكل جهد حتى يحيا حياة من النوع الذي يجعل العالم مكاناً أفضل.

في النهاية، هذه رسالة مانديلا إلى كل واحد منا. كلنا نواجه أياماً يبدو لنا فيها التغيير صعباً: أياماً تغرينا فيها عيوبنا ومعارضتنا بسلوك طريق أسهل نتجنب فيه مسؤولياتنا، ويلقي بعضها حملها على بعض. واجه مانديلا مثل هذه الأيام أيضاً. لكن حتى حينما كان يدخل بعضٌ من نور الشمس زنزانته على جزيرة روبن، كان في مقدوره رؤية مستقبل أفضل: مستقبل يستأهل التضحية. حتى لمَّا واجهه إغراء تحقيق الانتقام، رأى الحاجة إلى المصالحة وانتصار المبادئ على السلطة المحضة. وحتى حينما وصل إلى فترة استراحته التي يستحقها، سعى، ولا يزال، إلى إلهام أنداده من الرجال والنساء، ليُؤْثِروا الخدمة والاجتهاد.

قبل انتخابي رئيساً للولايات المتحدة، حظيت بشرف لقاء مانديلا، ومنذ تسلّمي منصبي، كنت أتحدث إليه عبر الهاتف بين الفينة والأخرى. عادة ما تكون أحاديثنا مقتضبة. فهو في خريف العمر، وأنا لدي برنامج عمل حافل بحكم وظيفتي. لكن في خلال هذه المكالمات، تمر دوماً لحظات يتجلى فيها كرم هذا الرجل، ولطفه وحكمته. هذه هي اللحظات التي تذكرني بأنه خلف كواليس التاريخ الذي صنعه هذا الرجل، ثمة إنسان آثر الأمل على الخوف، والتقدم على سجون الماضي، ويتم تذكيري بأنه على الرغم من تحول هذا الرجل إلى أسطورة، فإن معرفة نيلسون مانديلا، تحتم احترامه أكثر.

الرئيس باراك أوباما.

مقدّمة

يُعد «نيلسون مانديلا» أحد أشهر الأسماء وأكثرها احتراماً على وجه الأرض. الشخص الذي يحمل هذا الاسم، هو بطل عصره، وإحدى أعظم الشخصيات في تاريخ القرن العشرين. لقد أصبحت قصة سجنه مدة تقارب العقود الثلاثة إلى جانب قادة سياسيين آخرين من جيله، أسطورة أو خرافة في «جنوب أفريقيا الجديدة». لقد استحال شخصية أيقونية. استُعرضت حياته في الكثير من المنشورات، من سير ذاتية إلى مقالات حول يومياته، ومن أفلام بارزة إلى وثائقية تلفزيونية، ومن مجلدات مصورة باهظة إلى ملحقات صحافية، من أناشيد حرية إلى أشعار ثناء، ومن المواقع الإلكترونية الدعائية إلى المدوّنات الإلكترونية الشخصية. لكن مَن هو هذا الرجل فعلياً؟ كيف يفكر في الواقع؟

لقد كرس نيلسون روليلالا مانديلا نفسه تماماً للأدب ونشر المطبوعات والخطب العامة المتعلقة به. حقق كتاب مذكراته الذي يحمل عنوان «مشوار طويل إلى الحرية» أفضل المبيعات منذ صدوره عام ١٩٩٤. وتدفقت الأعمال المرخصة من مكتبه منذ إطلاق سراحه من السجن العام ١٩٩٠. فقدم آلاف المقابلات والخطب والرسائل المسجلة والمؤتمرات الصحافية.

كان «مشوار طويل إلى الحرية» بشكل أساسي ومتعمّد عملاً جماعياً. وُضعت

المخطوطة الأصلية في جزيرة روبن على يد ما أسماه أحمد كاثرادا، وهو رفيق قديم له، صديق وزميل في السجن، مجلساً تحريرياً. بداية عمل مانديلا في التسعينيات عن كثب مع المؤلف ريتشارد ستينغل لتحديث المخطوطة وتوسيعها، ومع كاثرادا وغيره من المستشارين حيث كونوا جماعة أخرى أشرفت على عملية التحرير. والأمر ذاته انطبق على خطبه. وعدا لحظات نادرة من الارتجال، فإن هذه تُعد مقتطفات رسمية من النصوص المحضّرة بعناية. وعلى نحو غير مفاجئ، يأتي التحضير عادةً نتيجة عمل جماعي. وجد الأشخاص الذين قابلوا مانديلا على نحو مشابه، صعوبة في اختراق شخصيته العامة الرسمية جداً. إنه «القائد» و«الرئيس» و«الممثل الشعبي»، و«الأيقونة». وبرزت لمحات فقط عن الشخص الكامن وراء هذه الشخصية. ويظل السؤالان التاليان مطروحين: من هو هذا الشخص فعلياً؟ وكيف يفكر في الواقع؟

* * *

يهدف هذا الكتاب إلى تعريف القراء بنيلسون مانديلا: الإنسان الكامن ما وراء الشخصية العامة، من خلال أرشيفه الخاص. ويمثل هذا الأرشيف كلام مانديلا الخاص وكتاباته، حيث كان يخاطب إما نفسه، وإما المؤتمنين على أسراره. وهذا هو شخصه الحقيقي الذي لا يعرضه بشكل أساسي وفق حاجات الجمهور وتوقعاته. هنا يعرض الرسائل والخطب والمذكرات. ويضع ملاحظات (أو خربشات) في خلال اللقاءات، ويدوّن اليوميات، أو يسجل أحلامه، أو يقرّ بوزنه أو ضغط دمه، أو الواجبات التي يتحتمّ عليه فعلها. وهنا نجده يتأمل في تجربته؛ يحقق في ذاكرته، يتحدث مع صديق. هنا، هو ليس الأيقونة أو القدّيس الذي يسمو فوق متناول الأشخاص الفانين العاديين. هنا، هو مثلك ومثلي. وكما يقول هو نفسه، «إننا في الحياة لا نتعامل مع آلهة، بل مع أشخاص عاديين مثلنا: رجال ونساء تملأهم التناقضات، ويتسمون بالاستقرار والاضطراب، والقوة والضعف، والشهرة وعدمها؛ أشخاص تتصارع في مجرى دمائهم يومياً قوى الخير والشر».

كان مانديلا معظم حياته كراشد منكباً على التدوين، ومشغوفاً بكتابة المذكرات. وإلا فكيف عسانا أن نفسر احتفاظه ببطاقات عضوية الكنيسة الميثودية التي تبرز عضويته السنوية بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٤؟ وإلا فأنّى لنا أن نفسر مذكراته اليومية في خلال السفر في أرجاء أفريقيا العام ١٩٦٢، أو عادته في كتابة معظم رسائله على دفتر ملاحظات في خلال سنوات السجن؟ بالطبع، أُتلِف هذا الأرشيف بمرور سنوات من نضاله وحياته في المقاومة السرية والسجن. تم إخفاء السجلات أو إعطاؤها للآخرين من أجل حفظها. وقد ضاع بعضها في الطريق. وصادرتها الدولة، ثم عمدت لاحقاً إما إلى إتلافها، وإما استخدامها دليلاً. واليوم، نجد أن أرشيف مانديلا الشخصي مبعثر ومجزَّأ. وتوجد أكبر مجموعة منه في مركز نيلسون مانديلا للذاكرة والحوار. وثمة مجموعات هامة يحتفظ بها مركز الأرشيفات الوطنية في جنوب أفريقيا، ووكالة الاستخبارات المركزية، ومتحف مانديلا المنزلي، وصندوق ليليزليف. وعدد لا يحصى من الأجزاء توجد ضمن المجموعات الخاصة لدى أفراد محددين وغالباً ما تكون على شاكلة مراسلات.

* * *

ظهر كتاب «حواري مع نفسي» كمشروع كتاب العام ٢٠٠٤ في خلال افتتاح مركز نيلسون مانديلا للذاكرة والحوار، كأنه الوظيفة الأساسية لمؤسسة نيلسون مانديلا. كانت أولوية المركز في البداية تتمحور حول توثيق أرشيف مانديلا المبعثر والمجزَّأ، لكن سرعان ما بات جمع المواد التي لم تكن بعد في حوزة الأرشيف، على قدر مساوٍ من الأهمية. قدم مانديلا نفسه، أول عملية وهب لأوراقه الخاصة إلى المركز العام ٢٠٠٤، وظل حتى ٢٠٠٩ يضيف أوراقاً إلى المجموعة. وبعد وقت وجيز، تجلى لي بصفتي رئيس برنامج حفظ الذاكرة في المركز، أنه يمكن إعداد كتاب هام من المواد تحت إشراف المركز. بدأ فريق من المؤرشفين والباحثين العام ٢٠٠٥ عملاً مضنياً، حيث راحوا يجمعون المواد ويرتبونها أو ينضّدونها ويضعونها في سياقاتها المناسبة. وقاموا في الوقت عينه بعملية تحديد وانتقاء أوليين للمقاطع والمقتطفات والنصوص

التي يمكن إدراجها في الكتاب. وقد تألف الفريق من الأعضاء الآتية أسماؤهم: سيلو هاتانغ، أنثيا جوسياس، روث مولر، بونيسوا نياتي، لوسيا رادشيلديرز، زانيلي ريبا، رازيا صالح، سام فينتر، وأنا.

بدأت أناقش في العام ٢٠٠٨ موضوع الكتاب مع الناشرين جوف بلاكويل وروث هوبداي. وتمخّض عن هذه النقاشات تفكير المركز في شأن الكتاب، وقدم المرحلة الأخيرة من المشروع. تم إبلاغ مانديلا بالأمر، فمنح المشروع مباركته، لكنه أشار إلى رغبته في عدم تدخله مباشرة. وافق كاثرادا على أن يكون المستشار الخاص للمشروع. وكان فينتر كبير الباحثين، وتم وضع المؤرشفين هاتانغ، ورادشيلدرز وريبا وصالح تحت إشرافي أنا، حيث كنت رئيس المشروع الذي يُعنى بعملية انتقاء المواد الخاصة بالمشروع، وتجميعها. كذلك تم، بشكل ضروري إلحاق المؤرخ والمؤلف تيم كوزينز بالفريق كي يمد المشروع بخبرته الاختصاصية، وبعين العالِم غير الغارقة في أعمال المركز اليومية. وأخيراً، انضم إلى المشروع بيل فيليبس الذي سبق له العمل كمحرر بارز في مشروع كتاب «مشوار طويل إلى الحرية» في التسعينيات، وذلك في خلال مرحلة التحرير الأخيرة للكتاب.

يُعد هذا الكتاب بالمعنى الحقيقي، كتاب نيلسون مانديلا. إنه يعطينا صوته المباشر والواضح والخاص. لكن من المهم الاعتراف بالدور التحريري الذي أداه الفريق. فقد تمت غربلة كلمات هذا الكتاب من مجموعة من المواد بشكل أساسي وفق المغزى، والأهمية والبداهة. وما حدد هذه المجموعة هو الموجود وما يمكن الوصول إليه، كنا واثقين بأن معظم المواد في أرشيف مانديلا الخاص قد تم تفحصها من قبل الفريق. لكن، لم يتم تحديد مكان جميع المعلومات التي كانت بحوزة بعض الأفراد ولا توفيرها لنا. فعلى سبيل المثال، فوجئنا مصادفةً في الأشهر الأخيرة، بأرشيف يحتفظ به السجّان السابق جاك سوارت، الذي كان مع مانديلا في خلال الشهور الأربعة عشر الأخيرة من احتجازه في سجن فيكتور فيرستر. أفشت لنا وكالة الاستخبارات المحلية في اللحظات الأخيرة وجود مجموعة صغيرة لمانديلا، وتم

توفير معظمها إلى الفريق. ويشير تكتُّم الوكالة إلى احتمال الإفصاح عن مزيد من المواد.

تمت دراسة جميع مواد أرشيف مانديلا الخاص من أجل هذا المشروع، إلا أن المختارات الأربعة الأخيرة تركزت بشكل خاص على أربعة أجزاء.

أولاً، رسائل السجن. وقد وُجدت بعض الكتابات المؤثّرة والمؤلمة جداً في دفترين غلافهما سميك، كتب فيهما مانديلا بحذر نسخاً عن رسائله التي أرسلها لاحقاً عبر مراقبي السجن في جزيرة روبن. وتعود تواريخها إلى ما بين ١٩٦٩ و١٩٧١، وتغطي أسوأ فترة من سجنه. وقد سُرقت من زنزانته على يد السلطات العام ١٩٧١ وأعادها إليه شرطي أمن سابق العام ٢٠٠٤. لم يكن مانديلا طوال الفترة التي أمضاها في السجن واثقاً قط بوصول رسائله إلى مقصدها بسبب أفعال من أسماهم «الأقدار القاسية»: الحراس. وتحوي ملفات سجنه في الأرشيف الوطني عدة رسائل لم ترسلها السلطات بالبريد، بل كانت محفوظة إلى جانب نسخ هيأتها عن كل رسالة بعث بها بالبريد.

ثانياً، مجموعتان أساسيتان من المحادثات المسجلة. وهنا الكلام شفهي وليس مكتوباً. وهذه المحادثات حميمة جداً، وغير رسمية البتة، وفيها غالباً ما ينتقل مانديلا إلى أحلام اليقظة، ويدخل في حوار مع نفسه. المجموعة الأولى عبارة عن ٥٠ ساعة من الأحاديث مع ريتشارد ستينغل، تبادلاها حينما كان الرجلان يعملان معاً على كتاب «مشوار طويل إلى الحرية». والمجموعة الثانية عبارة عن ٢٠ ساعة من الأحاديث مع أحمد كاثرادا الذي حُكم عليه إلى جانب مانديلا و٦ أشخاص آخرين، بالسجن المؤبد في ١٢ حزيران/يونيو من العام ١٩٦٤. وطُلب إلى كاثرادا في بداية التسعينيات مساعده مانديلا على مراجعة النصين الأوليين لكتاب «مشوار طويل إلى الحرية»، والسيرة المرخصة لأنطوني سامبسون. ويتسم التفاعل بين هذين الرفيقين القديمين خلف الكواليس بالعفوية. وغالباً ما يُسمعان يتضاحكان بخفوت أو بصوت عال. وكانت المحادثات مثيرة للاهتمام، ليس بسبب ما يقوله مانديلا فحسب، بل بسبب الطريقة التي يتكلم بها.

ثالثاً، دفاتر الملاحظات. كان مانديلا قبل سجنه العام ١٩٦٢، متعوداً حمل دفتر ملاحظات. لقد حمله معه في رحلته في أرجاء أفريقيا (وإلى إنكلترا) العام ١٩٦٢ ليتعلم الاستراتيجيات الثورية، ويتدرب على أساليب حرب العصابات، ويضمن الدعم من قادة الدول المستقلة حديثاً والحركات الوطنية. كان يحمل دفتر ملاحظات معه حينما أُلقي القبض عليه بُعيد عودته إلى جنوب أفريقيا. وعاود ممارسة هذه العادة في السنوات التالية لإطلاقه من السجن، حينما كان يفاوض في انتقال جنوب أفريقيا إلى الديموقراطية، وحتى إلى زمن ما في خلال رئاسته. ودفاتر الملاحظات الأخيرة هذه تحوي ملاحظات يوجهها إلى نفسه، ومعلومات تذكيرية ومدونات حول لقاءات ومسودات رسائل. كما ثمة الكثير من مقاطع كتابات استثنائية، يتألف كل منها من عدة صفحات (لم تُعرَض في هذا الكتاب بسبب المساحة وأهميتها المحدودة)، من اجتماعات اللجنة العاملة للهيئة الأفريقية الوطنية التي سجل في خلالها بكل عناية النقاط التي تكلم عليها كل خطيب. ليس واضحاً تماماً السبب الذي دعاه إلى القيام بذلك. لعلها عادة درج عليها المحامي حيث اعتاد تدوين المعلومات التي يستقيها من موكليه بعناية. ولعله بعد أن تخطى السبعين من العمر، لم يعد يثق تماماً بذاكرته.

رابعاً، مسودة جزء ثان غير مُنتهٍ من كتاب «مشوار طويل إلى الحرية». في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٩٨، أخذ ورقة زرقاء، وكتب بقلم مفضّل لديه وبيد قوية وحاسمة، التاريخَ بأحرف رومانية. وأَتْبَع ذلك بعنوان: «السنوات الرئاسية». وكتب تحته الفصل الأول. وفي مكان معين، وفي أعلى الصفحة، كتب كلمة مسوّدة. السنة الأخيرة من مدة رئاسته، وانخراطه في مفاوضات بوروندي، والانشغالات السياسية في تلك الآونة، ومتطلبات عمله الخيري، وعدد لا يحصى من الزوار... كلها أمور عاقت تقدم الكتاب. اقترح مستشاروه أن يأتي بكاتب محترف ليعمل معه، لكنه أبى. فقد كان يحمي كثيراً كتاباته، راغباً في القيام بذلك بنفسه. لكن حظي بمساعد في البحث لفترة من الوقت إلا أنه عيل صبره من هذا التدبير. وفي النهاية نفدت قوته.

على نحو غير مفاجئ، ليس في أرشيف مانديلا الخاص أي مبدأ تنظيمي متأصل، أو نظام ترتيب. من أجل هذا الكتاب جمعنا المقاطع المنتقاة، وفق أساس منطقي ضمني، يستند جزئياً إلى الجدول الكرونولوجي لحياة مانديلا، ومن ناحية أخرى إلى الموضوعات الأساسية لتأملاته وأفكاره. يتألف الكتاب من أجزاء أربعة، لكل منها مقدمته الخاصة، وعنوان مستقى من الأنماط والأشكال والأجناس الكلاسيكية: رعوي، درامي، ملحمي، كوميدي، تراجيدي. ومانديلا غارق في الكلاسيكيات. درس اللغة اللاتينية في المدرسة والجامعة، وقرأ كثيراً في الأدب اليوناني، ومثّل في الأعمال المسرحية الكلاسيكية في الجامعة والسجن.

استوحى الكتاب بشكل مباشر من «تأملات ماركوس أوريليوس»، وهو كتاب يحوي الأفكار والتأملات والحِكم، أُلّف في القرن الثاني بعد الميلاد. كان ماركوس أوريليوس قائداً، أمبراطوراً رومانياً، وسياسياً وجندياً ورجلاً فاعلاً وعلى الأرجح لم يكن فيلسوفاً أو كاتباً عظيماً، لكنه عرف فوائد التأمل وتدوين السجلات والانضباط اليومي. كان يكتب في خضم الأعمال التي كان يقوم بها. كتاب يضج بالحكمة. يُترجم العنوان الأصلي للكتاب بشكل حرفي كالآتي: «إلى نفسه». مزاياه، وكذلك مزايا كاتبه، لا تبتعد كلياً عن مزايا رجل وكتاب ظهرا بعد ١٨ قرناً.

فيرن هاريس

رائد المشروع

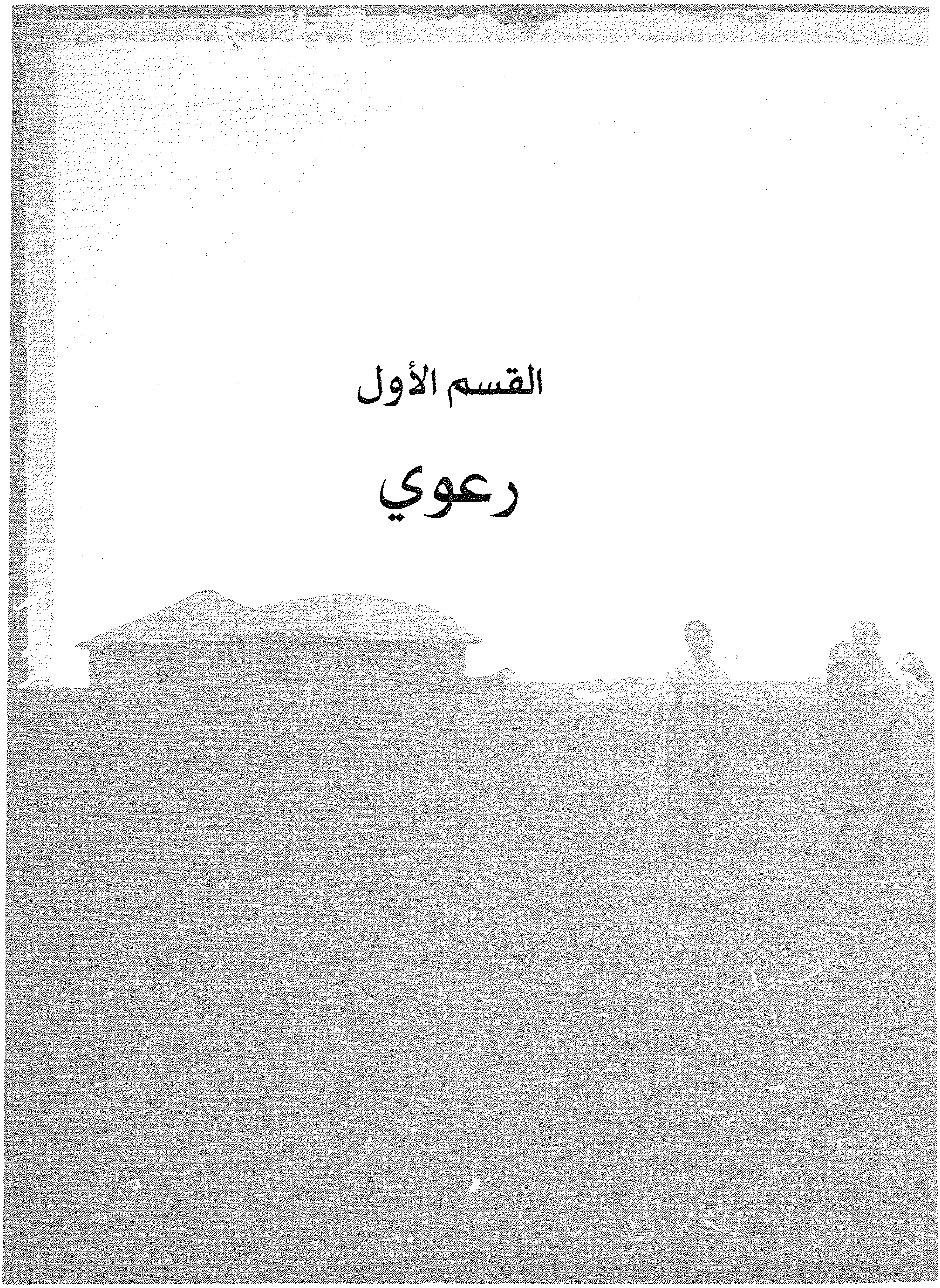
مركز نيلسون مانديلا للذاكرة والحوار

آب/أغسطس ٢٠١٠



القسم الأول

رعوي

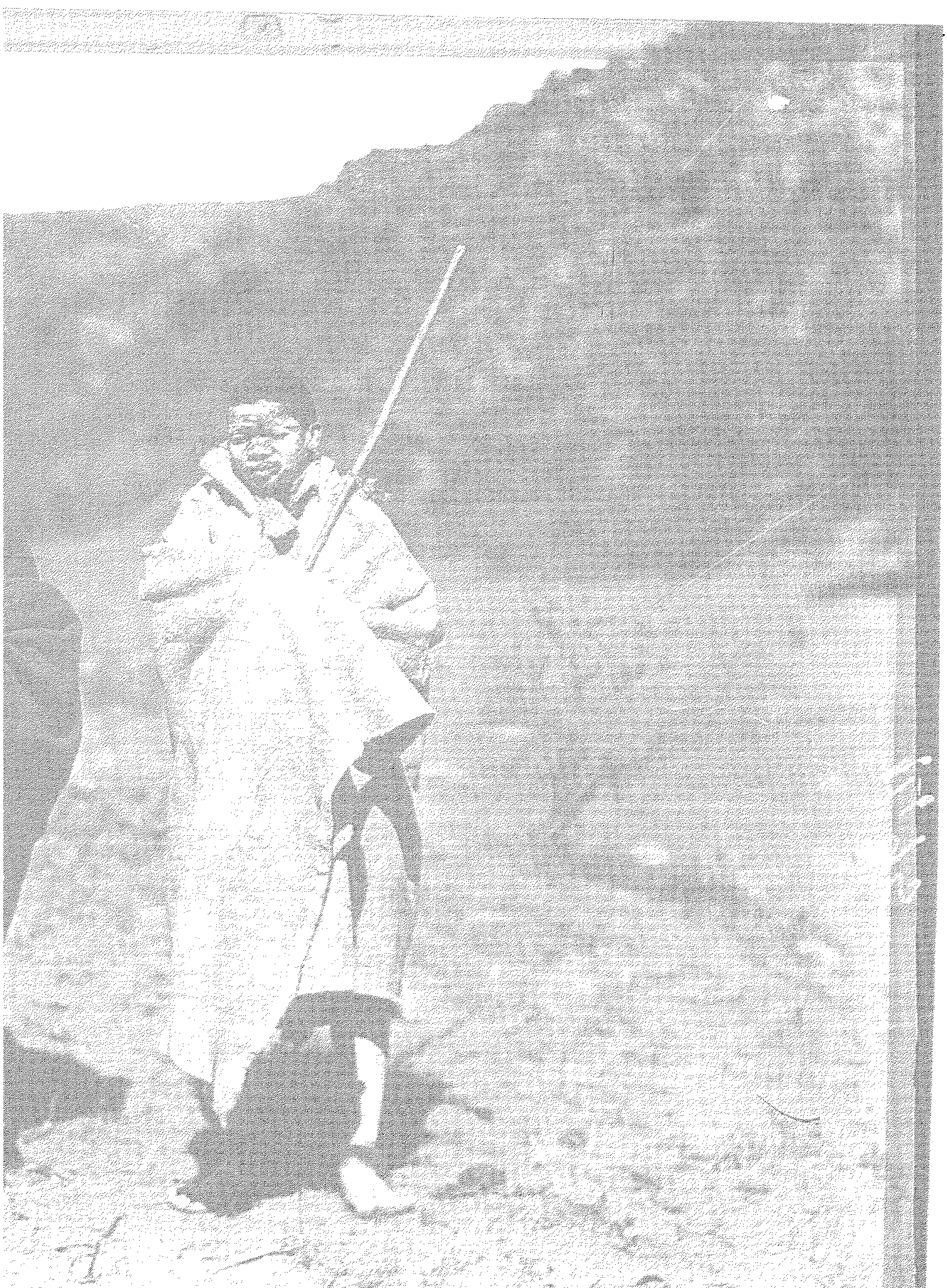


أدت سلسلة من غارات الشرطة على منزل نيلسون مانديلا في أورلاندو، سويتو، ونشوب حريق في المنزل ذاته العام ١٩٨٥، إلى اختفاء الكثير من السجلات المتعلقة بأولى سنوات حياته في منطقة ثيمبولاند القروية، ربما إلى الأبد. وهذا يتضمّن مذكرات عائلية أخذها من والدته. توجد ضمنها صور فوتوغرافية لأمه، من دون أبيه.

لقد اكتسب مانديلا الكثير من عاداته المميزة في صغره. واكتسب إحدى أهمّها من خلفيته التقليدية في ثيمبولاند، حيث كان يصغي بإمعان إلى كبار السن، وإلى جميع الذين كانوا يتكلمون في الاجتماعات القبلية، ويشاهد إجماعاً ينبثق تدريجاً تحت إشراف الملك أو الزعيم أو الرئيس. وعادات الانضباط والنظام والسيطرة على النفس واحترام الآخرين، كانت تفرضها كل من السلطة التقليدية والمؤسسات التربوية التي درس فيها مانديلا. فقد ارتاد وهو في السابعة من العمر مدرسة من صف واحد في كونو في جوار مسقط رأسه مفيزو، ثم درس لاحقاً في كوكولويني، معهد كلاركبيري الداخلي، وويسليان كولدج أوف هيلدتاون. ونال أول درجة جامعية من جامعة فورت هير في جوار بلدة أليس الصغيرة. كانت فورت هير تجذب أولاد العائلات السوداء البارزة في أنحاء جنوب أفريقيا، وربت الجماعة التي سكنت عالم مانديلا في السنوات الكثيرة التالية.

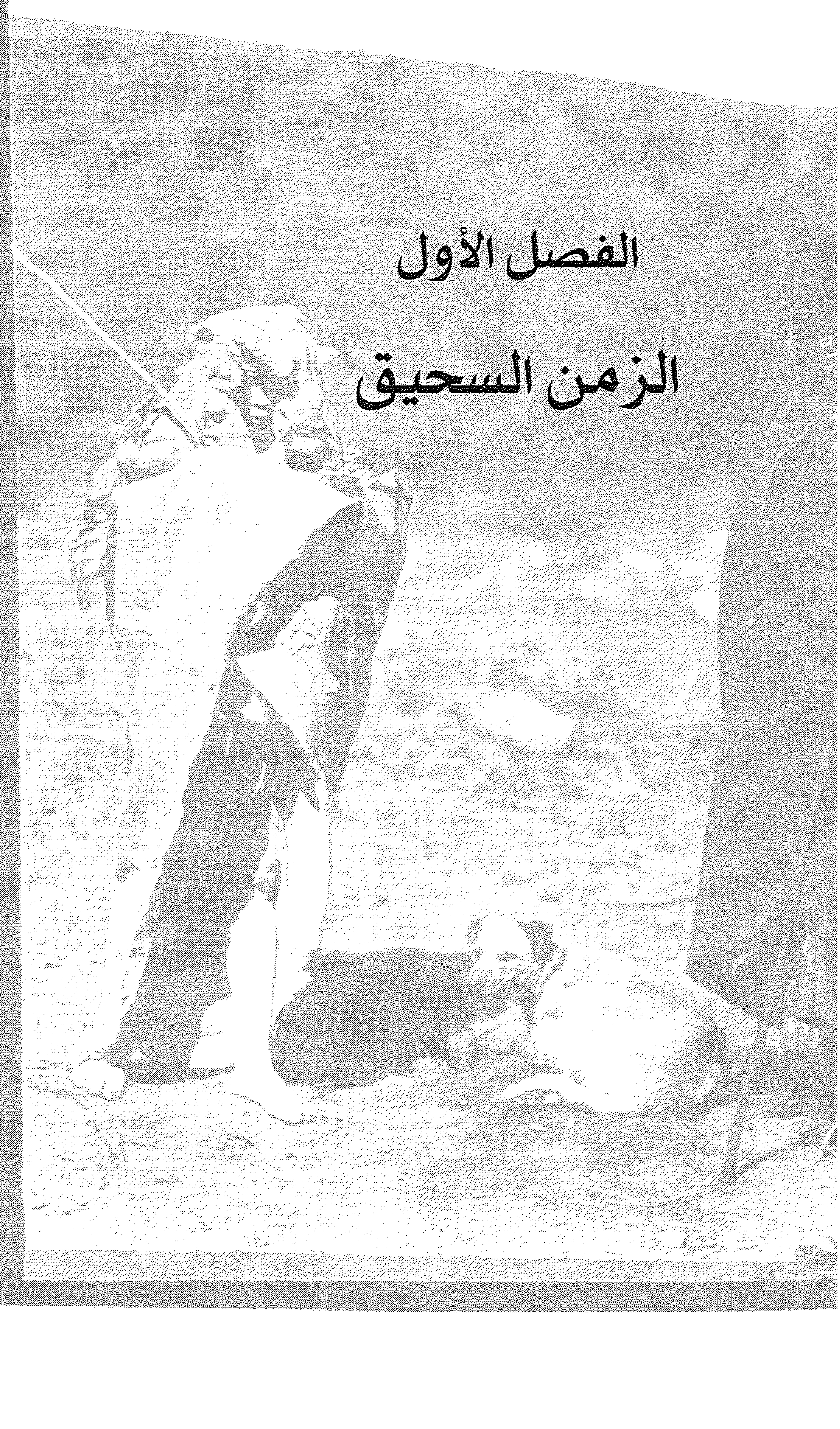
وربما من أبرز من ارتاد هذه الجامعة كان قيصر (كاي دي) ماتانزيما (ابن أخيه برغم أنه أكبر منه سناً)، وأوليفر تامبو، الذي أمسى رفيقه السياسي وشريكه في مجال القانون وصديقه المخلص.

غادر مانديلا العام ١٩٤١، ثيمبولاند وإيسترن كايب سعياً وراء حياة مختلفة وقَدَر أكبر. لم يقطع نفسه تماماً عن المكان أو التقاليد، لكن خياراته الحياتية وسياسات منظمته، الهيئة الأفريقية الوطنية، أثارت توتّرات عميقة في طريقة تعاطيه معها. وتم التعبير عن ذلك على مستوى شخصي عميق في علاقته مع ماتانزيما. كان مانديلا يحبه ويحترمه، لكن افترق طريقهما على خلفية التعاون مع الدولة المتبعة سياسة التمييز العنصري. وفي خلال وجود مانديلا في السجن أراد استقبال زيارة لماتانزيما، لكنه رضخ لرغبات زملائه المساجين، الذين شعروا بأن زيارة كهذه ستكون مساوِمة سياسياً على قدر كبير. لكن بعد وقت طويل، استقبله في الشهور الأخيرة من سجنه، أخيراً. وبعد خروجه من السجن، بنى مانديلا منزلاً في كونو. وحينما يمكث هنا، يزوره قادة تقليديون ويستشيرونه. وتابع باهتمام كبير تعيين حفيده في مركز شيخ القبيلة في مفيزو. وأسس العام ٢٠٠٧ معهد نيلسون مانديلا للتربية والتنمية القروية في جامعة فورت هير.



الفصل الأول

الزمن السحيق



سوف ألتزم العهد الذي قطعناه: لا يمكن لي مطلقاً، تحت أي ظرف من الظروف، أن آتي على ذكر الناس بشكل غير لائق... لكن المشكلة بالطبع أن معظم الأشخاص الناجحين معرضون للإصابة بشكل من الغرور. تأتي مرحلة في حياتهم يرون أنه من المسموح لهم أن يتسموا بالغرور، وأن يتبجّحوا أمام الناس بإنجازاتهم الفريدة. يا للطف التعبير عن «مدح الذات» الذي قدمته اللغة الإنكليزية! السيرة الذاتية...

مقطع مقتبس من رسالة موجهة إلى فاطمة مير، في الأول من آذار/مارس ١٩٧١، راجعوا ص ٢٩.

١ - من رسالة إلى فاطمة مير في الأول من آذار/مارس العام ١٩٧١ (١)

سوف ألتزم العهد الذي قطعناه: لا يمكن لي مطلقاً، تحت أي ظرف من الظروف، أن آتي على ذكر الناس بشكل غير لائق... لكن المشكلة أن معظم الأشخاص الناجحين معرضون للإصابة بشكل من الغرور. تأتي مرحلة في حياتهم يرون فيها أنه من المسموح لهم أن يتسموا بالغرور، وأن يتبجّحوا أمام الناس بإنجازاتهم الفريدة. يا للطف التعبير عن «مدح الذات» الذي قدمته اللغة الإنكليزية! السيرة الذاتية... كما اختاروا أن يسموها، حيث غالباً ما تُستغل عيوب الآخرين للإضاءة على إنجازات الكاتب الجديرة بالمديح. أشك في أني كنت سأقوم يوماً بالجلوس للكتابة عن خلفيتي. لست أملك لا الإنجازات التي يسعني التبجّح بها، ولا المهارة للقيام بذلك. لو أنني عشت متمتعاً بالنشاط والجسارة التامين في كل يوم من أيام حياتي، لما تحليت برغم ذلك بالشجاعة للقيام بذلك. أعتقد أحياناً أنه من خلالي، اختار القدر أن يعطي العالم نموذجاً عن رجل عادي بكل معنى الكلمة. لا شيء يغريني بترويج نفسي. لو أنني وُضعت في موقف كتابة السيرة الذاتية، لتم تأجيل نشرها إلى أن تفيض الروح من الجسد، ولعلّي ربما عمدت إلى طرح إشارات لا تتواءم كثيراً والعهد الذي قطعته. الموتى لا ينتابهم القلق، وإن ظهرت الحقيقة من دون سواها عنهم، وتم إفساد الصورة التي ساعدتُ على الحفاظ عليها عبر صمتي السرمدي، فهذا سيكون شأن الأجيال المقبلة، وليس شأننا...

أنا أحد الأشخاص الذين يملكون نبذات من معلومات سطحية حول موضوعات

(١) البروفيسورة فاطمة مير، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مختلفة. ولكني أفتقر إلى العمق والمعرفة بخصوص الشيء الذي وجب علي التخصص فيه، وهو تاريخ بلدي وشعبي.

٢- من رسالة إلى جوي موسيلوا في ١٧ شباط/فبراير ١٩٨٦

حينما يُلزم المرء نفسه نوعاً من الحياة ظلّ يعيشها طوال ٤٥ سنة، برغم أنه قد يكون يعي تماماً، من البداية، جميع الأخطاء الملازمة لمشواره، فإن مجرى الأحداث الفعلي والطريقة المحدّدة التي ستؤثّر فيها في حياته، لا يمكن أن يتجلّيا له بوضوح تام في جميع الاتجاهات. لو أمكنني التنبؤ بكل ما حدث مذذاك، لكنت بكل تأكيد اتخذت القرار ذاته. هذا أقلُّه ما أعتقده. لكن ذاك القرار قد يكون مخيفاً أكثر بكثير بكل تأكيد، ولكانت بعض المآسي التي وقعت تالياً، محت جميع الآثار الفولاذية الكامنة في داخي.

٣- من حديث له مع ريتشارد ستينغل

كان يتم إعددي لمنصب شيخ القبيلة... إلا أني هربت آنئذ، من زواج قسري...[١] وهذا ما غيّر مسار حياتي المهني برمّته. ولكني لو بقيت في دياري، لكنت أمسيت اليوم شيخ قبيلة محترماً، ولكنت أملك بطناً منتفخاً والكثير من الماشية والخراف.

٤- من حديث له مع ريتشارد ستينغل

معظم الرجال يتأثرون بخلفياتهم. لقد ترعرعتُ في قرية إلى أن بلغت الثالثة والعشرين من عمري، وحينئذ غادرتها متجهاً إلى جوهانسبورغ. كنت بالطبع، أمضي معظم فترة السنة في ارتياد المدرسة ثم أعود في عطلتي حزيران/يونيو وكانون الأول/ديسمبر. كانت عطلة حزيران/يونيو تمتد شهراً واحداً فحسب، وعطلة كانون الأول/

(١) ينتمي مانديلا إلى قبيلة الثيمبو، وهو فرد من العائلة الملكية، وكان يُتوقع منه الزواج بامرأة من اختيار الوصي.

ديسمبر، تطول شهرين. لذا، كنت أمضي طوال فترة السنة في المدرسة... ثم في العام ١٩٤١ حينما بلغت الثالثة والعشرين من العمر، ذهبت إلى جوهانسبورغ ورحت أتعلم استيعاب المعايير الغربية، وما إلى هنالك. لكن آرائي كانت قد تشكلت سابقاً في الريف... وبالتالي، ستقدّر احترامي البالغ لثقافتي الخاصة: ثقافتي الأصلية... بالطبع، الثقافة الغربية هي شيء لا يسعنا العيش بدونه، لذا تسنى لي هذان الاتجاهان من التأثير الثقافي. لكن أظن أنه من المجحف أن أقول إن هذا الأمر حكر علي، لأن العديد من الرجال في زماننا يخضعون لهذا التأثير... الآن، بتُّ أكثر ارتياحاً في استخدام اللغة الإنكليزية بسبب السنوات العديدة التي أمضيتها هنا، والتي أمضيتها في السجن، وابتعدت عن أدب لغة القوسا. إن أحد الأشياء التي أتطلع إلى القيام به لدى تقاعدي، هو التمكن من قراءة الأدب، بقدر ما يحلو لي، ومنه الأدب الأفريقي. في وسعي مطالعة كل من أدب القوسا وأدب السوثو، وأحب القيام بذلك[1]، لكن النشاطات السياسية أعاقتني.... لم يعد يسعني قراءة أي شيء الآن، وهذا أحد الأمور التي أندم عليها كثيراً.

٥- من مسوّدة سيرته الذاتية التي كتبها داخل السجن، ولم ينشرها

لم يسبق لأحد قطّ أن جلس معي بشكل منتظم، ليمدّني بسرد واضح ومترابط لتاريخ بلدنا وجغرافيته وثرواته الطبيعية ومشاكله وثقافتنا وكيفية الإحصاء ودراسة الأوزان والمقاييس. كحال جميع أطفال قبيلة القوسا، اكتسبتُ المعرفة عبر طرح الأسئلة إرضاءً لفضولي في خلال نشأتي، وتعلمت عبر التجربة، وراقبت البالغين، وحاولت تقليد ما يقومون به. وفي هذا الصدد، تمثل التقاليد والشعائر والمحرمات دوراً هاماً، وقد امتلكت نتيجة ذلك كماً لا بأس به من المعلومات في هذا الخصوص... في منزلنا يوجد أولاد آخرون، ومعظمهم فتيان، ابتعدت في سن مبكرة عن والديّ،

(١) القوسا (إيسيقوسا) والسوثو (سيسوثو) هما اثنتان من اللغات الإحدى عشرة المعترف بها رسمياً في جنوب أفريقيا.

وتنقلت ولعبت وأكلت مع فتيان آخرين. في الواقع، بالكاد أذكر مرة واحدة كنت فيها وحدي في المنزل. دوماً كان معي أولاد آخرون شاطرتهم الطعام والأغطية ليلاً. لا بد من أنني كنت في الخامسة من العمر حينما بدأت أخرج مع فتيان آخرين لرعي الأغنام والأبقار، وحينما وقعت في حب المروج الغامر.

ولاحقاً حينما كبرت بعض الشيء صرت أنا أيضاً متمكناً من رعي الماشية... كان ثمة لعبة استمتعت كثيراً بممارستها أسميتها خيثا (اختيار من يعجبك).... كنا نوقف الفتيات اللواتي هن بمثل سننا في الطريق ونطلب إلى كل منهن اختيار الفتى الذي يعجبها. كان ينبغي لنا احترام قرار الفتاة وبمجرد أن تختار الفتى المفضل لديها يصبح لها الحرية بإكمال الطريق معه. كانت الفتيات الذكيات الفطنات يتعاضدن ويخترن فتى واحداً وعادة ما يكون الأكثر بشاعة أو مللاً من ثم يقمن بمضايقته أو التنمر عليه طوال الطريق... أخيراً، كنا نغني ونرقص ونستمتع جداً بالحرية التي كنا نتمتع بها بعيداً عن الكبار. بعد العشاء كنا نصغي بافتتان إلى أمي وأحياناً خالتي حيث كانتا تقصان علينا القصص والأساطير والخرافات المتناقلة منذ أجيال لا تحصى، وكلها تهدف إلى تحفيز المخيلة وتحوي دروساً أخلاقية قيّمة. حينما أعود بالذاكرة إلى تلك الأيام، أميل إلى الاعتقاد بأن هذا النوع من الحياة التي عشتها في دياري، وتجاربي وسط المروج حيث كنا نعمل ونلعب معاً ضمن جماعات، عرّفني في عمر مبكر الأفكار المتعلقة بالجهود الجماعية. إن التقدم المحدود الذي قمت به في هذا الخصوص، أضعفه لاحقاً نوع التعليم الرسمي الذي تلقيته، والذي مال إلى التركيز على القيم الفردية أكثر من تلك الجماعية. ولكن في منتصف الأربعينيات، حينما جُذبت إلى النضال السياسي، أمكنني تكييف نفسي مع النظام بسبب نشأتي الأولى.

٦- من مسوّدة سيرته الذاتية التي كتبها داخل السجن، ولم ينشرها

لم يكن الوصي يحبذ كثيراً زيارتي كونو، حتى لا أقع في شرك رفاق السوء،



Iremente yama-Wesile yase-South Africa.

I-KLAS YABANTWANA.

Itikiti yenyangantatu ka-Dec., 1930.

" Lonto nyipatisiweyo yigcine, ubabalo malube nawe."—1 Tim. vi., 20, 21.

W. J. Matyolo,

Nelson Mendela

بطاقة انتساب مانديلا إلى الكنيسة الميثودية، ١٩٣٠.

وأهرب من المدرسة. كان هذا اعتقاده. كان يسمح لي بالذهاب إلى الديار لبضعة أيام فحسب. ويرتب في مناسبات أخرى لزيارة أمي لي، حتى تتسنى لها رؤيتي في المقر الملكي. لطالما كنت أشعر بالفرح لدى زيارتي كونو ورؤية أمي وأخواتي وأفراد العائلة الآخرين. كانت تغمرني السعادة تحديداً برفقة ابن عمي ألكساندر مانديلا، الذي ألهمني وشجّعني على التعلم في تلك الأيام الغابرة. هو وابنة أختي فاثيوي رانوغو (كانت أكبر سناً مني بكثير)، كانا على الأرجح أول فردين في عشيرتنا يتأهلان للعمل كأستاذين، لولا نصائحهما وتحفيزهما الدؤوب، أشك في أنني كنت لأفلح في مقاومة المغريات التي تقدمها الحياة السهلة خارج غرفة الصف. كان التأثيران اللذان سيطرا على أفكاري وتصرفاتي آنذاك، هما مركز شيخ، القبيلة والكنيسة. ففي النهاية، الأبطال الوحيدون الذين كنت أسمع عنهم آنذاك كانوا كلهم تقريباً زعماء والاحترام الذي كان يلقاه الحاكم من كل من البيض والسود على السواء، كان يزيد

أهمّية هذا المنصب في ذهني. كنت أعد مركز شيخ القبيلة المحور الذي يدور حوله المجتمع. ليس هذا فحسب، بل المفتاح إلى مراكز السلطة، والنفوذ والرقي. وعلى قدر مساوٍ من الأهمية، كان موقف الكنيسة الذي لم أربطه كثيراً بالجسم والعقيدة التي يكتنفها الإنجيل، بل بشخص الموقر ماتيولو. وفي هذا السياق، كان شهيراً بقدر الحاكم. ولمّا كان في المسائل الروحية رب عمل الحاكم وقائده، أظهر السلطة الهائلة للكنيسة. وأكثر من ذلك، كان التقدم كله الذي أحرزه شعبي - المدارس التي ارتدتها، الأساتذة الذين علّموني، والكتبة والمترجمون في المكاتب الحكومية، المساعدون الزراعيون وعناصر الشرطة - ثمار المدارس الإرسالية. وفي وقت لاحق، دفعني الدور المزدوج الذي يؤديه شيوخ القبائل كممثلين لشعبهم وموظفين حكوميين، إلى تقويم موقعهم على نحو أكثر واقعية، وليس فقط من وجهة نظر خلفية عائلتي أو شيوخ القبائل الاستثنائيين الذين حددوا أنفسهم بفعل نضالات شعبهم. ولكونهم ذرية أبطال شهيرين، برعوا في قيادتنا في خلال حروب التجريد من الملكية، ولأنهم القادة التقليديون في ذاتهم، يحق لشيوخ القبائل أن يُعامَلوا باحترام. لكن لكونهم عملاء لحكومة مضطهِدة، يُنظر إليها كونها عدو السود، فإن شيوخ القبائل أنفسهم هم عرضة للانتقاد والعدائية. لقد وضعت الحكومة يدها على مؤسسة تزعّم القبائل ذاتها التي يجدر عدها الآن آلية اضطهاد. كما تمكّنني خبرتي أيضاً من إجراء تقويم متوازن أكثر لدور الإرساليات ومعرفة حماقة الحكم على المسألة بكل بساطة، من خلال العلاقات مع الكهنة الأفراد. لكني رأيت دوماً أنه من الخطر التقليل من تقدير تأثير كلتا المؤسستين بين الناس، ولهذا السبب واصلت المطالبة بالتزام الحذر لدى التعامل معهم.

٧- *من الجزء الثاني غير المنشور من سيرته الذاتية*

سافرت بعيد خروجي من السجن إلى شرق لندن، والتقيت رفيقي سيلومكو سوكوبا واللجنة الإقليمية للهيئة الأفريقية الوطنية كي أتعرّف بنفسي إلى الوضع في

تلك المنطقة. أخبروني، في خلال إطلاعهم لي على الوضع، بأن ملك نجيكاس، زانيسيزوي سانديل، سيزورني في الفندق. صُدمت لأن الطلب إلى الملك زيارتي في الفندق، يمثل خرقاً للبروتوكول. فطلبت إلى اللجنة إبلاغ الملك بالبقاء في القصر على أن أقوم أنا بزيارته لاحقاً. وفي تلك اللحظة دخل الملك. اعتذرت وأشرت إلى أن العديد من شباب اليوم وُلدوا ونشأوا قي المناطق المدينية. ولا يعلمون إلا القليل القليل عن القادة التقليديين. وعدم معرفتهم بأصول البروتوكول لا ينمّ عن عدم الاحترام، بل الجهل.

إن أبطالاً، أمثال قائد الكوا، أوتشوماو[1] وماكوما من راهابي، وبامباثا، وسيتيوايو من زولو، مامبورو من بيديس، وتشيفاس من فينداس، والعديد غيرهم، كانوا في مقدمة حروب المقاومة، ونأتي على ذكرهم بكل احترام وتبجيل. حتى في قمة الاضطهاد المرير الذي ارتكبه نظام التميز العنصري، كان ثمة ملوك شجعان مثل ساباتا، ملك ثيمبوس وسيبريان ملك زولوس، اللذين رفضا خيانة شعبيهما. إن العديد من قادتنا التقليديين لا يعون أيضاً دروس التاريخ. يبدو أنهم لا يعلمون أنه كان يوجد سابقاً ملوك ظالمون في العالم أبوا تشاطر السلطة مع أتباعهم. الملوك أنفسهم أو أسلافهم هم الذين قرروا السماح لممثلي شعوبهم المنتَخَبين بأن يحكموا، وأصبحوا ملوكاً دستوريين ظلوا في الحكم فترة طويلة، مثل ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، وملك إسبانيا كارلوس، وملكة هولندا بياتريس، وملكة الدنمارك مارغريت الثانية، وملك النروج هارالد، والملك كارل السادس عشر غوستاف.

لو أن هؤلاء الملوك والملكات تشبثوا بعناد بسلطاتهم المطلقة، لكانوا اختفوا منذ أمد طويل من المشهد العام.

لكن لا يجدر بنا أبداً أن ننسى أن مؤسسة القادة التقليديين خاضعة لحكم القانون الأفريقي وعاداته ولحضارتنا وتقاليدنا. لا يجدر بذل أي محاولة لإبطالها.

(١) أوتشوماو (لفظها مانديلا أوتشومايو)، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

يجب أن نجد حلاً ودياً يستند إلى المبادئ الديموقراطية، ويسمح للقادة التقليديين بأداء دور هادف على مستويات الحكومة.

لست واثقاً إلى أي مدى توافرت مبادرة هامة لحكومة التمييز العنصري في مناطق البانتوستان الأخرى. لكن في الترانسكاي كانت ثمة مدرسة لأبناء القادة التقليديين مدّتهم بمهارات أساسية في إدارة المناطق الخاصة بسلطتهم. لست أحثّ على وجوب حصولنا على مثل هذه المدارس. لكن استناداً إلى المصادر التي تتوافر للحكومة، فمن الحكمة تشجيع أبناء القادة التقليديين على الحصول على أفضل تعليم. وبرغم أن مصادري الخاصة محدودة جداً، إلا أنني أرسلت عدداً من أبناء القادة التقليديين وبناتهم إلى الجامعات في جنوب أفريقيا والمملكة المتحدة والولايات الأميركية المتحدة. ويرجَّح أن تقبل مجموعة صغيرة من القادة التقليديين المتعلمين العملية الديموقراطية. ومع الوقت تختفي عقدة النقص التي تجعل العديد منهم يتشبثون باستماتة بأشكال الإدارة الإقطاعية.

٨- *من رسالة إلى نومابوثو بالا في الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٧١*

رسالتك كانت إحدى أقصر الرسائل التي تلقيتها، حيث يتألف محتواها بأكمله من جملة مركبة واحدة. وبرغم ذلك تعد واحدة من أفضل الرسائل التي قرأتها منذ مدة طويلة. ظننت أن جيلنا من الدهماء قد اختفى مع نهاية الخمسينيات. كما اعتقدتُ أنه بسبب تمتعي بخبرة ٥٠ سنة أصغيت في خلالها بكل إمعان إلى العديد من الخطباء الساعين إلى الإقناع، وقرأت السير الذاتية من الطراز الأول لبعض أبرز شخصيات العالم، لن يكون سهلاً علي أن أؤخذ بجمال النثر أو السلاسة الجميلة لخطيب معين. لكن هذه السطور القليلة التي نثرتها بعناية على هذه الورقة المتواضعة، حركتني أكثر بكثير من جميع الكتابات الكلاسيكية التي قرأتها. لقد عاشت الكثير من الشخصيات التي صورتها في حلمك الملحوظ، بكل بساطة ومن دون سجلات مكتوبة، قبل قرابة ثلاثة قرون. لا أنا ولا أنت رأيناهم يخططون للعمليات التي حققت لهم الشهرة

في التاريخ، ولا شاهدناهم وهم يتصرفون. ليس لغالبيتهم صورة أصلية واحدة حتى تعطينا أقله فكرة واهنة عن معالمهم الجسدية أو شخصياتهم. لكن، حتى المديني المثقف مثلك الذي يعيش في النصف الثاني من القرن العشرين، مع كل التقدم والإنجازات المذهلة التي تميز هذا العصر، والذي هو منقطع عن تأثير الحياة القبلية، لا يسعه أن يمحو من أفكارك أو مشاريعك أو أحلامك الأبطال الشرسين والصارمين الذين مروا في العصر الحجري الحديث. كانوا رجالاً مميزي الاستثناءات الموجودة في مكان آخر في العالم؛ في ما يخص أدواتهم واقتصادهم كانوا يعيشون في العصر الحجري، وبرغم ذلك أسسوا ممالك راسخة وكبيرة بواسطة الأسلحة المعدنية. في الصراعات التي هزت البلاد لاحقاً، أعطوا فكرة جيدة عن أنفسهم، حيث احتفظت لفترة متواصلة امتدت أكثر من مئة سنة، بإنجازات شعب منذ ألف سنة في مجال التنظيم الاقتصادي والتكنولوجيا، واستغلت إلى أقصى حد الموارد العلمية التي في متناول يدها.

أجد أن تفسير حلمك يكمن في واقع بسيط، هو قراءتك دروساً أعمق في تاريخ أسلافنا. أنت تنظر إلى مآثرهم البطولية في خلال قرن الصراع الخالد كنموذج للحياة التي يجدر بنا أن نحياها اليوم. حينما تعرضت بلادهم للتهديد، أظهروا أعلى مقاييس الوطنية. تماماً كما أبوا استخدام بدائية نظامهم الاقتصادي وعدم فاعلية أسلحتهم كعذر للتهرب من واجبهم المقدس، حتى لا يسمح الجيل الحالي لنفسه بأن يخشى التباينات التي يبدو أن الانقسامات الداخلية تستتبعها. لكن، تظل القصة الكاملة لإرثنا الماضي ناقصة إن نسينا ذاك الخط من الأناس الأصليين الذين تصرفوا كمن كشف النقاب عن الصراعات الأساسية التي اندلعت في النتيجة، والذين برّأوا أنفسهم بالروعة ذاتها. كان الكواكوا[1] الذين انبثق منهم معظم فولكلورنا الملوّن، قادهم بمهارة كبيرة أوتشومايو (أول سجين سياسي أسود في جنوب أفريقيا يُنفى

(١) يؤلف الكواكوا إحدى المجموعات الأربع التي كانت تشكل السكان الأصليين في جنوب أفريقيا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

من جزيرة روبن) وأوداسوا وغوغوسوا. في خلال حرب التحرير الثالثة العام ١٧٩٩، اتخذ كلاس ستورمان خطوة غير مسبوقة، هي الانضمام إلى قوى كانغوا، زعيم أماغكونوكويبي. يتكلم العديد من الأشخاص، ومنهم المناضلون في سبيل الحرية الذين لهم تاريخ طويل من الصراع والتضحية، بازدراء على الأباتوا. وبرغم ذلك كتب العديد من المؤرّخين في جنوب أفريقيا كلاماً دافئاً وغير منحاز عن روحهم الذي لا يُهزم وصفاتهم النبيلة. إن من قرأ تقارير حول معارك سنيبرغ بين الأباتوا والبوير، وخصوصاً التي دارت بين الأباتوا بقيادة زعيمهم كاريل وفرقة تتألف من أكثر من ١٠٠ عنصر من البوير في منطقة الكهف الكبير في هوك التابعة لبوشولي، سيأخذ فكرة عن المساهمات الهامة التي قُدمت إلى جنوب أفريقيا من قبل مجتمع كان ذات يوم الساكن الأوحد لبلدنا الجميل[١].

فقد أظهروا في خلال معارك كثيرة شجاعة استثنائية وجرأة، وكانوا يواصلون القتال باستماتة حتى بعد رمي آخر سهم. هؤلاء هم الرجال الذين ناضلوا لمد جنوب أفريقيا بالحرية قبل وصولنا بزمن طويل إلى ساحة المعركة. لقد ألهبوا الأراضي، وجهودهم المشتركة هي التي مثلت المنبع للنهر الدافق لتاريخ جنوب أفريقيا. إننا ورثة إرث له ثلاثة روافد: إرث يلهمنا للقتال والموت في سبيل أنبل المثل في الحياة. عنوان (البطل الأفريقي) يشمل جميع هؤلاء المحاربين القدامى. بعد سنوات تبعتهم شخصيات أكثر فصاحة وحنكة، وحينئذ تم إغناء لوح التاريخ ألف مرة بالشعوب الآتية: سيلوب ثيما والجابافوس والدوب وأبدورامان والغول وأسفات والكاشاليا[٢]. والآن انضممت أنت وجيلك إلى هذا الحشد المشرف.

---

(١) ورد وصف للمعركة في بوشوليز هوك في كتاب جورج دبليو ستاو *The Native Races of South Africa: A History of the Intrusion of the Hottentots and Bantu into the Hunting Grounds of the Bushmen, the Aborigines of the Country*، (نُشر العام ١٩٠٥)، قام مانديلا بقراءته ونسخ أجزاء منه. (انظروا نسخته من ذاك الكتاب، ص ١٨-١٩).

(٢) من أجل ملاحظات حول هؤلاء الأفراد، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

أحب كثيراً الأحلام الكبيرة، وقد أعجبني كثيراً حلمك، حيث شعرت بأنه قريب جداً إلى قلبي. ربما في حلمك التالي يوجد شيء يحمس أبناء زيكا نتو، وليس هذا فحسب، بل ذرية جميع أبطال الماضي الشهيرين. في وقت كان بعض الشعوب يشجعون بضراوة نمو القوى الجزئية، ورفعوا القبيلة إلى أسمى شكل من التنظيم الاجتماعي وآخره، ووضعوا كل جماعة وطنية في مقابل الأخرى لا يتم تحبيذ الأحلام المحلية فحسب، بل تصبح واجباً محتوماً؛ أحلام تركز على الوحدة الخاصة التي تجمع قوى الحرية معاً - في رباط شكلته الصراعات والتقاليد والتضحيات المشتركة.

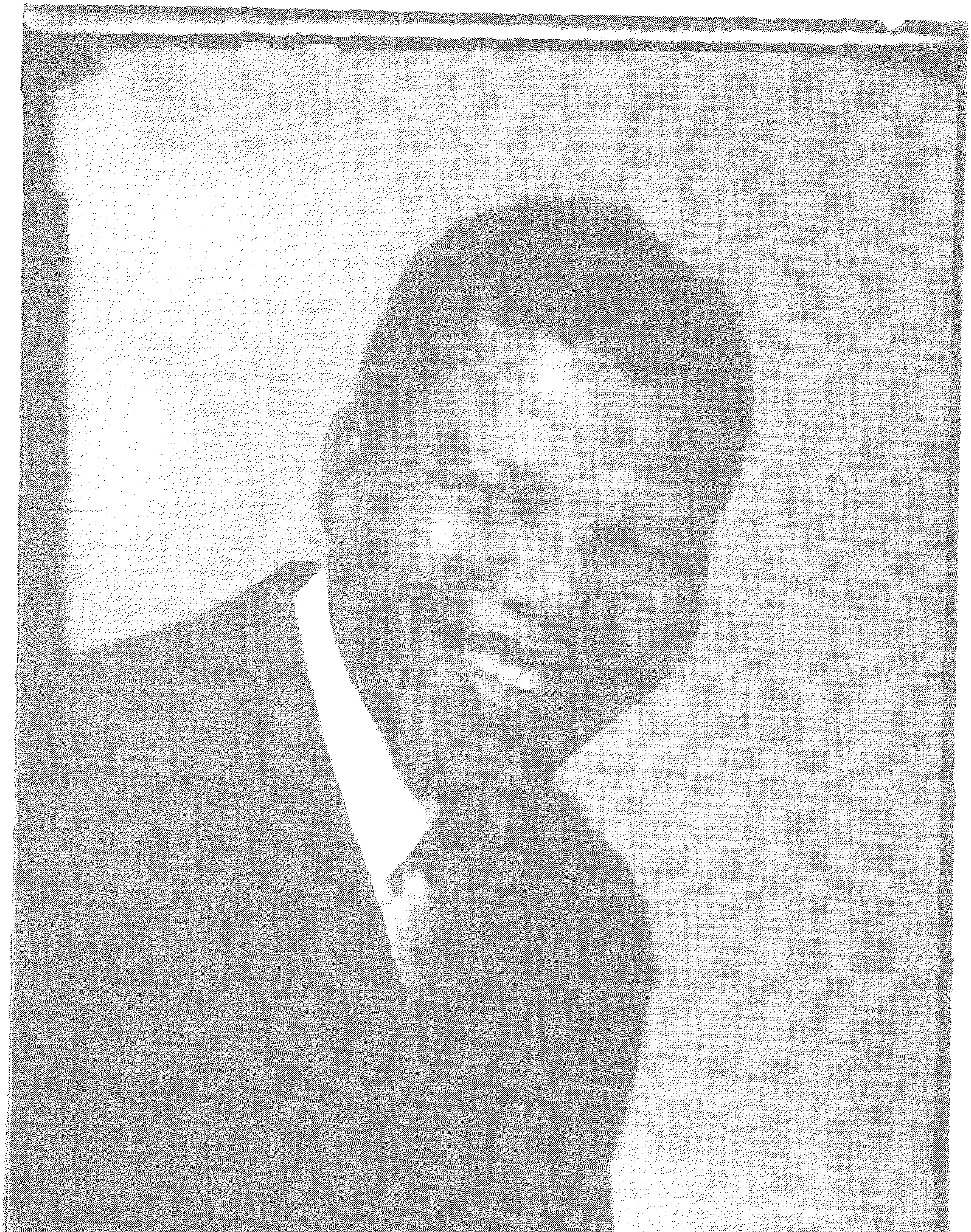
His last arrow was on the string. A slight feeling of compassion seemed at length to animate the hostile multitude which hemmed him in; they called to him that his life would be spared if he would surrender. He let fly his last arrow in scorn at the speaker, as he replied that "a chief knew how to die, but never to surrender to the race who had despoiled him!" Then with a loud shout of bitter defiance he turned round, and leaping headlong into the deep abyss was dashed to pieces on the rocks beneath. Thus died with a Spartan-like intrepidity, the last of the clan, and with his death his tribe ceased to exist.

G.P.S. P. 21 81/143198

The Native Races of South Africa: George W. Stow. P. 218.

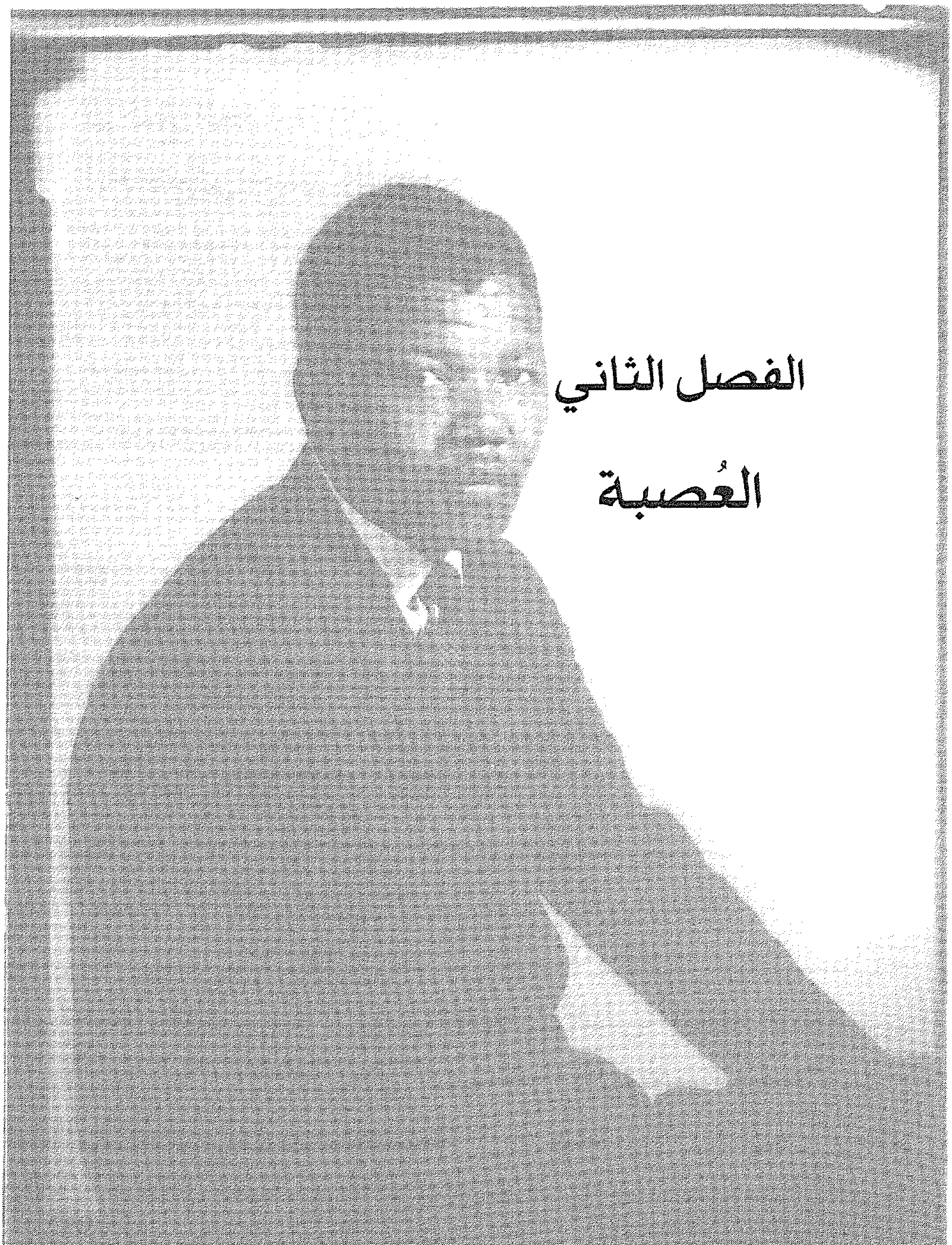
Dr R. Rubidge who spent the greater portion of his youth in wandering about the rocks & crags of the Sneeuwberg mountains, stated that after commiting some depredations, the clan was surrounded by a commando which had pursued them and succeeded in cutting them off among the rocks of a projecting shoulder of a great precipice. Here the retreating Bushmen turned for the last time at bay. Their untiring enemies were on one side, a yawning gulf without any chance of escape on the other. A dire but hopeless struggle for life commenced. One after another they fell under the storm of bullets with which their adversaries assailed them. The dead and the dying were heaped upon the dizzy projecting ledge, many in their death struggle rolled and fell over among the crags and fissures in the depths which environed them. Still they resisted and still they fell, until one only remained; and yet with the bloody heap of dead around him, and the mangled bodies of his comrades on the rocks below, he seemed as undaunted as when surrounded by the entire band of his brave companions. Posting himself on the very outermost point of the projecting rocks, with sheer precipices of nearly a couple of hundred feet on either side of him, a spot where no man would have dared to follow him, he defied his pursuers, and amid the bullets which showered around him, he appeared to have a charmed life and plied his arrows ~~who~~ with unerring aim whenever his enemies incautiously exposed themselves

The Native Races of South Africa: A History of the Intrusion دوّن مانديلا أجزاء من كتاب جورج و. ستاو *of the Hottentots and Bantu into the Hunting Grounds of the Bushmen, the Aborigines of the Country*، انظر الملاحظة رقم ٦ في هذا الفصل.



الفصل الثاني

العُصبة



لم تمحُ الحضارة الغربية خلفيتي الأفريقية تماماً، ولم أنس أيام طفولتي حينما كنا نتجمع حول مسنّي مجتمعنا للإصغاء إلى «ثروتهم» التي تكتنز الحكمة والخبرة. هذا ما درج عليه آباؤنا والمدرسة التقليدية التي نشأنا فيها. ما زلت أحترم شيوخ مجتمعنا، وأحب الدردشة معهم حول الأيام الخوالي حينما كانت لدينا حكومتنا الخاصة، وكنا نعيش بحرية.

مقطع مقتبس من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن، راجعوا ص ٤٥.

١- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

لم تمحُ الحضارة الغربية خلفيتي الأفريقية تماماً، ولم أنس أيام طفولتي حينما كنا نتجمع حول مسنّي مجتمعنا للإصغاء إلى «ثروتهم» التي تكتنز الحكمة والخبرة. هذا ما درج عليه آباؤنا والمدرسة التقليدية التي نشأنا فيها. ما زلت أحترم شيوخ مجتمعنا وأحب الدردشة معهم حول الأيام الخوالي حينما كانت لدينا حكومتنا الخاصة، وكنا نعيش بحرية. أجد دوماً متعة في الإصغاء إلى خبير يتحدث عن تاريخنا وثقافتنا وأساطيرنا وتقاليدنا الحقيقية. كنا نضايق رجالاً، أمثال مويلي سكوتا وسيلوب ثيما والزعيم ألبرت لوثولي والبروفيسور زد كاي ماثيوز وموزز كوتاين وجاي بي ماركس، وقد كان مقدار معلوماتهم عن التاريخ الأفريقي مذهلاً[١]. تكمن قوتهم الحقيقية في انغراس أقدامهم عميقاً في التراب الأفريقي، واستخدامهم المعرفة العلمية لإغناء تراثنا وثقافتنا. أفلحوا في تعقب حركات كل شريحة من شعبنا من الشمال، والمناقشة بمهارة النظريات المختلفة حول الموضوع، وأسباب الصدامات الكثيرة بين شرائح شعبنا، وشرائعه، على مر التاريخ، والتواصل مع الشعب الأبيض حتى يعمدوا إلى توقع المسار المستقبلي للأحداث. لقد اختفى الجيل القديم الذي ورث التقاليد الشفوية من أسلافنا، أو هو في طور الاختفاء، وأوجد العلم تقنيات حديثة لاكتساب المعرفة في جميع الحقول. لكن حتى الأجيال الأصغر سناً اليوم، لا تزال تقدّر خبرة كبار السن. يحبذ الشبان الذين يتصارعون يومياً مع المشاكل البشرية العملانية المستجدة، اختبار المعرفة المكتسبة من الغرف الصفية والكتب، في مقابل الخبرة المستقاة ممن هم أكبر سناً منهم وأكثر نضجاً، الذين كانوا في الحقل ذاته.

(١) من أجل الحصول على معلومات حول هؤلاء الأفراد، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

٢- *من حديث مع ريتشارد ستينغل*

أجل، سيد المدرسة هو الرجل المسؤول عن التلامذة في المدرسة. لقد كان رجلاً مذهلاً... ألقى ذات مرة عظة حول رجل كانت تسكن بيته الأرواح الشريرة. فعل كل ما في وسعه لإخراجها، لكنه فشل. ثم قرر مغادرة الكرال (مستوطنة قروية تتألف من أكواخ ومنازل) خاصته، فوضع جميع أمتعته في عربة، وانطلق للبحث عن مسكن آخر. التقى في الطريق صديقاً، فسأله هذا الصديق: أين تذهب؟ وقبل إجابته، صدر صوت من العربة قائلاً: إننا مرتحلون، نودّ مغادرة الكرال. كان هذا أحد الأرواح الشريرة. ظن أنه يخلفهم وراءه، لكنه في واقع الأمر كان يرتحل معهم. وقال إن المغزى من القصة، هو الآتي: «لا تهرب من مشاكلك، بل واجهها! لأنك في حال لم تعالجها فلن تبارحك أبداً. عالج المشكلة التي تطرأ عليك وواجهها بشجاعة». هذا هو المغزى من القصة... لم أنسه قط وقد تقبلت فكرة أنه في حال واجه المرء مشكلة ما، عليه أن يواجهها ولا يتفاداها. على سبيل المثال، في السياسة ثمة موضوعات حساسة جداً، ولا يرغب الناس عادة في مقاربات غير مستساغة. إن قال الناس علينا القيام بتحرك، فستقول قلة منهم: هل لدينا الموارد؟ هل قمنا بالاستعدادات الكافية؟ هل نحن في موقف مناسب لاتخاذ هذه الخطوة؟ يحب بعض الناس إعطاء انطباع بأنهم مكافحون، وبالتالي عدم مواجهة المشاكل، خصوصاً إن كانت من النوع الذي يجعل المرء غير محبوب. يتطلب النجاح في السياسة إقناع شعبك بآرائك، والتعبير عنها بكل وضوح وأدب وهدوء. لكن يجدر بك التعبير عنها بكل صراحة.

٣- *من رسالة إلى جامعة جنوب أفريقيا في ٢٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧* (١)

أطالب هنا بإعفائي من مادة اللغة اللاتينية للأسباب الآتية: برغم أنني أحرزت النجاح في هذه المادة في امتحانات القبول في الجامعة العام ١٩٣٨، وبرغم نجاحي

(١) واصل مانديلا دراسته لنيل درجة جامعية في الحقوق في خلال وجوده في السجن، وأتمّ هذه الدرجة الجامعية في العام ١٩٨٩.

في مادة خاصة في الموضوع ذاته في جامعة ويتووترسراند العام ١٩٤٤، إلا أنني نسيت عملياً كل شيء عنها. إن كنت مجبراً على محاولة دراستها، فعليَّ البدء من البداية. وفي سن التاسعة والستين، ستكون هذه مهمة عسيرة جداً. إنني محام كفؤ، تدربت في هذا المجال مدة تسع سنوات قبل اعتقالي واتهامي. إن قررت معاودة ممارسة مهنة المحاماة، فلن يُطلب إلي أولاً الحصول على درجة في اللغة اللاتينية. فأنا لا أنوي في الواقع بتاتاً، معاودة دخول عالم المحاماة من جديد، لا كمحام ولا كوكيل، حتى لو نويت ممارسة المحاماة في مرحلة معينة في المستقبل، فهذا الاحتمال غير مرجح، لأنني أقضي عقوبة السجن المؤبد في السجن. إن وافقتم على هذا الطلب، أقترحْ أن أتسجل لدراسة مادة السياسة الأفريقية، بدلاً من اللغة اللاتينية.

٤- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

علّمني ارتباطي بالهيئة الأفريقية الوطنية أن الحركة الوطنية الواسعة ذات تناقضات عديدة متشعبة، سواء أكانت أساسية أم لم تكن. فالانتساب إلى منظمة تنتمي إليها مختلف الطبقات والمجموعات الاجتماعية من ذوي المصالح المتعارضة الطويلة المدى التي قد تتضارب بعضها مع بعض في أوقات حساسة، يستدعي سلسلة صراعات خاصة به. يمكن التناقضات ذات النوع المختلف أن تفصل تماماً طبقة أو مجموعة متجانسة، والأضرار الناجمة عن الممارسات المختلفة فيما يخص الختان هي من بينها. ما زلت أذكر جيداً رد فعلي الأول أو حتى اشمئزازي في فورت هير، حينما اكتشفت أن صديقي لم يتقيد بهذا التقليد. كنت في الحادية والعشرين من عمري آنذاك، وارتباطي التالي بالهيئة الأفريقية الوطنية والأفكار التقدمية، ساعدني على الخروج من التداعيات السيئة لفترة شبابي، وقبول جميع الناس على قدر المساواة. توصلت إلى اقتناع بأنني لا أملك الحق مطلقاً في الحكم

على الآخرين انطلاقاً من تقاليدي الخاصة، برغم تقديري الكبير لهذه التقاليد[1]، وأن مقت الآخرين لأنهم يفتقدون تقاليد معينة هو شكل خطير من الشوفينية. أرى نفسي مُجبَراً على احترام تقاليدي وعاداتي، شرط أن تهدف إلى الجمع بيننا، وألا تتعارض أبداً وأهداف الصراع في وجه الاضطهاد العرقي، ومساعيه. لكنني لن أفرض تقاليدي على الآخرين، ولن أتبع أي ممارسة تسيء إلى رفقائي، خصوصاً الآن بعد أن صارت الحرية مكلفة جداً.

٥- *من حديث له مع ريتشارد ستينغل*

أجل أجل. كنت فخوراً بذلك، لأن معلّمنا قال لنا: «أنتم الآن في فورت هير، وسوف تكونون قادة لشعبكم»[2]. هذا ما كان يُملَى على أسماعنا، وبالطبع، في تلك الأيام، كان حصول الرجل الأسود على شهادة أمراً جللاً. لذا، انتابني هذا الشعور، وبالطبع كان الملك فخوراً جداً، لأن لديه ابناً، عضواً في القبيلة، يدرس في فورت هير.

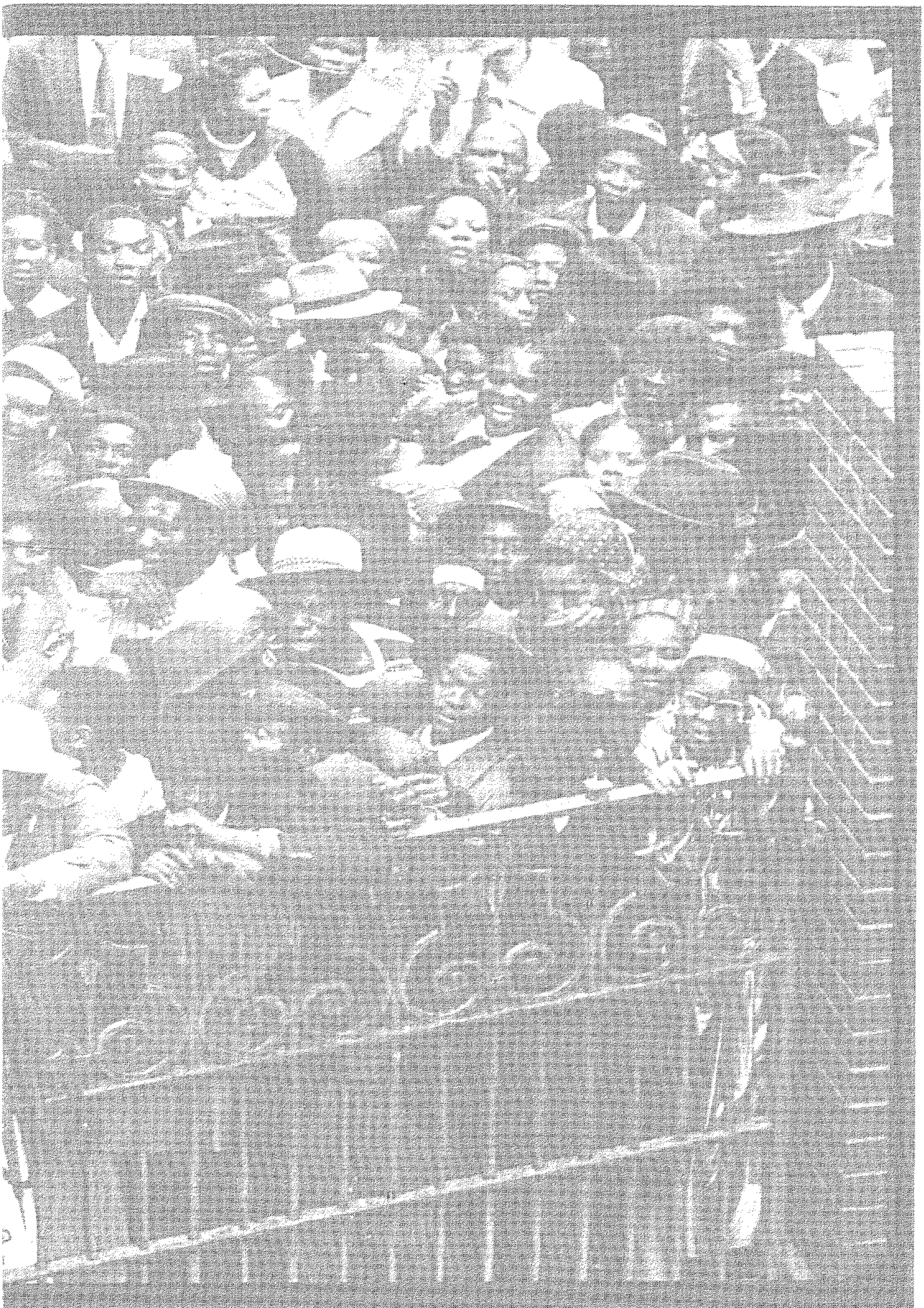
٦- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

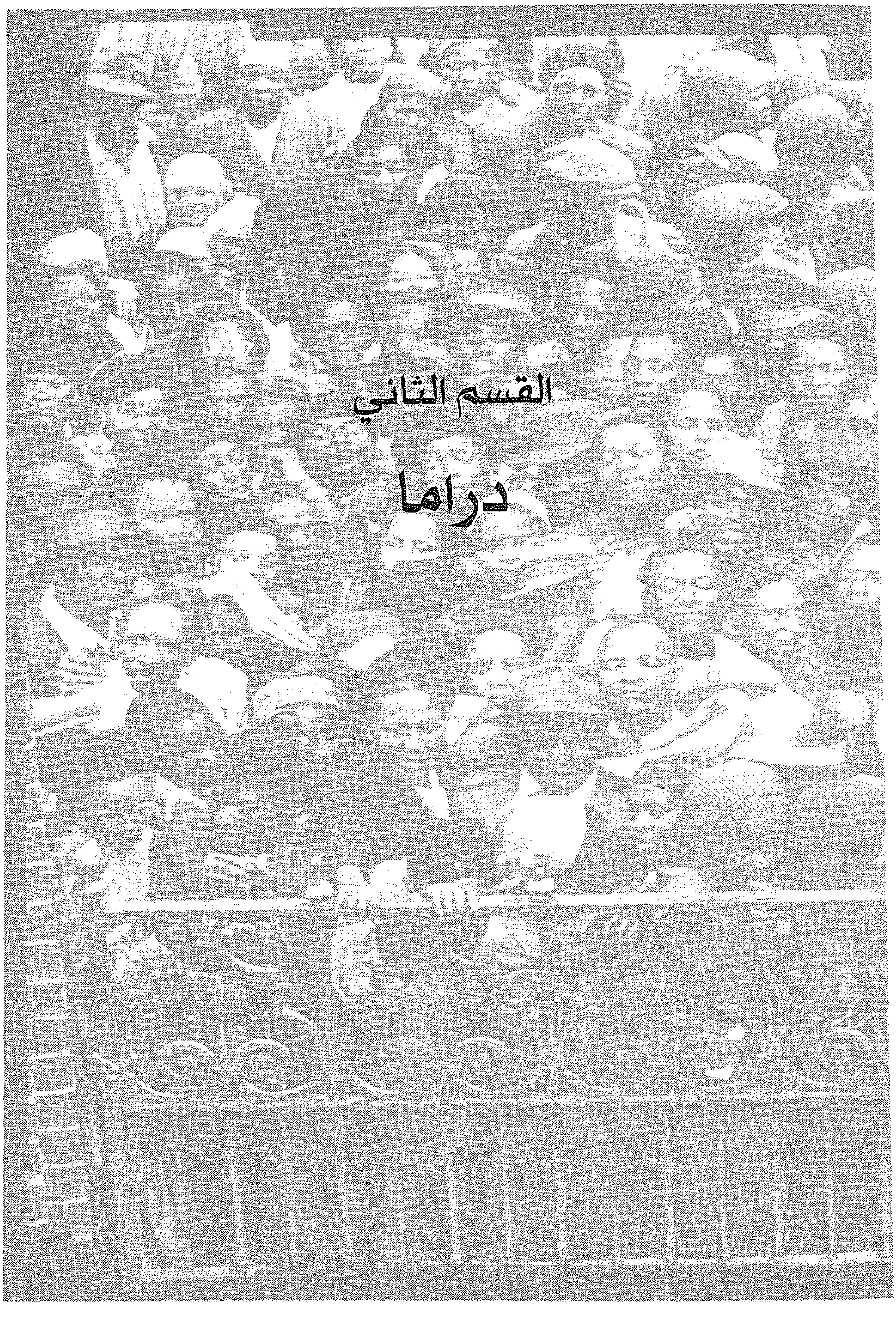
عملية التوهم وفك الأوهام هما جزء من الحياة، ويدوم دونما نهاية. في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، أذهلني الصراع بين توقعاتي والتجربة الواقعية. وتوصلت في الجامعة إلى الاعتقاد أنني سأصبح في المقدمة، حيث سأقود أبناء شعبي في نضالهم. وبطريقة ما صح هذا الاعتقاد بالنسبة إلى معظم الطلاب في فورت هير. غادر العديد منهم قاعة المحاضرات مباشرة إلى وظيفة كبيرة، حيث تقاضوا راتباً ثابتاً وتمتّعوا بنوع من النفوذ. صحيح أيضاً أن المتخرجين يتمتعون

(١) وخُتن مانديلا حينما كان في السادسة عشرة من العمر. الختان عبارة عن شعيرة تقليدية لدى شعب القوسا، تُدخل الفتى مرحلة البلوغ.

(٢) تأسست جامعة «فورت هير» في العام ١٩١٦، وكانت أول جامعة تعليم عال للجنوب أفريقيين السود في جنوب أفريقيا.

باحترام المجتمع لهم، خصوصاً في حقل التعليم، لكن تجربتي كانت مختلفة تماماً. لقد تحركت ضمن دوائر، حيث كان للمنطق العام والتجربة العملانية أهمية، ولم تكن المؤهلات الأكاديمية العليا حاسمة بالضرورة. إن ما تعلّمته في الجامعة بدا عديم الصلة ببيئتي الجديدة. كان الأستاذ العادي يتفادى موضوعات، مثل الاضطهاد العرقي، وعدم توافر الفرص للشبان السود، والمهانات الكثيرة التي يتعرض لها في حياته اليومية. لم يخبرني أحد قط بشأن كيفية تخلصنا من شرور الاضطهاد بسبب ألوان البشرة، وبشأن الكتب التي تتحتم علي قراءتها في هذا الصدد، والمنظمات السياسية التي ينبغي لي الانضمام إليها إن شئت أن أكون جزءاً من حركة استقلالية منضبطة. اضطررت إلى تعلم هذه الأمور كلها مصادفةً، ومن خلال التجربة والخطأ.





القسم الثاني

دراما

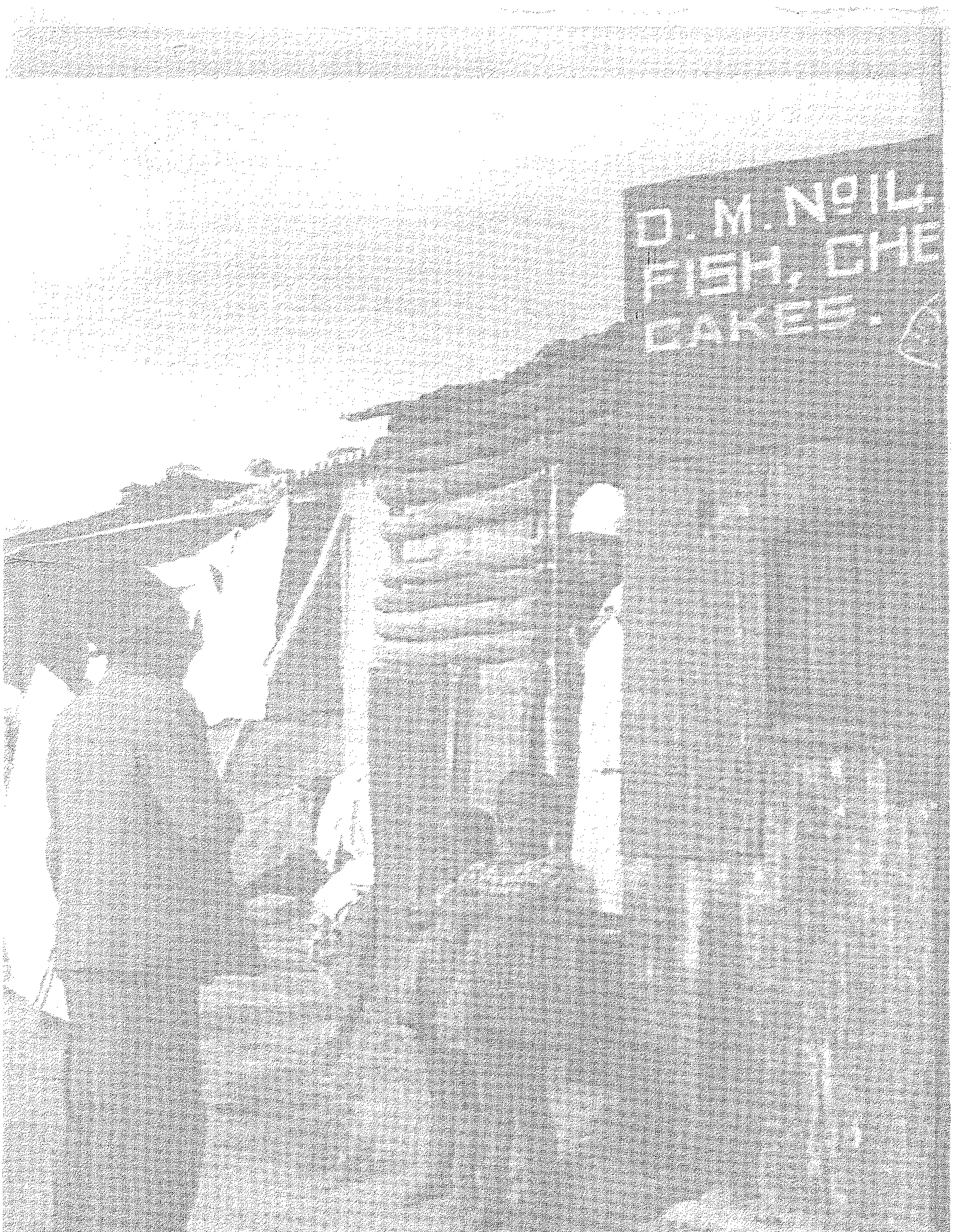
أدى نيلسون مانديلا ذات مرة دور جون ويلكس بوث، الذي اغتال أبراهام لينكولن في مسرحية عُرضت في فورت هير. أدى دور الطاغية كريون حينما مثّل السجناء مسرحية أنتيغون في سجن جزيرة روبن. كان أحمد كاثرادا قد طلب الكثير من المسرحيات اليونانية، زاعماً أنها من أجل دراساته. ولأنها لم تثر أيّما فضول لدى حراس السجن، لذا سُمح لها بأن تُعرض بدون أي مشكلة. إن أداء دور الشرير يلائم بدون أدنى شك حس الدعابة القوي لدى مانديلا. فأحياناً كان يقتبس كلاماً من شكسبير، ويُلمس لديه حس بالتراجيديا اليونانية، التي قرأها لأول مرة على هذه الجزيرة. ومازح ذات يوم بشأن أدائه التمثيل، وتعلم في خلال سنوات عمله السياسي قوة الأداء الدرامي.

كانت حياته من العام ١٩٤١ إلى عام تنصيبه في ١٩٦٢، عبارة عن أحد الأعمال الدرامية العامة العظيمة. بدأ يتولى منذ أواخر الأربعينيات مناصب قيادية في الهيئة الأفريقية الوطنية، وشارك في خلال الخمسينيات وصولاً إلى الستينيات بفاعلية في جميع الحملات والمناسبات الوطنية الداخلة في إطار الصراع مع الاضطهاد العرقي. وعند إلقاء القبض عليه العام ١٩٦٢، كان حينئذ قائد الجناح المسلح في الهيئة الأفريقية الوطنية، والشخصية الأشهر والأكثر شعبية في الصراع المناهض للتمييز العنصري. وأصبح يُسمى «كزبرة الثعلب السوداء»، الرجل المطلوب بإلحاح في جنوب أفريقيا.

وعلى نحو غير مفاجئ في خلال محاكمة ريفونيا التي جرت بين العامين ١٩٦٣-٦٤، وهي المحاكمة السياسية الأبرز والأكثر درامية في تاريخ جنوب أفريقيا، سرق مانديلا الأضواء.

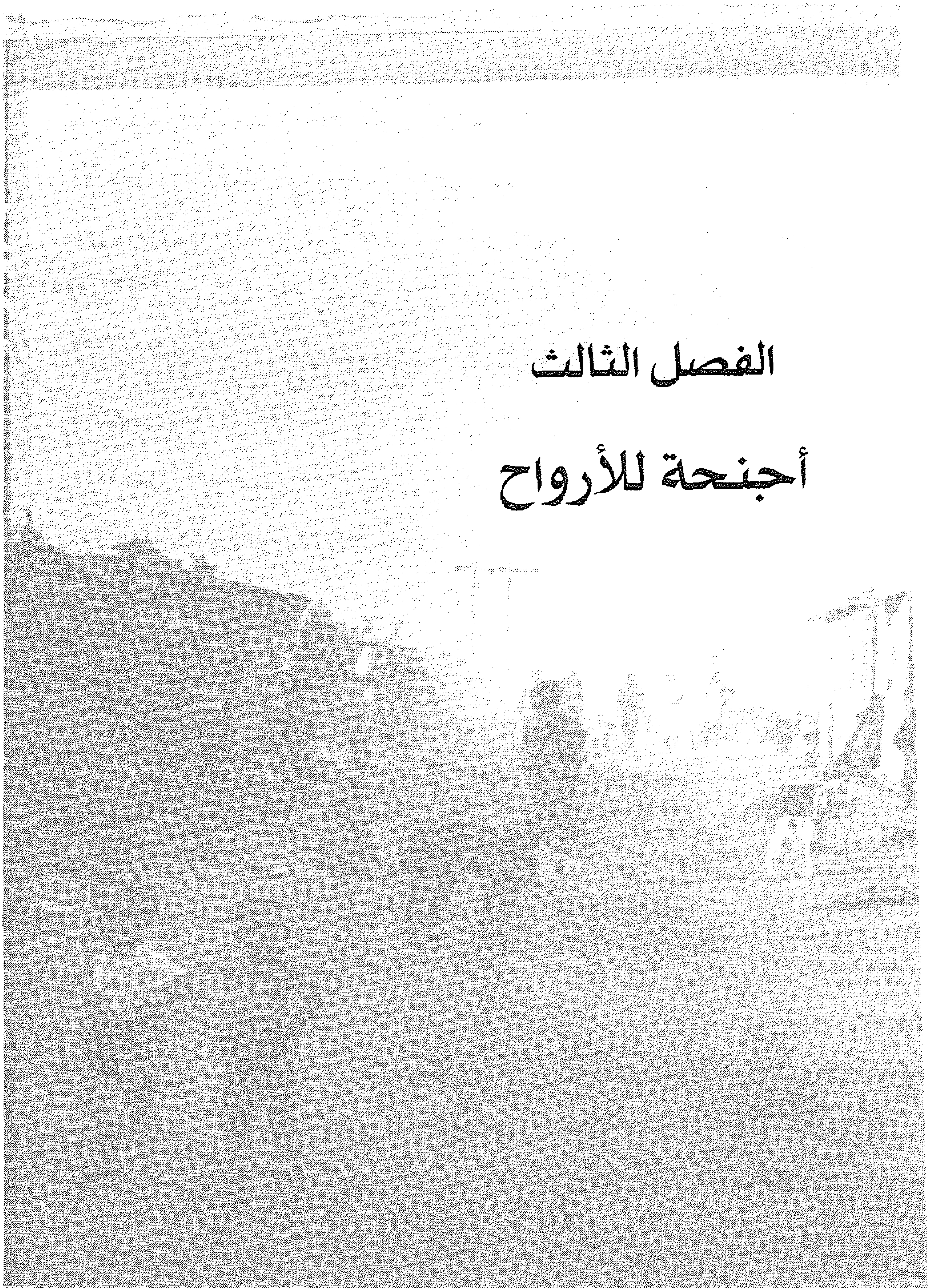
تطورت حياته الشخصية حيث تزوج، عقب بضع علاقات غرامية عابرة، بقريبة شابة لوالتر سيسولو، اسمها إيفلين ماس في العام ١٩٤٤. وأنجبا أربعة أولاد: ابنة أسمياها ماكازيوي (ماكي) وولدان هما ماديبا ثيمبيكيل (ثيمبي) وماكغاثو (كغاثو)، ثم ابنة أخرى تدعى أيضاً ماكازيوي، توفّيت بعد تسعة شهور فحسب. وبعد زهاء عشر سنين من الزواج، انفصلا بمرارة وقسوة، ما تسبب بتعاسة بالغة في العائلة استمرت سنوات.

وتزوج العام ١٩٥٨ بفتاة جميلة تدعى ويني ماديكيزيلا. لطالما أُعجب مانديلا بالنساء القويات، مثل روث مومباتي وليلان نغويي وهيلين جوزيف وروث فيرست. لكنه ربما لم يُقدّر مدى القوة التي ستظهر عليها ويني. أنجبا ابنتين: زيناني (زيني) وزيندزيسوا (زيندزي). غالباً ما كان مانديلا ينعت ويني بـ«زامي»، وهو اختصار لاسمها بلغة القوسا (نومزامو). لكن هذه العائلة الثانية شعرت تماماً كحال العائلة الأولى، بثقل حياة مانديلا العامة. كانت حالته الحياتية عبارة عن ألمهم.


D. M. Nº14.
FISH, CHE
CAKES.

الفصل الثالث

أجنحة للأرواح



وحدهم السياسيون الخاملون معصومون من ارتكاب الأخطاء. الأخطاء متأصلة في العمل السياسي. أولئك الموجودون في قلب الصراع السياسي الذين يتحتم عليهم التعامل مع مشاكل عملية وضاغطة، لا يتوافر لهم متسع من الوقت للتفكير، ولا سوابق لتهديهم، وهم معرضون للوقوع في الخطأ مرات عديدة. لكنهم بمرور الوقت، وشريطة التمتع بالمرونة والاستعداد لتفحص عملهم الشخصي بشكل نقدي، يكتسبون الخبرة اللازمة والتبصر، ما يمكنهم من تجنب الهفوات العادية، ومواصلة السير وسط جميع الأحداث التي تقع.

من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن، راجعوا ص ٥٧.

١- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

وحدهم السياسيون الخاملون معصومون من ارتكاب الأخطاء. الأخطاء متأصلة في العمل السياسي. أولئك الموجودون في قلب الصراع السياسي الذين يتحتم عليهم التعامل مع مشاكل عملية وضاغطة لا يتوافر لهم متسع من الوقت للتفكير ولا سوابق لتهديهم وهم معرضون للوقوع في الخطأ مرات عديدة. ولكن بمرور الوقت وشريطة التمتع بالمرونة والاستعداد لتفحص عملهم الشخصي بشكل نقدي، يكتسبون الخبرة اللازمة والتبصر، مما يمكنهم من تجنب الهفوات العادية ومواصلة السير وسط كل الأحداث التي تقع.

٢- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

في ألكساندرا كانت الحياة مشوقة. وبرغم أن السياسات العرقية التي تنتهجها الحكومة الحالية قد دمرت نسيجها الاجتماعي وقلصتها حتى أصبحت بلدة مهجورة، إلا أن التفكير فيها دوماً يحفز لديّ الذكريات الحميمة[١]. تعلمت هنا تكييف نفسي مع الحياة المدنية، وتواصلت جسدياً مع جميع شرور فوقية الأشخاص البيض. وعلى الرغم من أن البلدة كانت تضم بعض المباني الجميلة، إلا أنها كانت عبارة عن حي نموذجي؛ أي قذر يعج بالسكان ويتراكض فيه الأطفال المفتقرون إلى التغذية عراة، أو يرتدون خرقاً بالية وسخة. كان يحوي جميع ألوان الطوائف الدينية والعصابات والحانات. كانت الحياة رخيصة، والسلاح والخنجر يحكمان ليلاً. وكانت الشرطة في معظم الأحيان تشن الغارات متفقدة جوازات المرور وضرائب الرؤوس والمشروبات

(١) وجد مانديلا مسكناً في ألكساندرا، وهو حي فقير مزدحم بالسكان، يعرف بالمدينة المعتمة، نظراً إلى عدم توافر الكهرباء فيه.

الروحية، وتعتقل أعداداً كبيرة من الناس. وعلى الرغم من هذا، كانت ألكساندرا أكثر من مجرد موطن لـ٥٠ ألفاً من ساكنيها. لم تكن فقط إحدى المناطق القليلة في البلاد التي يُسمح فيها للأفارقة بالتملك الحر وإدارة أعمالهم الخاصة بعيداً من اضطهاد التنظيمات البلدية، بل كانت أيضاً عبارة عن رمز وتحد، على السواء. كان تأسيس هذه المنطقة اعترافاً بأن شريحة من مجتمعنا قد فكت ارتباطها بالمناطق القروية، وأصبحت من قاطني المدن الدائمين، وساكنيه الذين يأتون من جميع الجماعات الأفريقية الناطقة بلغات مختلفة وهم يتمتعون بالوعي السياسي وأكثر قدرة على التعبير، ويمتازون بحس من التماسك، الأمر الذي كان يسبب قلقاً متزايداً لدى البيض. بات واضحاً لي أن قيادة شعبي ستأتي من المناطق المدينية، حيث العمال المناضلون والطبقة المتكونة من تجار طموحين وناجحين يعانون جميع ويلات الاضطهاد العرقي. هذه هي الروابط التي تربط المرء بإحكام بـ«أليكس». حتى لحظة اعتقالي الفعلي قبل ١٤ سنة، كنت أنظر إلى البلدة على أنها موطني، حيث لا أملك منزلاً معيناً؛ وإلى أورلاندو حيث كانت زوجتي وأولادي لا يزالون يعيشون فيها كمكان أملك فيه منزلاً وليس موطناً.

٣- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

نشأت صداقة حميمة بيني وبين لازار سيدلسكي. تصرفاته الكثيرة المفعمة باللطف والعون التي كانت تميز سلوكه معي في جميع المشاكل، يمكن أن تملأ فصلاً بأكمله[1]. كان جون منغوما صديقاً خاصاً جداً، خطيباً ومتمرساً بتاريخ الزولو. كنت أصغي إليه ساعات طويلة وهو يسرد أحداثاً مهمة وقعت في ماضينا... ونتيجة لهاتين الصداقتين ولمعارف أخرى اكتسبتها في خلال الأيام الأولى لوجودي في جوهانسبورغ، تشكلت لدي قوة داخلية، وسرعان ما نسيت صعوباتي وفقري ومعاناتي ووحدتي وإحباطاتي. ومدتني هذه المعارف بالثقة بأنني سأقف على رجليّ وأتمتع

(١) لازار سيدلسكي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

بطيبة موطن من رجال ونساء فاضلين لم أكن أعرفهم من قبل، وفي مقدوري اللجوء إليهم وقت الحاجة. والآن، لدي موطن اخترته بنفسي بعيداً جداً من مسقط رأسي، وقد أحرزت تقدماً برغم ضآلته، من خلال مواردي ومبادرتي الخاصة. تربطني علاقة خاصة بالأشخاص الذين صادقوني في أوقات المحن التي مررت بها. وتتسم الكثير من هذه العلاقات بكونها بُنيت مع عائلات، وليس أفراداً، وبالكاد تأثّرتْ بموت هؤلاء الأشخاص الذين توثقت هذه العلاقات عبرهم.

٤- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

مانديلا: لقد صادقت شخصاً في هيلدتاون وأتت هذه الصداقة ثمارها حينما توجهت إلى جوهانسبورغ. إنه رجل يدعى زكريا موليت. كان مسؤولاً عن بيع اللبن الرائب في هيلدتاون، وإن صادقه المرء يعطه لبناً رائباً مركزاً جداً. حينما وصلت إلى جوهانسبورغ في مطلع الأربعينيات مكثت في بلدة ألكساندرا، وبتّ صديقاً مقرباً إليه، لأن والده كان يملك متجر بقالة، وكان المشرف الرئيسي على الكنيسة الوزليانية، ويرعاني لأنني كنت محتاجاً، ويحرص على تزويدي حوائجي، وقد أتى ذات مرة إلي، وقال:

«اسمع، يجدر بك توخي الحذر الشديد ليلاً لأن ثمة عصابة تدعى «ثوتا رانش». وكلمة ثوتا تعني الجمع والأخذ. كانوا أفراد عصابة ولصوصاً يُغِيرون على منزل المرء، ويسرقون منه كل شيء، ولهذا السبب، أُطلقت عليهم هذه التسمية. راح يقول: «إنهم ينشطون في منطقتك هنا». كنت أمكث في غرفة منفردة وقد صحوت ذات ليلة على ضجيج أناس يسيرون في الخارج. رحت أنصت إلى الأصوات، وتذكرت ما أخبرني إياه زكريا. ثم اندلع جدال وقد سمعته بوضوح. قال شخص: «لا، دعنا ندخل. دعنا ندخل». فرد عليه آخر قائلاً: «لا يا رجل، هذا الرجل لا يملك المال. إنه لا يملك شيئاً، فهو مجرد طالب». ثم راحا يتجادلان، لكن الرجل الآخر كان قوياً فقال: «دع هذا الطالب وشأنه، دعه وشأنه». إلا أن الرجل الذي كان يبدو مصراً، ثار غضباً

وانزعاجاً، فركل الباب الذي كان متفسخاً فانكسر القفل، لكنهما لم يدخلا، ومضيا في طريقهما.

ستينغل: ركل بابك؟

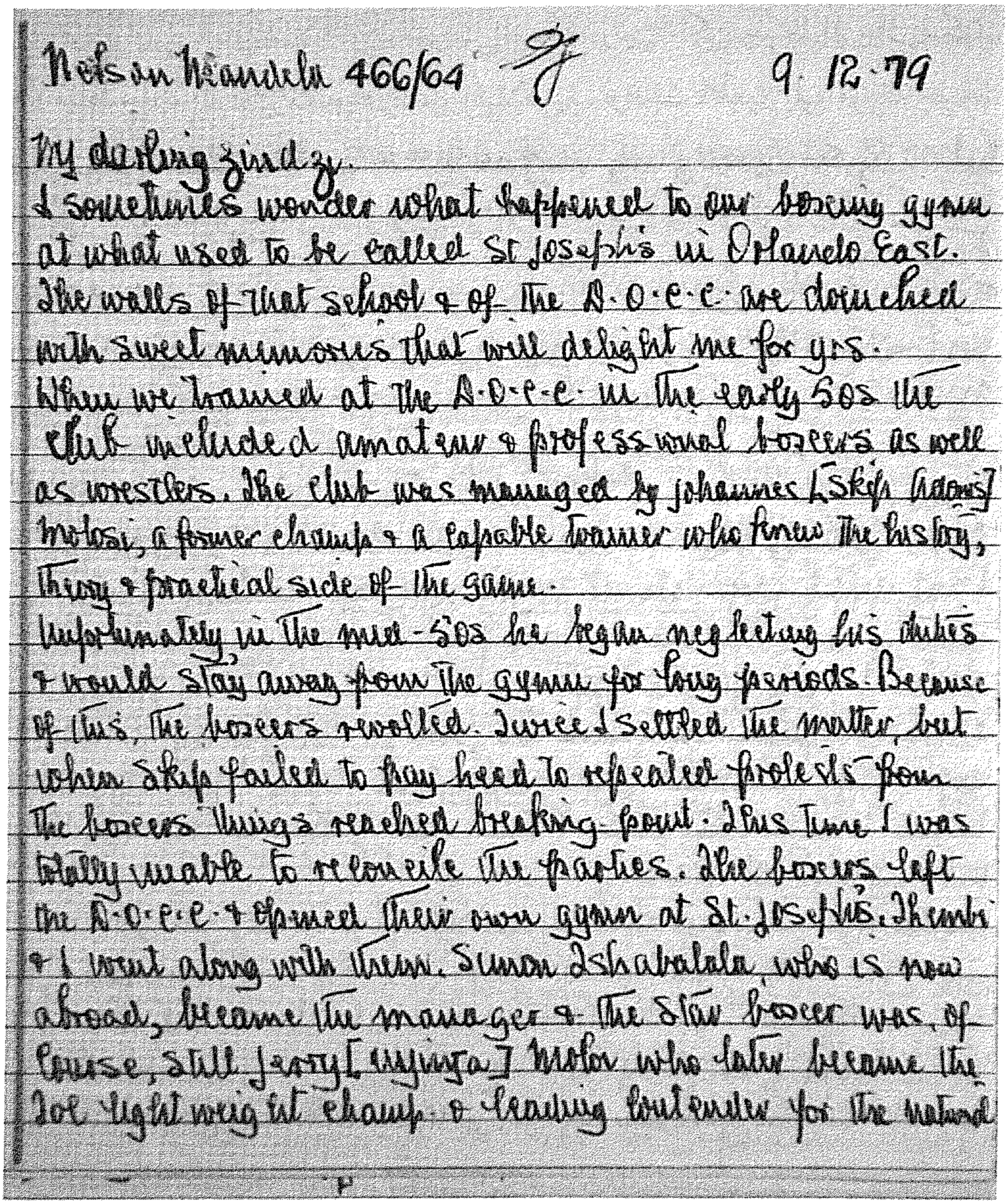
مانديلا: أجل بابي. أُصبت بصدمة قوية، لكنهما ذهبا ولم يدخلا. غيرت مكان سريري ووضعته لصق باب الغرفة لأنها كانت الطريقة الوحيدة لإقفال الباب وإبقائه في مكانه. هكذا نمت. وشعرت بامتنان عارم، لأنه كان من أنقذني من التعرض للسرقة. أحد هذين الشخصين كان لطيفاً بما يكفي بحيث قال: «لا، لا تسرقه».

٥- من رسالة إلى زينذزي مانديلا في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩، صادرها حراس السجن لأنه لم يحظ بالإذن لوضعها في البطاقة الموجهة إليها للمعايدة بحلول عيد الميلاد تلك السنة

أتساءل أحياناً عم حل بقاعة الملاكمة في ما كان يسمّى مدرسة سانت جوزيف في أولاندو إيست. فجدران هذه المدرسة ومركز دونالدسون أورلاندو الاجتماعي مفعمان بذكريات جميلة من شأنها أن تمدّني بالحبور لسنوات. حينما كنا نتدرب في مركز دونالدسون أورلاندو الاجتماعي في بداية الخمسينيات، كان النادي يضم ملاكمين محترفين وهواة إضافة إلى مصارعين. وكان يديره جوهانس (سكيب أدونيس) مولوسي، وهو بطل سابق ومدرب مؤهل، يعرف تاريخ اللعبة وقواعدها وجانبها العملاني[1].

لسوء الحظ، بدأ يتجاهل واجباته في منتصف الخمسينيات ويبتعد عن النادي الرياضي فترات طويلة.

(١) كان اسمه الحقيقي جوهانس (سكيبر أدونيس) مولوتسي.



Nelson Mandela 466/64　　9.12.79

My darling Zindzy,
I sometimes wonder what happened to our boxing gym at what used to be called St Joseph's in Orlando East. The walls of that school & of the D.O.C.C. are drenched with sweet memories that will delight me for yrs.
When we trained at the D.O.C.C. in the early 50s the club included amateur & professional boxers as well as wrestlers. The club was managed by Johannes [Skip Adonis] Molosi, a former champ & a capable trainer who knew the history, theory & practical side of the game.
Unfortunately in the mid-50s he began neglecting his duties & would stay away from the gym for long periods. Because of this, the boxers revolted. Twice I settled the matter, but when Skip failed to pay heed to repeated protests from the boxers things reached breaking point. This time I was totally unable to reconcile the parties. The boxers left the D.O.C.C. & opened their own gym at St. Joseph's. Thembi & I went along with them. Simon Tshabalala, who is now abroad, became the manager & the star boxer was, of course, still Jerry [Uyinja] Moloi who later became the Tvl lightweight champ & leading contender for the national

ملاحظة: من رسالة إلى زيندزي مانديلا في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩، راجعوا ص ٦٠. اكتُشفت الرسالة العام ٢٠١٠ في أرشيف جنوب أفريقيا الوطني، وكُتبت عليها ملاحظة بخط يد حارس في السجن بلغة جنوب أفريقيا تفيد بالآتي: الورقة الملحقة التي ضمّنها السجين مانديلا بطاقة معايدته بحلول عيد الميلاد لن تُرسل. وستُرسل البطاقة. لم يتم إطلاع السجين على رفض إرسال هذه الورقة. لم يُعط له الإذن لتضمينها البطاقة. ناقشت هذا الأمر في ٢٠ كانون الأول من العام ١٩٧٩ مع العميد، ووافق على هذا القرار. سأبقيها في ملفه.

لهذا السبب ثار الملاكمون. سُويت المسألة مرتين، لكن حينما لم يبالِ سكيب بالاحتجاجات المتكررة الصادرة عن الملاكمين، وصلت الأمور إلى مرحلة حرجة. وهذه المرة فشلت تماماً في إصلاح الموقف. ترك الملاكمون مركز دونالدسون أورلاندو الاجتماعي وفتحوا قاعتهم الرياضية الخاصة في مدرسة سانت جوزيف. انضممت إليهم أنا وثيمبي. وتسلم سيمون تشابالالا، الموجود اليوم خارج البلاد، الإدارة، وظل الملاكم النجم بالطبع جيري (أويينجا) مولوا الذي أصبح لاحقاً بطل ترانسفال في الملاكمة من الوزن الخفيف والمنافس الأساسي في لقب البطولة الوطنية. وعدا عن جيري، خرج من عندنا ٣ أبطال آخرين: إيريك (بلاك ماتيريال) نتسيلي، الذي فاز ببطولة الملاكمة لوزن الديك الوطنية من ليزلي تانجي، وفريدي (طوماهوك) نجيدي، الذي أصبح بطل ترانسفال للملاكمين من وزن ١١٢ باونداً أو أقل، وهو لقب حمله لاحقاً أحد زملائنا في النادي، ويُدعى جوهانس موكوتيدي. كان ثمة مرشحون جيدون آخرون لحمل الألقاب، مثل بيتر، الملاكم الذي يبلغ وزنه ١١٢ باونداً أو أقل، والذي بنى لنا المرأب في المنزل. أتى من بلومفونتين، وكان طالباً في مدرسة «فاكايشن سكول» في دوبي. كان ثيمبي نفسه ملاكماً جيداً، وكنت أحياناً أجلس حتى وقت متأخر جداً ليلاً أنتظر عودته من دورة رياضية في راندفونتين أو فيرينغنغ أو غيرهما من المراكز. كنا أنا وزملائي في النادي الرياضي أشبه بعائلة قريبة الأواصر، وحينما ظهرت ماما (ويني) في حياتي، أصبحت العائلة مقربة أكثر. حتى أن جيري وإيريك كانا يوصلان ويني إلى مشاويرها بالسيارة، حينما كنت أعجز عن ذلك. وقد حضر كل أعضاء النادي الرياضي حفلة خطبتنا.

بالمناسبة، عمل فريدي في شركتنا كاتباً. كان شخصاً صامتاً وموثوقاً، أحبه جميع أفراد طاقم العمل. ولكن ذات أمسية عيد ميلاد، عدتُ إلى المكتب. ولو تعلمون مَن يا تُرى وجدتُ مستلقياً على ظهره بدون حول أو قوة في الممر خارج المكتب العام؟ إنه فريدي. صدمني مظهره كثيراً فهرعت به عند الطبيب، فرمقه بنظرة سريعة،

وأكد لي أن البطل بخير، لكنه يحتاج إلى مزيد من النوم. فقد أسرف في شرب الكحول ليلة عيد الميلاد، وأفرط في تدليل نفسه. أوصلته بالسيارة إلى منزله في أورلاندو إيست، وأنا مرتاح البال. بالمناسبة، وجب علي إخبارك أنه تلقى في خلال الخلاف في مركز دونالدسون أورلاندو الاجتماعي سكيب جيري طعنة في ظهره، تماماً كما خان مارك أنطوني صديقه سيزار. سأل ثيمبي عن هويتي أنطوني وسيزار. كان ثيمبي في ذاك الوقت في التاسعة فحسب. فشرح له سكيب قائلاً: «لا تخبرنا بأشخاص فارقوا الحياة». ولو لم أكن حاضراً، لكان سكيب انتزع أمعاء الفتى، لأنه كان يستشيط غضباً. اشتكى لي بمرارة ما حسبه قلة احترام منه. فذكرته بأنه في منزلي كنت الأب الراعي ورب المنزل. لكني لا أملك مثل هذه السلطة في النادي الرياضي، وأن ثيمبي دفع رسوم الاشتراك فيه، لذا نحن متساوون تماماً، ولا يسعني إعطاؤه أي تعليمات. كنا نمضي حوالى ساعة ونصف الساعة في النادي ثم أتجه إلى منزلي في الساعة التاسعة مساء بعد أن يضنيني التعب ويجف جسمي من المياه. تقدم لي ماما كوباً من عصير البرتقال الطازج البارد، ثم العشاء اللذيذ المطهو بالقشدة الحامضة. كانت أمي تنعم بالصحة والعافية، وتضج بالسعادة في تلك الأيام. وكان المنزل أشبه بخلية نحل يضج بأفراد العائلة، ورفاق الدراسة القدماء، وزملائي في العمل من مستشفى باراغواناث[1]، وأعضاء النادي الرياضي، وحتى زبائن يتصلون بالمنزل للتحدث معها. وقد عشت أنا وإياها أكثر من سنتين أحلى أيام حياتي. كنت أقاوم بصمت نشاطي الذي كان يُبعدني عن المنزل بعد ساعات العمل في المكتب. وبرغم ذلك، ظللت أنا وهي يحذر كلانا الآخر أننا نعيش وقت مستعاراً، وأن الأوقات العصيبة سرعان ما ستطرق بابنا. لكننا كنا نمضي ساعات وأياماً رائعة مع أصدقاء ودودين، ولم نكن نملك الكثير من الوقت للشفقة على الذات. مضى على ذاك الوقت ما ينوف على العقدين من الزمن. وبرغم ذلك، أذكره بوضوح تام كأن جميع أحداثه وقعت البارحة.

---

(١) كانت ويني عاملة اجتماعية في مستشفى باراغواناث.

٦- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: في ذاك الوقت كنت ناشطاً اجتماعياً مثابراً؟ قد ذكرت آنفاً حينما قدِمت لأول مرة إلى جوهانسبورغ، أنك دعيت إلى الحفلات، حفلات الحزب الشيوعي تحديداً، والتقيت مايكل هارمل[1]، وقد كُتب الكثير عن الاختلاط، بالمعنى الاجتماعي، مع جو سلوفو وروث فيرست[2]...

مانديلا: في الواقع لا، لم يكن أمراً استثنائياً، بل يشبه كل ما كان يحدث في هذا البلد بين البيض والسود. والفرق الوحيد أن هنا يعيش البيض والسود معاً.

ستينغل: لكن كان هذا استثنائياً. أليس كذلك؟

مانديلا: كان هذا الاختلاط استثنائياً، لكن وجود الأحزاب ذاتها كان أمراً شائعاً في البلاد. أجل، لم يكن بالأمر الجديد. ولم يحدث بشكل منتظم جداً. كان الهدف من هذه المجموعات أن تُستخدم أيضاً، من قبل الحزب الشيوعي بكل تأكيد، بغية ضم أعضاء جدد.

ستينغل: فهمت... أقله في عداد البيض. ألم يجدوا أنهم كانوا يقومون بأمر جريء ومشوق عبر تنظيم أحزاب مختلطة على هذا النحو؟

مانديلا: لا، لا، لا أظن ذلك. هنا تمت تربية البيض على العادات الديموقراطية، بالمعنى الصحيح للكلمة. وقد كرّسوا أنفسهم للصراع من خلال الأشخاص المقموعين وأرادوا بالتالي أن يحظوا بلحظات راحة، ودعوا الأفارقة، السود.

ستينغل: وكنتَ ترتاد تلك الحفلات؟

(١) مايكل هارمل، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) جو سولفو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). روث فيرست راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: أجل، أجل. لم أكن أواظب على ارتيادها. في الواقع، اشتكى ذات مرة جو لوالتر (سيسولو) قائلاً: «غير معقول! نيلسون لا يحب الحفلات».

٧- حديث مع ريتشارد ستينغل

مانديلا: رحت أتعرف إلى أنماط متعددة من التفكير في جوهانسبورغ.

ستينغل: وحينما كنت تحضر الاجتماعات، كنت تكتفي بالجلوس والإصغاء؟

مانديلا: لم أكن أتكلم قط، ولم أشارك سوى في المناظرات: ليس في الاجتماعات السياسية، بل في المناظرات الأكاديمية فحسب. على سبيل المثال، كان يحضر فريق من بلومفونتين إلى جوهانسبورغ، وأُدعى لأترأس جلسة نقاش في جوهانسبورغ. كنت أشارك في مثل هذه الأمور، لكنني لم أشارك في الاجتماعات البتة، إلى أن انضممت إلى رابطة الشباب (آي أن سي). وحتى ذلك الحين، كنت أشعر بتوتر شديد. كان يساورني شعور عارم بالقلق.

ستينغل: ما سبب هذا التوتر؟ هل لأنها كانت خطوة كبيرة، أم خطيرة؟

مانديلا: لم أكن أعرف شيئاً عن السياسة. كنت أجهلها وأتعامل مع أشخاص يفقهونها، وفي وسعهم مناقشة ما كان يحدث في جنوب أفريقيا وخارجها. أشخاص لا يملكون سوى شهادة «ستاندارد فور»، أي يتمتعون أكاديمياً بمؤهلات تعليمية متواضعة جداً، ولكنهم يعرفون أكثر مني بكثير. في جامعة فورت هير درست مادة التاريخ (للحصول على شهادة الإجازة) وتعمقت كثيراً في تاريخ جنوب أفريقيا وأوروبا. لكن غور راديبي يعرف أكثر مني بكثير، لأنه لم يكن يعرف الوقائع فحسب[١]، بل كان قادراً على شرح ما وراء الحقائق وتبرير أسباب وجهة نظر معينة. وقد كان عودي غضاً طرياً في تعلم التاريخ، من ثم التقيت بعضاً منهم. بالطبع، إن

(١) غور راديبي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

أشخاصاً مثل مايكل هارمل - الحائز درجات ماجستير، وراستي بيرنشتاين الحائز إجازة من جامعة ويتووترززراند، كانوا أيضاً بارعين في التاريخ. وعلى الرغم من أنني لم أكن عضواً في الحزب الشيوعي، لكنني كنت أصغي إليهما بإمعان[1]. كنت أستمتع في الإصغاء إليهما.

ستينغل: حينما كنت تذهب إلى اجتماعات الحزب الشيوعي في بادئ الأمر، هل كنت مناهضاً للفكر الشيوعي آنذاك؟

مانديلا: أجل، تماماً، أجل، أجل.

ستينغل: إذاً، ألم يجعلك حضورك هذه الاجتماعات، تتعاطف مع الحزب الشيوعي؟

مانديلا: لا، لا، لا، لا، كنت أحضرها فقط، لأنني أدعى إليها. وكنت أتوق إلى التفرج. كان مجتمعاً جديداً حيث تجد الأوروبيين والهنود وأصحاب البشرة الملونة والأفارقة معاً. وهو أمر جديد عليّ لم أعهده من قبل. وقد أثار ذلك اهتمامي.

ستينغل: كان اهتمامك بأن تكون مراقباً اجتماعياً يفوق اهتمامك بالسياسة.

مانديلا: لا، لا لا، لم تكن السياسة تهمني كثيراً. بل كان يعنيني الجانب الاجتماعي من هذه التجربة، حيث كان يثير اهتمامي أفراد الحزب الشيوعي. كانت رؤية أشخاص بيض مجردين تماماً من العنصرية العرقية، عبارة عن تجربة جديدة لي.

ستينغل: إذاً، هل كان هذ الأمر محرّراً لك بطريقة ما؟ هل كان سامياً؟

مانديلا: لا، كان مثيراً للاهتمام. لا يسعني القول إنه كان محرّراً. لهذا السبب، هاجمت الشيوعيين حينما انخرطت في السياسة. ولم أجده محرّراً. كنت أجد أن الماركسية تخضعنا لإيديولوجيا غريبة.

(١) بيرنشتاين، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث) ليونيل (راستي).

٨- من رسالة إلى ويني مانديلا، في ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٧٠ [١]

بالفعل، غالباً ما تكون قيود الجسد أجنحة للروح. لطالما كانت هذه الحال، وستظل كذلك دوماً. يعبر شكسبير في عمله «كما تحبه» عن هذه الفكرة ذاتها بطريقة مختلفة نوعاً ما:

مصاعب المحن عذبة

فهي كحال العُلجوم، بشعة وسامة

لكنها تعلق كجوهرة ثمينة في الرأس[٢].

لكن آخرين أشاروا إلى أن الأهداف العظيمة وحدها بمقدورها أن توجد طاقات كبيرة.

لكن فهمي الفكرة الحقيقية وراء هذه الكلمات البسيطة طوال ٢٦ سنة من حياتي المهنية العاصفة، لم يكن إلا سطحياً ومنقوصاً وفلسفياً بعض الشيء. تأتي مرحلة في حياة كل مصلح اجتماعي يرعد فيها على المنصات ليريح بشكل أولي نفسه من فتات المعلومات التي لم تُهضم، والتي تجمعت في رأسه، في محاولة لإثارة انطباع الحشود أكثر منها لتقديم عرض بسيط وهادئ للمبادئ والأفكار التي تجلّت حقيقتها الكاملة من خلال التجربة الشخصية أو الدراسة الأعمق. في هذا الصدد، لست في حالة استثنائية، وقد كنت ضحية ضعف جيلي، ليس مرة واحدة، بل مئات المرات. علي التكلم بصراحة، وإخباركم أنني حينما أعود وأنظر إلى بعض كتاباتي وخطبي القديمة، يصدمني مدى الحذلقة والسطحية فيها، وافتقارها إلى الابتكار حيث يُلحظ فيها بوضوح الاندفاع لإثارة الانطباع والترويج.

(١) وينيفريد نومزامو ماديكيزيلا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) من عمل «كما تحبه» لويليام شكسبير، الفصل الثاني، المشهد الأول.

٩- من حديث مع ريتشارد ستينغل حول حملة التحدي للعام ١٩٥٢، ضد قوانين التمييز العنصري

سبق أن دخلت السجن من قبل، لكن بسبب خروقات أبسط، حيث احتُجزت قرابة يوم واحد، ليس يوماً كاملاً. كنت أُحتجز صباحاً ويُطلق سراحي عصراً... احتُجزت آنذاك، ليس لأنني تحديت، بل لكوني بلت في مكان يُسمى «حمّام البيض» المخصص للبيض فقط. في وسعنا القول إنني توجهت إلى غسل يديّ في حمام للبيض، فاعتقلت.... لقد كان خطأً من قبلي، إذ لم أقرأ اللافتة. لذا، اعتقلوني حينئذ، واقتادوني إلى مركز للشرطة. لكن في نهاية النهار، أطلقوني. لكن هنا يُدخل الناس السجن بسبب مبدأ، لأنهم كانوا يحتجون على قانون يعدونه مجحفاً. غادر زملائي الطلاب صفوفهم، وتوجهوا للتعبير عن تحديهم، لأنهم يحبون شعبهم وبلادهم. وقد أحدث هذا الأمر أثراً بعيداً فيّ.

١٠- من حديث مع ريتشارد ستينغل

لا أتدخل في شؤون الآخرين، إلا في حال طُلب إلي ذلك. حتى حينما يُطلب إلي، يكون هدفي دوماً تقريب الناس بعضهم إلى بعض. حتى كمحام، حينما كان الرجل أو زوجته يأتي إلي للبدء بمعاملة طلاق، دوماً تراني أقول: «هل بذلت كل ما في وسعك لحل هذه المشكلة؟» يرحّب بعض الأشخاص بكلامي هذا. وفي الواقع أنقذت بضع زيجات بهذه الطريقة. لكن ثمة أيضاً من كان يمقتها. تأتي الزوجة إليك لأنها تشاجرت مع زوجها، فتشعر بالمرارة. وحينما تسألها: هل لي بالاتصال بزوجك؟ تستشيط غضباً. ومن تلك اللحظة، حتى حينما تتوجه إلى المحكمة، لا تود منك أن تنظر إلى زوجها. تودّ منك تبني موقفها ذاته منه. ويمسي الوضع صعباً جداً. لكن النقطة التي أهدف إليها دوماً هي تقريب الناس بعضهم إلى بعض، ولكنني لا أوفق دوماً في ذلك.

22/84. 46 (59)

NELSON MANDELA 27. 12. 84

Mum,

[...]s of the letter to Daliwonga which I handed in this morning for dispatch [...] Umtata were summarised in the front page of today's <u>Die Burger</u> with the following headline: <u>Matanzima doen aanbod</u> (Matanzima makes an offer) <u>Mandela verwerp vrylating</u> (Mandela rejects release). This is the letter:

"Ngubengcuka,

Nobandla has informed me that you have pardoned my nephews, and I am grateful for the gesture. I am more particularly touched when I think of my sister's feeling about the matter and I thank you once more for your kind consideration.

Nobandla also informs me that you have now been able to persuade the Government to release political prisoners, and that you have also consulted with the other "homeland" leaders who have given you their full support in the matter. It appears from what she tells me that you and the Government intend that I and some of my colleagues should be released to Umtata.

I perhaps need to remind you that when you first wanted to visit us in 1977 my colleagues and I decided that, because of your position in the implementation of the Bantustan scheme, we could not accede to your request.

Again in February this year when you wanted to come and discuss the question of our release, we reiterated our stand and your request was not acceded to. In particular, we pointed out that the idea of our release being linked to a Bantustan was totally and utterly unacceptable to us.

While we appreciate your concern over the incarceration of political prisoners, we must point out that your persistence in linking our release with the Bantustans, despite our strong and clearly-expressed opposition to the scheme, is highly disturbing, if not provocative, and we urge you not to continue pursuing a course which will inevitably result in an unpleasant confrontation between you and ourselves.

We will, under no circumstances, accept being released to the Transkei or any other Bantustan. You know ~~very well~~ fully well that we have spent the better part of our lives in prison exactly because we are opposed to the [...]ea of separate development, which makes us foreigners in our

ملاحظة: من رسالة إلى ويني مانديلا في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤، راجعوا ص ٧٠.

١١- من رسالة إلى ويني في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤، مقتبسة من رسالة إلى كاي دي ماتانزيما[١]

يبدو أنك والحكومة تنويان أن يتم إطلاقي أنا وبعض زملائي إلى أومتاتا[٢]. ربما يجدر بي تذكيرك بأنك حينما وددت في بادئ الأمر زيارتنا العام ١٩٧٧، قررت أنا وزملائي عدم الاستجابة لطلبك، بسبب موقفك من تطبيق خطة بانتوستان[٣]. ومن جديد، في شباط/فبراير من هذا العام، حينما أردت أن تأتي لزيارتنا ومناقشة مسألة إطلاقنا، عاودنا التزام موقفنا، ولم نوافق على خطتك. أشرنا بالتحديد إلى أن فكرة ربط إطلاقنا بشخص بانتوستاني غير مقبولة بتاتاً بالنسبة إلينا. لكن مع تقديرنا لاهتمامك بموضوع احتجاز السجناء السياسيين، لا بد لنا من الإشارة إلى أن إصرارك على ربط إطلاقنا بالبانتوستانات، بالرغم من معارضتنا المعلنة بوضوح هذا المخطط، أمر يزعجنا كثيراً، إن لم نقل يستفزنا، ونحثك على عدم مواصلة مسار سيؤدي بشكل محتوم إلى مواجهة غير سارة بيننا وبينك. لن نقبل تحت أي ظرف من الظروف، أن نُنقل إلى ترانسكاي، أو إلى أي بانتوستان آخر. تعين جيداً أننا أمضينا القسم الأخير من حياتنا في السجن لمعارضتنا فكرة التنمية المنفصلة في ذاتها، التي تجعلنا غرباء في بلدنا، وتمكّن حكومتنا من مواصلة اضطهادنا إلى يومنا هذا. وبالتالي، نطلب إليك الإحجام عن هذه الخطة المتفجرة، آملين من كل قلوبنا أن تكون هذه المرة الأخيرة التي تزعجيننا بها.

١٢- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: توقفنا في المرة الأخيرة على الحديث عن رحلتك في أيلول/سبتمبر من

(١) قيصر داليوونغا (كاي دي) ماتانزيما، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) استخدم مانديلا «أومتاتا» (وهي لفظ استعماري)، و«مثاثا» (وهي لفظ بعد انتهاء التمييز العنصري).
(٣) تحت قانون سلطات البانتو للعام ١٩٥١، أسست حكومة التمييز العنصري مواطن أو بانتوستانات للسود في جنوب أفريقيا.

العام ١٩٥٥، حينما تم تعليق تقييد حريتك[1]، وقد ذكرت الكثير عن هذا الأمر في مذكراتك، في المسودة، بكثير من التفاصيل. هل كانت الرحلة هامة بالنسبة إليك، لأنك شعرت أنها آخر لحظة حرية تنعم بها؟

مانديلا: لا، كان قد تم تقييد حريتي من أيلول/سبتمبر، بل من كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٥٢. كان هذا قرار تقييد حريتي الأول وفق «قانون التجمعات المثيرة للشغب» وظل سارياً مدة سنة، ثم في مرة أخرى دام عامين. لكن وفق «قانون قمع الشيوعية»، تم تقييد حريتي وتحديد إقامتي في جوهانسبورغ مدة ٥ سنوات. وبعد انتهاء مدة نفاذه، ولأنني كنتُ قد مُنعت من السفر في أرجاء البلاد، وجدتُ الأمر أشبه بفصل جديد في حياتي. وقررت بالتالي أن أجول في البلاد لأتفرج عليها، لأنني أدركت أن مسألة تقييد الحرية والإقامة الجبرية في منطقة معينة، ستكون أمراً يطاردني بقية حياتي ما دمت مصراً على أن أكون ناشطاً سياسياً. كان هذا فعلاً سبب الأهمية التي أوليتُها لرحلتي.

١٣- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: ما هو النادي الدولي؟

مانديلا: كان نادي جوهانسبورغ الدولي، عبارة عن ناد يسمح لأشخاص من مختلف الجماعات المحلية، بأن يلتقوا فيه... كان مكاناً في المدينة، يمكن فيه الناس أن يلتقوا ويتبادلوا الأفكار، ويستقبلوا الزوار... ويقدم الوجبات الغذائية، وتوجد فيه الألعاب، وتجري حلقات من السجال والجدل وما إلى هنالك. كان مقراً للمناسبات الاجتماعية. وذات مرة، زاره ممثل أميركي، بل ممثلان: كندالي وآخر أمسى اليوم ممثلاً بارزاً هو سيدني بواتييه. كنا نرفّه عنهما هناك. كان نادياً مثيراً جداً

(١) كان يمكن تقييد حرية الأفراد والمنظمات من قبل الحكومة، وإخضاعها لمختلف القيود.

للاهتمام. في تلك الأيام، كان أحد الأماكن التي يمكن فيها جمع أفراد من جميع الجماعات المحلية معاً.

ستينغل: وهل كان مقره هنا في البلدة؟ أين كان يقع؟

مانديلا: أجل، كان يقع في الناحية الغربية.

ستينغل: وأصبحت أنت سكرتيراً؟

مانديلا: أجل.

ستينغل: وكان ثمة أيضاً رجل أعتقد أنه خلِفَك كسكرتير، وكنتما صديقين، هو غوردون غوز.

مانديلا: غوردون بروس! أجل، هذا صحيح.

ستينغل: إذاً، كنت تقيم علاقات اجتماعية مع الناس.

مانديلا: أجل إنه رجل إنكليزي أتى من إنكلترا وهو متدين جداً ومتزوج امرأة يهودية تدعى أورسولا[1]. سيدة ضريرة، لكنها تتمتع بمقدرة فائقة. إنها تقوم اليوم بالتدريس، أقله حينما خرجت من السجن توجهت لزيارتهما. ذات يوم، لم يكن غوردون يستطيع عند الساعة الخامسة التوجه وإقلال زوجته، فطلب إلي القيام بذلك. كانت تعمل على مسافة بضعة أبنية من هذا المكان، أي في شارع كوميشونير. فذهبت إلى هناك وأمسكت بها. لأنها ضريرة، وضعت يدها هنا على ذراعي (يومئ بيده). ثم سرنا معاً. كاد البيض يقتلونني. كانت امرأة جميلة... فجُن جنونهم لدى رؤيتهم رجلاً أسود يمسك بامرأة جميلة كهذه. كادوا يقتلونني فعلاً. لكن أمكنني ادعاء الشعور بالشجاعة، وأن في مقدوري هزم العالم أجمع، فعمدت إلى تجاهلهم.

(١) غوردون بروس لم يكن رجلاً متديناً، كان لاأدرياً، وكانت زوجته يهودية يقظة.

وركبت في السيارة. وفي وقت لاحق، حينما انضممت إلى حركة المقاومة، أمضيت الكثير من الوقت معهما. لم يكونا بعيدين جداً من مخبئي، وكنت أزورهما في المساء.

١٤- حديث مع أحمد «كاثي» كاثرادا، عن الطبيب جايمس موروكا[١]، الذي أراد أن ينأى بنفسه عن المتهمين الـ١٩ الآخرين، وفي عدادهم مانديلا وكاثرادا، في محاكمة حملة التحدي للعام ١٩٥٢، وعيّن لنفسه محامياً خاصاً[٢]

كاثرادا: في الصفحتين٦١ و٦٢ من مسوّدة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»: «توجهتُ لرؤية د. موروكا في منزله في ثابا نشو في ولاية أورانج فري. اقترحت عليه في بداية لقائنا مسارين للعمل، لكنه لم يُبد اهتماماً، كان يود أن يعبر عن عدد من المظالم. يمكن موروكا أن يكون متعجرفاً كثيراً»... إلخ.

مانديلا: يمكن أن يكون متعجرفاً كثيراً؟

كاثرادا: متعجرف!

مانديلا: لا، يا رجل لا أحب وصف موروكا على هذا النحو.

كاثرادا: حقاً؟

مانديلا: أولاً، لم يكن موروكا متعجرفاً البتة. ولا أحبذ مطلقاً أن أُبدي مثل هذه الملاحظات غير اللطيفة في كتاب كهذا، يحكي عن السيرة الذاتية.

كاثرادا: حقاً؟

مانديلا: أظن أنه في مقدورنا القول: «إن رؤية قائد الهيئة الأفريقية الوطنية راغباً

(١) الطبيب جايمس سيبي موروكا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) أحمد محمد (كاثي) كاثرادا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

في النأي بنفسه عن التصرفات والسياسات التي تم تبنيها في إبان قيادته» كانت مخيّبة للآمال. لكني لا أريد الانجرف إلى مسألة اتهامه بالعجرفة وخيانة الناس.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: أظن أن علينا تجنب هذا الأمر. وفي خلال وجودي في السجن، عمدت إلى مراسلة أولاده الذين ردوا على رسالتي، قائلين إنه لأول مرة يُقال كلمة طيبة بشأن...

كاثرادا: بشأن والدهم.

مانديلا: بل بشأن جدهم.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: في خلال كلامنا عن القادة، وعلى الرغم من أننا قد نعمد إلى انتقادهم، سيكون من الجيد لو عمدنا إلى مقارنتهم بيوسف دادو[١]... والتر سيسولو[٢]، إنهما من الأشخاص الذين أنتجتهم الحركة... والذين كانوا ملتزمين ثقافة القيادة الشاملة. أتى د. موروكا من مدرسة أخرى، وكان أمامه قيود، ولكنه عبّر عنها بطريقة مبجّلة.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: يجدر أن يكون الانتقاد مبجّلاً. يجب أن نكون واقعيين، وصادقين لكن في الوقت عينه، أن نبقى في إطار معين، لأننا بناة...

كاثرادا: أجل، أجل.

مانديلا: حينما قلتَ إن الكاتب المنضوي إلى لواء الحركة لا يقوم بالتسجيل

(١) د. يوسف دادو راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) والتر أوليات سيسولو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

فحسب، بل هو بنّاء وعليه أن يساهم في بناء المنظمة والثقة التي يجدر أن تُستثمر في تلك المنظمة. أعتقد أنك قلت هذا الكلام...

١٥- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن اللاعنف

كان الزعيم ألبرت لوثولي تلميذاً شغوفاً بالمهاتما غاندي، وكان يؤمن باللاعنف كمسيحي وكمبدأ حياتي[١].

والعديد منا لم يتبنوا هذا الموقف، لأنك حينما تعده مبدأ، عندئذ مهما يكن الوضع فستلتزم اللاعنف. اتخذنا موقفاً يقضي بالتزامنا اللاعنف فقط في حال سمحت الظروف بذلك. لكن إذا كانت الظروف معاكسة، نتخلى مباشرة عن اللاعنف، ونستخدم الأساليب التي تُمليها علينا الظروف. كانت هذه مقاربتنا. وهي تتمحور حول تقوية المنظمة كي تتمتع بالفاعلية في قيادتها. وإن كان تبنّي اللاعنف يعطيها هذه الفاعلية فسنلتزم اللاعنف. لكن إن أظهرت الظروف أن اللاعنف ليس فاعلاً، فعندئذ نستخدم وسائل أخرى.

١٦- حديث مع أحمد كاثرادا

كاثرادا: هل قرأت أعمال غاندي أيضاً؟

مانديلا: أجل. لا، هذا صحيح. لا، هذا صحيح.

كاثرادا: إذاً، هذا صحيح؟

مانديلا: لكن كان نهرو فعلاً بطلي.

كاثرادا: ورد التعبير الآتي في الصفحة ٦٢ من مسودة «مشوار طويل إلى الحرية»:

(١) الزعيم ألبرت جون مفومبي لوثولي راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

«شعر ببعض الغصة لدى تخليه عن معتقداته المسيحية التي عززت طفولته، كحال بطرس الرسول الذي أنكر المسيح ثلاث مرات».

هل من الصحيح القول إنك تخليت عن معتقداتك المسيحية؟

مانديلا: لا، مطلقاً.

كاثرادا: إنه قول خاطئ، أليس كذلك؟

مانديلا: برأيي، إنه وصف غير صائب بتاتاً. لم أتخلَّ قط عن معتقداتي المسيحية.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: وأظن أن ذلك يمكن أن يُحدِث الكثير من الضرر.

كاثرادا: بالضبط.

مانديلا: يمكن أن يحدث الكثير من الضرر.

١٧ - *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: صفْ لي روث فيرست.

مانديلا: روث؟ روث... كان موتها مأساة ألمّت بجنوب أفريقيا، لأنها كانت من بين ألمع نجوم البلاد بالمعنى الدقيق للكلمة[١]. عرفت روث منذ أيام الجامعة. كنا في الكلية ذاتها، وكانت فتاة تقدمية، لم تكن من نوع الأشخاص البيض الذين يكونون تقدميين حينما يكونون معك في الغرفة ذاتها، أو بعيداً عن الناس. إن التقتْ المرء في أحد أروقة الجامعة أو في الشارع، تقف وتتكلم معه براحة تامة وتكون على سجيتها. كانت فتاة لامعة.

(١) قُتلت روث فيرست في الموزمبيق في ١٧ آب ١٩٨٢ عقب فض مغلف مرسل إليها.

حينما تجلس في أي اجتماع مع روث، لا تجد في الجو سوى الألمعية. ولم تكن تحتمل الأغبياء، حيث ينفد صبرها معهم، وكانت تضج حيوية وتتسم بالنظامية والاجتهاد في العمل، فترهقك إن اتخذت أي نوع من العمل بحيث تضطر إلى بذل أقصى حد من الجهد لتعطي أفضل النتائج. كانت جسورة ومستعدة لانتقاد أي شخص، والسخرية من الناس... بالطريقة الخاطئة في بعض الأحيان. كانت شخصيتها صريحة ومباشرة. لكنها كانت في الوقت عينه، شديدة التحرر تماماً كزوجها جو سولفو المتحرر جداً. في تلك الأيام، حينما كانا شيوعيين شابين راديكاليين جداً، كانت لديهما صداقات بين الليبراليين ورجال الأعمال البارزين، وكان منزلها ملتقى الأشخاص من مختلف الأطياف السياسية. كانت امرأة رائعة، أحببتها كثيراً. أحببتها واحترمتها كثيراً، وأسفت جداً لدى سماعي خبر وفاتها في خلال وجودي في السجن.

ستينغل: كان منزلهما كما تقول ملتقى للناس.

مانديلا: أجل.

ستينغل: وهل كنت تتوجه إلى هناك لتناول العشاء؟

مانديلا: في كثير من الأحيان. تصادمتُ وإياها في العام ١٩٥٨، بعد مرافعة لي في محاكمة وخسارتي القضية، والزج ببعض النسوة في السجن، فانتقدتْ طريقة معالجتي للقضية. في الواقع، كان انتقاداً من شخص ليس ملماً بالقانون. لكنه جرى عبر الهاتف، وكنت أواجه صعوبة لأني كنت أتعامل مع أكثر من ألفي امرأة، حيث أحاول تنظيم دفاع عنهن. فكنت أنشغل طوال النهار، إما بالدفاع فعلياً عنهن، وإما بتنظيم أشخاص لهذه المهمة. ثم تسلمت قضية وخسرتها، وزُجّ بثلاث نسوة في السجن، برغم أننا عمدنا إلى إخراجهن بكفالة. ثم انتقدت عبر الهاتف طريقة تسلمي القضية، فقلت لها: «اذهبي إلى الجحيم». من ثم (يضحك) أدركت أنني أتكلم

مع امرأة، وهي صديقة مقربة جداً. ومهما تكن مخطئة، فهي تؤمن بما تقوله. ثم في نهاية النهار، وبدلاً من التوجه إلى منزلي ذهبت مع ويني إلى منزلها، ووجدتها مع أحد المحاضرين من الجامعة. دخلت ولم أتفوه بكلمة، وأمسكتها واحتضنتها وقبلتها، ثم خرجت. ابتعدت. (يضحك) حاولا دعوتي إلى الجلوس وما إلى هنالك، لكني خرجت. أجل. لكني عقدت الصلح. وراح جو يقول قد قلت لك إنه لا يمكن نيلسون أن يحمل تجاهك أي ضغينة. ابتعدت. وهكذا تصالحنا. لم أشأ حدوث أي توتر بيننا. وعلى الرغم من أنني فقدت أعصابي، إلا أنني أدركت مباشرة أنني كنت ظالماً معها. فهي صديقة صادقة جداً ويحق لها انتقاد أي تصرف أقترف به خطأً. لكننا تصالحنا. كنت فعلاً أحترم روث، وحينما انضممت إلى المقاومة، كانت واحدة من الأشخاص الذين كنت أتصل بهم.

١٨- *من حديث مع أحمد كاثرادا*

يا للهول! أعتقد أنه يجدر بنا تحديد معنى حجز الحرية، حيث يتم منعك من حضور الاجتماعات، وتقييد إقامتك ضمن مقاطعة حاكمية. في المرة الأولى، تم تقييد حريتي وفق «قانون التجمعات المثيرة للشغب». في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢. مُنعت من حضور الاجتماعات العامة، ومن ثم تم تحديد إقامتي ضمن مقاطعة جوهانسبورغ الحاكمية. والآن هي تجربة جديدة لي وعدم تمكني من مبارحة جوهانسبورغ، كان بالطبع أمراً أحدث فيّ أثراً بالغاً. لكن لم يكن الناس يتجنبونني، لأن الشخص حينما يراك لا يعلم بأنك إنسان مقيد الحرية. والمرة الوحيدة التي واجهت فيها هذا الأمر، حدثت مع شاب يدعى بنجامين جوزيف، وهو محام يعمل في المكان ذاته مع هاري موكونا. ذات يوم كنت أسير في شارع فوكس، وأخذ يقترب مني. وحينما اقترب مني قال (همساً): «لا تكلمني يا نيلسون. واصل طريقك فحسب رجاءً. لا تكلمني». كانت هذه الحادثة الوحيدة التي شهدتها.

١٩- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

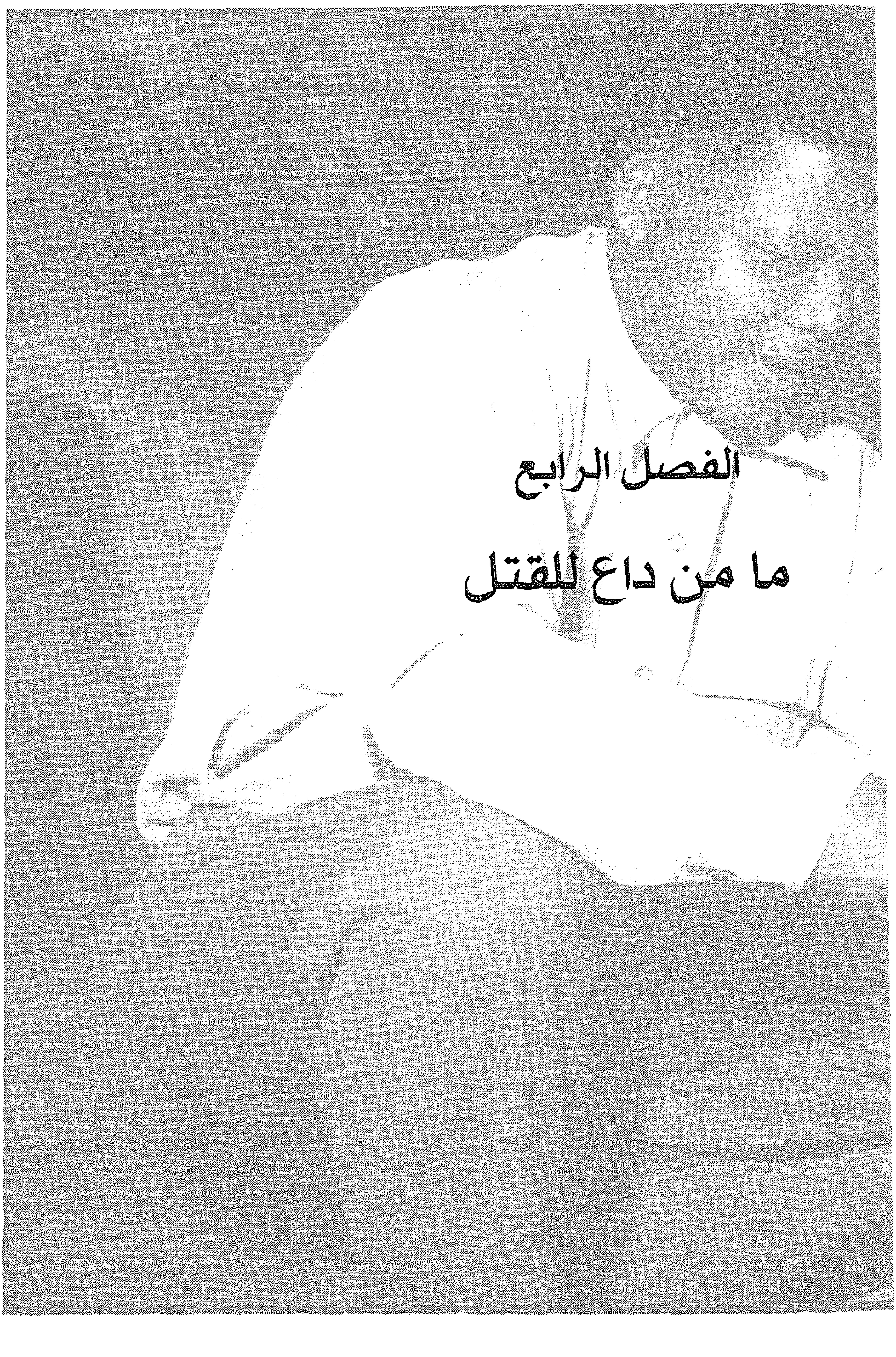
أثّر فيّ كثيراً خضوعي للإقامة الجبرية في جوهانسبورغ طوال سنتين، وشعرت تحت ضغط عملي القانوني والسياسي الذي يثقل كاهلي كثيراً بالاختناق، لإحساسي برهاب الاحتجاز، ولشدّة توقي إلى تنشّق بعض الهواء النظيف. لكن ١٤ سنة من الحياة الضاغطة في أكبر مدينة في جنوب أفريقيا لم تقتل الفلاح في داخلي. ورحت من جديد أتوق إلى رؤية المرج الفسيح والجبال الزرقاء والعشب الأخضر والآجام والتلال المترامية والوديان الخصبة والينابيع الجارية التي تسيل عبر الجروف نحو البحر النهم.

٢٠- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

تجمع دوما نوكوي وبضعة أشخاص آخرين في المنزل ذات ليلة لتوديعي[١]. كان المحامي الشاب والواعد في مزاجه المرح المعتاد. ومع بلوغنا ساعات المساء، أصبح أكثر فرحاً وحباً للثرثرة، وظل يُضحكنا طوال الوقت. كان بين الفينة والأخرى يأخذ في الغناء باللغتين الروسية والصينية، ويقوم في الوقت ذاته بالإيماء بكل جذل كأنه يقود كورساً خيالياً. جلسنا حتى حلول منتصف الليل تقريباً. وفي الوقت الذي كانوا يغادرون المنزل، استفاقت ابنتي ماكازيوي التي كانت تبلغ حينئذ السنتين من العمر، وسألتني إن كانت تمكنها مرافقتي. وعلى الرغم من أنني كنت مقيداً داخل جوهانسبورغ، إلا أن ضغط العمل سمح لي بقضاء بعض الوقت مع عائلتي. وكنت أعي جيداً شعور الشوق الذي ينخرهم من الداخل حينما كنت أبتعد عنهم أكثر وأكثر، وفي طريقي إلى تارنسكي اجتاحني لعدة ثوانٍ شعور بالذنب، وتبخرت الحماسة التي شعرت بها حيال الرحلة. قبلتها وأرقدتها في سريرها، وحينما غفت انطلقت.

(١) كان مانديلا على وشك الانطلاق في إجازة عمل إلى دوربان وترانسكي وكايب تاون، ١٩٥٥. فيلمون دوما نوكوي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).





الفصل الرابع

ما من داع للقتل

...الديار تبقى دياراً حتى بالنسبة إلى من يطمح إلى تحقيق مصالح أوسع، أو أسس لنفسه دياراً من اختياره في مناطق بعيدة. إن السعادة الغامرة التي لفّتني لدى مروري بالسيارة في يورك رود، وهو الشارع الرئيسي، لا توصف.

مقتطف من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن، راجعوا ص ٨٣.

١ - من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن

وصلت في مساء اليوم الثالث، إلى مثاثا، بلدتي الأم[1]... الديار تبقى دياراً حتى بالنسبة إلى من يطمح إلى تحقيق مصالح أوسع، أو أسس لنفسه دياراً من اختياره في مناطق بعيدة. إن السعادة الغامرة التي لفّتني لدى مروري بالسيارة في يورك رود، وهو الشارع الرئيسي، لا توصف. فقد غبت عن المكان مدة طويلة بلغت ١٣ سنة، وعلى الرغم من عدم وجود عجول سمينة أو أشجار مزينة للترحيب بي، شعرت كأني الهائم العائد ذو الشهرة الواسعة، وتطلعت إلى رؤية أمي ومنزلي المتواضع، والأصدقاء العديدين الذين نشأت معهم وذاك المرج الساحر، وجميع الأغراض الممنوعة التي تشكل أيام طفولتي التي لا تُنسى. ظننتني خلّفتُ الشرطة الأمنية ورائي في راند، ولم أتوقع أن تكون قد وصلت عناصرها إلى مكان بعيد يصل إلى بلدتي الأم. كنت لا أزال أرتشف القهوة مع مسؤولَين في غرفتي، حينما أدخلتْ مساعدتي في صباح اليوم التالي رجلاً أبيض، سألني بوقاحة وبدون أي مجاملات: هل أنت نيلسون مانديلا؟

فأجبته سائلاً: ومن أنت؟

عرّفني باسمه وبرتبته كرقيب محقق، فقلت له: هل لي برؤية مذكرتك رجاءً. مقت طلبي الصريح أكثر بكثير من مقتي وقاحته، لكن بعد بعض التردد أراني المذكرة. ثم قلت له إنني نيلسون مانديلا. طلب إلي مرافقته إلى مركز الشرطة، فسألته إن كان يعتقلني، فأجاب بالنفي. رفضت الذهاب. عندئذ طرح علي وابلاً من الأسئلة، وراح في الوقت عينه يدوّن ملاحظاتي في دفتره: متى غادرتُ جوهانسبورغ، وما الأماكن

(١) في هذا المدخل، والمدخلين التاليين، يشير مانديلا إلى رحلة قام بها بعد وقف قرار إقامته الجبرية العام ١٩٥٥.

التي زرتُها، وكم من الوقت نويت أن أمكث في ترانسكي، وأين سأذهب بالضبط لدى مغادرتي المنطقة، وهل لديّ تصريح لدخول ترانسكي؟ أخبرته بالمكان الذي سأمكث فيه، وبأن ترانسكي هي دياري، وبأنني لا أحتاج إلى إذن لدخولها. لكني رفضت الإجابة عن الأسئلة الأخرى. وحينما انصرف انتقدني المسؤولان على فظاظتي، قائلين إنه كانت تمكنني الإجابة عن بعض الأسئلة بدون أن يشكل ذلك أي خطر علي. فشرحت لهما قائلاً: إنني امتنعت عن الإجابة بسبب عدم لباقة الرجل وغطرسته، وإنني رددتُ على وقاحته فحسب. لا أظنني أقنعتهما... فوجودي مع والدتي في منزلها، غمرني بحماسة صبيانية. ولم يسعني في الوقت عينه تجنب الشعور بالذنب، فأمي كانت تعيش وحدها على بُعد ٢٢ ميلاً عن أقرب طبيب. وأنا وأخواتي، يعيش كل منا وحده. وعلى الرغم من أن أولادها حاولوا بطريقتهم الخاصة، أن يريحوها مادياً، إلا أنها اختارت أن تحيا حياة تقشف، وادخار ما يعطيها إياه أحد أولادها لتعطيه إلى أي من أبنائها الآخرين عند حاجته. حاولت في مناسبات سابقة القدوم والعيش معي في جوهانسبورغ، لكنها عجزت عن مواجهة ألم مغادرة الريف حيث عاشت حياتها كلها. غالباً ما تساءلتُ إن كان مبرراً للشخص أن يتجاهل عائلته من أجل الكفاح لإيجاد فرص للآخرين. هل يمكن أن يوجد شيء أهم من رعاية المرء والدته التي تشارف الستين من عمرها، وبناء المنزل الحلم لها، وتوفير طعامها الصحي، والملابس الجميلة والحب الغامر؟

هل السياسة في مثل هذه الحالة ليست مجرد عذر لتخلّي المرء عن مسؤولياته؟ ليس سهلاً أن يعيش المرء مع ضمير يطرح هذه الأسئلة بين الفينة والأخرى. غالباً ما أتمكن من إقناع نفسي بأنني بذلت قصارى جهدي لإضافة مقدار من اليسر والراحة إلى حياة والدتي. حتى في بعض الأحيان، حينما أُبتلى بضمير يعذبني، علي الاعتراف بأن التزامي الكامل تحرير شعبنا يعطي معنىً للحياة ويمنحني إحساساً بالفخر الوطني، والفرح الحقيقي. وقد تضاعف هذا الشعور مئة مرة عند معرفتي أنه

حتى آخر رسالة كتبتْها إلي قبيل وفاتها شجعتني على اعتناق معتقداتي أكثر وعلى الدفاع عنها.

٢- حديث مع ريتشارد ستينغل

مانديلا: بالمناسبة، حينما كنت أقود سيارتي مغادراً بورت إليزابيث، كان ذلك قرابة العاشرة صباحاً. كان يوماً حاراً، وفي الوقت الذي كنت أقود سيارتي – كانت منطقة ملأى، بالآجام، برية بعض الشيء، على بُعد مسافة قصيرة من بورت إليزابيث – صادفت فجأة أفعى تعبر الطريق. كانت تتلوى بسبب حرارة الأرض تحتها، إذ حتى هي لم يكن في مقدورها احتمال الحر. كانت تتلوى، لكنها كانت قريبة جداً مني، فلم أجد مفراً من دهسها.

آلمني قلبي، لأنها قفزت إلى الأعلى وهي تموت. ولم يسعني القيام بشيء، فلم أنظر إليها. أجل، مسكينة. لم يكن ثمة سبب يدعوني إلى قتلها. لم تكن تمثل تهديداً لحياتي، وخلّفت لدي شعوراً بالحزن.

ستينغل: بخصوص حادثة الأفعى التي ذكرتها في مذكراتك، هل كنت أيضاً تتطيّر من دهس أفعى؟

مانديلا: لا، لا، لا!

ستينغل: هل كنت تعدها حظاً سيئاً أم، نذير شؤم؟

مانديلا: لا، لا لا. لم أكن متطيّراً البتة. لكن أقلقني فقط قتلي حيواناً زاحفاً بريئاً. وخصوصاً عند رؤيتها عبر المرآة الأمامية وهي تلوذ بنفسها لتبقى على قيد الحياة. كان تصرفاً باعثاً على الأسى من قِبلي. لكنها كانت منطقة جميلة آنذاك... من بورت إليزابيث إلى هيومانزدورب. حيث كنا نعبر الغابة الكثيفة التي كان لا يزال السكون يلفها، ولا يُسمع فيها سوى زقزقة العصافير، كانت ساكنة جداً. منطقة جميلة!

وبرية أيضاً وصادفت قبل وصولي إلى كنايسنا، رُبّاحاً وهو يعبر الطريق، ثم وقف خلف شجرة وظل يتلصص علي. كنت أحب مثل هذه الحوادث. أجل يا كنايسنا... لقد اعتقدت جازماً أنه لو عاد يسوع إلى الأرض، لكان استقر هناك.

٣- *من حديث مع ريتشارد ستينغل*

ألقيت خطاباً في اجتماع الجمعية البيطائفية للوزراء في وسترن كايب. يصعب اليوم تذكر الكلمات بدقة، لكنني كنت أركز على أهمية دور الكنيسة في الصراع، وأنه كما يستخدم الأفارقة منابر الوعظ للتعبير عن معتقداتهم، يجدر بكهنتنا أن يفعلوا الأمر عينه. ثم تلا شاب صلاة، وهو الموقر جابتا الذي قدم صلاة ملحوظة قال فيها: «يا إلهي، كنا نصلي لك ونرجوك ونطلب إليك أن تحررنا. واليوم نأمرك بأن تحررنا». ثمة شيء بين هذه السطور وجدته لافتاً.

٤- *من مسودة سيرته الذتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

على الرغم من أنني بتّ الآن ملتزماً بشكل كامل، واكتسبت بعض الأفكار بشأن المخاطر التي ترافق حياة المناضل من أجل الحرية، لم أشهد أي حملات سياسية كبيرة يقوم بها السود، ولم أكن حتى قد بدأت أُولي مسألة الأساليب اهتماماً جدياً. التضحيات التي اضطررت إلى القيام بها حتى تلك اللحظة، لم تتخطّ الابتعاد عن عائلتي في خلال عطل الأسبوع في معظم الأحيان، والعودة متأخراً ليلاً، والسفر من أجل المشاركة في الاجتماعات، وشجب السياسة الحكومية.

٥- *من مسودة سيرته الذتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

آنذاك، كان ابني البكر ماديبا (ثيمبي) في الخامسة من عمره. سأل والدته ذات يوم عن المكان الذي أعيش فيه. كنت أعود إلى المنزل في وقت متأخر من الليل، وأغادر في الصباح الباكر قبل أن يصحو. كنت أشتاق إليه كثيراً في خلال تلك الأيام

الكثيرة الانشغالات. أحبّ اللعب مع الأطفال والدردشة معهم وتحميمهم وإطعامهم، وإرقادهم في أسرّتهم ليناموا بعد قراءة قصة لهم، وقد أزعجني الابتعاد عن عائلتي طوال مدة حياتي السياسية. أحب الاسترخاء في المنزل والقراءة بهدوء، وتنشق الرائحة الزكية التي تفوح من قُدور الطعام، والجلوس حول الطاولة مع العائلة، وأخذ زوجتي وأولادي في مشاوير. حينما تعجز عن التلذذ بهذه المتع البسيطة، يُسلب شيء ثمين من حياتك، وتشعر بهذا النقص في خلال عملك اليومي.

٦- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: لنعد إلى العام ١٩٤٤، حينما التقيت إفلين[١].

مانديلا: أجل، حسناً.

ستينغل: يبدو أنك التقيتها عبر والتر سيسولو، لأنها كانت نسيبته.

مانديلا: أجل، تماماً.

ستينغل: هلاّ أخبرتني بظروف لقائك إياها؟

مانديلا: لا أحب الخوض في هذا الموضوع. فكما تعلم، يمقت شعبنا أن نتكلم على الطلاق وشجونه. أنا نفسي لم أعارض... لم أشأ أن يتم تقديمي بطريقة تغفل النقاط السوداء في حياتي، لكني لم أقو على إقناعهم، ومن بينهم أشخاص مثل والتر سيسولو. لم أقو على إقناعه بتلك المسألة. في رأيهم أنت لا تخبر قصة حياتك فحسب، بل يريدونك أن تكون نموذجاً لبناء منظمتهم. والآن إن تكلمت على إفلين في هذا الكتاب، فسأضطر إلى إخبارك بسبب انهيار زواجنا، الذي انهار فعلاً نتيجة الاختلافات في السياسة. ولا أريد أن أتكلم بهذه الطريقة الآن ضد امرأة مسكينة،

(١) إفلين نتوكو مايس، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

لا تستطيع كتابة قصتها الخاصة، وعرض وجهة نظرها هي. وعلى الرغم من إجراء مقابلات معها، فقد حرّمت ما حدث فعلياً. وبمجرد أن أبدأ الكلام عليها، لا بد لي من سرد القصة الصحيحة، وهي القصة الكاملة. وأفضّل ترك هذه المسألة الآن.

٧- *حديث مع أحمد كاثرادا*

كاثرادا: الآن، سنتحدث عن إفلين.

مانديلا: وماذا عنها؟

كاثرادا: أنت صححت الخبر الآتي: وفقاً لإفلين حينما اشتكى مانديلا أنها تفسد ابنهما عبر إعطائه الكثير من المال، خدش رقبتها، فتوجه الفتى عند الجيران الذين حضروا إلى المنزل، ووجدوا الخدوش في رقبتها.

مانديلا: ممم!

كاثرادا: أليست هذه الواقعة صحيحة؟

مانديلا: ليست صحيحة. لكني أتساءل كيف أمكنني ألا ألاحظ هذه الأمور.

كاثرادا: لقد صححت خبراً آخر فحواه: «أصبحت إفلين تابعة مخلصة من أتباع «شهود يهوه»، وأمضت الكثير من وقتها في قراءة الإنجيل. اعترض مانديلا معتبراً أن الإنجيل روّض عقول الناس وأن البيض أخذوا أرض الأفارقة وتركوا لهم الإنجيل». وقد أعربت عن عدم صحة هذه الواقعة.

مانديلا: أجل، تماماً.

كاثرادا: لكن بعد فترة، ظل يتكرر موضوع «خدشها في رقبتها».

مانديلا: لا، أجزم بشكل قاطع بخصوص هذه المسألة برمّتها، وأقول إنها غير صحيحة.

كاثرادا: فهمت.

مانديلا: المسألة برمّتها غير صحيحة، لأنه ما من شك في ذلك. ما من شك في ذلك. أنا واثق بأنها كانت لتقتادني إلى الشرطة إن اقترفت مثل هذا الفعل. أتعلم ماذا جرى؟

كاثرادا: تفضل.

مانديلا: كنا نتجادل. كانت قد هيأت نفسها لما سيجري، بدون أي علم مني. أتذكر تلك المواقد القديمة؟

كاثرادا: أجل.

مانديلا: مواقد الفحم؟ كان لدينا قضيب حديدي.

كاثرادا: أجل، ملقط النار؟

مانديلا: هذا صحيح. ملقط النار.

وضعت ذاك القضيب في الفحم كان حامياً أحمر اللون. وحينما تجادلنا سحبَتْه من النار بغية إحراق وجهي. فأمسكت بها وفتلت ذراعها لأتمكن من أخذ ذاك القضيب من يدها.

كاثرادا: أخذت ملقط النار منها.

مانديلا: هذا كل ما جرى.

٨- حديث مع أحمد كاثرادا عن حملة مقاطعة البطاطا[1]

كاثرادا: حسناً، في الصفحة ٣٠ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»، والأسئلة لا تزال من الناشر. تقول هنا: «إحدى الحملات الأكثر نجاحاً التي جرت أيضاً في العام ١٩٥٩، كانت حملة مقاطعة البطاطا».

مانديلا: أجل.

كاثرادا: كان معروفاً أن أحوال العمال في مزارع البيض في ترانسفال كانت تعيسة، لكن أحداً لم يعلم بمدى تعاستها إلى أن قام هنري نزومالو، وهو صحافي جريء يعمل في مجلة، بشغل وظيفة عامل بنفسه، ثم كتب عن هذه التجربة قائلاً[2]: الآن، تكتب مقطعاً أو مقطعين حول حملة مقاطعة البطاطا.

يقول: هل تورطت في هذا الأمر بطريقة ما؟ إن لم تتورط فسأميل إلى محو هذه المادة.

مانديلا: آه.

كاثرادا: هذا ما يقوله، برغم أنني لا أوافقه في الرأي، لأنني أعتقد أن حملة مقاطعة البطاطا كانت مهمة...

مانديلا: أجل، كثيراً.

كاثرادا: حدثاً مهمة بالنسبة إلينا.

---

(١) حملة مقاطعة البطاطا في العام ١٩٥٩، جذبت الانتباه إلى ظروف العمل الشبيهة بالاستعباد التي عاناها العمال السود في جنوب أفريقيا في مزارع البطاطا.

(٢) هنري نزومالو (١٩١٧-٥٧) صحافي ومحرر مساعد لمجلة «درام» كتب مقالاً فاضحاً حول مزارع البطاطا.

مانديلا: أجل، كنت... حدث ذلك العام ١٩٥٩. صحيح؟

كاثرادا: أجل، تقريباً.

مانديلا: أجل، ألم تحدث العام ١٩٥٧؟

كاثرادا: لا، لا.

مانديلا: أذكر ليليان (نغويي) تلقي خطاباً في اجتماع حاملة حبة بطاطا، وتقول: «اسمع لن آكل البطاطا أبداً في حياتي[١]. انظروا إلى حبة البطاطا هذه، إنها تبدو أشبه بإنسان...».

لأنه تم تسميدها من لحم الإنسان. كلام كهذا. أظن أن ذلك حدث العام ١٩٥٧، لكنك قد تكون محقاً. ربما حدث العام ١٩٥٩، أذكر أو آر (أوليفر تامبو)[٢]، (يضحك) في أثناء المقاطعة اشترى السمك ورقائق البطاطا وراح يأكلها. أظن أن (باتريك) مثيمبو هو الذي قال: انظروا إلى المسؤول الأبرز في الهيئة الأفريقية الوطنية يكسر المقاطعة:

كاثرادا: (يضحك).

مانديلا: (أو آر) لم يكن يعي الأمر، وقال: خذوا هذا بعيداً، أبعدوه. لكنه كان قد تناوله! (يضحك).

٩- حديث مع أحمد كاثرادا عن استخدام أندرسون خوماني غانييل للعقاقير التقليدية.

مانديلا: يا للهول! هذا الرجل يؤمن بالأطباء المشعوذين. حينما أخذناه إلى

(١) ليليان ماسيديبا نغويي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) أوليفر ريجينالد تامبو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

ليسوثو ذهبت لأجلبه من وايت سيتي في مفولو، وحذرته مسبقاً قائلاً: اسمع، سآتي في هذا الوقت المحدد لأقلّك لأنني كنت مشاركاً في «محاكمة الخيانة». لذا، أتيت في الصباح الباكر جداً. أعتقد في الساعة السابعة صباحاً، وخرج من غرفة جانبية وقال: «آه، أجل»، ثم عاد. أعتقد أنه أمضى حوالى ٣٠ دقيقة فانزعجتُ وقلت: «لا، أخرجه فحسب». كان مشغولاً في غسل نفسه بعقاقيره. يا للهول! وحينما خرج كانت رائحته أشبه برائحة ابن عرس المنتن أو النمس، كانت تفوح منه روائح أشياء كثيرة، أعشاب وغيرها. لقد انزعجت من ذاك الفتى.

أبقاني منتظراً مدة ٣٠ دقيقة.

كاثرادا: في حين كان يداوي نفسه بشكل تقليدي[1].

مانديلا: أجل.

١٠ - *حديث مع أحمد كاثرادا عن حالة الطوارئ العام ١٩٦٠* [2]

كاثرادا: في الصفحة ٨١ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية» كنت تقول: بعد أن يُسجن المرء يقدّر الأشياء الصغيرة: شعور التمكن من التنزه وقتما يريد، وعبور شارع، والتوجه إلى متجر وشراء صحيفة، والتكلم أو اختيار الصمت، القدرة البسيطة على تمكن المرء من السيطرة على نفسه. لا يقدّر الرجال الأحرار دوماً هذه الأشياء، ولا يستمتع بها المرء إلا بعد أن يخضع لتجربة التقييد بالسلاسل. ثم يقول الناشرون هنا: على أي حال، لتحويل هذا التجريد إلى وصف لما فعلته ذاك اليوم، بدا لطيفاً جداً. المزيد عن عودتك إلى عائلتك.

---

(١) كان غانبيل يستخدم دواءً عشبياً وصفه له على الأرجح مداوٍ تقليدي أو إنيانغا.

(٢) اتسمت حالة الطوارئ العام ١٩٦٠ بحملة اعتقالات واسعة: سجن معظم القادة الأفارقة، ومنهم مانديلا، ومنع الهيئة الأفريقية الوطنية والهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية.

مانديلا: لا، ذاك اليوم فقط توجهت إلى البلدة بالسيارة، وتلقيت تذكرة مخالفة لقوانين السير بسبب...

كاثرادا: القيادة بسرعة؟

مانديلا: ماذا؟

كاثرادا: بسبب القيادة بسرعة؟

مانديلا: لا، لا. بسبب ركن السيارة في المكان الخطأ.

كاثرادا: آه.

مانديلا: وما إلى هنالك. عندئذ قالت لي ويني: اسمع، هذه هي المرة الأخيرة التي تقود فيها السيارة.

هذا كل شيء.

١١ - *حديث مع أحمد كاثرادا حول ما إذا تمت إزالة الأدلة التي تدينه من مزرعة ليليزليف في ريفونيا*[١]

كاثرادا: أجل، أذكر أنني أتيت لرؤيتك في جلسة استشارية في بريتوريا مع جو (سلوفو).

مانديلا: أجل.

كاثرادا: قالوا في البداية «لا»، لكن ما لبث أن قال جو: «لا، هذا شاهد الدفاع. لذا علينا أن نتشاور». وناقشنا الأمر. من ثم طرحت مسألة أغراضك في ريفونيا. وقال جو: لا تقلق، لقد زال كل شيء من هناك.

(١) قُبض على مانديلا العام ١٩٦٢. حينما أغارت الشرطة على مزرعة ليليزليف في ١١ تموز/يوليو ١٩٦٣ اعتقلت عناصر أمخونتو وي سيزوي، ووضعت يدها على وثائق مجرّمة.

مانديلا: (يضحك) أجل، أعلم. أعلم.

كاثرادا: (يضحك) زال كل شيء.

مانديلا: أجل، أعلم.

يضحك الاثنان.

كاثرادا: ثم لم تتم إزالة شيء. وجدوا كل شيء.

مانديلا: أجل.

١٢- *حديث مع أحمد كاثرادا عن العمل في المقاومة السرية*

في وسعنا أيضاً القول إن ثمة أشخاصاً كباراً ومهمين جداً، لم يكونوا معروفين بانتمائهم إلى الحركة.

كانوا كرماء ودعمونا. ولن نتطرق إلى الأسماء، الأسماء المحددة، لكن كان الناس كرماء جداً شرط أن يتحققوا من أننا نراعي عنصر الحفاظ على السرية. التخطيط لزياراتنا، كان يعني أنني كنت ألتقي الناس في البنية التحتية للقول: «اليوم سأحضر اجتماعاً في فوردزبورغ، وهو أمر حقيقي حدث فعلياً».

كاثرادا: أجل.

مانديلا: بالمناسبة، حدثت حالتان لافتتان جداً حينما كنت أحضر الاجتماعات في فوردزبورغ، حيث رأيت بن (توروك) وغيره ذات مرة في خلال النهار وتوجه مولفي (كاشاليا) إلى عائلة في فوردزبورغ[1].

(١) بن توروك، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). إسماعيل أحمد (مولفي) كاشاليا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

كاثرادا: في فريديدورب.

مانديلا: فريديدورب، هذا صحيح. كاثرادا: أجل.

مانديلا: وقال: «اسمعوا، سيأتي أحدهم ويبيت هنا الليلة، هلا استضفتموه؟»، وافقوا بحماسة كبيرة لأنهم يحترمون مولفي. كنت أرتدي سروالاً وغالباً ما كنت أمتنع عن تمشيط شعري[1]. وتوجهت إلى ذاك المنزل فقط لأتعرّف إليه (أعطاني مولفي العنوان) ولأقول لهم إنني سأعود في المساء. طرقت الباب، فتقدمت سيدة وفتحت وقالت: نعم، ماذا تريد؟

فأجبت: في الواقع، قام موفلي كاشاليا بترتيب مبيتي هنا الليلة. فقالت: «ليس لدي متسع لك». وأغلقت الباب بقوة (يضحك)، لأنها رأت رجلاً ذا هيئة غريبة.

١٣- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن اعتقاله في ٥ آب/أغسطس ١٩٦٢*

في هويك، أجل صحيح، مرت سيارة من موديل فورد في ٧ وأمرتنا بالتوقف فوراً. وقد اختاروا الموقع بعناية بالغة، لأن على الجهة اليمنى مقعداً عالياً هكذا (يومئ بيده)، وكنت جالساً إلى جهة اليسار. كانت لياقتي ممتازة تلك الأيام، وفي مقدوري تسلق أي جدار. ثم نظرت إلى الخلف، في المرآة الأمامية، ووجدت سيارتين خلفي. ثم شعرت بأنه سيكون من السخف مني أن أحاول الهرب، فقد يطلقون النار علي. لذا توقفنا. فخرج شاب طويل ونحيف في ملابس مدنية وتوجه ناحيتي، وقال: أنا الرقيب فورستر. وأخرج مذكرته. كان صائباً جداً في كل شيء، صائباً جداً جداً جداً ولطيفاً. وقال: هل لي بمعرفة اسمك؟ فأجبته: أنا دايفيد موتسامايي. فقال: لا، لكن، أولست نيلسون مانديلا؟ فأجبته: أنا دايفيد موتسامايي. فقال: بلى، أنت نيلسون مانديلا. أنا سيسيل ويليامز[2]. وسألقي القبض عليك. وعلينا أن نعود أدراجنا ونتوجه إلى بيترماريتبورغ. فقلت: حسناً.

---

(١) في خلال فترة عمله السري كان مانديلا يتنكر بأشكال عديدة.

(٢) سيسيل ويليامز (توفي العام ١٩٧٩)، كان مدير مسرح أبيض وناشطاً ضد سياسة التمييز العنصري.

فقال: سيركب الرائد في سيارتك، سيجلس في المقعد الخلفي. وفي وسعك أن تقود عائداً إلى هناك. لذا، عدنا.

كان في حوزتي مسدس غير مرخص فأخرجته ووضعته بين المقعدين. كان في السيارة مقعدان: مقعد السائق ومقعدي: كانا منفصلين، لكنهما متصلان في الوقت عينه. وكان يوجد مكان صغير لا يكاد يرى فدسسته هناك. كما كان معي أيضاً دفتر ملاحظات فأخرجته ودسسته في المكان نفسه فيما كنت أتكلم مع ذاك الرائد في المقعد الخلفي. وفي وقت معين، فكرت في إمكان فتح الباب بسرعة والقفز من السيارة، لكني لم أعرف مقدار طول ذاك المقعد، وما يوجد في ذاك المكان. لم أكن أعرف طبيعة المكان. لا، وجدت أنها ستكون مخاطرة، وأن لي أن أفكر في فرصة أخرى في وقت لاحق. فتوجهنا إلى مركز الشرطة، واحتجزوني.

١٤- حديث مع أحمد كاثرادا عن السماح بزيارته مكتبه في خلال احتجازه الطارئ العام ١٩٦٠

كاثرادا: كنت أبقى هنا طوال الليل والنهار. أنزل إلى الطابق الأرضي، إلى المقهى لشراء بعض الأشياء، وقد أشاح هو (الشرطي) بوجهه جانباً، مرة أو مرتين، حينما أتت ويني لزيارتي. كان بيننا نوع من اتفاق السادة، على أنني لن أهرب، وبالتالي لن أسبب له المشاكل، في حين يسمح هو لي بدرجة من الحرية ما كنت لأتمتع بها بغير هذه الطريقة. السؤال الذي يطرحونه (الناشرون): تقول إنك في وقت لاحق أبديت استعداداً لمحاولة الهرب. هل كان هذا تغيراً فلسفياً، أم مجرد مسألة وفاء شخصي في مقابل مبدأ؟

مانديلا: هذا سؤال تقني.

أعني، كسجين كنت لأنتهز أي فرصة للهرب، لكن لدى التعامل مع فرد معين تحترمه، لن ترغب في تعريضه للمشاكل. هكذا كان الموقف.

كاثرادا: حسناً.

١٥- حديث مع ريتشارد ستينغل عن اللجوء إلى الصراع المسلح

مانديلا: ثمة مراحل، حينما يكون المرء الذي يتبوأ السلطة مضطراً إلى الإشهار ليُلزِم المنظمة، لأنه إن لم يفعل ذلك يجد أن الناس فصحاء، وهو يملك فكرة وينتابه شعور قوي بأنها فكرة صحيحة، لكنه يتعامل مع أشخاص نافذين جداً في وسعهم أن يجمعوا الوقائع، وأن يكونوا منهجيين. وسيسيطرون على الجميع. لذا، إن شئت أن تقوم بتصرف وأنت مقتنع بأحقيته، فعليك أن تفعل ذلك وتواجه ذاك الوضع. ليس الأمر مسألة عدم انضباط. عليك أن تختار الفرصة بحذر، وتحرص على أن التاريخ سيقف إلى جانبك.

ستينغل: أود شرح التفاصيل كاملة حول كيفية اتخاذ قرار تشكيل أم كاي (أمخونتو وي سيزوي)[١]. شرحت الأمر في محاكمة ريفونيا بطريقة عامة. قلت في النهاية، في النصف الثاني من العام ١٩٦٠، أنت وبعض الزملاء توصلتم إلى استنتاج بأن العنف سيكون محتماً. كيف حدثت هذه العملية كلها؟ هل تكلمت أولاً بشكل سري مع أشخاص، ثم طرأ قرار اللجنة العاملة؟ هل أُخذ القرار بشكل تدريجي؟

مانديلا: لا، في الواقع ناقشت أنا المسألة مع الرفيق والتر سيسولو. ناقشنا الأمر لأنه حينما كان الرفيق والتر سيسولو مسافراً إلى الخارج في العام ١٩٥٣، قلت له حينئذ: حينما تصل إلى جمهورية الصين الشعبية، عليك أن تخبرهم برغبتنا في البدء بصراع مسلح، وتطلب منهم الأسلحة. ثم قدمت ذاك الخطاب في صوفيا تاون. قد انتقدت على هذه المسألة، لكني ظللت مقتنعاً بأنها الاستراتيجية المناسبة لنا[٢]. ثم حينما انخرطت في عمل المقاومة، ناقشت إذذاك المسألة مع الرفيق والتر، وقررنا

(١) أمخونتو وي سيزوي (أم كاي) راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) في خطابه قال مانديلا: إن وقت المقاومة السلمية قد انتهى.

طرحها في اجتماع للجنة العاملة. طرحنا المسألة. لكن كما قلت لك نُبذت بطريقة رخيصة لأن حجة موزز (كوتاني) – الأمين العام للحزب، وبالطبع العضو في اللجنة العاملة والسلطة التنفيذية الوطنية - أن الوقت لم يحن لذلك بعد. بسبب الإجراءات القاسية التي اتخذتها الحكومة لا تستطيعون مواصلة العمل بالطريقة القديمة[1]. لقد شلّتكم الصعوبات، وتودون الآن التكلم بلغةٍ، ثورية وتتحدثون عن صراع مسلح، في حين أنه لا يزال يوجد مجال للأسلوب القديم الذي نستخدمه، إن كنا نتمتع بما يكفي من الخيال والعزم. أنتم تريدون فقط تعريض الناس للمجازر على أيدي الأعداء. أنتم حتى لم تفكروا بشكل حذر في هذه المسألة.

نبذني على هذا النحو، وكان سريعاً في الكلام، متلقياً دعماً من الجميع. وناقشت بعدها المسألة مع والتر. كانت المعارضة شديدة إلى درجة أن والتر لم يجرؤ على التلفظ بكلمة. (يضحك) لكنه لطالما كان شاباً دبلوماسياً جداً وموثوقاً حينما تتخذ قراراً ما وإياه: موثوقاً جداً. وبالتالي راجعنا المسألة. لطالما كان واسع الحيلة، وقال: «لا، اتصل به وحدك، ناقش المسألة معه. سأرتب الأمور كي يأتي إليك ويقابلك»، لأنني كنت أصلاً منخرطاً في سلك المقاومة. إذاً، حضر كوتاني وأمضينا النهار بطوله معاً. هذه المرة كنت صريحاً جداً وقلت له: أنت تفعل ما فعله الحزب الشيوعي في كوبا تماماً: التذرع بعدم توافر الظروف لانطلاق الثورة، اتباع الأساليب القديمة التي كان يؤيدها ستالين، كيفية تحديد الوضع الثوري كما يرى ستالين ولينين. هنا علينا أن نقرر مصيرنا وفق ظروفنا. الوضع في هذه الدولة يفيد أنه حان الوقت لنا كي نفكر في ثورة، صراع مسلح، لأن الناس يشكلون وحدات عسكرية من أجل شنّ أعمال عنف. وإن لم نقم بذلك، فسيواصلون عملهم. لا يملكون الموارد ولا الخبرة ولا الآلية السياسية لتنفيذ هذا القرار. المنظمة الوحيدة التي يسعها القيام بهذا التحرك، هي الهيئة الأفريقية الوطنية التي تقود الجماهير. وعليك أن تكون مبدعاً وتغير سلوكك،

---

(١) موزز كوتاني، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

لأنه سلوك رجل يقود تحركاً بالطريقة القديمة حينما كان وجودنا مشروعاً، ولا يفكر في القيادة اليوم في ظل الظروف غير المشروعة التي نعمل فيها.

لذا، أفلحت في التكلم بفظاظة بغية تحديه... وأفلحت في تحديه. فقال: لن أعد بشيء، ولكن اطرح المسألة مجدداً.

وسرعان ما ذهبتُ وطرحتها، فقال: ما زلت غير مقتنع، لكن دعنا نجرب. دعوه يذهب ويطرح هذه الأفكار على المجلس التنفيذي بدعم منا.

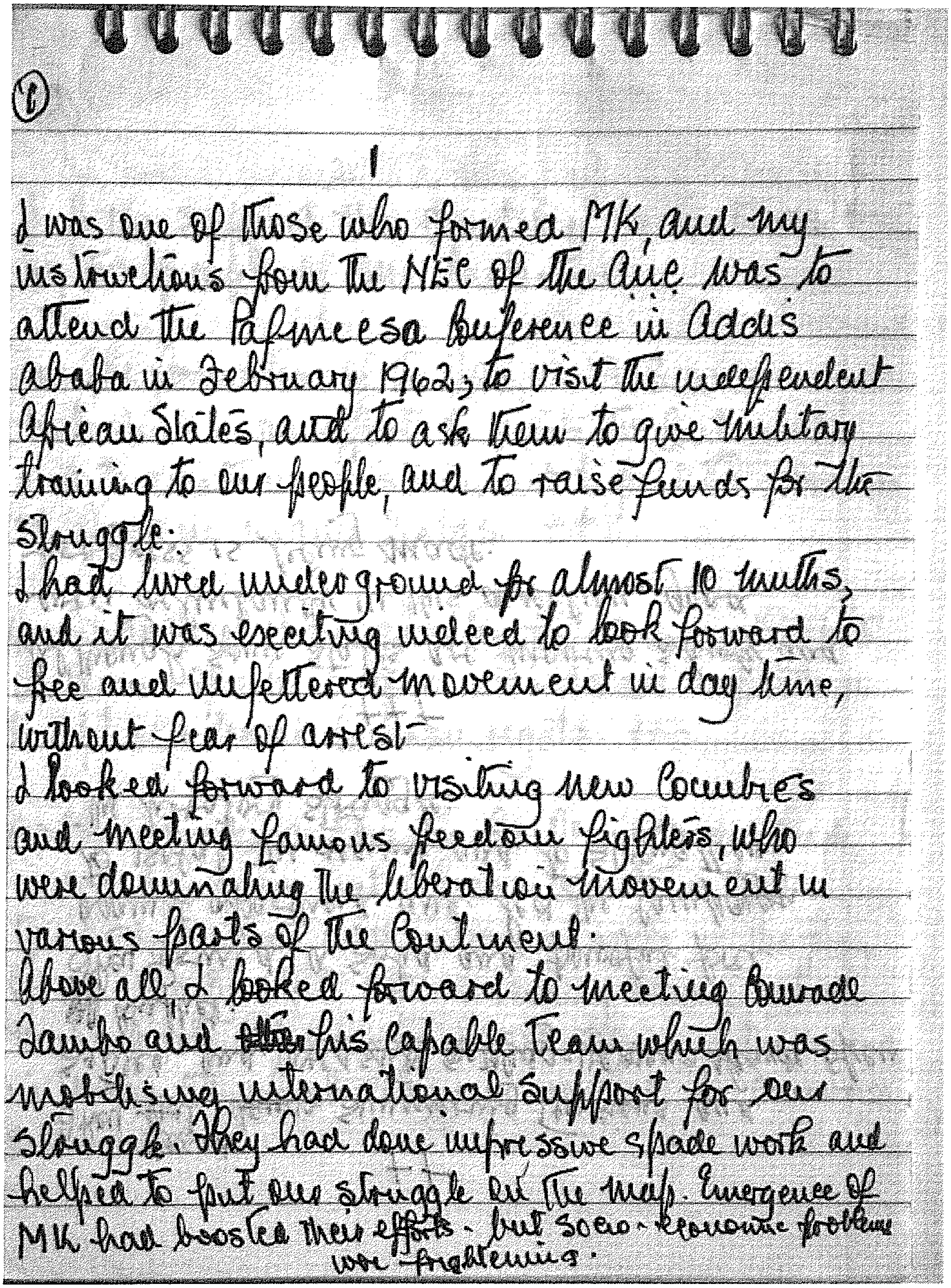
توجهنا إلى هناك ووافق الجميع. قصدنا دوربان إلى اجتماع للمجلس التنفيذي للهيئة الأفريقية الوطنية. فعارض الرئيس ألبرت لوثولي، بينغوا وغيره، هذه الفكرة بشراسة[1]. أدركنا أننا سنلقى موقفاً من الرئيس لأنه كان يؤمن باللاعنف كمبدأ، في حين كنا نحن نؤمن به كتكتيك برغم أنه لم يكن في وسعنا قول ذلك أمام المحكمة. أمام المحكمة، أي خلال المحاكمة على الخيانة، قلنا إننا نؤمن باللاعنف كمبدأ، لأننا لو قلنا إننا نؤمن به كتكتيك، فهذا من شأنه أن يضرّ بمصلحتنا وبالدولة، وخصوصاً قولنا إنه في أي وقت، وحينما يكون الجو مؤاتياً لنا، سنلجأ إلى العنف، وفي واقع الأمر هذا ما كنا نقوم به. لذا تجنبنا هذا الأمر، لكن لهذا السبب فحسب. لطالما آمنا باللاعنف كتكتيك. وحيثما تطلبت الظروف وجوب اتباعنا مبدأ اللاعنف كنا نتبعه. وحيثما تطلّب الظرف ابتعادنا عن اللاعنف، كنا نبتعد عنه لكننا كنا ندرك أن الرئيس سيعارض هذا الأمر، وقد عارضه جداً ولكننا أقنعناه.

١٦- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن تشكيل أمخونتو وي سيزوي (أم كاي)*

ثم قالوا: حسناً لقد قدمت إلينا طرحاً، ونحن الآن نفوض إليك تنفيذه. نعطيك الإذن. وفي وسعك أن تذهب وتبدأ تأسيس هذه المنظمة. أنت يا مانديلا يمكنك

---

(١) ماساباللالابوني (أم بي) بينغوا (١٩٢٣-٨٧). ناشط ضد سياسة التمييز العنصري وكاهن ديني. عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية.



(6)

1

I was one of those who formed MK, and my instructions from the NEC of the ANC was to attend the Pafmecsa Conference in Addis Ababa in February 1962; to visit the independent African States, and to ask them to give military training to our people, and to raise funds for the struggle.

I had lived underground for almost 10 months, and it was exciting indeed to look forward to free and unfettered movement in day time, without fear of arrest.

I looked forward to visiting new countries and meeting famous freedom fighters, who were dominating the liberation movement in various parts of the Continent.

Above all, I looked forward to meeting Comrade Tambo and ~~other~~ his capable team which was mobilising international support for our struggle. They had done impressive spade work and helped to put our struggle on the map. Emergence of MK had boosted their efforts. But socio-economic problems were frightening.

من دفتر ملاحظات حول انخراط مانديلا في تشكيل (أم كاي) أمخونتو وي سيزوي، الجناح المسلح للهيئة الأفريقية الوطنية، والانخراط في المقاومة السرية.

الذهاب والبدء بتنفيذ هذه المنظمة، والانضمام إلى آخرين، والتعاون والتنسيق معهم. لكن نحن كـ«هيئة أفريقية وطنية» تشكلنا لنتبع سياسة لاعنفية، وهذا القرار لا يستطيع تغييره سوى مؤتمر وطني. سنلتزم سياسة الهيئة الأفريقية الوطنية القديمة. وقد تبين أنه قرار صائب لأنه حينما انتقلنا إلى المحكمة، ونظرت الدولة في سجلات الاجتماعات هذه، وجدت أنها لا تدعم قضيتهم البتة، لأن الهيئة الأفريقية الوطنية هي التي كانت تقرر. أشخاص مثل الرئيس لوثولي وموزز كوتاني ود. مونتي نيكر الذي كان رئيس مجلس إدارة الهيئة الهندية الجنوب أفريقية، كلهم كانوا يقولون: دعونا لا نلجأ إلى العنف. دعونا نواصل سياسة اللاعنف[1]. وحينما عجزوا عن مقاومة الجدال الذي كنت أثيره، قالوا: اذهب وأسس تلك المنظمة. لن نعاقبك لأننا نفهم الظروف التي اتخذت في ظلها هذا الخط. لكن، لا تورطنا، سنواصل اتباع سياسة اللاعنف.

وجدت الدولة أن سجلات الجلسات هذه أثبتت قضيتنا كلها، ولم تسلمها. نحن جهة الدفاع قدمنا تلك الوثيقة، لنقول: «هذا ما يدعم وجهة نظرنا». إذاً، هذا ما حدث في موضوع أمخونتو وي سيزوي.

١٧- حديث مع أحمد كاثرادا

مانديلا: جلّ ما علينا قوله أن العدد اعتمد على الظروف في كل منطقة معينة. لم يكن هناك رقم محدد، ومعظم الناس كان يتم تدريبهم في الخارج، لكن بعد فترة وجيزة شعرنا بأنه سيكون من المفيد أن ندرب الناس في المنطقة التي سيعملون فيها. إلا أنه وجب أن نفهم أنه سيكون من الصعب جداً أن نقوم بذلك، لأننا كنا نتعامل مع حكومة قوية: عدو قوي يملك ما يلزم للتحرك في الأرجاء، والتمكن من معرفة ما يحدث على الأرض. ولم يسعنا في ظل تلك الظروف سوى تدريب قلة من الأشخاص.

---

(١) د. غانغاثورا موهامبري (مونتي) نيكر، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

كاثرادا: حسناً، في الصفحة ١٣٥ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية» تقول: تنفيذاً لأوامر القيادة العليا في أم كاي (أمخونتو وي سيزوي)، في أولى ساعات الصباح من السادس عشر من كانون الأول/ديسمبر، تم تفجير قنابل منزلية الصنع في محطات توليد الكهرباء والمكاتب الحكومية في جوبرغ (بورت إليزابيث)، دوربان. وقُتل أحد رجالنا بشكل غير متعمّد، أول جندي في «أم كاي» يموت في خلال أدائه مهامه.

مانديلا: إنه (بيتروس) موليفي صحيح؟[١]

كاثرادا: أجل، يقول هنا: هل كانت هذه أول حادثة وفاة ترتبط بـ«أم كاي»؟ هل انتابك شعور بالمسؤولية؟

مانديلا: في الواقع، هذا ما نقوله، إنه كان الضحية الأولى.

كاثرادا: نعم.

مانديلا: وكما هو طبيعي، لدينا حس بالمسؤولية لأنه كان جندياً من كوادرنا، أشار موته إلى أننا لم ندرب الناس بطريقة جيدة، وقد كان أمراً مزعجاً جداً. لكننا تقبلنا هذا الأمر، وبالنسبة إلى الضحايا، لا يسعك تدارك وقوعها حينما تبدأ أسلوباً جديداً من النشاط السياسي.

١٨- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: ما قصة سؤال الزعيم «ألبرت لوثولي» لك عن سبب عدم تشاورك وإياه في شأن تشكيل الـ«أم كاي»، هل جرى ذلك في خلال هذه الرحلة، أم لدى عودتك من أفريقيا؟

(١) قُتل بيتروس موليفي لدى انفجار قنبلة وُضعت في ١٦ كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٦١ بشكل سابق لأوانه.

مانديلا: لا، لا، حدث ذلك قبل قيامنا بالرحلة. لكن الزعيم كان قد نسي، لأنه كما قلت لك كان لدينا اجتماع للمجلس التنفيذي الوطني للهيئة الأفريقية الوطنية ناقشنا فيه مسألة التسلح. ووافق في النهاية بعد أن عارض الأمر، وحينما توجهنا إلى الاجتماعات المشتركة بين الهيئة الأفريقية الوطنية والهيئة الهندية الجنوب أفريقية والهيئة الجنوب أفريقية للاتحادات التجارية وفيديرالية نساء جنوب أفريقيا، عندئذ قال لنا الزعيم: «أيها الرفاق، لقد اتخذنا هذا القرار». في الواقع، قال في خلال الاجتماع: «اتخذنا هذا القرار القاضي بوجوب بدئنا استخدام العنف وتأسيس جيش. لكني أود أن ألتمس منكم اتخاذ مواقفنا الأساسية». كأن الهيئة الأفريقية الوطنية لم تتخذ أي قرار. توافقنا وأمضينا الليل بطوله - لم ننم قط - في مناقشة مسألة التشكيل: عملية البدء بشن أعمال العنف. لذا فإن حقيقة قوله إننا لم نتشاور وإياه سببها أنه كان مريضاً وبات ينسى بسهولة، في حين أن المسألة نوقشت بشكل مفصل.

١٩- *حديث مع أحمد كاثرادا عن الحياة البرية*

كاثرادا: هل سبق لك أن زرت حديقة الحيوان، في جوهانسبورغ؟

مانديلا: فهمت، أجل، أجل. رأيت معظم الحيوانات فيها.

كاثرادا: لكنك لم تزر قط متنزه كروغر الوطني في ذاك الوقت؟

مانديلا: لا، لا. لم أزره إلا...

كاثرادا: بعد عودتك.

مانديلا: بعد خروجي من السجن.

كاثرادا: فهمت.

مانديلا: هل سبق لك أن زرته أنت؟

كاثرادا: أجل زرته في كانون الأول/ديسمبر الماضي. ليس شهر كانون الأول/ ديسمبر هذا، بل الفائت

مانديلا: وماذا رأيت؟

كاثرادا: في المرة الأولى، لم نر شيئاً.

مانديلا: نعم.

كاثرادا: فقد انهمر المطر.

مانديلا: فهمت.

كاثرادا: وقالوا عبر المذياع إنه ما من فائدة من التوجه إلى هناك، لأنه بمجرد أن تمطر لن تخرج الحيوانات إلى أماكنها المعتادة التي تشرب منها المياه.

مانديلا: أجل تماماً، هذا صحيح.

كاثرادا: لذا، لم نر شيئاً.

مانديلا: لكن أن تطلق النار هناك على ظبي، فذاك أشبه بارتكاب جريمة انتحار.

إنها جريمة.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: لأن هذا الحيوان جدير بالثقة كثيراً. إنه معتاد جداً الزوار إلى درجة أنه يخرج ويتفرج عليك، ولا يهرب.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: لا يستطيع المرء. لا أملك الشجاعة بتاتاً لإطلاق النار على أحد.

٢٠- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: هل سبق لك أن استخدمت هذه المقارنة بين المسيح والصيارفة؟

مانديلا: أجل، أجل. لا بد من أنني قمت بذلك، أو ربما أقدمت على هذا الأمر، لأنني أعرفها جيداً.

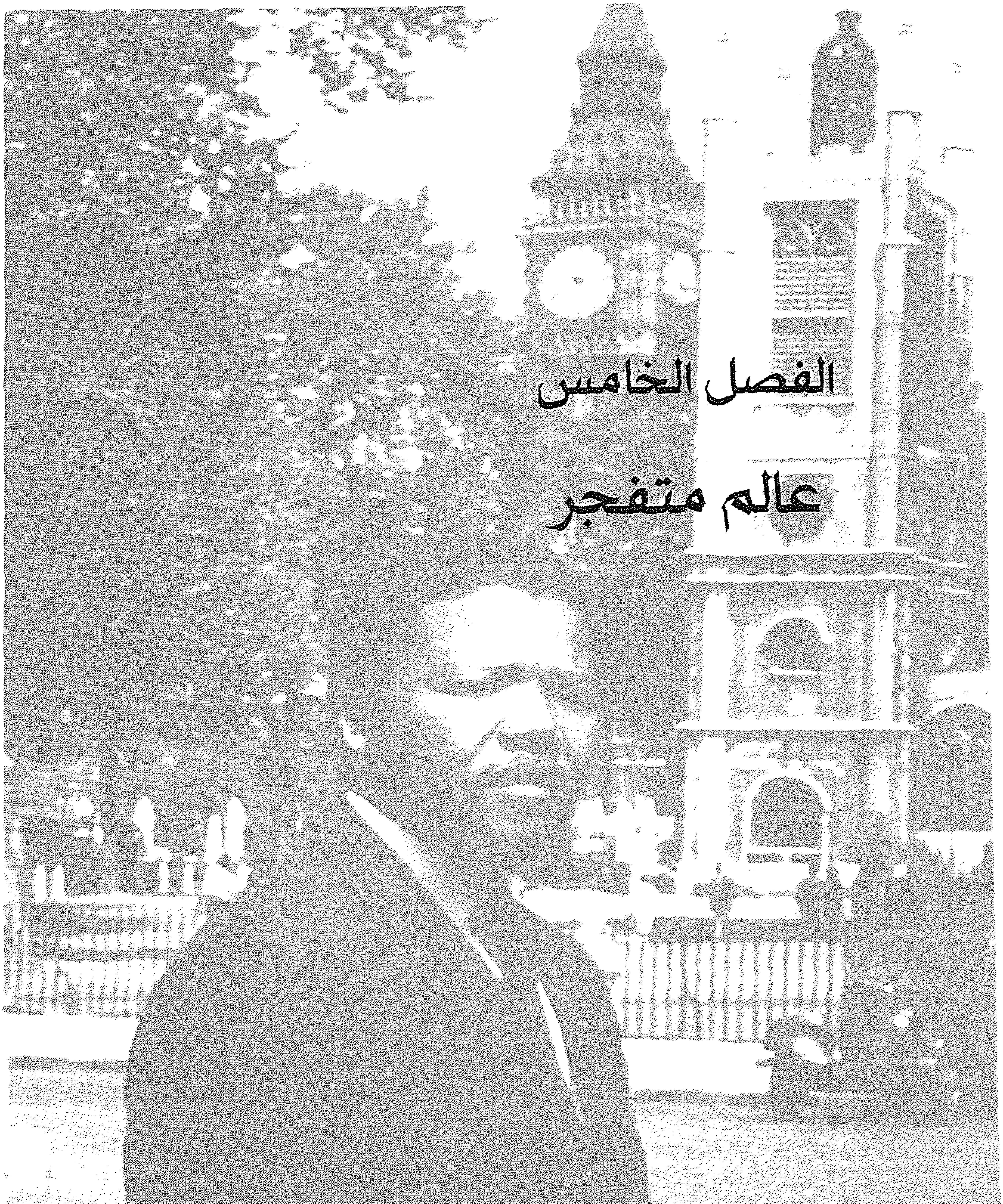
ستينغل: اشرحها لي الآن. كيف تستخدم هذا التشبيه؟

مانديلا: إن خيار استخدامك الأساليب السلمية أو العنيفة، هو أمر تحدده الظروف فقط. استخدم المسيح العنف، لأنه في ذاك الظرف كانت اللغة الوحيدة التي أمكنه استخدامها. وبالتالي، ما من قاعدة تمنع لجوءه إليه. الأمر يعتمد على الظروف. بهذه الطريقة أقارب هذه المسألة.

ستينغل: إذاً، في ظل الظروف، كان مسموحاً دينياً استخدام العنف، لأن المسيح اضطر إلى اللجوء إليه؟

مانديلا: في الواقع، يضطر الجميع إلى استخدام العنف حينما يكون الطريقة الوحيدة لأخذ خطوة إلى الأمام، أو لحل المشاكل، وعندما تصبح الأساليب السلمية غير مجدية. هذا درس تاريخي تعلمناه عبر القرون، وفي كل ناحية من أنحاء العالم.





الفصل الخامس

عالم متفجر



صفحات من دفتر اليوميات الذي احتفظ به مانديلا في رحلته في أفريقيا وإلى لندن في المملكة المتحدة العام ١٩٦٢.

١- *مقتطفات من دفتر يومياته الذي احتفظ به في خلال رحلته في أفريقيا، وإلى لندن العام ١٩٦٢*

١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢

وزير الهجرة يقابلني ثانية، ويقول لي إنه لا يجدر بي تحت أي ظرف ما التجوال في الأرجاء، فقد يتم اختطافي على يد شرطة جنوب أفريقيا.

تكون لدي انطباع بأنه على الرغم من قلقه الحقيقي بشأن سلامتي، إلا أنه حريص على وجوب مقابلتي أشخاصاً في محمية بيشواناالاند.

٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢

توجهت لطلب تأشيرة سفر من السفارة الإثيوبية. في الطريق، مررنا بقاعة المؤتمرات، وطُلب إلي الاحتماء والنظر إلى الجهة الأخرى، إذ يمكن لكولن ليغوم(١) أن يتعرّف إلي.

١٥ نيسان/أبريل ١٩٦٢

أمضيت النهار أقرأ بهدوء في فندقي.

١٩ نيسان/أبريل ١٩٦٢

سافرت من فريتاون إلى مونروفيا. يبعد مطار روبرتسفيلد عن المدينة ٤٨ ميلاً.

ونزلت في فندق مدينة مونروفيا.

---

(١) كولن ليغوم (١٩١٩-٢٠٠٣). كاتب وصحافي وناشط ضد التمييز العنصري.

٢٠ نيسان/أبريل ١٩٦٢

أمضيت النهار أقرأ.

٢٣ نيسان/أبريل ١٩٦٢

أمضيت النهار أقرأ بهدوء في الفندق.

٢٥ نيسان/أبريل ١٩٦٢

الساعة الثانية بعد الظهر

التقيت الرئيس[١]. قال لي إنه يجدر بشعب ليبيريا أن يبذل جهده كله لمساعدتنا في كفاحه لإثبات ذاته. وأرسل تحياته إلى الزعيم ألبرت لوثولي.

٢٦ نيسان/أبريل ١٩٦١

فاتتني طائرتي إلى آكرا، فحجزت لرحلة اليوم التالي في الساعة التاسعة صباحاً.

٥ أيار/مايو ١٩٦٢

اتصل (أو آر) أوليفر تامبو ليقول إنه سيصل في السابع من هذا الشهر.

اتصل من استوكهولهم.

٧ أيار/مايو ١٩٦٢

وصل أو آر وقت الغداء. التقينا رئيس البعثة الأفريقية في السابعة والنصف مساءً، وأجرينا معاً حديثاً ودياً.

(١) الرئيس ويليام فاكانارات شادراتش تابمان (١٨٩٥-١٩٧١). رئيس ليبيريا، ١٩٤٤-٧١.

٢٧ أيار/مايو ١٩٦٢

غادرنا لاغوس عبر طيران «بان آم» متوجهين إلى مونروفيا في طريقنا إلى كوناكري. بعد التوقف مدة ٤٥ دقيقة في آكرا، وصلت الطائرة إلى مونروفيا في الثانية عشرة ظهراً. توجهنا بالسيارة إلى فندق مدينة مونروفيا.

الأول من حزيران/يونيو ١٩٦٢

سافرنا إلى داكار، ونزلنا في فندق لا بي.

٧ حزيران/يونيو ١٩٦٢

سافرنا عبر طيران «بي أو آي سي» إلى لندن.

١٥ حزيران/يونيو ١٩٦٢

التقيت دايفيد آستور محرّر «ذا أوبزيرفير»[١].

كان مايكل سكوت وكولن ليغوم حاضرين[٢]. شرحت الوضع في جنوب أفريقيا. وجرت النقاشات بشكل ودي جداً، وقدم كل منا تعليقات مهمة وسارّة.

١٦ حزيران/يونيو ١٩٦٢

شاهدت فيلم «زامي، وزيني، وزيندزي، وغومبو»، وتفرجت على مشاهد أخرى في جنوب أفريقيا[٣].

١٨ حزيران/يونيو ١٩٦٢

سافرت أنا وأو آر عبر طيران «بي أو آي سي» إلى الخرطوم. عبرنا جبال الألب حوالى الساعة السادسة مساء، ووصلنا إلى روما حوالى السابعة.

---

(١) دايفيد آستور (١٩١٢-٢٠٠١). ناشر صحيفة إنكليزية ومحررها.

(٢) مايكل سكوت (١٩٠٧-٨٣). رجل دين وصانع أفلام وناشط مناهض للتمييز العنصري.

(٣) ويني وابنتاهما. كان غومبو كلب العائلة.

٢٩ حزيران/يونيو ١٩٦٢

سافرنا في الساعة السابعة والثلث صباحاً إلى أديس أبابا، ثم انتقلنا إلى فندق راس.

٢٩ حزيران/يونيو ١٩٦٢

أول درس في البدء باستخدام المتفجرات. المدرّس هو الملازم أول بيفيكادو.

٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٢

تلقيت تدريباً في التفجيرات.

الأول من تموز/يوليو ١٩٦٢

أمضيت النهار في تدوين الملاحظات.

٧ تموز/يوليو ١٩٦٢

أخذني الملازم بيفيكادو إلى مطعم يقدم وجبات محلية.

٨ تموز/يوليو ١٩٦٢

تناولت أنا والملازم بيفيكادو وكول تيديسي العشاء في مطعم صغير في البلدة، وتوجهنا بعده إلى دار السينما.

٢- *حديث مع أحمد كاثرادا عن رحلته في أرجاء أفريقيا العام ١٩٦٢*

كاثرادا: «تم إعداد طائرة، وكان أول مكان نتوجه إليه، هو بلدة في شمال بوتسوانا، بيشوانالاند، اسمها كاساني»

مانديلا: أجل.

كاثرادا: «... كانت هذه المنطقة تقع ضمن نقطة استراتيجية حيث تلتقي جميع دول جنوب أفريقيا تقريباً: أنغولا وشمال وجنوب روديسيا وجنوب غرب أفريقيا، كما كانت تُعرف هذه الدول». الآن، هو يسأل: هل كانت هذه رحلتكم الأولى بالطائرة؟

مانديلا: أجل.

كاثرادا: رحلتك الأولى؟

مانديلا: لا، لا. لم تكن الأولى بالنسبة إلي. سافرت في خلال حملة التحدي في العام ١٩٥٢ بضع مرات جواً.

كاثرادا: حسناً

مانديلا: إلى بورت إليزابيث.

كاثرادا: إن كانت رحلتك الأولى، فهل كنت خائفاً أم متشوقاً؟ وما كان نوع الطائرة؟ قد يبدو سؤالاً تافهاً، لكن هذا النوع من وصف الشعور الإنساني في لحظات معينة هو ما يهمّ القراء. هذا الجمع التناقضي بين مهمتك الهامة، ورحلتك الأولى إلى خارج بلدك.

مانديلا: لا، لم تكن المرة الأولى التي أسافر فيها، لكن مرّت علي بعض اللحظات المخيفة. فقد واجهنا عاصفة، وحدث اضطراب شديد، ثم وصلنا إلى الفندق في كاساني. والمنطقة الوحيدة التي أمكننا الهبوط فيها كانت مغمورة بالمياه. ولدى وصولنا إلى هناك، كانت الفيلة وغيرها من الحيوانات - الحمار الوحشي - ترعى، لذا لم نستطع أن نحط. وبالتالي، توجهنا إلى مكان آخر، وحلقنا فوق الفندق. تعمّدنا أن نحلق فوقه لنشير إلى مالكه بأننا وصلنا وأشرنا إلى المكان الذي كنا سنحط فيه،

وكان بعيداً عن الفندق. أتى مالك الفندق متأخراً. وقال إنهم صادفوا في طريقهم الفيلة التي أبت الابتعاد عن طريقهم لبعض الوقت. لذا اضطروا إلى التوقف في مكانهم انتظاراً لها لتبتعد.

كان قد حل الغسق، وفي طريق عودتنا رأينا لبوة في الطريق... الذي كان بالأحرى ممراً.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: كانت هذه تجربتي الأولى في العيش وسط الآجام. وفي خلال الليل، كانت الأُسود تزأر. يا للهول! بدا كأنها موجودة خارج المبنى تماماً، لأنها حينما كانت تزأر كانت النوافذ الزجاجية تهتز، وخشيت التوجه إلى الخارج.

٣- حديث مع ريتشارد ستينغل عن لقاء أمبراطور إثيوبيا، هايلي سيلاسي

ستينغل: أخبرني عن الأمبراطور هايلي سيلاسي. لقد التقيته.

مانديلا: كان شخصاً مثيراً للإعجاب، إلى حد كبير. كانت المرة الأولى، التي أرى فيها زعيم دولة يلتزم الشكليات، ويهتم بالتصرفات الشكلية الرسمية. أتى هذا الرجل مرتدياً بزة، ثم اقترب مني وحنى رأسه. كانت انحناءة لا تشبه الانحناءات، فقد كان واقفاً منتصباً، وأنزل رأسه فحسب. ثم جلس وتوجه إلينا بالكلام، لكنه تكلم باللغة الأمهرية. وفي نهاية الاجتماع، قابل كل بعثة على حدة، وطلب إلي الرفيق أوليفر تامبو أن أتكلم معه نيابة عن بعثتنا. فشرحت له شرحاً مقتضباً جداً عن ماجريات الأحداث في جنوب أفريقيا. جلس على كرسيه مستمعاً كأنه جذع شجرة. لم يهز برأسه ولم يتحرك، بل جلس كالصنم. في المرة التالية التي رأيته فيها، جرى ذلك لدى حضوري عرضاً عسكرياً، وقد كان جميلاً جداً (يصفّر)... في منتهى الجمال. كان حينذاك يقدم الجوائز إلى الجنود. حصل جميع المتخرجين

على شهادة. احتفال جميل جداً - رجل مبجل جداً - كما قدم الميداليات. كان من بين الحاضرين، مستشارون عسكريون أميركيون ومجموعات من المستشارين العسكريين من دول مختلفة. وأعطى هؤلاء الشبان ميداليات أيضاً. لكن رؤية رجال بيض يتوجهون إلى أمبراطور أسود ويحنون رؤوسهم أمامه، كان مشهداً مؤثراً.

٤- *حديث مع أحمد كاثرادا عن تدريبه العسكري*

كاثرادا: يريدون أن يعرفوا، في الصفحة ذاتها ١٦٦ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»، هل أجدت استخدام المسدس؟ هل تلقيت مزيداً من التدريب العسكري غير ذاك الذي تلقيته في وجدة؟

مانديلا: أجل، في أوجدا أجل فعلت. لكني أتقنت استخدامه في إثيوبيا لأنني أمضيت شهرين هناك، وتم تعليمي على استخدام مختلف أنواع المسدسات وإطلاق النار على أهداف مختلفة، ومن مسافات مختلفة، وعلى أهداف ثابتة، ثم أخرى متحركة. كانوا يضعون الهدف ثم يختفي، يظهر ثم يختفي. كان يركض و«عليك أن تصيبه وهو يركض. إذاً، جرى كل هذا التدريب المتقن في إثيوبيا. وذاك السير المضني، حيث عليك حمل حقيبة ثقيلة جداً - طلقات رصاص حول الخصر. ثم عليك أن تحمل على ظهرك حقيبة فيها الكثير من المؤونة ومستلزمات أخرى، وقارورة مياه وسلاحك. وتسير وسط الجبال. كان تدريباً شاقاً نوعاً ما.

٥- *حديث مع أحمد كاثرادا عن إطلاق النار*

كاثرادا: هذا السؤال عن التدريب الذي تلقيته: «لم يكن قد سبق لي إطلاق النار، لكني ارتحت في استخدامه. صوبت المسدس وضغطت على الزناد، ثم لحظت على الفور أن الرصاصة سببت انطلاق بعض الغبار من الصخرة. بدأ مدربيّ يقولون كلاماً بالعربية، وقدموا إلي التهنئة على رميتي. لكن تبين أن الحظ حالفني في هذه الطلقة، فلم أصب الصخرة في المحاولات التالية».

مانديلا: في الواقع، لا، حتى في المرة الأولى لم أُصب الصخرة.

كاثرادا: آه!

مانديلا: لكن الطلقة استقرت قرب الصخرة.

كاثرادا: حسناً

مانديلا: ومع أخذ المسافة في الحسبان لأن النهر كان بيننا. كان يوجد سهل طويل، والنهر، ثم كان الهدف في الوسط، وأتت رميتي قرب الصخرة مباشرة.

بالنسبة إليهم، كانت إصابتي هذه قريبة بما يكفي لأنني كنت أستخدم المسدس لأول مرة. أظنني أخبرتك كيف علمني ذاك الشاب. لم ينطق... يتكلم اللغة...

كاثرادا: أجل.

مانديلا: العربية.

كاثرادا: أكمل.

مانديلا: أجل. أظنني سبق أن قلت، لا أعلم إن كنت أخبرتك أنت، إنه لا يجيد التكلم بالإنكليزية، وجل ما كان يفعله هو أخذ المسدس، وقد كان ثقيلاً من نوع «موسر». يأخذه ويقول (صوت نقر سريع). أفهمتني؟

كاثرادا: أجل.

مانديلا: وجب علي حمله بإحكام، ثم قال إنه يجدر بي الوقوف بشكل ثابت على الأرض.

قال (صوت دوس قوي بالقدم).

(صوت آخر للدوس بالقدم) هل فهمتني؟

كاثرادا: أجل.

مانديلا: وكان ماهراً جداً، حيث علمني مع عجزه عن النطق بلغتي (الإنكليزية).

لكنه كان رجلاً طيباً جداً، إلا أني لم أصب الصخرة.

بل أتت إصابتي في جوارها.

كاثرادا: بجوارها.

مانديلا: أجل

٦- من *مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

على الرغم من نهب المستعمرين، ظلت مصر بلداً زاخراً بالفن القديم والثقافة. لطالما تقتُ إلى رؤية الأهرام وأبي الهول وجسد رمسيس الثاني المحنّط، الذي كان على الأرجح أحد أقوى الفراعنة الذين حكموا البلاد. أمضيت الصباح كله في المتحف أدوّن ملاحظات تفصيلية، واصطحبني لاحقاً أوليفر (تامبو) إلى الجيزة، حيث رأينا البنية الحجرية الضخمة ذات القاعدة المربعة المثبّتة جيداً على الأرض بجوانبها المائلة التي تلتقي عند القمة، وهذا كله مصنوع بواسطة الطين وكتل حجرية ضخمة لبناء صرح تذكاري ثابت لا يتزحزح من مكانه بواسطة وزنه الخاص.

اصطحبني أوليفر للقيام بجولة في القارب حول الجزيرة في النيل. ثمة فتى في التاسعة من العمر يحرك القارب الذي كنا سنستقله ببراعة، اتسعت حدقتا رفيقي في السلاح، الهادئ الذي لم يكن يخاف البتة، وهو يراقب كل ما يجري، وسأل: هل ستسمح لهذا الفتى الصغير بأن يقود قاربنا؟ آه، لا تراجع في الوقت عينه خطوة إلى

الوراء، ووقف على مسافة آمنة. لكن حينما تسلم رجل مسن قيادة المركب ارتحنا. استمتعنا كثيراً بالرحلة التي دامت ساعة من الوقت في أطول نهر في أفريقيا.

كان همي الأساس اكتشاف نوع الأشخاص الذين أسسوا حضارة الزمن الغابر المتقدمة، والذين عاشوا في وادي النيل قبل ٥٠٠٠ سنة من الميلاد. لم تكن مجرد مسألة اهتمام بالآثار، بل مسألة هامة جداً بالنسبة إلى المفكرين الأفارقة الذين يهمهم أساساً جمع الأدلة العلمية لدحض الادعاء المزيف الذي يطلقه مروّجو الدعايات من البيض، بأن الحضارة بدأت في أوروبا، وبأن الأفارقة لا يملكون تاريخاً غنياً، تمكن مقارنته بماضيهم. ناقشت المسألة مع أحد القائمين على المتحف لكنه كان في منتهى الحذر، وعلى الرغم من أنه لفت انتباهي إلى عدة نظريات حول هذه المسألة، وقد كنت ممتناً كثيراً له، إلا أنه لم يزد إلمامي بهذا الموضوع أكثر مما كنت عليه قبل دخول المتحف.

٧- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن المقاتلين لأجل الحرية في الجزائر*

مانديلا: مصطفى؟ أجل، أجل، كان رئيس البعثة الجزائرية في المغرب.

ستينغل: صحيح. تكلم معك مطولاً أليس كذلك؟

مانديلا: أجل، عدة أيام.

ستينغل: حسناً.

مانديلا: كنا نتباحث بشأن الثورة الجزائرية، وقد كانت تحفة رائعة، صدقني. قلة هي الأمور التي ألهمتني بقدر حديثي الملخص مع د. مصطفى.

ستينغل: حقاً؟ لماذا؟

مانديلا: كان يسرد لنا تاريخ الثورة الجزائرية. المشاكل التي واجهتها. وكيف

بدأ الثوار يفكرون في إمكانهم هزم الفرنسيين في أرض المعركة، مستلهمين أحداث فييتنام - ديان بيان فو. هذا ما ألهمهم، واعتقدوا أنه في مقدورهم هزم الفرنسيين. قال إن حتى بزاتهم العسكرية، كانت مصممة لجيش كان سيهزم الفرنسيين. ثم ما لبثوا أن أدركوا أنهم يعجزون عن ذلك. عليهم أن يخوضوا حرب عصابات. ثم قال إن بزاتهم العسكرية تغيرت لأن جيشهم تحول مجموعة أفراد في حالة تأهب دائمة للتحرك، إما للهجوم وإما للهرب بسرعة. كانوا يرتدون السراويل الضيقة، وينتعلون أحذية خفيفة كالريشة. كان أمراً مذهلاً، ثم جعلوا الجيش الفرنسي في حالة جري مستمرة.

كانوا يهاجمون من الناحية التونسية، يشنون هجوماً من تلك الناحية، ثم يقوم الفرنسيون بسبب ذلك بنقل جنودهم من الناحية الغربية، من الحدود المغربية، لأن الجزائريين كانوا يقاتلون من تونس ومن المغرب.

على الرغم من أنه كانت لديهم وحدات تعمل في الداخل أيضاً، إلا أن الجيش الأساسي كان يقاتل من تينك المنطقتين، أي تلك الدولتين. ثم يبدأون شن هجوم من تونس، إلى عمق الجزائر، وينقل الفرنسيون جيشهم من حدود المغرب من أجل إيقاف هذا الهجوم. وحينما ينقلون ذاك الجيش، يبدأ الهجوم من الجهة المغربية، أفهمتني؟ ثم يعاود الفرنسيون نقل قواتهم إلى ناحية المغرب. وواصلوا نقلهم بهذه الطريقة. هذه التفاصيل كلها كانت مثيرة جداً للاهتمام.

ستينغل: وهل كنت تفكر في أن هذا الأسلوب قد يكون نموذجاً لتقتدي به (أمخونتو وي سيزوي) في جنوب أفريقيا؟

مانديلا: في الواقع، كانت معلومات في وسعنا الاعتماد عليها لوضع تكتيكاتنا الخاصة.

٨- من دفتر مدوناته للعام ١٩٦٢، حول تدريبه في المغرب مع جبهة التحرير الوطنية في الجزائر

المغرب

٣/١٨

غادرت أنا وروبرت ريشا[1] الرباط إلى قرية وجدة الحدودية، مقر جبهة التحرير الوطنية في المغرب. غادرنا بواسطة القطار، ووصلنا عند الساعة الثامنة مساء في التاسع عشر من آذار/مارس.

٣/١٩

التقانا مسؤول في محطة القطار، وأخذنا بالسيارة إلى مقر الجبهة. استقبلنا عبد الحميد (الإبراهيمي)[2] رئيس الجناح السياسي في جبهة التحرير الوطنية.

كان «سي جمال»، وعبد الرحمن، ولاربي، ونور الدين دجودي، حاضرين. ودار نقاش عام حول الوضع في جنوب أفريقيا، راحت تُطرح علينا أسئلة بحثية. من ثم فُضَّ النقاش لفسح المجال لنا كي نرى بعض الأشياء في مخيمات التدريب وعلى الجبهات الأمامية.

توجهنا عند الساعة الرابعة بعد الظهر بالسيارة، ومعنا دجودي ومسؤول آخر، إلى قاعدة زيغانغان التدريبية الواقعة في ما كان يُعرف بالمغرب الإسبانية. وصلنا إلى هناك في الساعة السادسة مساء، التقينا قائد المخيم «سي جمال». أرانا متحف الجيش الذي يحوي مجموعة مهمة من أسلحة جبهة التحرير الوطنية ، بدءاً من تلك التي استُخدمت في إبان الثورة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حتى آخر التجهيزات.

(١) روبرت ريشا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) د. عبد الحميد الإبراهيمي (١٩٣٦-) أصبح لاحقاً رئيس وزراء الجزائر، ١٩٨٤-٨٨.

بعد العشاء زرنا مسرح الجنود، واستمعنا إلى الموسيقى وشاهدنا اللقطات التمثيلية. فاللقطتان اللتان عُرضتا أمامنا، تحويان أفكاراً دعائية هائلة ضد الحكم الفرنسي في الجزائر. بعد العرض عدنا إلى مقرنا، وخلدنا إلى النوم.

٣/٢١

بعد زيارة مقر البث والأعمال المطبوعة لجبهة التحرير الوطنية واصلنا طريقنا برفقة المسؤولَين إلى بو الخير. زرنا بداية مقر الكتيبة في القسم الشمالي. إنه يقع على نحو مناسب في أفضل منطقة استراتيجية، ومحروس بشكل كثيف. تناولنا هناك الغداء الذي تألف من طبق لحم الأرانب والخبز الطازج.

ثم انتقلنا إلى مقر إحدى الكتائب الواقعة على الحدود الجزائرية تماماً. شاهدنا خنادق ودخلنا إليها. ثمة كثر من اللاجئين حول المخيم، كان مظهرهم مؤثراً جداً. ثم عدنا لاحقاً إلى وجدة من أجل إجراء نقاش.

بدأ النقاش في السادسة والنصف، وكان ينبغي لنا أن نغادر في الساعة التاسعة و٤٥ دقيقة للعودة إلى الرباط. عند التاسعة والنصف، تقرر وجوب مغادرتنا بالسيارة إلى الرباط في اليوم التالي حيث بالكاد أنهينا ربع أعمالنا.

٩- *من دفتر مذكراته في العام ١٩٦٢*

ثمة نقطة أخرى أوضحها القائد العسكري لاربي، فحواها أنه يجدر بنخب الدولة أن تدرك أن جماهير الشعب مهما كانوا فقراء وأميين، هم أهم استثمار للدولة. ففي جميع النشاطات والعمليات، يجدر أن يكون وجود كبير لأهل الفكر وللجماهير الشعبية - فلاحين وعمالاً في المدن... إلخ.

ثالثاً، يجدر إعلام جماهير الشعب بأن التحرك السياسي، كالإضرابات والمقاطعات والتظاهرات المشابهة، قد أصبح غير فاعل لدى القيام به وحده. يجدر قبول التحرك كأهم شكل للنشاط السياسي، وأوله.

١٠- من دفتر *مذكراته العام* ١٩٦٢

إن الوعي السياسي ضروري لتشكيل الجيش ولتحريك الدعم الجماهيري، يجدر عدم إغفال المسائل العملانية. على سبيل المثال، المرأة التي لا تكون متطورة سياسياً، قد تخدم الثورة كثيراً لمجرد أن حبيبها أو زوجها أو ابنها في الجيش. كما يمكن القرى أن تبدي مبادرات فردية يجدر تشجيعها.

ثمة حالة هاجمت فيها قرية معينة حاجزاً عسكرياً فرنسياً بدون الحصول على تعليمات من جبهة التحرير الوطنية. وفي قرية أخرى حفر الناس نفقاً تحت الأرض بمفردهم.

من المعلوم أيضاً أنه في مرحلة معينة، منعت جبهة التحرير الوطنية جنودها من الزواج. ثم تم لاحقاً تعديل هذا القرار، ومنح إذن عام بالزواج. هؤلاء النسوة اللواتي تزوجن بجنود جبهة التحرير الوطنية، ومعهن أفراد عائلاتهم، أصبحوا داعمين مباشرين لجبهة التحرير الوطنية وللثورة.

١١- من دفتر *مذكراته العام* ١٩٦٢

ثمة بعض المسائل الحيوية المعينة التي يجب أن تظل في البال لدى بناء جيش ثوري:

من المهم أن تدرب قومك على أيدي دول صديقة، إلا أن هذا يجدر أن يكون جزءاً من الخطة فحسب. النقطة الأساسية التي يجب فهمها، هي إنتاج مدارسك الخاصة التي ستنشئ مركز تدريب، إما في الداخل وإما على حدود الدولة.

كما يجدر بك التخطيط وتوفير البدلاء لأنه ببساطة في خلال المعركة يسقط العديد من الرجال. ستكسر الثورة إن لم تتخذ الاستعدادات اللازمة. كما ستطمئن العدو، على العكس، عليك من البداية أن تريه أن قوتك في ازدياد.

يجب أن تكون مرناً ومبدعاً، وإلا فسيحطم قواك. ويجدر أيضاً الأخذ في الحسبان أن الحرب كلما طالت أكثر، ازدادت المجازر وتعب الناس.

١٢- من دفتر *مذكراته* العام ١٩٦٢

لقد مكّنت هجمات ناجحة ومميزة شنّها الثوريون، الشعبَ الجزائري من استعادة كرامته. في الجزائر أنشأوا فرق كوماندوس لها وظيفة خاصة. ليست لنشاطاتها أي فائدة اقتصادية، لكنها مفيدة جداً لرفع معنويات الشعب. لكن مثل هذه النشاطات لا يجدر بها أن تفشل. تتألف نماذج عن عمليات فرق الكوماندوس من هجمات على السطح ضد الجنود الفرنسيين في المدن، وتفجيرات في دُور السينما.

يجدر بك أيضاً ألا تعوّل على تصريح مجند فحسب بأنه على أتم استعداد للنضال، بل عليك اختباره. ففي قرية واحدة، أعلن ٢٠٠ شخص أنهم مستعدون للانضمام إلى جبهة التحرير الوطنية. قيل لهم آنذاك إن هجوماً سوف يشن في اليوم التالي على العدو. وقد تم استدعاء المتطوعين، فلم يستجب لذلك سوى ثلاثة. وطُلب في حالة أخرى إلى مجندين جدد السير إلى نقطة معينة ليلاً تلبية لوعد بتلقي أسلحة. وصلوا إلى المكان في منتصف الليل، فقيل لهم إن الرجل المكلف توصيل الأسلحة، لم يصل بعد، ونُصحوا بالعودة في الليلة التالية. أولئك الذين تذمروا، كشفوا أنهم لن يكونوا أهلاً للثقة في ظروف أشد صعوبة.

١٣- من دفتر *مذكراته* العام ١٩٦٢

يجدر أن يكون ثمة تنسيق مناسب لنشاطات العصابات في المدن والأرياف.

١٤- من دفتر *مذكراته* العام ١٩٦٢

اعتبارات يجب أن تؤخذ في الحسبان عند بدء ثورة.

يجب أن توجد ضمانة كاملة بأن جميع الاحتياطات قد تم أخذها لتحقيق النجاح: التنظيم في منتهى الأهمية. ينبغي بادئ ذي بدء، أن تكون ثمة شبكة على امتداد الدولة. يجب أن ندرس دراسة معمقة جميع الثورات، ومن ضمنها تلك التي أخفقت. التنظيم الجيد ضروري جداً. ففي الولاية استغرق الأمر سنة لإيجاد التنظيم المناسب.

يجب تفادي وقوع انتفاضة محلية. فشل الكثير من الانتفاضات لأن الفكرة الثورية لم يتشاطرها الجميع. لا بد من تنظيم الانتفاضة تنظيماً يكفل استمرارها.

١٥- *من دفتر مذكراته العام ١٩٦٢*

يجب ألا يقلق منظمو الثورة بشأن نقص التدريب العسكري من ناحية الجماهير الشعبية. إن أفضل القادة والاستراتيجيين في جبهة التحرير الوطنية، هم أولئك الذين لم يتمتعوا بخبرة عسكرية سابقة. كما هناك فرق بين أن تكون عسكرياً أو مقاتلاً. ففي الجزائر يحق للمرأة ليس إطلاق النار فحسب، بل بوسعها أيضاً فك أجزاء بندقية وتجميعها ثانية.

١٦- *من دفتر مذكراته العام ١٩٦٢*

ينبغي تحديد موعد البدء بعد التثبت تماماً أن الثورة ستحقق النجاح. إضافة إلى ارتباطها بعوامل أخرى. على سبيل المثال، صرّح وزير الدفاع الفرنسي بعد تجواله في تونس والمغرب بأن الجزائر آمنة. وحدثت الثورة في اليوم التالي. وبعد ذلك صرح بأن الثورة محصورة في مناطق معينة، وليست على امتداد الدولة. وسرعان ما امتدت في أرجاء البلاد. يجب أن يتأثر اختيار المواعيد بالفرصة النفسية.

١٧- *من دفتر مذكراته العام ١٩٦٢*

يجب أن نتحلى بالشجاعة لقبول حدوث عمليات انتقامية ضد الشعب. لكن علينا محاولة تجنب هذا الأمر عبر اختيار حذر للأهداف. من الأفضل مهاجمة الأهداف التي تبعد عن السكان ولا تكون قريبة منهم. يجب أن تكون الأهداف قريبة بقدر الإمكان من العدو. بالنسبة إلى الشعب والعالم، يجب أن تتخذ الثورة صفة الحركة الثورية الشعبية. أما بالنسبة إلى العدو، فيريد تصويرها وكأنها ثورة قلة من الناس فقط.

يجب أن نسعى إلى الحصول على دعم الشعب كله مع توازن كامل للطبقات الاجتماعية. قاعدة الدعم ستكون بين عامة الناس، فقراء وأميين، لكن يجدر ضم أهل الفكر.

أخيراً، يجب أن يكون ثمة تناغم كامل بين المفوضية الخارجية للحركة الثورية والقيادة العليا، بحيث تتألف كلتاهما من طاقم بشري متشابه ومتطور بشكل متساو.

١٨- *من دفتر مذكراته العام ١٩٦٢*

٦٢/٣/١٤ د. مصطفى

الهدف الأساسي للثورة الجزائرية كان هزم الفرنسيين عبر العمل العسكري كما حدث في الهند الصينية. لم يكن ثمة تصور لحدوث تسوية عبر المفاوضات. إدراك الصراع حينما تبدأون، سيحدد فشل الثورة أو نجاحها. يجب أن تضعوا خطة عامة تنظم جميع عملياتنا اليومية. وإضافة إلى الخطة العامة التي تتعامل مع الوضع العام، يجب أن تضعوا خطة، للأشهر الثلاثة المقبلة مثلاً. لا يجدر القيام بأي تحرك عبثاً. بل لا بد من أي تحرك فردي، بغية تطبيق الهدف الاستراتيجي.

يجب أن يكون لديكم:

أ- هدف عسكري؛

ب- هدف سياسي؛

ج- هدف نفسي.

هذا هدف استراتيجي لوقت محدود. قد يخلق الهدف الاستراتيجي وضعاً جديداً يولّد ضرورة لتغيير الخطة العامة. خططكم التكتيكية تحكمها الاستراتيجية. لن تكون تكتيكاتكم محكومة بالعمليات العسكرية فقط، لكنها ستشمل أموراً، مثل الوعي السياسي لدى الجماهير الشعبية، وتحريك الحلفاء في الحقل الدولي. يجب أن يكون هدفك تدمير شرعية الحكومة وتأسيس شرعية الشعب. يجب أن تُنشأ سلطة متوازية في إدارة العدالة، في الإدارة وفي المؤونة.

يجب أن تسيطر المنظمة السياسية تماماً على الشعب ونشاطاته. وكذلك على جنودك أن يعيشوا بين الشعب مثل السمك في الماء، وأن يكون الهدف وجوب نمو قوانا وتطورها، وحل قوى العدو. بدء الثورة أمر سهل، لكن مواصلتها والاستمرار بها هما الأصعب. واجب القائد أن يجري تحليلاً معمقاً للوضع قبل بدء الثورة.

١٩ - حديث مع *أحمد كاثرادا عن رحلته إلى لندن العام* ١٩٦٢

مانديلا: أجل، في الواقع صعّب عليَّ البريطانيون الأمور في المطار. ليسوا أفظاظاً، هم في منتهى التهذيب.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: اضطررت إلى تقديم جواز سفري، لكن في البداية، قال أوليفر (تامبو): «توجه إلى تلك الطاولة، وأنا سأذهب إلى تلك». فافترقنا، وأعطيت شاباً جواز سفري، نظر إليه وحياني بكل أدب، وقال: «ما سبب قدومك إلى إنكلترا؟»، فأجبته: «أتيت لأزور المكتبة والمتحف لأنني أؤلف كتاباً». فقال: «وأي كتاب هذا؟»، فأجبته:

«يتعلق موضوعه بتطور الفكر السياسي في أفريقيا». فقال: «هذا رائع يا سيدي. إنه عنوان جميل، وكم من الوقت تريد أن تبقى؟». فقلت: «أسبوعين فحسب». فقال: «لا تطلب أسبوعين فحسب، بل اطلب شهراً». ورحت أفكر في قضاء وقت ممتع، فقلت: «حسناً، سأطلب شهراً». فقال: «هل معك تذكرة إياب؟»، فهزني ما قاله. فقلت: «لا، لكن لدي بعض المال». في الواقع أظن أنه كان معي ٢٠ رنداً أو ما شابه. (يضحك) قلت: «لدي بعض المال»، ووجدتني أدسّ يدي في جيبي فقال: «لا، لا، لا تقلق». لأنه أدرك أن في حوزتي مالاً واكتفى بذلك. إنهم مهذبون جداً.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: ثم قال: «لا، لا، لا تفعل». وفي حين كان يحدثني، أشار إليه الشاب الجالس إلى المنضدة الأخرى، (أومأ)... إلى أوليفر. بمعنى آخر، كان يقول : «هذا الشاب موجود على... ماذا تسمونها، القائمة السوداء».

وكان يزود هذا الشاب معلومات سرية، ويطرح أسئلة مهذبة، لكنه توصل إلى أمر خطير.

وقال أخيراً: «سوف أعطيك استمارة كذا، ستمكنك من البقاء مدة شهر»، ثم تمنى لي التوفيق. في خلال تآمرهما، اكتشفا أننا لسنا إلا مقاتلين من أجل الحرية. لكني أمضيت وقتاً ممتعاً لأنني قابلت سياسيين بريطانيين، استقبلوني بحرارة كبيرة. قابلت دينيس هيلي من حزب العمال[١]، وهيو غايتسكيل[٢]. نصحاني بمقابلة رئيس الوزراء ماكملان، لكننا كنا أغبياء، فقد كان برنامج مواعيدنا محدوداً جداً، بحيث كنا سنقابل أشخاصاً مثل دايفيد أستور وأنطوني...[٣]

---

(١) دينيس هيلي (١٩١٧-). سياسي من حزب العمال البريطاني.
(٢) هيو غايتسكيل (١٩٠٦-٦٣). سياسي من حزب العمال البريطاني. زعيم حزب العمال، ١٩٥٥-٦٣.
(٣) هارولد ماكملان (١٨٩٤-١٩٨٦)، رئيس الوزراء البريطاني، ١٩٥٧-٦٣.

كاثرادا: سامبسون[1].

مانديلا: سامبسون وغيره.

كاثرادا: لم تبق مع أستو. أليس كذلك؟

مانديلا: لا، لا، بقيت مع أوليفر، أجل.

بالطبع كان وجودي في إنكلترا مشوقاً خصوصاً وأنها عاصمة ما كان سابقاً يسمّى الأمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس. استمتعت بذلك وبزيارتي مكتباتهم والحصول على أعمال أدبية عن حروب العصابات.

٢٠- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن حرب العصابات*

مانديلا: كانت الثورة في الصين تحفة فنية، تحفة حقيقية. إن قرأت حول كيفية قتالهم في تلك الثورة، تؤمن عندئذ بتحقق المستحيل. إنها معجزة. من هو الأميركي الذي ألّف كتاب نجمة حمراء فوق الصين؟

ستينغل: أجل.

مانديلا: ما كان اسمه؟ اسمه شهير.

ستينغل: سنو.

مانديلا: إدغار سنو.

ستينغل: صحيح.

مانديلا: كان هذا الكتاب الأول الذي قرأته عن الصين.

(١) أنطوني سامبسون، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

ستينغل: حقاً؟

مانديلا: أجل. «نجمة حمراء فوق الصين»: إدغار سنو. كتابة جميلة وبسيطة ومتعاطفة، لكن الكتاب ليس شيوعياً. وكانت هذه حسنته، لأنه في مقدوره أيضاً الانتقاد. لكنه كان عملا بنّاء وصف منشأها في جنوب شرق الصين حيث بدأوا، ثم كيف حاول شيانغ كاي تشيك وغيره تطويق هذه المنطقة والضغط عليها وسحق هذه الثورة وكيف حاربوا ضد ذلك. وحينما اتضح أنهم في حال بقوا هناك سيتم سحقهم، قرروا خرق هذا الجدار الفولاذي، وتوجهوا نزولاً إلى الصين، ثم صعوداً إلى الحدود مع الاتحاد السوفياتي، وهناك بدأوا القتال الهجومي.

ستينغل: أجل، المسيرة الطويلة.

كانت هذه معجزة. وقعت بعض الأحداث كأنها سحر: كيفية هروبهم.

ستينغل: وفق قراءاتك، ما كانت الدروس التي أدركت أنك تريد تطبيقها على «أم كاي»: بمعنى أنك قرأت سابقاً عن الحركات التي باءت بالفشل؟ إذاً، ما الذي رغبت في تجنبه لمنع «أم كاي» من الفشل الذي عرفته عبر قراءاتك؟

مانديلا: كان ذلك يتعلق أولاً باكتشاف المبادئ الأساسية لبدء الثورة. ثورة مسلحة، حرب مسلحة. لهذا السبب قرأت أعمال كلوزويتس لأنها لا تتعلق بحرب العصابات، بل بقواعد الحرب، أي مبادئها. وبالمناسبة، قرأت أيضاً كتاب «الثورة» للمؤلف مناحيم بيغين.

ستينغل: آه.

مانديلا: أجل. «الثورة» لمناحيم بيغين. وقد كان أمراً مشجعاً جداً بالنسبة إلينا، لأن هنا تنطلق حركة في بلد لا جبال فيه، قاعدتهم كانت داخل فلسطين التي كانت محتلة من قبل الجيش البريطاني من أقصاها إلى أقصاها. من أول الحدود إلى

آخرها. لكنهم نفذوا ذاك الصراع بطريقة قوية جداً، وكان ذلك مثيراً للاهتمام. قرأت أيضاً عن المحازبين في فرنسا، ميتران، وفي أوروبا الشرقية. إذاً، هذا هو نوع الأدب الذي كنت أقرأه.

٢١- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

مانديلا: في فترة الانخراط في حركة المقاومة، قرأتُ عملاً لكلوزويتس، وكتاب «كوماندو» لدينيس ريتز، وكتابين عن ماليزيا وآخر عن الفيليبين، عن هوكبالاهاب (جيش الحزب الشيوعي في الفيليبين)، وكتاب «وُلد من الناس» للويس تاروك. وكنت قد قرأت أعمال ماو تسي تونغ. لكن هنا كنت أتعلم فقط كيفية استخدام السلاح (في إثيوبيا).

ستينغل: صحيح كان هذا عملياً.

مانديلا: أجل، كان عملياً.

ستينغل: إذاً، توجهت هناك إلى ميدانَيْ رماية. أهذا صحيح؟

مانديلا: أجل، هذا صحيح. كان هناك ميدان رماية لجميع الجنود، وكان يبعد مسافة طويلة عن المخيم الرئيسي. وميدان رمي حراس الأمبراطور- حراس الشرف - كان أقرب. توجهت إلى هذين الميدانين.

ستينغل: وأي نوع من الرامي كنت؟

مانديلا: لا، كوني... لقد كنت منطقياً، وهناك في المغرب، استخدمت السلاح لأول مرة. كانوا يعلمونك كيفية استخدام السلاح وماهية آلياته فحسب. كانوا يفككونه ليعرّفوك إلى أجزائه المختلفة. يجمعونه، ثم يطلبون إليك القيام بذلك بضع مرات إلى أن تتقن العملية.

٢٢- من حديث مع أحمد كاثرادا عن الصراع المسلح

في الواقع، كان من الأمور المثيرة للجدل لدى تأسيس الـ«أم كاي» هو السيطرة. أردنا تفادي التسلط العسكري. وددنا خلق قوة عسكرية خاضعة لمنظمة سياسية مركزية، يتلقى أفرادها التعليمات من منظمة سياسية، وكان هذا هو مبدأ تأسيسها. أصررنا على وجوب أن يسير التدريب في موازاة التدريب السياسي. عليهم أن يدركوا سبب حملهم السلاح والقتال. يجدر تعليمهم أن الثورة ليست مجرد مسألة الضغط على الزناد وإطلاق النار. كانت منظمة أُريدَ لها أن تكون سلطة سياسية. هذا ما أصررنا عليه.



Mail

most wanted man in S. Africa

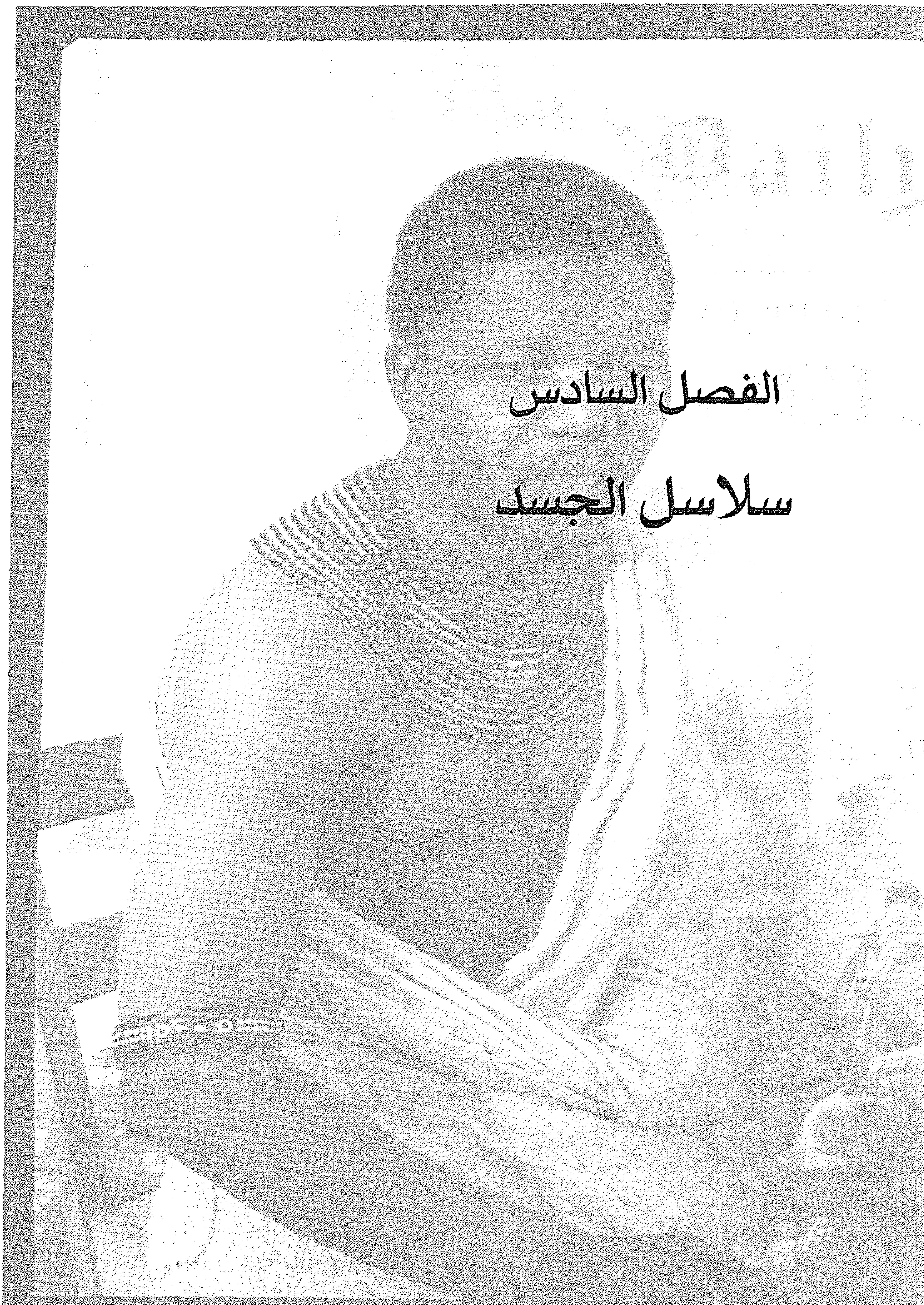
IS ARRESTED

Police swoop ends two years on run

NELSON MANDELA, the most wanted man in South Africa, is under arrest

الفصل السادس

سلاسل الجسد



«... في ظروفي الراهنة، قد يكون التفكير في الماضي أكثر قساوة بكثير من التأمل في الحاضر وتوقع ماجريات الأحداث المستقبلية. إلى أن تم سجني، لم أكن قد قدّرت بشكل عميق قدرات الذاكرة، سبحة المعلومات اللامتناهية التي يمكن الرأس أن يحويها».

مقطع مقتبس من رسالة إلى هيلدا بيرنشتاين، ٨ تموز/يوليو ١٩٨٥، راجعوا ص ١٣٧.

١ - من حديث مع ريتشارد ستينغل

مسرحيات مثل «أنتيغون»... هذه المسرحيات اليونانية تستحق أن تُقرأ. إنها أشبه بالأعمال الكلاسيكية، أي أعمال تولستوي ومن هم في مثل قامته الأدبية، لأنه بعد قراءة هذا الأدب، تخرج دوماً بشعور بالسمو وبتعميق إحساسك تجاه أخيك الإنسان. إنها إحدى أعظم التجارب التي في مقدورك اختبارها، وهي قراءة قصة تراجيدية يونانية، أو أي عمل أدبي يوناني بشكل عام.

٢ - حديث مع أحمد كاثرادا عن حقيقة خيانته

كاثرادا: تعلم بالطبع، بأنهم اتصلوا بوالتر سيسولو ليقولوا إنني وشيت بك؟[١]

مانديلا: الصحافة؟

كاثرادا: لا، بل جاء الاتصال من شخص مجهول، وقال لوالتر: «إنني أخبرك أن الشخص الذي وشى بمانديلا هو كاثرادا».

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: (يضحك).

مانديلا: حقاً! يا للهول. لأن هذه الأمور تندثر مع الأحداث.

كاثرادا: أجل، أذكر أنهم ألقوا اللوم على ألبرتينا (سيسولو) أيضاً[٢].

(١) يشير كاثرادا إلى كيفية حدوث عملية اعتقال مانديلا في ٥ آب/أغسطس ١٩٦٢.
(٢) نونتسيكيليلو (نتسيكي) ألبرتينا سيسولو، راجعوا قسم (أماكن وأشخاص وأحداث).

مانديلا: أجل، أجل، صحيح. أعلم بأنهم ألقوا اللوم على ألبرتينا ووالتر.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: لقد أثّر فيَّ هذا الخبر. لم أكن أعلم بشأن اتهامك.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: لكن في ما يتعلق بوالتر، حينما أتى إلى السجن لزيارتي، بدا متغيراً جداً، كأن الاتهام هزه بشكل عميق.

كاثرادا: أظن أن الصحافة اخترعت حادثة تفيد بأن ألبرتينا ويني (مانديلا) تشاجرتا بسبب هذه المسألة، أي بسبب اتهام والتر وألبرتينا بالوشاية بك.

مانديلا: لا، أعلم ما الذي حدث، لأنني كنت أقرأ الصحف، وقد ذُكرت فيها مسألة والتر.

واضطررت إلى مناقشته قائلاً: «اسمع، لدي ثقة كاملة بك، لا تقلق أبداً في شأن هذه المسألة». وقد أقلقته، لأن الناس سيستغلون الوضع.

٣- *حديث مع أحمد كاثرادا عن اعتقاله*

كاثرادا: الناشر يسأل، «المزيد عن مشاعرك لدى إدراكك أن اللعبة قد انتهت. هل خشيت أن يتم إطلاق النار عليك؟»[1].

مانديلا: لا، لم يساورني مثل هذا الخوف، لأنني رحت أفكر في خياراتي فور مرور السيارة وإشارتها لنا، لأنني نظرت إلى المرآة الأمامية، ورأيت سيارات في الخلف حيث لا يسعني الهرب، وقررت أن اللعبة قد وصلت إلى نهايتها. رأيت

(١) راجعوا الملاحظة الرقم ١، في هذا الفصل.

الجبال ، جبال ليسوثو، لكنني وجدت أن الهرب إليها سيكون مجازفة، وقررت البقاء. لم أخش مطلقاً التعرض لإطلاق نار، بمجرد أن قررت عدم الهرب.

٤- من رسالة إلى هيلدا بيرنشتاين في ٨ تموز/يوليو ١٩٨٥ حول محاكمة ريفونيا[1]

كيف حال ذاكرتك؟ قد لا تعود بحاجة إليها بوجود جميع هذه التسهيلات الحديثة التي تحيط بك: صحف وأدب جيد وأرشيف ومكاتب ومذياع وتلفاز وأشرطة فيديو وحواسيب وكل ما لديك. في ظروفي الراهنة، قد يكون التفكير في الماضي أكثر قسوة بكثير من التأمل في الحاضر وتوقع ماجريات الأحداث المستقبلية. إلى أن تم سجني، لم أكن قد قدّرت بشكل عميق قدرات الذاكرة، سبحة المعلومات اللامتناهية التي يمكن الرأس أن يحويها.

ما زلت أذكر اليوم الذي جلست فيه خلفي في بريتوريا، في حين كان راستي (رجل اتهم بيرنشتاين) منشغلاً في تفادي هجمات (المدعي بيرسي) يوتار. تشكّل لدي في بداية الجدال، الانطباع بأن يوتار ليس هو من يهاجم، بل الرجل في المرصد. كما بدا لي أن القاضي كوارتوس دي ويت نفسه قد جرد من سلاحه، إن لم نقل افتُتن، بفعل الأسلوب الرقيق والمفعم بالثقة الذي كان يستخدمه الشاهد لتفادي جميع الاتهامات التي يرميها يوتار في وجهه.

حينما هممنا بالمغادرة لم تسعني مقاومة إخبارك بأن الشاهد كان جيداً. هل تذكرين كيف ردت السيدة بيرنشتاين؟ إذ قالت: «ماذا تقصد بقولك «جيد»؟ لقد كان مذهلاً». بالفعل، كان كذلك. لو أنه لم يعمد إلى تهيئة نفسه كحالنا نحن، لكان رُمي أيضاً في السجن ولم يحضر زفاف طوني. ومن يدري، لكانت ربما تفاقمت مشاكل السلطة الذكورية في العائلة. بالنسبة إلى كيث، فرانسيس، باتريك، طوني

(١) هيلدا بيرنشتاين، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(أولاد بيرنشتاين) وأنت، كان يوم عودته لا يُنسى بكل تأكيد[1]. كما أذكر أيضاً أنها في اليوم الأول من محاكمة بريتوريا، عبّرت عن بعض المخاوف بشأن الشكل الذي بدوت أنا وزميل لي عليه في الملابس الكاكية. لكن الآن وبعد مدح زوجك، بات لديك كلام جميل لتقوليه في شكلنا. لم أعد أذكر ما إذا تمكنت من محادثتك يوم إطلاق راستي. جل ما يسعني تذكره الآن هو قيامي بقراءة صحيفة كانت في مكب نفايات في جزيرة روبن تفيد بأنه في زامبيا[2].

٥- حديث مع أحمد كاثرادا عن رئيس باك (الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية)، روبرت سوبوكوي[3]

كاثرادا: تم وضع سوبوكوي مع المجرمين في زنزانة مجاورة.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: وأفلحنا في التحدث معه.

بالطبع عاملوه بقسوة بالغة.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: سروال قصير بدون انتعال حذاء.

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: وأفلحنا في التكلم معه، وسألناه إن أمكننا تقديم أي مساعدة إليه، فطلب الحصول على سجائر وملعقة. كانت فجوة صغيرة.

(١) تمت تبرئة راستي بيرنشتاين في محاكمة ريفونيا.
(٢) عقب المحاكمة هرب آل بيرنشتاين من جنوب أفريقيا.
(٣) روبرت مانغاليسو سوبوكوي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: أجل.

كاثرادا: فهرّبنا إليه السجائر وملعقة وبعض الطعام ربما، لكن لا يسعني تذكر ذلك. لكن كان طلبه الأساسي هو السجائر.

مانديلا: أجل، أعلم. أظن أن هذا أحد الأشياء التي أدت إلى موته.

كاثرادا: صحيح، أصيب بسرطان الرئة.

مانديلا: أجل، لأنه كان مصاباً بالسل.

كاثرادا: صحيح.

٦- *حديث مع أحمد كاثرادا*

كاثرادا: في الصفحة ١٥ من كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»، تحدثت عن أول زيارة لويني مانديلا لك في سجن فورت. وقلت: «شكرتها عليها»، الملابس والأغراض التي جلبتها. «شكرتها عليها. وبرغم أنه لم يتسن لنا الكثير من الوقت، ناقشنا بسرعة مسائل عائلية، وأكدت لها متانة قضيتنا ووفاء أصدقائنا، وحقيقة أن حبها وإخلاصها هما ما سيخلصني من كل ما سيحدث».

مانديلا: بالمناسبة، جلبت لي بيجاما ورداء نوم حريريين.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: وقلتُ: لا...

كاثرادا: (يضحك).

مانديلا: هذا اللباس ليس لمثل هذا المكان. (يقهقه).

٧- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: أخبرني عن حادثة فقدانك الوعي.

مانديلا: حسناً، لا، ذهبت مع روبرت سوبوكوي إلى المستشفى، ما يسمونه مستشفى السجن. سقطت فجأة. لم أكن أعرف وجود أي خطب بي، حتى أنني أُصبت بكدمة في جانب وجهي وبجرح في مكان ما. هذا كل ما حدث. وقعت فجأة، ثم عاودت النهوض. أخبار كثيرة تم تناقلها خارج السجن. غير معقول! ذاك الرجل مريض. إنه مريض جداً. ولم أشعر بشيء. لا أعرف السبب وراء سقوطي. كنت بكل تأكيد أشعر بالدوار، لكن بعد ذلك لم يحدث شيء. لا أعرف ماذا حدث.

٨- حديث مع أحمد كاثرادا عن روبرت سوبوكوي

مانديلا: لم أكن تصادمياً قطّ مع سوبوكوي. يجب أن تذكر أن سوبوكوي كان عميلاً لديّ. كنت محاميه، وكنا نتبادل فائق الاحترام، لأن سوبوكوي كان رجلاً ودوداً جداً.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: ورجل نبيل، لم يحدث قط أي تصادم معه، كنت متفقاً جداً معه في السجن.

٩- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن عدم التمييز العنصري.

لم نتقبل قطّ التعددية العرقية بشكل حقيقي. إننا نطالب دوماً بمجتمع غير عرقي، لأنك بحديثك عن التعددية العرقية، فأنت تضاعف الأعراق. تقول إن لديك في هذا البلد الكثير جداً من الأعراق. وهذا بطريقة ما تخليد لفكرة «العرق»، وفضّلنا القول إننا نريد مجتمعاً غير عرقيّ.

... تناقشنا، وقلنا ما نقوله بالضبط، بأننا لسنا متعددي الأعراق، بل نحن غير عرقيين. إننا نحارب لأجل مجتمع يكفُّ فيه الناس عن التفكير في ألوان البشرة. إنها ليست مسألة عرق، بل قضية أفكار.

١٠- حديث مع *أحمد كاثرادا عن الموظف الأمني جوهانس غريف، شرطي ساعد أربعة رفاق اعتُقلوا* بسبب قضية هروبهم *من السجن*[1]

كاثرادا: وعده رفاقنا بإعطائه ألفي جنيه إسترليني، وتم توصيل المال إلى لالو (شيبا)[2].

مانديلا: فهمت.

كاثرادا: وكان حينذاك يتم الترتيبات التي بدأوها. كان الراشي الأساسي بحسب ما أذكر، أو الشاب الذي حض على الرشوة هو موزي (مولا)[3].

مانديلا: فهمت.

كاثرادا: وإلى حد ما، أفترض أنها كانت مسألة جماعية.

مانديلا: أجل، بالطبع.

كاثرادا: ثمَّ كان الترتيب أن يتولى لالو دفع المال له، وقد جيء بالمال إلى منزل لالو، كان يُفترض أن يأخذه هذا الرجل من هناك. لكن حينما أرادوا الدفع له، حضر برفقة الشرطة، لذا لم يدفعوا له.

---

(١) الرفاق الأربعة كانوا عبد الحي جاسات وموسى (موزي) مولا وهارولد وولب وآرثر غولدريتش. في ١١ آب/أغسطس ١٩٦٣ هربوا من مركز شرطة مارشال سكوار في جوهانسبورغ، عبر رشوة جوهانس غريف.

(٢) إيسو (لالو) شيبا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٣) موسى محمد (موسي) مولا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: آه.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: يا إلهي.

كاثرادا: ثمَّ، اعتُقل الرجل وسُجن مدة ٦ سنوات.

مانديلا: آه.

كاثرادا: أطلقوا هذا الرجل المدعو غريف بعد ٣ سنوات أو ما يقاربها. أمضى فعلاً فترة عقوبة في السجن.

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: ما زلت أنوي أن آتيك بتلك القصاصة التي يقول فيها هارولد (وولب) إنه اقتُبس منك كلام تقول فيه إنه يجدر بنا ردُّ هذا الدين[1].

مانديلا: لا، في الواقع حريٌّ بنا ذلك. إن كانت هذه الخلفية، إن تم إرسال الشاب إلى السجن.

كاثرادا: أجل، أمضى ٣ سنوات على الأقل في السجن من أصل ٦ أعوام. كنت أخبر جويل قبل يومين بهذه المسألة. هل تعلم كم تساوي قيمة الألفي جنيه في تلك السنوات اليوم؟

مانديلا: أجل.

كاثرادا: قيمتها أكثر بكثير.

(١) هارولد وولب (١٩٢٦-٩٦). اقتصادي ومؤلف وناشط ضد التمييز العنصري. عضو في «أس آي سي بي».

مانديلا: صحيح.

كاثرادا: كنت أفكر أن الأجدر بنا أن نعطيه إحدى سيارات الهيئة الأفريقية الوطنية التي لن تكلفنا شيئاً. وستذهب هدراً... بوجود هذا العدد الكبير كله من السيارات، أنا واثق بذلك.

مانديلا: دوّن ملاحظة بشأن ذاك الرجل، دوّن ملاحظة بشأنه.

كاثرادا: لقد دوّنت سابقاً ملاحظة بشأن غريف، لكني كنت سأناقشها وإياك أكثر حينما أحصل على القصاصة من هارولد حيث نُقل أنك قلت إنه يجدر بنا رد ...

مانديلا: أجل، صحيح.

كاثرادا: هذا الدين، لكن كان هذا...

مانديلا: أتعلم؟ إنني أحث بشدة على وجوب رده.

كاثرادا: أجل، وهذا سيمثل إعلاناً لنا، ويمنحنا شعبية أيضاً.

مانديلا: أجل، أجل.

كاثرادا: هذا الشاب يعيش اليوم في كايب...

مانديلا: غريف؟

كاثرادا: غريف و...

مانديلا: وماذا يعمل؟

كاثرادا: إنه مزارع على ما أعتقد.

مانديلا: يا للأسف! إنه على الأرجح يواجه صعوبة، صدقني. فالعمل في المزارع ليس سهلاً.

كاثرادا: إذاً، أظن أنه علينا...

مانديلا: لا، لا، لنناقش هذا الأمر. لنناقشه.

١١- حديث مع أحمد كاثرادا عن التماس حجة «غير مذنبين» في محاكمة ريفونيا

مانديلا: لم ندفع قط جواب إقرار بالذنب في محاكمة ريفونيا. بل دفعنا جواب عدم إقرار بالذنب، أتذكر؟

كاثرادا: أجل.

مانديلا: قلنا إن الحكومة هي...

كاثرادا: بالضبط.

مانديلا: ... المجرمة، وأنه يجدر...

كاثرادا: بالضبط. إن ما أساء فهمه أنه...

مانديلا: أجل.

كاثرادا:... في خلال عرضك القضية.

مانديلا: هذا صحيح.

كاثرادا: من قفص الاتهام، اعترفت...

مانديلا: أجل.

كاثرادا: بكثير من الأمور.

مانديلا: هذا صحيح.

كاثرادا: لكن هذا لم يكن جواب إقرار بالذنب.

مانديلا: أجل، أجل، صحيح.

كاثرادا: بأنك مذنب.

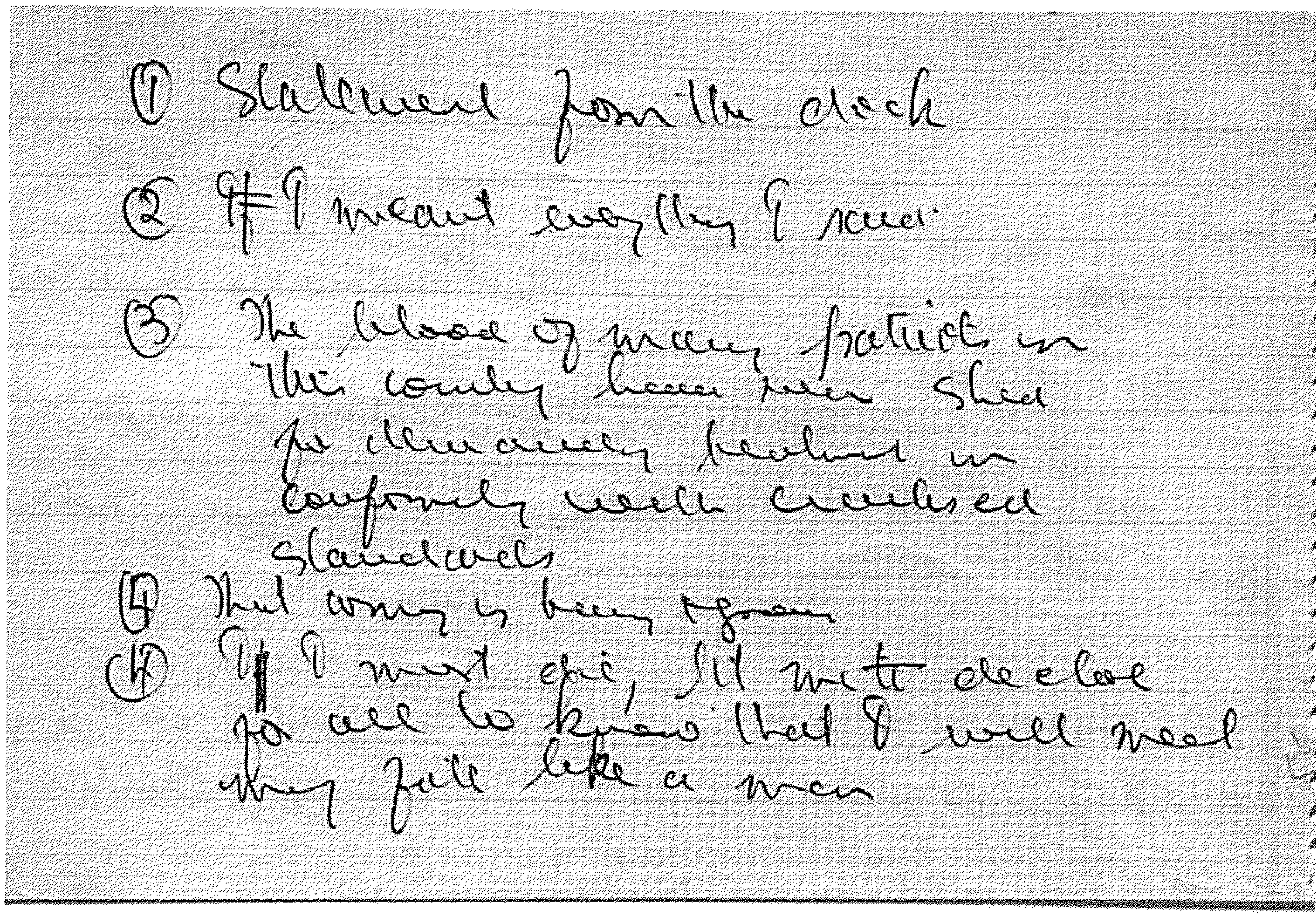
مانديلا: صحيح.

١٢- من ختام خطابه في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٦٤ من قلب قفص الاتهام في محاكمة ريفونيا

كرّست نفسي في خلال مسيرة حياتي لصراع الشعب الأفريقي هذا. حاربت ضد سيطرة البيض، وضد سيطرة السود. لقد أكبرت فكرة الحصول على مجتمع ديموقراطي حر يعيش فيه جميع الناس معاً بتناغم وعدالة، متمتعين بفرص متساوية. إنه هدف آمل أن أعيش لأجله وأحققه. لكن إن لزم الأمر، أعده غاية أنا مستعد للموت لأجلها.

١٣- من حديث مع أحمد كاثرادا عن احتمال صدور الحكم بالإعدام

ناقشنا الأمر، وقلنا إنه من الضروري أن نفكر، ليس من ناحية أنفسنا فحسب، ونحن الذين كنا في هذا الوضع، لكن من جهة الصراع برمته. علينا أن نختفي تحت غيمة من المجد، علينا أن نرد القتال. هذه هي الخدمة التي في مقدورنا تقديمها إلى منظمتنا وشعبنا. وبالطبع، حينما تكون وحدك في الزنزانة تفكر أيضاً في نفسك



(1) Statement from the dock
(2) If I meant everything I said
(3) The blood of many patriots in this country have been shed for demanding treatment in conformity with civilised standards
(4) That army is beginning to grow
(4) If I must die, let me declare for all to know that I will meet my fate like a man

خمس نقاط كتبها مانديلا تمهيداً لخطابه الذي ألقاه من قفص الاتهام في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٦٤ في محاكمة ريفونيا، حيث كان يواجه هو وزملاؤه المحاكمون حكماً بالإعدام، وهي كالآتي:

١- عرض للقضية من قفص الاتهام.
٢- قصدتُ كل ما قلته.
٣- لقد سُفك دم العديد من الوطنيين في هذا البلد لمطالبتهم بمعاملة تتفق مع المعايير المتحضرة.
٤- الجيش بدأ ينمو.
٥- إن وجب علي الموت فدعوني أعلن أمام الجميع أنني سأواجه حتفي كرجل.

وفي احتمال أنك لا تستطيع العيش. وهذا ليس إلا شعوراً إنسانياً. لكن بشكل عام، اتخذنا هذا القرار، وقد أسعدنا أيضاً بأن هذه هي الخدمة الأخيرة التي بوسعنا تقديمها إلى شعبنا ومنظمتنا.

١٤- حديث مع أحمد كاثرادا عن يوم صدور الحكم في محاكمة ريفونيا

كاثرادا: انزعجت لدى اكتشافي في ذاك اليوم الأول أن ويني (مانديلا) لا تستطيع الحضور. احتاجت بسبب قرار منعها من الحضور إلى جوهانسبورغ، إلى إذن

من الشرطة للمجيء إلى المحكمة. قدمتْ طلباً وقوبل بالرفض. وعلمت في الوقت ذاته بتعرض منزلنا في الآونة الأخيرة آنذاك للإغارة، واحتجاز الشرطة شاباً نسيباً لويني كان يبيت هناك. لم تكن ويني الزوجة الأولى التي تتعرض للمضايقة. هناك ألبرتينا سيسولو وكارولين (موتسوليدا) وغيرهما[1]. أراد الناشرون أن يعرفوا ما ورد في الصفحة ٩٣ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»: هل كنت تخشى خطراً على سلامة أولادك؟

مانديلا: أجل، بالطبع، هذا أمر طبيعي. لمَ عساهم أن يطرحوا حتى مثل هذا السؤال؟

١٥- *من رسالة إلى سيفتون فوتيلا في ٢٨ تموز/يوليو ١٩٦٩* [2]

لكوننا رفاقاً منضبطين ومتفانين، نقاتل من أجل قضية محقة، علينا أن نكون مستعدين لتسلم أي مهمات قد يكلفنا إياها التاريخ مهما كان الثمن الذي سندفعه غالياً. كان هذا المبدأ الذي اهتدينا به على امتداد مسيراتنا السياسية، وحتى في خلال المراحل المختلفة للمحاكمة. لكن علي أن أعترف بأنه من ناحيتي الشخصية، لم يثر تهديد الموت فيّ أي رغبة في أداء دور الشهيد. كنت مستعداً للقيام بذلك إن اضطررت.

لكن التوق إلى العيش كان دوماً يتباطأ. والألفة تولد فعلاً الازدراء حتى ليد الموت البشعة. تواصلت المرحلة الحرجة بضع ساعات فقط، وكنت رجلاً قلقاً ومنهكاً حينما خلدت إلى النوم يوم سماعي بخبر ريفونيا. لكن حينما استيقظت في الصباح، كان الأسوأ قد انتهى، وكنت قد استجمعت بعض الشيء ما يكفي من القوة وحتى الشجاعة لأستوعب أنه في حال لم يكن ثمة شيء آخر لأفعله لدفع القضية

(١) كارولين موتسوليدا. زوجة إلياس (موكوني) موتسوليدا. لمعرفة المزيد عن إلياس (موكوني) موتسوليدا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) سيفتون سيفيوو فوتيلا، متزوج بأخت ويني نانسي ماديكيزيلا.

التي نجلّها كلنا إلى الأمام، فالنتيجة المخيفة التي تهددنا قد تخدم هدفاً مفيداً في مسائل كبرى. عمل هذا الاعتقاد على تغذية وإعادة دعم موارد قدراتي الهزيلة على التجلد حتى آخر يوم من المحاكمة.

كنت معززاً باقتناع بأن قضيتنا كانت محقة، وبالدعم الواسع الذي تلقيناه من هيئات وأفراد نافذين من الجانبين. لكن جميع أصوات الأبواق وصيحات التهليل التي أطلقناها نحن ومن يتمنى لنا الخير في خلال المحاكمة، كانت لتصبح عديمة الجدوى لو أن الشجاعة خانتنا في اللحظة الحاسمة.

١٦- حديث مع أحمد كاثرادا عن أفكارهم قبل صدور الحكم في محاكمة ريفونيا

مانديلا: بالطبع يسهل القول إنني لم أبد اهتماماً، لكننا توقعنا صدور حكم بالإعدام. في الواقع، في الصباح وقبل تلاوة القاضي حكمه، لأنه وجدنا أصلاً مذنبين، تذكر أنه بدا متوتراً، وقلنا نحن: «من الواضح جداً أنه سيحكم بالإعدام...».

كاثرادا: هذا صحيح.

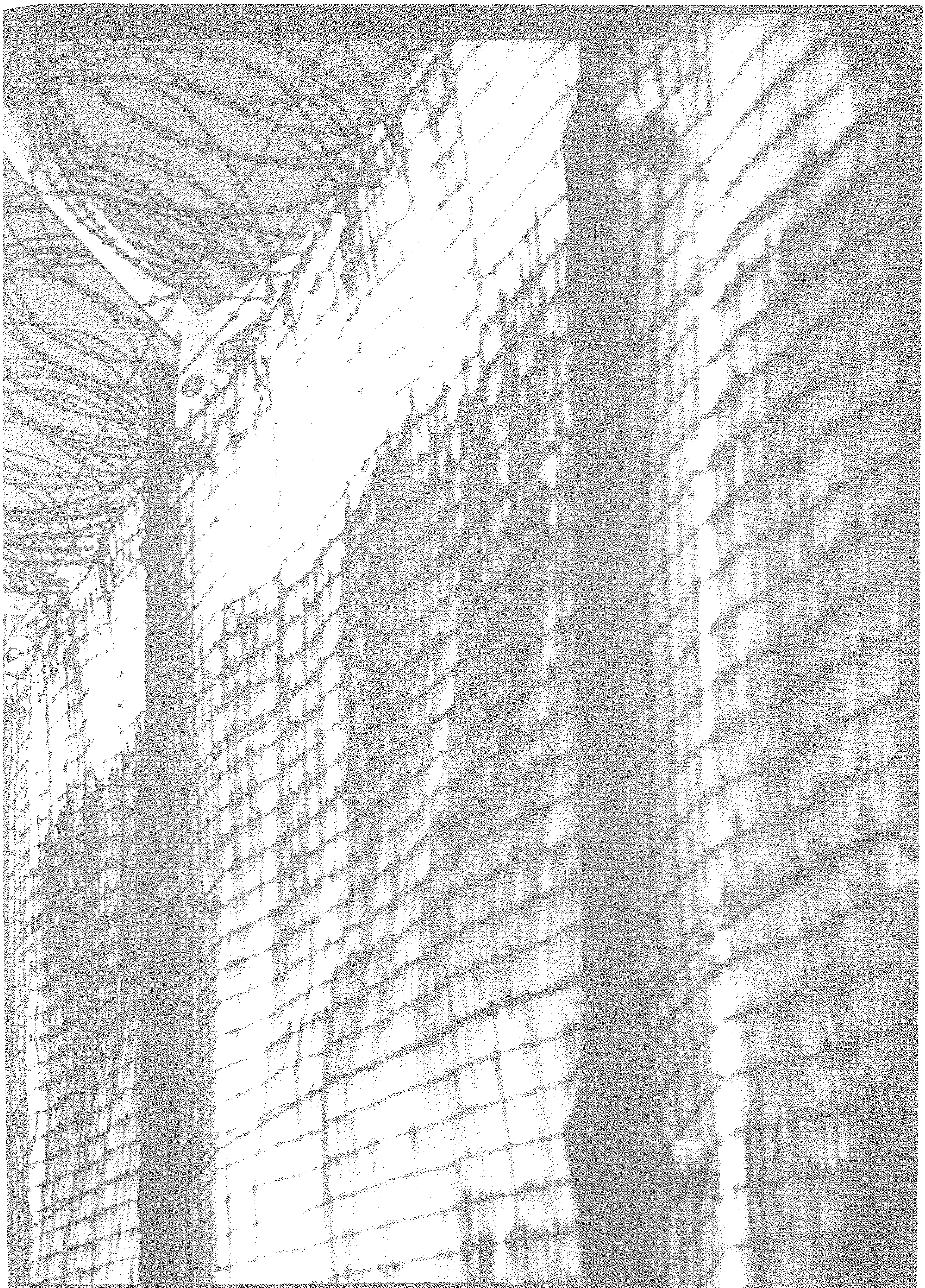
مانديلا: كنا نتوقع صدور حكم بالإعدام وهيّأنا أنفسنا لسماعه. لكن بالطبع هي تجربة خطيرة جداً أن يلتفتَ إليك أحدهم ليقول لك: «حانت الآن نهاية حياتك». وقد كانت مسألة مقلقة لكننا برغم ذلك لن نقوّي أنفسنا من أجل هذا الحدث برغم كونه مأسوياً.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: وقد كنتُ مع زملاء شجعان، بدوا أكثر شجاعة مني. أود أن أذكر هذا الأمر.

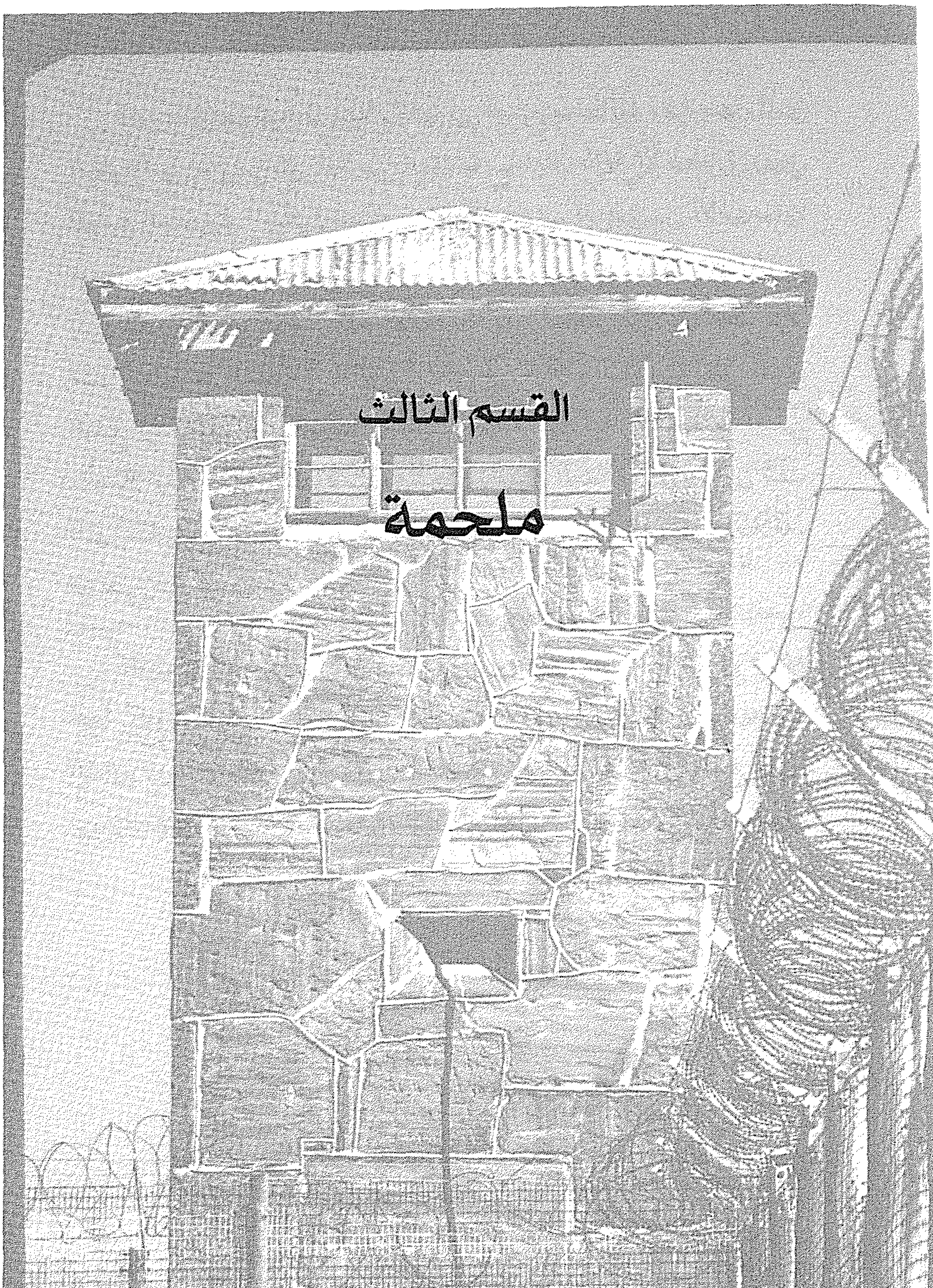
كاثرادا: حسناً. أعتقد أنه بهذا الكلام ينتهي أقله هذا الفصل.

مانديلا: جيد.



القسم الثالث

ملحمة

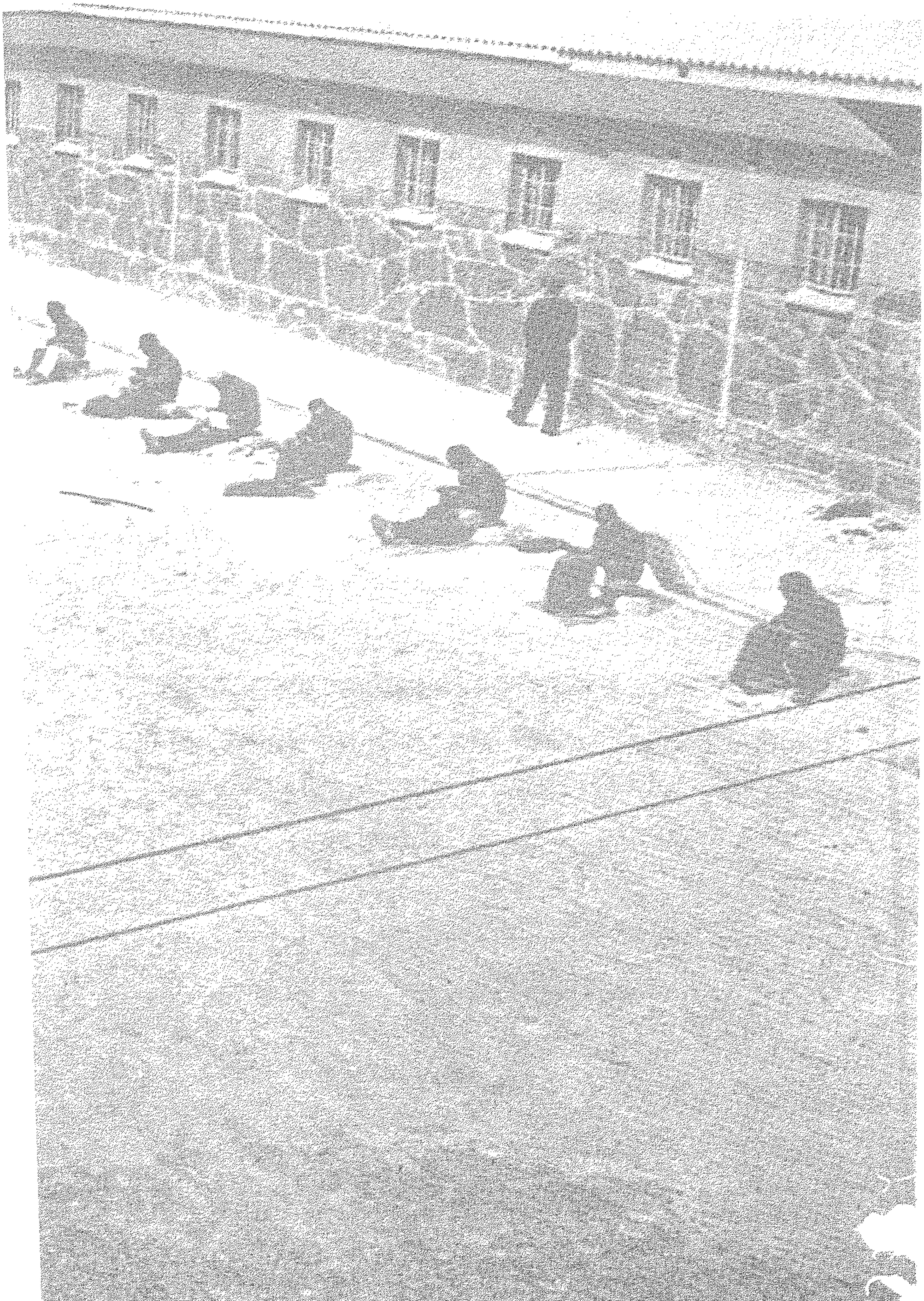


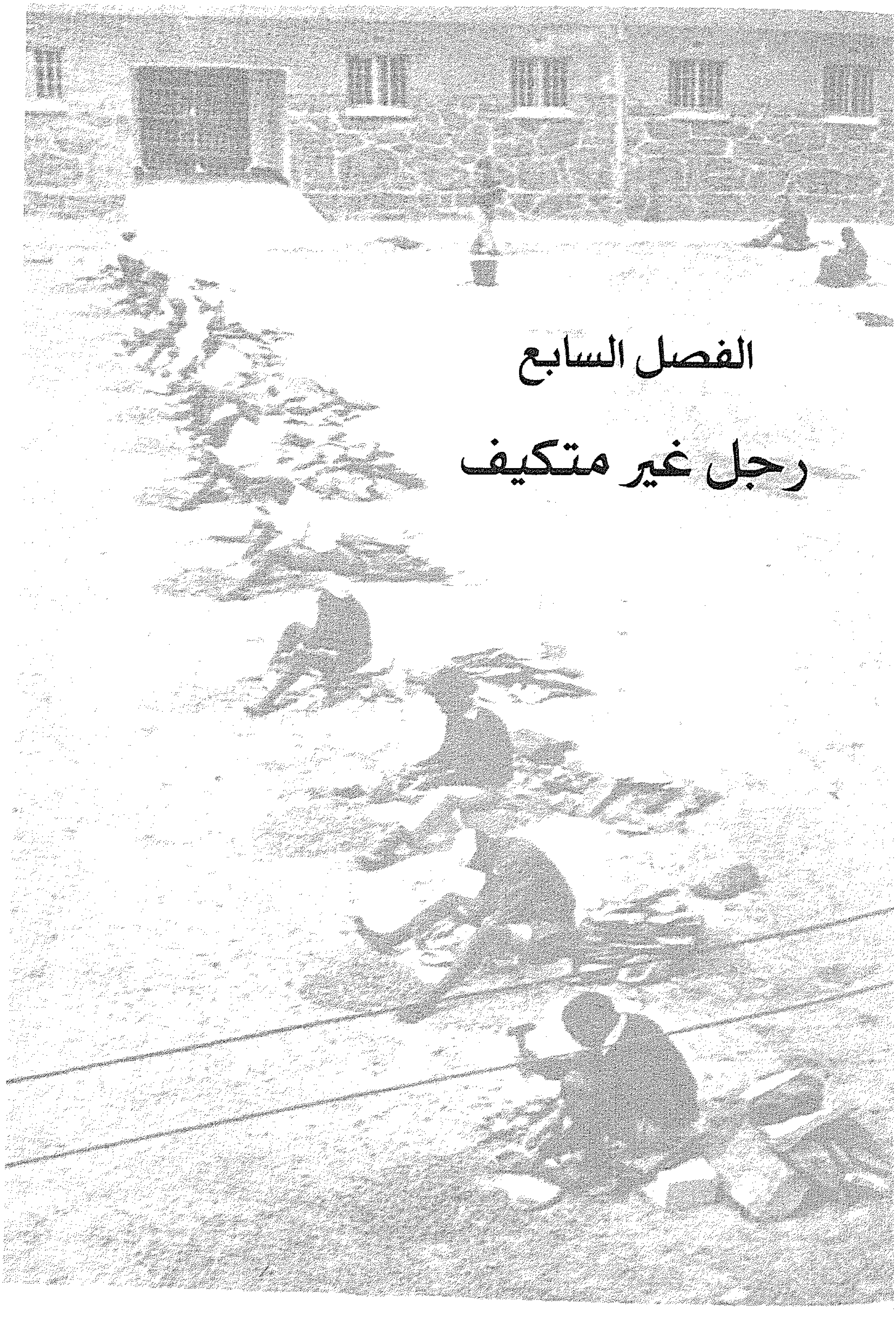
تبدو حياة نيلسون مانديلا، كلها في جميع محطاتها ومراحلها، لدى النظر إليها من مرحلة الحاضر المؤاتية، حاملة طاقة الأسطورة ووزن القصة الملحمية. حيكت قصته في قصة جنوب أفريقيا من الاستعمار، مروراً بحقبة التمييز العنصري، إلى الديموقراطية. هذا المشوار الطويل إلى الحرية الذي قطعته هذه الأمة، ما كان ليخطر في بال أحد لولا مشوار مانديلا الشخصي الطويل. لكن في خلال السنوات التي تفوق السبع والعشرين من سجنه، أخذت حياته صفاتها الملحمية. أمسى مانديلا رمزاً دولياً للنضالات من أجل تحقيق العدالة. كان بدون شك أشهر سجين في العالم. كان سجيناً جاهزاً في العام ١٩٩٠، لدى إطلاقه، ليمضي في مرحلة عالمية.

كانت الظروف في سجن جزيرة روبن في السنوات الأولى صعبة جداً. كان الطعام سيئاً، والعمل شاقاً، وفصول الصيف حارة، وفصول الشتاء قارسة البرودة، والحراس قساة. في البداية، لم يكن يُسمح سوى برسالة مقتضبة واحدة وزيارة قصيرة مرّة كل ستة أشهر. كانت المعاناة

الجسدية بالغة، والألم النفسي أسوأ. وكان ضيق أفق السلطات لا يرحم، والعازل الزجاجي في غرفة الزوار أمراً بشعاً، والمراقبة عدوانية. وكانت كل رسالة موجهة إلى عزيز ما، تُكتب مع العلم بأن شخصاً ثالثاً هو الحارس، سيقرأها أيضاً.

على مر السنوات، كيّف مانديلا نفسه مع الظروف، في حين قامت سلطات السجن بتكييفاتها الخاصة (تحت ضغط السجناء السياسيين الذين حاربوا نظام السجن بدون هوادة في سياق مسائل مبدئية). ازدادت امتيازات مانديلا وقدرته على اكتساب نفوذ لنفسه مع السلطات بعد انتقاله إلى سجن بولزمور العام ١٩٨٢، خصوصاً بعد أن تولى المحادثات حول التفاوض مع نظام التمييز العنصري العام ١٩٨٥، حينما انتقل إلى سجن فيكتور فيرستر في كانون الأول ١٩٨٨، حيث سكن في منزل فسيح من طبقة واحدة خاصة به، فأصبح في مقدوره أن يقابل أي شخص يريده أو يتواصل معه. وأحياناً كان يؤخذ في رحلات إلى خارج السجن: أحياناً إلى اجتماعات عالية المستوى، ومرّات لمجرد التفرج على المناظر. كان حينئذ قد أصبح رئيساً موعوداً.





الفصل السابع

رجل غير متكيف

التقيتك أنا وزامي في الحفلة في الليلة ذاتها، لكن سرعان ما ذهبت. وبعد بضعة أيام، ودعت زامي والأولاد، والآن بت مواطناً بين الأمواج.

مقطع مقتبس من رسالة إلى أمينة كاشاليا في ٨ نيسان/أبريل ١٩٦٩، راجعوا ص ١٥٧.

١- من رسالة إلى آرتشي غوميد في ٨ تموز/يوليو ١٩٨٥ (١)

أودُّ لفت نظرك في النهاية إلى رسالة وردت في صحيفة جوهانسبورغ اليومية التي تكلمت على حالة تسعة رجال حكمت عليهم الملكة فيكتوريا بالإعدام بتهمة الخيانة. ونتيجة الاحتجاجات التي أُثيرت في جميع أرجاء العالم، تم نفيهم. وعلمت الملكة بعد ذلك بسنوات أن أحدهم قد انتخب رئيساً لوزراء أستراليا، وعُيّن الثاني عميداً في الجيش الأميركي، وأصبح الثالث نائباً عاماً في أستراليا، وخلف الرابع الثالث نائباً عاماً، وأصبح الخامس وزير زراعة في كندا، والسادس عميداً في الولايات المتحدة، وعُيّن السابع حاكماً عاماً لمونتانا، وصار الثامن سياسياً بارزاً في نيويورك، وعُيّن الأخير حاكماً عاماً لنيوفاوندلاند.

٢- من رسالة إلى أمينة كاشاليا في ٨ نيسان/أبريل ١٩٦٩، حول يوم انتهاء المحاكمة بتهمة الخيانة(٢)

التقيتك أنا وزامي في الحفلة في الليلة ذاتها، لكن سرعان ما ذهبت. وبعد بضعة أيام، ودعت زامي والأولاد، والآن بت مواطناً بين الأمواج.

لم يكن قراراً يسهل اتخاذه. كنت أعلم مقدار الصعوبة والتعاسة والإذلال الذي من شأنه أن يعرضهم لها غيابي. أمضيت ساعات مؤلمة في التفكير فيهم ولم أشك يوماً في شجاعة زامي وعزمها. لكن ثمة أوقاتاً كنت أخشى فيها، حتى تلقي رسائل

(١) آرتشيبالد غوميد (١٩١٤-٨٨). محام وناشط في مناهضة التمييز العنصري. عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية. مشارك في تأسيس الجبهة الديموقراطية المتحدة ورئيس لها.

(٢) أمينة كاشاليا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

منها، لأنها في كل مرة تأتي لزيارتي، أرى بأم عيني الحمل الثقيل الذي يرهق صحتها، والناجم عن الأحداث المضطربة التي وقعت في السنوات الثماني الأخيرة.

٣- من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن حول أول مرة أُرسل فيها إلى سجن جزيرة روبن[١]

ذات ليلة، قرابة نهاية شهر أيار/مايو من العام ١٩٦٣ أُمرت بتوضيب أغراضي الشخصية. وجدت في مكتب الاستقبال ثلاثة سجناء سياسيين آخرين. علمت من الكولونيل أوكامب، الذي كان حينئذ الضابط المسؤول عن سجن بريتوريا المحلي، أننا سننقل إلى سجن جزيرة روبن. أكره نقلي من سجن إلى آخر. فهذا يسبب الكثير من الإزعاج والمعاملة المهينة. حيث تكبل يدا المرء، وأحياناً يغل، وغالباً ما يشمل الانكشاف أمام مسؤولي السجن وأفراد الشعب عند كل وقفة في السجون المختلفة في الطريق، حيث يكون المرء مرتدياً ملابس السجن المهينة. لكني تحمست لفكرة رؤية جزيرة روبن، وهي المكان الذي سمعت عنه في طفولتي؛ مكان قال فيه شعبنا إنه منفى (في الجزيرة). اشتهرت الجزيرة بين عداد شعب القوسا بعدما نُفي ماكانا المعروف أيضاً بـ«نزيل»، ثم نفي قائد جيش القوسا في ما يسمى بحرب القوسا الرابعة، وقد غرق بعدها عند محاولته الهرب من الجزيرة عبر السباحة إلى البر الرئيسي[٢]. كان موته ضربة محزنة أحبطت آمال شعب القوسا، وحيكت ذكرى هذه الضربة في أمثال الناس التي تتحدث عن «أمل بائس» بعبارة «أوكوزا كوكا نزيل». لم يكن ماكانا أول بطل أسود ينفى ويسجن على جزيرة روبن. حصل على ذاك الشرف أيضاً أوتشومايو المعروف لدى المؤرخين البيض بـ«هاري» الستراندلوبي. نفي أوتشومايو من قبل (جان) فان ريبيك إلى جزيرة روبن قرابة نهاية الحرب العام ١٦٥٨ التي دارت بين الكوا كوا والهولنديين. وما زاده أوتشومايو شرفاً، أنه كان

(١) سُجن مانديلا على جزيرة روبن مرتين. الأولى لأسبوعين العام ١٩٦٣ بينما كان يقضي عقوبة سجن لـ٥ سنوات بسبب التحريض على الإضراب ومغادرة البلاد بدون جواز سفر.

(٢) يشير مانديلا إلى حرب القوسا الخامسة، ١٨١٨-١٩.

أيضاً الشخص الأول والوحيد الذي أفلح في الهروب من الجزيرة. فقد أفلح بعد عدة محاولات في الهرب بقارب قديم مليء بالفجوات، وكان يعد غير صالح البتة للملاحة. ففي أوقات مختلفة وجد العديد من الوطنيين والمقاتلين من أجل الحرية، أنفسهم سجناء على جزيرة روبن. أبطال مثل الزعيم ماكوما، الذي كان قائداً في ما يسمى حرب القوسا الخامسة العام ١٨٣٤[١]، ولانغاليباليل، زعيم هلوبي الذي دانته محكمة خاصة بتهمة الخيانة العظمى في ناتال العام ١٨٧٣، والشيخ عبد الرحمن مناتورا، وهو منفيّ سياسي من جافا، كلهم يشكلون جزءاً من تاريخ الجزيرة[٢]. مثلما أعطى المستعمرون البرتغاليون لجزيرة فرناندو بو مكانة فريدة في التاريخ عبر سجن الكثير من الوطنيين الأفارقة، ومثلما احتجز البريطانيون الوطنيين الهنود على جزر أندامان، ومثلما احتجز الفرنسيون بن بيلا على جزيرة (إي)[٣]، كذلك قرر حكام جنوب أفريقيا وجوب عيش جزيرة روبن في ذاكرة شعبنا. فهذه الجزيرة، التي كانت سابقاً مستعمرة منبوذة، والقلعة البحرية في إبان الحرب العالمية الثانية التي حرست مدخل مرفأ كايب تاون، عبارة عن مرتفع صغير من الحجارة الكلسية، جرداء تذروها الرياح، ومعرضة لتيار بحر بينغيلا البارد الذي يسرد تاريخها سنوات سجن شعبنا. دياري الجديدة.

٤- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن حول إعادة إرساله إلى سجن بريتوريا*

لم أقوَ قط على التحقق من سبب إعادة نقلي إلى سجن بريتوريا بعد أسبوعين فقط من نقلي إلى جزيرة روبن. لكنني أعرف أن إدارة السجون أصدرت بياناً صحافياً تدعي فيه أنني نُقلت من أجل سلامتي الخاصة، لأن سجناء الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (باك) الموجودين على الجزيرة ينوون الاعتداء علي. وقد كان ذلك حجة

(١) يشير مانديلا إلى حرب القوسا السادسة، ١٨٣٤-٣٦.

(٢) الشيخ عبد الرحمن مانتورا. رجل دين مسلم سُجن على جزيرة روبن في القرن الثامن عشر.

(٣) أحمد بن بيلا (١٩١٨)، رئيس الجزائر، ١٩٦٣-٦٥.

واهية لأن المجموعة الوحيدة من سجناء هذه الهيئة الذين تواصلت معها على الجزيرة، كانت مؤلفة من ابن أخي وأصدقائه الذين كنت متفقاً جداً معهم. وأقنعتني الاجتماعات التالية مع مختلف أعضاء الهيئة، بأن السلطات لفقت هذه القصة ربما لحجب أسبابها الحقيقية، وربما كجزء من خطة متعمَّدة لتوليد العداء بين أعضاء هذه الهيئة وأعضاء الهيئة الأفريقية الوطنية، وخلف الكراهية بينهم داخل السجن وخارجه على السواء. لم يكن للنقل أي صلة بكل تأكيد إذ أدنت لاحقاً في محاكمة ريفونيا، لأن الاعتقال الذي أدى في النهاية إلى هذه القضية حدث في ١١ تموز/يوليو ١٩٦٣، أي بعد شهر تقريباً من نقلي من الجزيرة.

٥- *حديث مع أحمد كاثرادا عن حرّاس السجن*

كاثرادا: إذاً، أنت تقول، «كان الحراس بدون استثناء من البيض والناطقين بلغة جنوب أفريقيا». وهذا ليس دقيقاً تماماً.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: لأنه كان يوجد ساثربي.

مانديلا: صحيح.

كاثرادا: وكان يوجد مان، وبعض الناطقين باللغة الإنكليزية.

مانديلا: أجل في الأغلب.

كاثرادا: معظمهم أفارقة أجل. وثمة مسألة المناداة بكلمة «باس»[1].

مانديلا: (يضحك) في وسعك تذكر ساثربي ذاك؟

كاثرادا: أجل.

(١) تحت نظام التمييز العنصري، كان يُتوقع من الجنوب أفارقة مناداة الرجال البيض بلفظة «باس» وهي لفظة جنوب أفريقية تعني الزعيم.

مانديلا: كان له بطن كبير. صحيح؟

كاثرادا: أجل، ساثربي.

مانديلا: ماذا كان يقول؟

كاثرادا: حينما قام (أندرو) ملانجيني بلكزه في بطنه، كان يقول...[١]

مانديلا: (يضحك).

كاثرادا: أيها الكابتن أنّى لك هذا البطن الكبير؟

مانديلا: يا للهول!

كاثرادا: ألا تذكر؟ أجل، ملانجيني.

مانديلا: أجل، أظنني أذكر ذلك.

كاثرادا: (يضحك) أجل.

مانديلا: لكنه قال لي شيئاً. وقد كان سريع البديهة جداً. لا أذكر ما قاله الآن، لكن كان يظنني أبالغ في تقدير نفسي. إلا أنه كان تعليقاً ماكراً جداً، وحاداً جداً.

كاثرادا: أجل. لا، لا، ثمة ما يرجع إلى ذهني.

مانديلا: لا أذكر، لا أذكر.

كاثرادا: أنا أيضاً لا أذكر. لكن برغم أنه أُمرنا بالمناداة بلفظة «باس»، إلا أننا لم نفعل قطّ.

(١) أندرو موكيت ملانجيني، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: أجل.

٦- حديث مع أحمد كاثرادا عن الحاجة إلى نظارات شمسية في جزيرة روبن

كاثرادا: حينما تكلمت عن النظارات الشمسية في المقلع، حتى حينما أُعطينا الإذن، اضطررنا إلى شراء النظارات الشمسية[١].

مانديلا: أجل.

كاثرادا: لم يوفروها لنا.

مانديلا: أجل، أجل، لقد وفروا لنا نظارات رخيصة لا أتذكر. كانت...

كاثرادا: بدون فائدة تُرجى.

٧- حديث مع أحمد كاثرادا عن العمل في المقلع

كاثرادا: تحدثت عن وقت الغداء في المقلع، وقلت إننا كنا نجلس على الأرض. لم نكن نفعل. بل كانت توجد كما تذكر، حجارة، وكنا نضع عليها قطع الخشب.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: كنا نجلس عليها.

مانديلا: هذا صحيح، هذا صحيح.

كاثرادا: إذاً، لم نكن نجلس على الأرض.

مانديلا: أجل، أجل.

---

(١) كان السجناء يُجبرون على العمل في مقلع حجارة كلسية في جزيرة روبن، فتضررت عيون الكثير من السجناء، ومن بينهم مانديلا جراء أشعة الشمس القوية التي تنعكس على الحجارة البيضاء.

كاثرادا: ثم في الصفحة ٤٩ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»، هل صحيح أن المشكلة الحالية التي تعانيها في عينيك لها علاقة بالحجارة الكلسية؟

مانديلا: لا، هذا ما قاله ذاك الاختصاصي...

اسمه أمويلز، وهو اختصاصي بارز اعتنى بعينيّ السيدة مارغريت ثاتشر.

وقد منحته جامعة هارفرد جائزة. لا، لقد فحصني بعناية شديدة، ويقول إن ثمة ثقوباً في عينيّ ناجمة عن المقلع، مقلع الكلس. كما يعالج أيضاً ستيف تشويت[1]. يقول إنه يعاني مشكلة عينيّ ذاتها.

كاثرادا: حقاً؟

مانديلا: أجل. يقول إنها حالة ناجمة عن النظر إلى الرمال الناصعة اللون، وما إلى هنالك.

كاثرادا: لا بد لنا من إضافة هذه المعلومة.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: إنه أمر هام.

مانديلا: أجل، هذا ما قاله.

كاثرادا: لأننا حاولنا أن نخلق منها أزمة.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: وهؤلاء الأطباء صرفوا النظر عنها.

(١) ستيف تشويت راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: أجل.

٨- حديث مع أحمد كاثرادا عن المجرمين المدينين وفق القوانين العامة على جزيرة روبن

كاثرادا: حينما تتكلم على جلب المجرمين إلى جزيرة روبن، لقد جلبوا أيضاً إلى هناك لتعليمنا كيفية العمل.

مانديلا: يجدر بنا أيضاً ألا نرمز إليهم بالمجرمين.

كاثرادا: أجل أعلم. إننا نقول عنهم إنهم «غير» مجرمين. أعني متهمين وفق القوانين العامة.

مانديلا: مساجين القوانين العامة.

كاثرادا: لقد جُلب مساجين القوانين العامة إلى المقلع لتعليمنا أيضاً. هل تذكر ذاك البدين؟

مانديلا: أجل، أذكره.

كاثرادا: وذاك الرجل الآخر المسمى تيغا الذي كان يقص شعرنا بين الفينة والأخرى.

مانديلا: أجل، أجل.

كاثرادا: لقد جلب بعض منهم للتجسس علينا.

مانديلا: (يضحك) هذا جلي.

كاثرادا: وكذلك، لتعليمنا كيفية العمل.

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: حاولوا الشرح لنا باستخدام المعول والرفش حتى نعمل بجهد أكبر.

٩- حديث مع أحمد كاثرادا عن سارق المصرف

كاثرادا: في الصفحة ٥١ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»: «كان ثمة سارق مصرف بيننا، يدعى جو ماي بايبي».

مانديلا: أجل كنيته سيلاباني... لا أعلم إن كان الاسم الذي كان يُطلق عليه في مجال الملاكمة. حتى لو كان سارق مصرف، أظن أنه لا ينبغي لنا ذكر ذلك.

لأنه يقوم بعمل مسؤول.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: كان أحد أفضل رفاقنا.

كاثرادا: كان طيباً جداً، أجل.

مانديلا: طيب جداً.

كاثرادا: كان بوبيز وهو، أتذكر؟

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: بوبيز وهو.

مانديلا: أجل، أجل.

كاثرادا: قررا معاً أن أحدهما سيكون المسؤول عن السجناء السياسيين، حيث

كان يهرّب إلينا الأغراض. ويهتم بوبيز بسجناء القوانين العامة الذين قَدِموا لقضاء عقوبة السجن الانفرادي المسمى «ثلاث وجبات»[1].

مانديلا: أجل.

كاثرادا: وكانا يهرّبان الطعام.

مانديلا: أجل، أجل.

كاثرادا: إلى الأشخاص الذين يخضعون للعقوبات.

مانديلا: صحيح.

كاثرادا: لكنهما كانا رجلين طيبين جداً.

مانديلا: أجل، كانا رجلين طيبين جداً.

كاثرادا: كان بوبيز الخبير في سرقة السيارات.

مانديلا: أعتقد ذلك، أجل.

كاثرادا: بالطبع، كان يبيع الهنود أغراضاً ممنوعة.

(يضحكان).

كان يطلعني على أسماء الهنود، وبت أعرفهم جميعاً.

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: كان بوبيز يمدهم بالأغراض.

(١) «ثلاث وجبات» هي عقوبة يخضع لها السجين، حيث يوضع في السجن الانفرادي لمدة يوم واحد بدون تناول وجبات طعام.

مانديلا: كان رجلاً ممتازاً. وفاته أمر مؤسف.

كاثرادا: توفي؟

مانديلا: أجل، لقد تعرض لإطلاق نار.

كاثرادا: بوبيز؟

مانديلا: أجل.

بعد خروجه من السجن بوقت وجيز، أطلقوا النار عليه.

كاثرادا: فهمت.

مانديلا: في ميدولاندز.

كاثرادا: كان رجلاً ذكياً جداً.

مانديلا: متقد الذكاء.

كاثرادا: وشخصاً فصيحاً.

مانديلا: أجل.

١٠ - حديث مع ريتشارد ستينغل عن *الغناء في السجن*

ستينغل: كان الغناء ممنوعاً؟

مانديلا: أجل، أجل. في البداية كان ممنوعاً. كان يُمنع الغناء في أي مكان في السجن، خصوصاً في خلال العمل. كانوا يأخذوننا إلى المقلع لاستخراج الكلس. وهذه عملية صعبة جداً لأننا نستخدم المعول. والكلس موجود بين طبقات الصخور. نجد طبقة صخرية، علينا تكسيرها من أجل الوصول إليه. كانوا يرسلوننا إلى هناك

لأنهم أرادوا أن يبيّنوا لنا أن المجيء إلى السجن ليس بالأمر الهيّن. ليس نزهة، وعلينا ألا نجرؤ ثانية على العودة إلى السجن. أرادوا كسر معنوياتنا. لذا، كنا نقوم بإنشاد أغاني الحرية في خلال العمل، وكان ذلك يُلهم الجميع، فيساعدنا على مواصلة العمل بمعنويات عالية. كنا بالطبع نرقص على وقع الموسيقى في خلال أدائنا العمل؟ ثم لاحظت السلطات أن هؤلاء الشبان مناضلون بشكل مفرط ومعنوياتهم عالية، فقالوا: «ممنوع الغناء في خلال العمل». لذا، كنا نشعر بصعوبة العمل. وبالطبع كانت لديهم فقرة في القانون التأديبي تمنع الغناء، وقد طبقوها، وعلى الرغم من أننا كنا نصاع لأمرهم هذا، إلا أننا حينما كنا نرجع إلى الزنازين، وخصوصاً ليلتي الميلاد ورأس السنة، كنا ننظم حفلات غنائية ونغني. لذا، اعتادوا ذلك في نهاية المطاف.

١١- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن اغتيال رئيس الوزراء أتش أف فيروورد[1] في ٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٦

في الواقع لا تعد وفاة أي شخص، أو اغتياله بالأمر السار البتة. نفضل لو يقوم المجتمع بالتعبير عن عدم موافقته على سياساته بدون استخدام أساليب مثل الاغتيال، لأن هذا من شأنه أن يترك ندوباً نجد صعوبة بالغة في إزالتها لأجيال عديدة تالية. اليوم، في هذا البلد، في ما يتعلق بالحرب الأنكلو - بويرية التي نشبت بين عامي ١٨٩٩ و١٩٠٢، يُخيّل إلى المرء لدى الإصغاء إلى الأفارقة والناطقين باللغة الإنكليزية، أن الحرب لا تزال مشتعلة إلى يومنا هذا، وذلك بسبب ندوب الماضي. وحتى مجلس الوزراء الحالي، يتألف من الأفارقة بشكل كامل. ثمة إنكليزيان أو ثلاثة، لكن المجلس كله يتألف من الأفارقة، وهذا لأنهم فشلوا في استخدام الأساليب السلمية لحل مشاكلهم. وبرغم أن فيروورد كان أحد رؤساء الوزراء المعدومي الحساسية في هذا البلد، وعد الأفارقة كالحيوانات بل أسوأ من الحيوانات في الكثير من الحالات، لكن لم يشعر أي امرئ بالفرح لدى اغتياله. وأسوأ من ذلك

(١) د. هندريك فرينش فيروورد، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

هو طريقة رد سلطات السجن على مقتله، بدا كأننا نحن المسؤولون عن اغتياله. جلبوا الحارس فان رينسبورغ من سجن آخر، كان متوحشاً جداً. كان رجلاً غير لطيف البتة في تصرفاته. على سبيل المثال فقط، حينما كنا نعمل في المقلع، كان يقف في موقع معين. وحينما كان يشعر بالحاجة إلى البول، وإراحة نفسه، كان يبول حيث يقف تماماً، بدلاً من الابتعاد قليلاً ليبول بعيداً عنا. في الواقع قدمنا شكوى صارمة جداً ضده لأنه كان ذات يوم يقف إلى جوار طاولة نضع عليها طعامنا. وحينما شعر بالحاجة إلى البول بال حيث كان واقفاً، برغم أنه لم يبل على الطاولة ذاتها، بل قرب رجلها. قدمنا احتجاجاً قوياً في حقه. لم يكن رجلاً صاحب عادات نظيفة. وكان عديم الحساسية.

كانوا يقررون في الصباح قبل توجهنا إلى العمل، أن فلاناً وفلاناً يجدر معاقبتهما اليوم. وبمجرد أن يتخذوا هذا القرار، فلا يهم مقدار الجهد الذي يبذله المرء في العمل ذاك الصباح، ولا من مهرب له من العقاب عند نهاية ذلك اليوم.

١٢- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن التهم الملفقة في سجن جزيرة روبن*[(١)]

ستينغل: ألم تكونوا مضطرين إلى توكيل محامين؟

مانديلا: بلى، كنا نوكل المحامين لدى تعرضنا لهذه التهم كلها. لكن برغم ذلك، كانوا يدينوننا. كانوا يعزلوننا ويحرموننا من بعض الطعام، بعض الوجبات. كانوا يقدمون إلينا ماء الأرز فقط. أحياناً حينما تكون العقوبة طويلة، نصوم. لست واثقاً إذ كانت تطول يومين، ثم يعطوننا استراحة لتناول الطعام، وفي اليوم التالي نواصل الصوم، ثم في اليوم الخامس يعطونك الطعام من جديد.

ستينغل: كيف كنت تتحمل الجوع؟

(١) كان من عادة المسؤولين تلفيق التهم للسجناء حيث كان يوفر لهم ذلك العذر لمعاقبتهم.

مانديلا: إنه سهل نسبياً. تشعر به في اليوم الأول، لكن في اليوم الثاني تتعوده. وفي اليوم الثالث لا تشعر سوى بأنك لست حيوياً بقدر ما كنت عليه. لكنه أمر تتعوده. يملك الجسم البشري قدرة هائلة على التكيف، خصوصاً إن أمكنك تنسيق تفكيرك، وتكييف مقاربتك الروحية كاملة مع حاجاتك الجسدية. وإن كنت مقتنعاً بأنك على الصواب وتُظهر للسلطات أن في مقدورك الدفاع عن حقوقك ورد ضرباتهم، فعندئذ لا تشعر بالجوع مطلقاً.

١٣- من رسالة إلى وزير العدل في ٢٢ نيسان/أبريل ١٩٦٩

طلب إلي زملائي مراسلتك سائلاً إياك إطلاقنا من السجن وفي انتظار قرارك حيال هذه المسألة، نطلب منحنا معاملة السجناء السياسيين. في البداية نود الإشارة إلى أنه بتقديمنا هذا الطلب، لا نرجو منك الرحمة، ولكننا نمارس الحقوق الطبيعية لجميع الأشخاص المحتجزين بسبب معتقداتهم السياسية. قبل ديننا وسجننا، كنا أعضاء في منظمات سياسية معروفة قاومت الاضطهاد العرقي والسياسي، وطالبت بحقوق سياسية كاملة للأفارقة وأصحاب البشرات الملونة والهنود في هذه البلاد. لقد رفضنا تماماً، كما لا نزال نفعل، جميع أشكال هيمنة البيض، وتحديداً سياسة التنمية المنفصلة، وطالبنا بجنوب أفريقيا حرة خالية من جميع شرور الاضطهاد بسبب لون البشرة، وحيث يعيش جميع الجنوب أفريقيين، بغض النظر عن عرقهم ومعتقدهم معاً بسلام وتناغم على أساس المساواة. لقد أدنا جميعاً من دون استثناء وحُكم علينا بسبب نشاطنا السياسي الذي قمنا به كجزء من نضالنا من أجل الفوز لشعبنا بحق تقرير المصير، المعترف به في أرجاء العالم المتحضّر، كحق مشروع غير قابل للتحويل لكل البشر. استهلمنا هذه النشاطات من الرغبة في مقاومة السياسات العرقية والقوانين المجحفة التي تخرق مبدأ حقوق الإنسان والحريات الأساسية التي تمثل أساس الحكومة الديموقراطية.

في الماضي، عاملت حكومات جنوب أفريقيا الأشخاص المدينين بجنح من

هذا القبيل، كمجرمين سياسيين، وبعدها تم إخراجهم من السجن، وفي حالات كثيرة قبل انتهاء محكومياتهم بوقت طويل. ونلفت عنايتكم، في هذا الصدد، إلى قضيتين لجنرالين هما كريستيان دي ويت وجاي سي جي كيمب وغيرهما ممن اتُهموا بالخيانة العظمى بعد ثورة العام ١٩١٤. هذه القضية كانت من جميع النواحي أخطر من قضيتنا. تسلح ١٢ ألف ثائر، ووقع ما لا يقل عن ٣٢٢ ضحية. احتلت البلدات، ولحقت أضرار جسيمة بالمباني الحكومية في حين أصابت الممتلكات الخاصة أضرار قيل إنها وصلت إلى ٥٠٠ ألف رند. ارتكب أعمال العنف هذه رجال بيض تمتعوا بحقوق سياسية كاملة، وكانوا ينتمون إلى أحزاب كانت مشروعة، وكانت لديهم صحف، في مقدورها أن تنشر آراءهم. كانوا يتمكنون من التحرك بحرية في جميع أرجاء البلاد، مناصرةً لقضيتهم، وحشداً لدعم أفكارهم. لم يكن لديهم أي تبرير للجوء إلى العنف. حُكم على قائد ثوار «أورانج فري ستايت»، دي ويت، بالسجن ٦ سنوات، إضافة إلى دفع غرامة تبلغ ٤ آلاف رند. وتلقى كيمب حكماً بالسجن ٧ سنوات وغرامة تبلغ ألفي رند. وكانت أحكام الباقين أخف نسبياً.

وعلى الرغم من جنحهم الفادحة، أُطلق دي ويت بعد مرور ٦ أشهر من سجنه، والباقون خرجوا بعد سنة واحدة. وقعت هذه الحادثة قبل زهاء نصف قرن، إلا أن حكومة ذاك العهد أبدت في معاملتها هذه الفئة من السجناء تصلباً أقل مما يبدو أن الحكومة الحالية مستعدة لإبدائه بعد مرور ٥٤ سنة، مع السياسيين السود الذين يُبرّر لهم اللجوء إلى العنف أكثر من ثوار العام ١٩١٤. لقد واصلت هذه الحكومة ازدراء طموحاتنا، وقمع منظماتنا السياسية، وفرضت قيوداً صارمة على نشطاء معروفين وعمال ميدانيين.

كما سببت الأذى والتمزق للحياة العائلية، عبر زجها مئات من الأشخاص الأبرياء في السجون. لقد كان عهد إرهاب غير مسبوق في تاريخ البلاد، أغلقت

في خلاله جميع قنوات النضال المؤسساتي. في مثل هذا الوضع، يمسي اللجوء إلى العنف البديل المحتوم مشروعاً لدى المدافعين عن الحريات الذين يتحلون بشجاعة يستمدونها من اقتناعاتهم. لا يمكن أي رجل يتحلى باستقامة ومبادئ أن يفعل سوى ذلك. لو كتفنا أيدينا لكان الاستسلام لحكم حكومة أقلية خيانة لقضيتنا. تاريخ العالم عموماً، وتاريخ جنوب أفريقيا خصوصاً، يعلماننا أن اللجوء إلى العنف قد يكون في بعض الحالات مشروعاً تماماً.

في إطلاق الثوار بُعيد دينهم بوقت قصير، اعتراف من حكومة بوثا سماتس بهذا الواقع الهام. إننا نعتقد جازمين أن قضيتنا لا تختلف كثيراً. وعلى هذا الأساس نطلب إليكم أن توفروا لنا هذا الشرف. كما أشرنا أعلاه، فقد وقعت ٣٢٢ ضحية في الثورة. في المقابل، نلفت انتباهكم إلى أنه لدى ارتكاب أعمال التخريب اتخذنا تدابير خاصة تفادياً لوقوع خسائر في الأرواح، وهو واقع اعترف به علانية قاضي المحاكمة وجهة الادعاء في قضية ريفونيا.

يتبين لدى تفحص البرنامج الملحق أنه لو استخدمنا قضية دي ويت معياراً، لوجب الآن أن نكون جميعاً خارج السجن. من بين الأشخاص الثلاثة والعشرين المذكورة أسماؤهم، ثمة، ٨ محكوم عليهم بالسجن المؤبد، و١٠ يمضون أحكاماً تراوح بين ١٠ و٢٠ سنة، و٥ بين سنتين و١٠ سنوات. والطريقة الوحيدة لدرء الكارثة، تكون عبر عدم إبقاء الرجال الأبرياء في السجن، والتخلي عن تصرفاتك المستفزة، واتباع سياسات عقلانية وسليمة. إن وقوع حمّامات دم وأعمال عنف في هذا البلد أو عدمه، هو أمر يقع بالكامل على عاتق الحكومة. فمواصلة قمع طموحاتنا والاعتماد على الحكم بالإكراه، يدفعان شعبنا أكثر فأكثر إلى العنف. لا أنا ولا أنت يمكننا توقّع الثمن الذي ستضطر البلاد إلى دفعه بعد نهاية هذا الصراع. الحل الجلي هو إطلاقنا، وعقد طاولة حوار للتفكير في حل مقبول.

طلبنا الأساسي أن تطلقنا، وفي انتظار قرارك، أن تعاملنا كسجناء سياسيين. هذا يعني وجوب أن يتوافر لنا طعام صحي وملابس لائقة وأسرّة وفُرُش وصحف ومذياع ومسلاط سينمائي، وإمكان تواصل أفضل وأقرب مع عائلاتنا وأصدقائنا داخل البلاد وخارجها. تتضمن المعاملة كسجناء سياسيين الحرية للحصول على جميع مواد القراءة غير الممنوعة وتحرير كتب من أجل نشرها، ونتوقع أن نُمنح خيار العمل كما يحلو لنا، واختيار المهن التي يرغب المرء في تعلمها.

في هذا الوضع، لا تعد الحكومة السجن مؤسسة لإعادة التأهيل، وإنما وسيلة لإنزال العقاب، وليس لتهيئتها، كي نعيش حياة محترمة ومنتجة بعد خروجنا، لكن لمعاقبتنا وشلنا، حتى لا نتمتع من جديد بالقول والشجاعة لتحقيق أهدافنا. هذا هو عقابنا الذي نلناه جراء رفع أصواتنا ضد الاضطهاد العرقي. هذا هو التفسير الفعلي للمعاملة السيئة التي نتلقاها في السجن: العمل بالمعول والرفش المتواصل على مدى السنوات الخمس الماضية، طعام غير صحي، حرمان من المواد الثقافية الأساسية، وعزلنا عن العالم خارج السجن. هذا هو سبب حرمان السجناء السياسيين من الامتيازات التي تُمنح عادة للسجناء الآخرين، ومن بينهم أولئك المدينون بجرائم قتل واغتصاب وجرائم تتضمن الخداع. في النهاية، نود الإشارة إلى أن السنوات التي أمضيناها على هذه الجزيرة، كانت صعبة. كل واحد منا تقريباً نال نصيبه الكامل، بطريقة أو بأخرى، من المحن التي تواجه المساجين غير البيض. في بعض الأحيان نجمت هذه المحن عن اللامبالاة الرسمية لمشاكلنا، وفي أحيان أخرى عن الاضطهاد الصرف. لكن الأمور باتت أسهل نوعاً ما، ونأمل أن تأتي أيام أفضل. جل ما نود إضافته هو ثقتنا بأنك حينما تفكر في هذا الالتماس، أن تضع في بالك أن الأفكار التي تلهمنا والاقتناعات التي تعطي الشكل والاتجاه لنشاطاتنا، تمثّل الحل الوحيد لمشاكل بلادنا، وتتوافق مع المفاهيم المتنورة للعائلة البشرية.

١٤- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن الزج في زنزانة العزل(١)

وجود المرء وحده في السجن أمر عسير. لا يجدر بأحد تجربته بتاتاً. كانوا يقومون حينئذ بعزلي، من دون معاقبتي عبر حرماني من وجبات الطعام. ولكنهم حرصوا على ألا أرى وجه سجين. كنت أرى حارساً طوال الوقت، حتى طعامي كان يجلبه لي حارس. (يضحك).

كانوا يسمحون لي بالخروج مدة نصف ساعة صباحاً ونصف ساعة أخرى مساء، حينما يكون المساجين الآخرون داخل زنازينهم.

١٥- حديث مع ريتشارد ستينغل عن نظام الدلاء داخل السجن

مانديلا: نعم كان لديك دلو لغرفتك... لم يكن لدينا نظام صرف صحي يضخ المياه في كل زنزانة. في الزنازين الكبرى كان هناك نظام صرف صحي يضخ المياه ولكن في الزنازين الفردية نفسها لم يكن لدينا منها. كان لدينا دلاء نستخدمها ليلاً.

ستينغل: لا أذكر الشخص، ولكن ثمة شخص كان جديداً على الجزيرة وكان نيّقاً جداً، قال إنك ساعدته ذات مرة على تنظيف دلوه لأنه أبى القيام بذلك؟

مانديلا: في الواقع لا... كان هناك شاب وهو أحد أصدقائنا، عضو مدرَّب في (أمخونتو وي سويزي) كان يفترض أن يتوجه إلى كايب تاون وكانوا يغادرون في الصباح الباكر جداً وأحياناً في الساعة الخامسة قبل أن يفتحوا لنا الزنازين للذهاب وإفراغ مراحيضنا (دلائنا). عندئذ طلب إلى الشاب الموجود في الزنزانة المقابلة له القيام بذلك ثم غادر متوجهاً إلى المدينة. وقد كان بجواري. فذكرت هذا الشاب الموجود في الزنزانة المقابلة لزنزانته وقلت: «لقد طلب إليك فلان أن تنظف دلوه».

---

(١) يتكلم مانديلا عن وضعه في الحجز الانفرادي في سجن بريتوريا المحلي في خلال انتظار المحاكمة عام ١٩٦٢.

فرد علي قائلاً: «لا لست مستعداً للقيام بذلك. لن أقوم بذلك. لن أنظف دلو رجل آخر». لذلك نظفت الدلو بنفسي لأن الأمر لا يسبب مشكلة لي. كنت أنظف دلوه يومياً ولم أواجه أية مشكلة في تنظيف دلو شخص آخر. هذا ما جرى. فعلت ذلك فقط لمساعدة صديق خذله صديقه.

١٦- *من رسالة إلى فريدة ماثيوز في ٢٥ شباط/فبراير ١٩٨٧* (١)

نجد دوماً صعوبة جمة في وصف زيارة سجين. الروتين هو القانون الأعلى للسجن في جميع دول العالم تقريباً. وكل يوم يشبه اليوم الذي سبقه لأهداف عملانية: المحيط ذاته، الوجوه ذاتها، الحوار ذاته، والرائحة ذاتها، الجدران المرفوعة نحو السماء، والشعور الذي لا يبارحك بأن خارج بوابة السجن ثمة عالم مشوق لا تستطيع الوصول إليه. لدى تلقي زيارة من عزيز ما أو من الأصدقاء وحتى من الغرباء تكون دوماً حدثاً لا يُنسى. حيث تُكسر هذه الرتابة المحبطة ويدخل العالم بأسره بكل ما للكلمة من معنى إلى الزنزانة.

١٧- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن الزيارات في السجن*

ستينغل: كم كانت مدة الزيارات؟

مانديلا: في البداية نصف ساعة. كان عليك الانتظار مدة ستة أشهر للتكلم لنصف ساعة فقط. ثم مددوا الوقت، فأصبح ساعة، لكنهم جعلوا النصف ساعة حقاً لك، والنصف الثاني امتيازاً. وأمكنهم رفض إعطائك إياها لو شاؤوا. على سبيل المثال، حينما كنا نحظى بساعة زيارة، كانوا يخبرونك سابقاً: «سيزورك فلان». لكن ذات يوم، قالوا لي فقط: لديك زيارة. فسألتهم: «من الذي سيزورني؟»، فأجابوا:

(١) فريدة ماثيوز (كنيتها قبل الزواج بوكوي). متزوجة بالبروفيسور زكريا كيوديرلانغ (زد كاي) ماثيوز. من أجل معرفة المزيد عن البروفيسور زكريا كيوديرلانغ (زد كاي) ماثيوز، نرجو الاطلاع على قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

لا نعرف. ثم قلت: «إذاً، سل الضابط المسؤول، أريد رؤية الضابط المسؤول». فأتى وقلت له: لدي زيارة، وسألت الحراس عن هوية الزائر، فقالوا إنهم لا يعلمون. فقال: سأحقق في الأمر، وأرى من هو زائرك. ولم يعد قط، ثم أُخذت إلى كشك الزيارة بدون أن أعرف هوية الزائر. وفجأة، أتت البروفيسورة فاطمة مير. لم يرغبوا في إخباري، لأن فاطمة مير كانت مشتبهاً فيها ومدرجة على اللائحة السوداء، لائحتهم السوداء. ولم يرغبوا في إخباري قبل الزيارة، لكنهم أُجبَروا على السماح لها بالمجيء ومقابلتي. ظننتُ أن الزيارة ستدوم ساعة. لكن بعد نصف ساعة، قالوا: انتهت الزيارة. فقلت: لكن، يُفترض منحي ساعة من الوقت. فقالوا: لا، يحق لك نصف ساعة، ونصف الساعة الآخر استنسابي، متروك لتقديرنا نحن. انتهت الزيارة. وقد كانوا صارمين جداً، وفي منتهى الفظاظة. هكذا كان الوضع في البداية، لكن ظلت مدة الزيارة ساعة واحدة، ولم يطيلوها قط. لم تطل مدة الزيارة إلى أن ذهبت إلى سجن فيكتور فيرستر، حيث احتجزت في ظروف كنت فيها بين سجين وحر[1]. وُضعت في كوخ. وبقيت في هذا الكوخ وحدي. لم يُوصَد عليّ الباب، وأمكنني البقاء خارجه حتى منتصف الليل. وتم توفير حارس لإحضار الطعام لي، لكننا سنتطرق إلى هذا الأمر لاحقاً.

١٨- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

الرجل الذي يرقى إلى مركز بارز في أي دولة، يجب أن يتمتع بالوقار والشخصية القوية والاستقامة في حياته العامة. حتى مع الأخذ في الاعتبار جميع تلك المناورات التي وقعت خلف الكواليس وشد الحبال، والأموال الكافية لإدارة الحملات ولتوفير الدعم للأفراد النافذين والوكالات الدعائية، إلا أنني أعتقد أن رئيس الوزراء بي جاي فورستر، هو بكل جدارة رجل يستحق أعلى التقدير في ما يتعلق بالسياسات

(١) نُقل مانديلا إلى سجن فيكتور فيرستر العام ١٩٨٨، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

2.4.69

Darling,

I was taken completely by surprise to learn that you had been very unwell as I did not have even the slightest hint that you suffered from blackouts. I have known of your fast (?) bronchitis & pleurisy attacks. I am however happy to hear that the specialists have diagnosed the particular condition you suffer from & that the blackouts have now disappeared. I should like to be given details of the doctors' diagnosis. I am pleased to know that our family doctor has been wonderful as usual. I wish you speedy ~~recovery~~ & complete recovery Ngutyana & all that is best in life. "The Power of Positive Thinking" & "The Results of Positive Thinking", both written by the American psychologist, Dr Norman Vincent Peale, may be rewarding to read. The municipal library should stock them. I attach no importance to the metaphysical aspects of his arguments, but I consider his ~~theories~~ views on physical & psychological issues valuable. He makes the basic point that it is not so much the disability one suffers from that matters but one's attitude to it. The man who says: I will conquer this illness & live a happy life, is already half-way through to victory. Of the talents you possess the one that attracts me most is your courage & determination. This makes you stand head & shoulders above the average & will in the end, bring you the triumph of high achievement. Do consciously keep this constantly in mind.

Last Nov. I wrote to Chief Buthelezi, cousin of the late King Cyprian & asked him to convey our sympathies to the Royal family. I received an unlooking (?) reply plus a letter of condolence for Ma's death. The Dec. letters went to Maki & Kgatho; Jan. to Wonga, & in Feb. I wrote to Maki, & Zeni & Zindzi. Lily & Gibson should by now have received the March letters. Advise me whether they were all received. On 17/3 I wrote a special letter to Nikhetho (?) & am glad to note that the family rift has been settled. Sabata has not replied 2 letters I wrote him. The relative to whom funds could be sent was mentioned in Kgatho's letter. On 8/3 I was due for a visit that did not come off. Who was it? Why did he not come? Why funds have run out ~~for me~~ Have received the American journal. Have you had from Mary & Paul about Sweets & Maxwell. I hear that my brother Regie is experiencing difficulties with the kids & that Malome is ill. Can you elaborate? Fondest regards to our friends Messrs Maud.

[In Dec. 1966 I was obliged to ask you to warn Mamuchu (?). She paid no heed whatsoever & persisted in cultivating associations which have caused widespread indignation. This has deepened & hardened differences between herself & the Chief, differences which threaten frightful repercussions on domestic & wider questions. It is difficult to understand why she has chosen just this particular moment in history to pursue a course that

من رسالة إلى ويني مانديلا في ٢ نيسان/أبريل ١٩٦٩، راجعوا ص ١٧٨.

المحافظة للبيض[1]. نشاطاته الخيانية في خلال الحرب العالمية الثانية، وسجنه، جعلته رجلاً يتمتع بمعتقدات قوية، ومستعداً للدفاع عنها، حتى لو كان ضمن أقلية ولدفع ثمن هذا الدفاع عنها. في دولة جنوب أفريقيا الديموقراطية، حيث يتمتع جميع السكان بحقوق دستورية سيتوافر الكثير من الرجال الذين يفوقونه قوة من ناحية الشخصية والآراء. لكن بين عداد البيض، وفق الوضع الحالي، نراه يبرز بشكل واضح.

١٩- *من رسالة إلى ويني مانديلا في ٢ نيسان ١٩٦٩*

صورة عائلية أخيراً! - يا لها من تحفة! كغاثو الأخوات رائعين وقد فرحت كثيراً برؤية صورة الوالدة[2].

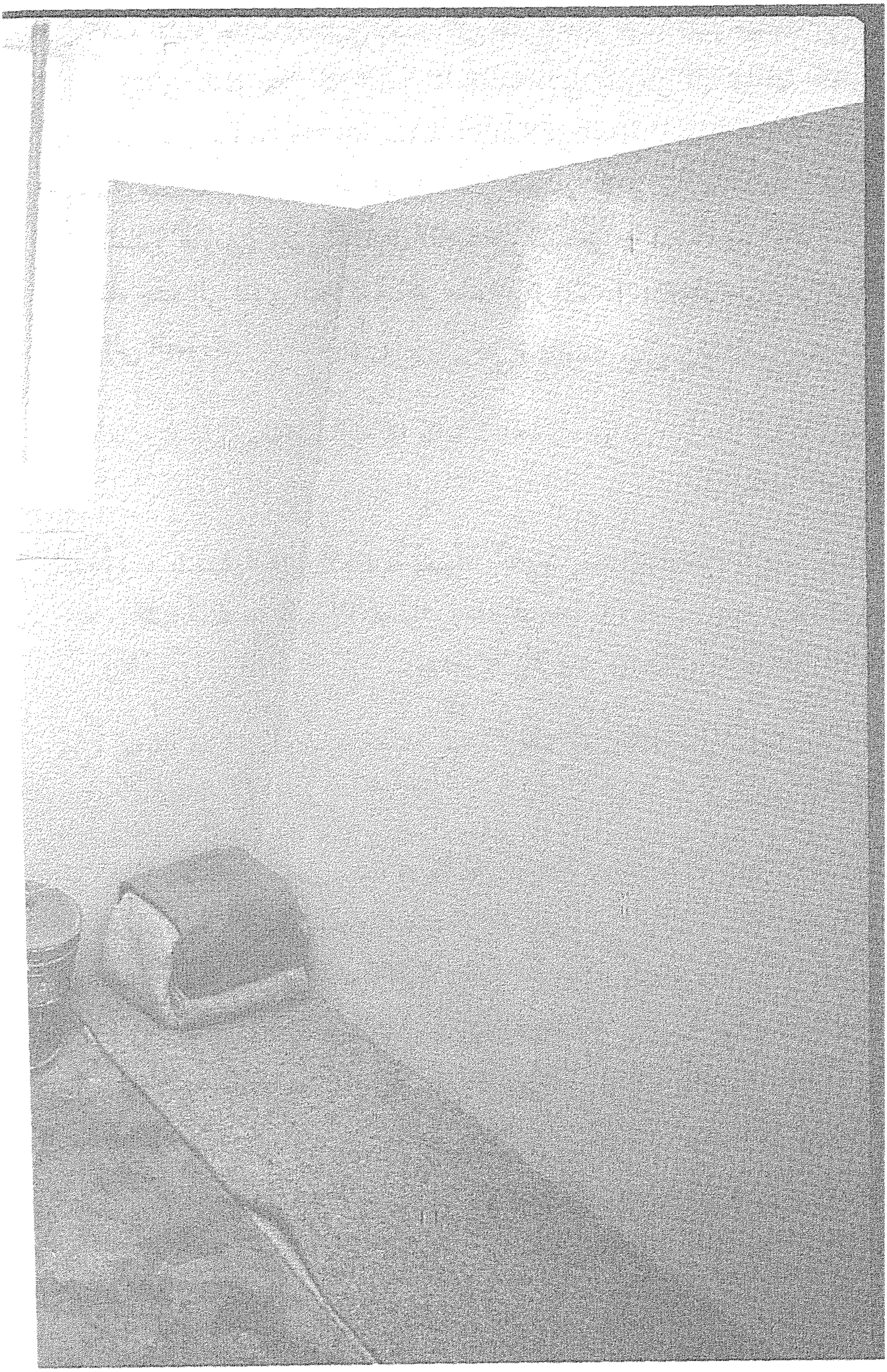
كادت صورتك الصغيرة تخلق ثوراناً. «أينغو نوباندلا لو!» أوليست هذه أختها الصغرى! مضى على ماديب فترة طويلة داخل السجن[3]، ولا يعرف أخت زوجته، كل هذه الملاحظات تنهال علي من كل الاتجاهات.

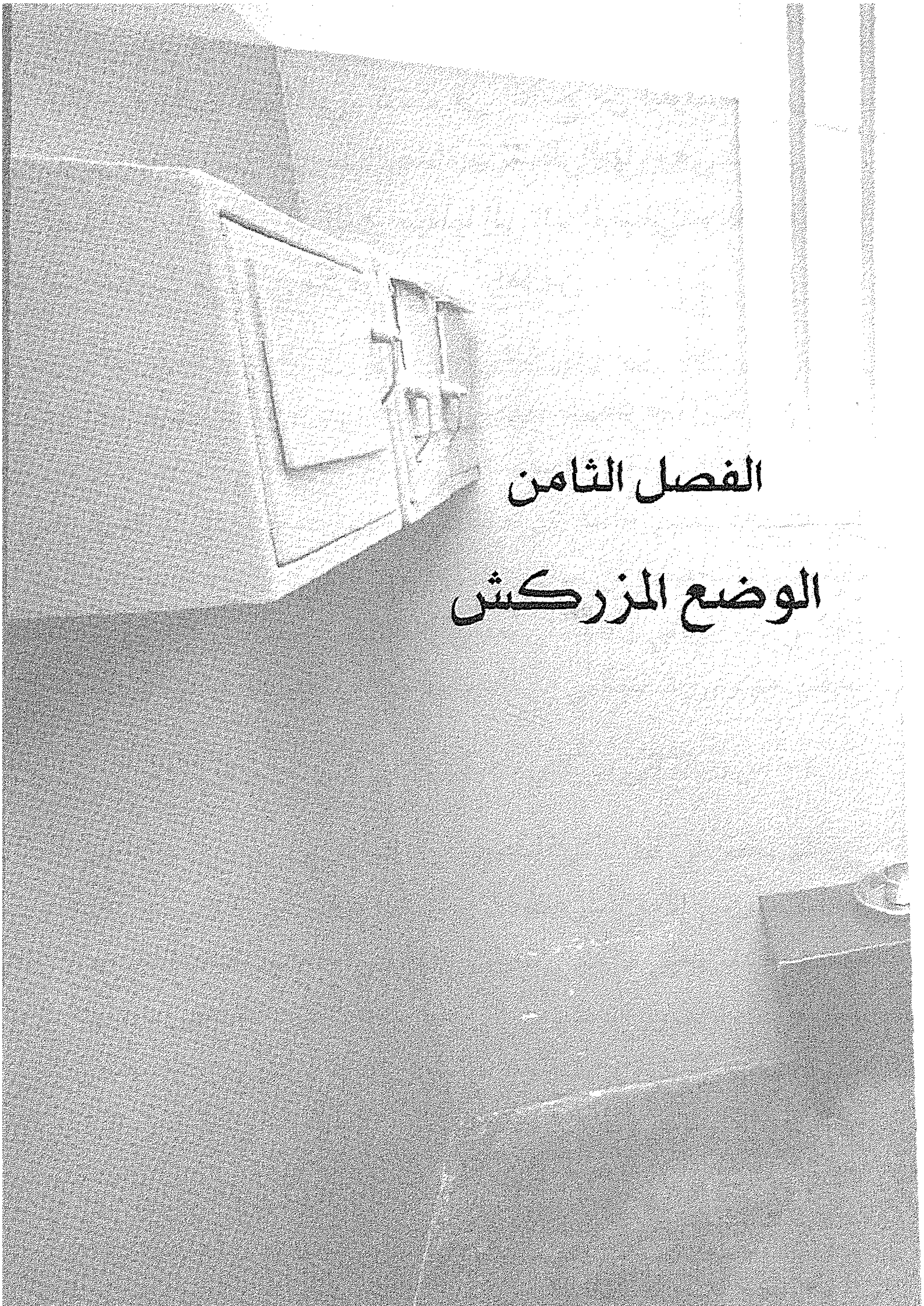
أثارت فيّ صورتك مشاعر مختلطة. تبدين حزينة نوعاً ما وشاردة الذهن وغير معافاة ولكن رائعة.

الصورة الكبيرة دراسة رائعة تظهر كل ما أعرفه فيك، الجمال والسحر المدمرين اللذين لم تغيرهما ١٠ سنوات عاصفة من الحياة الزوجية. أفترض أنك نويت من خلال الصورة أن تبعثي رسالة خاصة لا يمكن لأية كلمات أن تعبّر عنها. ثقي أنني فهمت الرسالة. جل ما أرغب في قوله الآن هو أن الصورة أثارت فيّ كل مشاعر الحنان وخففت من وطأة الحزن الذي يلف محيطي. زادت من شوقي إليك وإلى منزلنا الجميل والساكن.

(١) بالثازار جواهانس (بي جاي) فورستر، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) ماكغاثو (كغاثو) مانديلا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٣) ماديبا هو اسم مانديلا العشائري.

هذه الأيام جالت أفكاري بعيداً، إلى شارع هانز حيث تقفز صديقة إلى شاحنة زرقاء وتعتق نفسها من كل النذور المقدسة التي يفترض أن تقدمها خطيبة إلى خطيبها، وتسرع مباشرة باتجاه سيارة (أولدز) في الجهة المقابلة من الشارع بنذور جميلة ومطمئِنة بالقدر نفسه؛ المهارة التي جعلتها توفق بين دراستها المسائية في (تشانسيلور هاوس) وبين استقبال الأصدقاء القدامى واستضافتهم بمجرد أن يتجه أصدقاء جدد إلى نادي الملاكمة. كل هذه الذكريات ظلت تخطر على بالي فيما كنت أنظر إلى الصورة.





الفصل الثامن

الوضع المزركش

آخر مرة رأيت فيها أمي، كانت في التاسع من أيلول/سبتمبر السنة الفائتة. تمكنت بعد المقابلة من النظر إليها، وهي تمشي بعيداً عني إلى القارب الذي سيقلّها إلى البر الرئيسي. وبطريقة ما، خطرت في بالي فكرة أنني لن أراها من جديد.

من رسالة إلى كاي دي ماتانزيما، في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٨، راجعوا ص ١٨٣.

١- من رسالة إلى كاي دي ماتانزيما في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٨ حول وفاة والدة مانديلا[1]

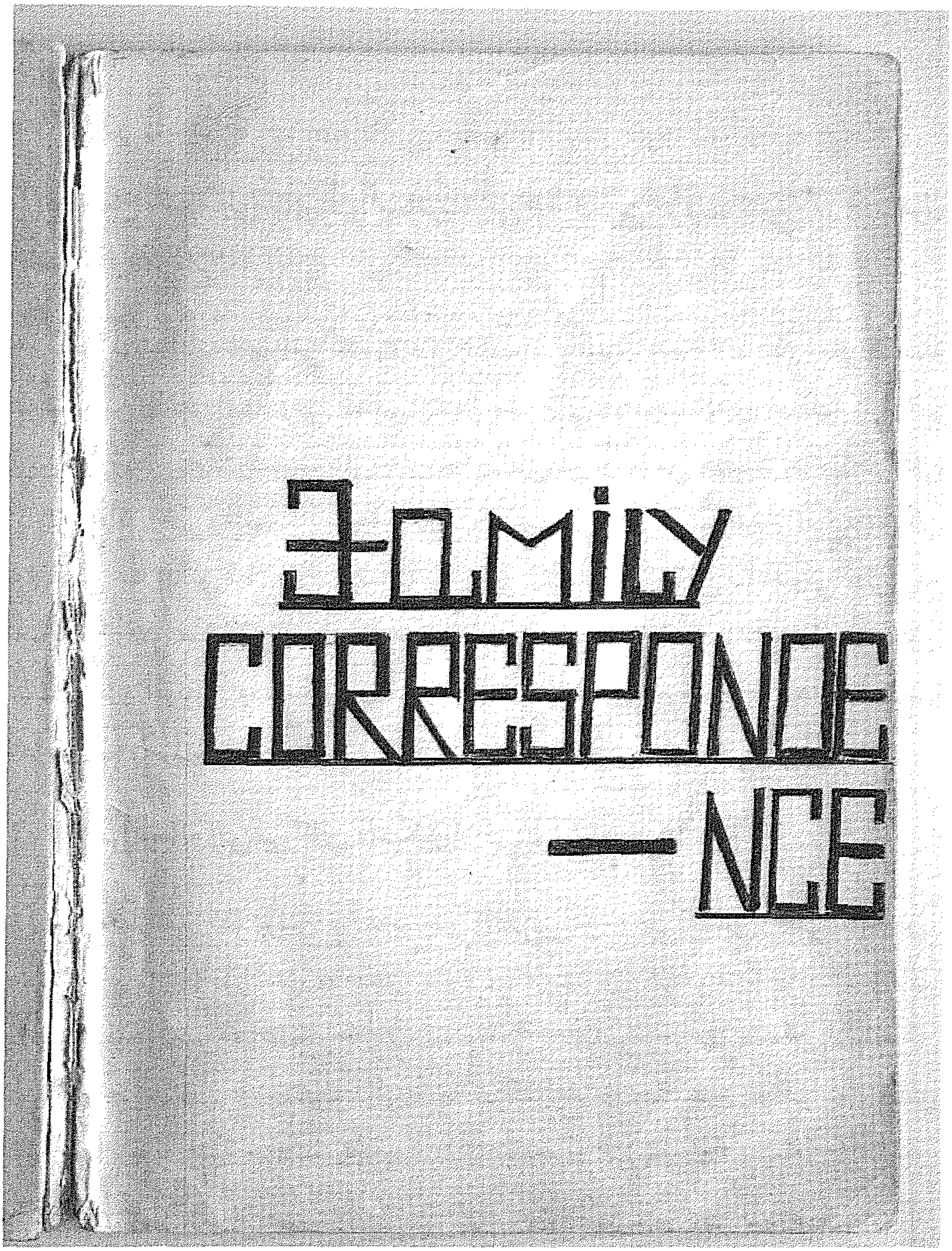
آخر مرة رأيت فيها أمي كانت في التاسع من أيلول السنة الفائتة. بعد المقابلة تمكنت من النظر إليها وهي تمشي بعيداً عني إلى القارب الذي سيقلها إلى البر الرئيسي. وبطريقة ما خطرت على بالي فكرة أنني لن أراها من جديد. لطالما شوقتني زياراتها فأتى خبر وفاتها كالصاعقة علي. شعرت على الفور بالوحدة والفراغ. ولكن أصدقائي هنا الذين لطالما كان تعاطفهم ومحبتهم مصدر قوة لي ساعدوني على رفع معنوياتي والتخفيف من حزني. وعزز التقرير حول الجنازة شجاعتي. سُررت لدى إعلامي بأن أقربائي وأصدقائي حضروا الجنازة بأعداد كبيرة ليكرموا هذه المناسبة بحضورهم وسررت لتمكني من احتسابك من بين الذين كانوا من المعزين.

٢- من رسالة إلى بي كاي ماديكيزيلا في ٤ أيار/مايو ١٩٦٩ [2]

لم يخطر لي قط بأنني سأعجز عن التمكن من دفن والدتي. على العكس، لطالما ساورني الأمل أنني سأحظى بشرف رعايتها في شيخوختها وأن أكون إلى جانبها حينما تحين ساعتها. حاولت أنا وزامي جاهدين إقناعها بالمجيء والعيش معنا في جوهانسبورغ، مشيرين إلى أنها ستكون قرب مستشفى باراغواناث الذي سيوفر لها رعاية طبية منتظمة ومناسبة، وأن الانتقال إلى (ريف) سيمكن زامي من رعايتها بشكل فاعل ودائم. ناقشت المسألة أكثر مع والدتي حينما زارتني في ٦-٣-٦٦ ومرة ثانية في ٩-٩-٦٧. ولكنها أمضت حياتها كلها في الريف وأصبحت مرتبطة

(١) والدة مانديلا، نوسيكيني فاني مانديلا، توفيت جراء نوبة قلبية في ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٨.

(٢) نوفيكيلا ماديكيزيلا، زوجة والد ويني.



رسائل العائلة، الصفحة الأولى لأحد سجلات رسائل مانديلا في السجن.

بسهوله وتلاله، وبشعبه الطيب وأساليبه البسيطة. رغم أنها أمضت بعض السنوات في جوهانسبورغ، وجدت صعوبة جمة في مغادرة الديار والابتعاد عن قبور العائلة. برغم أنني أقدر كثيراً أفكارها ومشاعرها، ظللت آمل أن أفلح في النهاية في إقناعها بالمجيء إلى جوهانسبورغ.

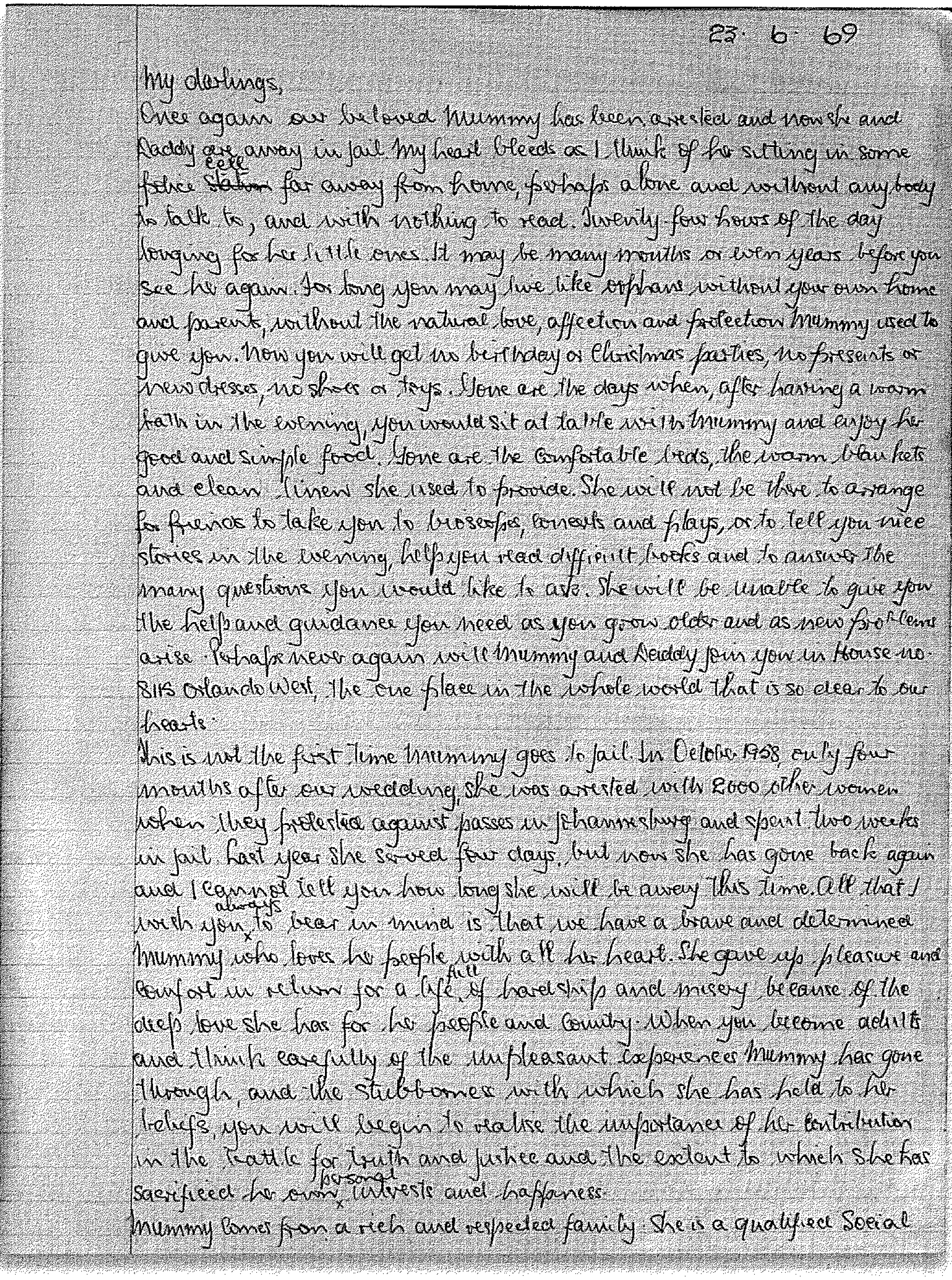
٣- *من رسالة إلى ابنتيه زيني وزيندزي مانديلا، اللتين كانتا في التاسعة والعاشرة، في ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٦٩*

من جديد اعتقلت والدتكما الحبيبة، والآن باتت هي ووالدكما في السجن. يعتصر قلبي ألماً حينما أفكر فيها جالسة في زنزانة للشرطة بعيداً عن المنزل، وربما وحدها وليس معها أحد تكلمه ولا شيء لتقرأه[1].

مشتاقة إلى صغيرتيها طوال ٢٤ ساعة من اليوم. قد تمر عدة شهور أو حتى سنوات قبل أن ترياها من جديد. قد تعيشان فترة طويلة كاليتيمتين من دون منزلكما ووالديكما، ومن دون الحب الطبيعي والعاطفة والحماية التي كنتما تستمدانها من والدتكما. اليوم لن تحتفلا بعيد مولدكما أو بعيد الميلاد، ولم يعد هناك هدايا أو أثواب جديدة، ولا أحذية أو دُمى. ذهبت الأيام التي كنتما تأخذان فيها حمّاماً دافئاً في المساء وتجلسان حول الطاولة مع والدتكما وتستمتعان بتناول طعامها اللذيذ والبسيط. ذهبت الأسرّة المريحة والأغطية الدافئة والشراشف النظيفة التي كانت توفرها لكما. لن تكون حاضرة كي ترتب لكما موعداً مع الأصدقاء ليأخذوكما إلى الحفلات والمسارح والسينما أو لتقص عليكما قصصاً جميلة في المساء، وتساعدكما على قراءة الكتب الصعبة وتجيب عن الأسئلة الكثيرة التي تودان طرحها. لن تتمكن من تقديم المساعدة والإرشاد اللذين تحتاجان إليهما وأنتما تكبران وفيما تطرأ مشاكل جديدة. ربما لن يستطيع كل من ماما وبابا الانضمام إليكما في المنزل ذي الرقم ٨١١٥ غرب أورلاندو، المكان العزيز على قلوبنا من بين كل الأمكنة في العالم.

---

(١) عام ١٩٦٩ احتجزت ويني ووُضعت في السجن الانفرادي مدة ١٧ شهراً.



23. 6. 69

My darlings,

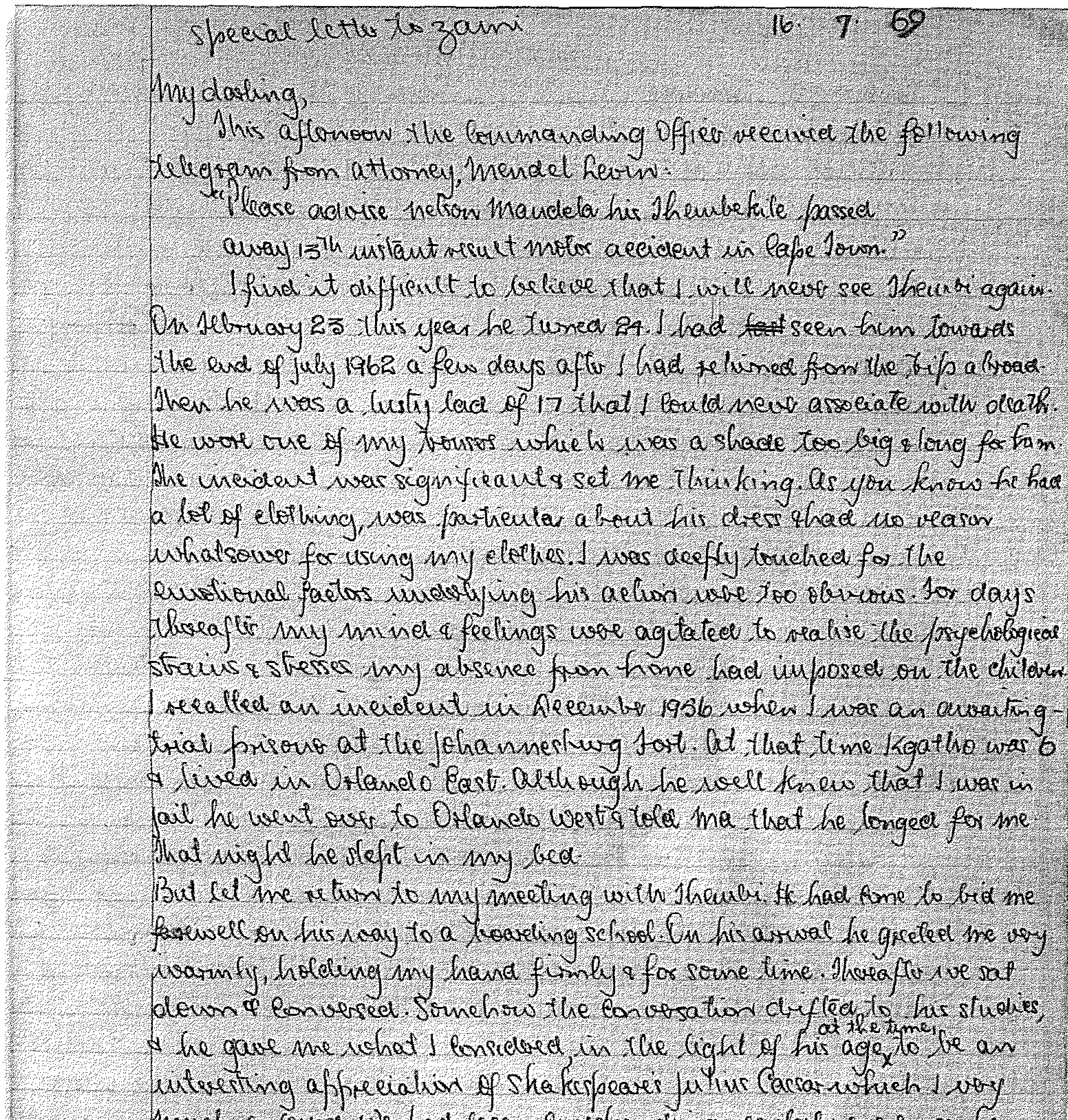
Once again our beloved Mummy has been arrested and now she and Daddy are away in jail. My heart bleeds as I think of her sitting in some police cell far away from home, perhaps alone and without anybody to talk to, and with nothing to read. Twenty-four hours of the day longing for her little ones. It may be many months or even years before you see her again. For long you may live like orphans without your own home and parents, without the natural love, affection and protection Mummy used to give you. Now you will get no birthday or Christmas parties, no presents or new dresses, no shoes or toys. Gone are the days when, after having a warm bath in the evening, you would sit at table with Mummy and enjoy her good and simple food. Gone are the comfortable beds, the warm blankets and clean linen she used to provide. She will not be there to arrange for friends to take you to bioscopes, concerts and plays, or to tell you nice stories in the evening, help you read difficult books and to answer the many questions you would like to ask. She will be unable to give you the help and guidance you need as you grow older and as new problems arise. Perhaps never again will Mummy and Daddy join you in House no. 8115 Orlando West, the one place in the whole world that is so dear to our hearts.

This is not the first time Mummy goes to jail. In October 1958, only four months after our wedding, she was arrested with 2000 other women when they protested against passes in Johannesburg and spent two weeks in jail. Last year she served four days, but now she has gone back again and I cannot tell you how long she will be away this time. All that I wish you always to bear in mind is that we have a brave and determined Mummy who loves her people with all her heart. She gave up pleasure and comfort in return for a life full of hardship and misery because of the deep love she has for her people and country. When you become adults and think carefully of the unpleasant experiences Mummy has gone through, and the stubbornness with which she has held to her beliefs, you will begin to realise the importance of her contribution in the battle for truth and justice and the extent to which she has sacrificed her own personal interests and happiness.

Mummy comes from a rich and respected family. She is a qualified Social

من رسالة إلى ابنتيه زيني وزيندزي مانديلا، في ٢٣ حزيران ١٩٦٩، راجعوا الصفحات ١٨٥, ١٨٦, ١٨٧.

هذه ليست المرة الأولى التي تدخل فيها والدتكما السجن. في تشرين الأول من العام ١٩٥٨ بعد ٤ أشهر فقط من زفافنا تم اعتقالها مع ألفي امرأة أخرى حينما اعترضن على التجاوزات في جوهانسبورغ وأمضت أسبوعين في السجن. في السنة الفائتة أمضت ٤ أيام في السجن ولكنها عادت إليه الآن ولا يسعني إخباركما بالمدة التي ستقضيها فيه هذه المرة. أريدكما أن تُبقيا في بالكما أن لديكما والدة شجاعة وعاقدة العزم تحب شعبها من صميم قلبها. مدتنا بالراحة والسعادة مقابل حياة ملأى بالمصاعب والتعاسة بسبب الحب العميق الذي تكنّه لشعبها وبلدها. حينما تكبران وتفكران بعناية في التجارب المريرة التي خاضتها والدتكما، وفي صلابة تمسكها بمعتقداتها، ستبدآن تدركان أهمية مساهمتها في معركة الحقيقة والعدالة ومدى تضحيتها بمصالحها وسعادتها الشخصية. منذئذ عاشت والدتكما حياة مؤلمة واضطرت إلى محاولة إدارة منزل يفتقر إلى مدخول ثابت. ومع ذلك أفلحت بطريقة ما في شراء الطعام واللباس لكما ودفع أقساطكما المدرسية وإيجار المنزل وإرسال المال لي بانتظام. غادرت المنزل في نيسان ١٩٦١ حينما كانت زيني في السنتين من عمرها وزيندزي عمرها ثلاثة أشهر. في بداية كانون الثاني من العام ١٩٦٢ جلت في أرجاء أفريقيا وزرت لندن مدة ١٠ أيام، وعدت إلى جنوب أفريقيا قرابة نهاية شهر تموز من السنة نفسها. اضطربت كثيراً حينما التقيت والدتكما. فقد تركتها بصحة جيدة حيث لم تكن لا شاحبة ولا نحيفة على الإطلاق. ولكنها فجأة خسرت الوزن وبات جسمها ظلاً لما كان عليه من قبل. أدركت على الفور الإجهاد الذي تسبب به غيابي عنها. تطلعت إلى قدوم وقت يمكنني فيه إخبارها برحلتي والبلدان التي زرتها والشعوب التي التقيتها. ولكن اعتقالي في الخامس من آب وضع نهاية لهذا الحلم. حينما اعتقلت والدتكما في العام ١٩٥٨ كنت أزورها يومياً وأجلب لها الطعام والفاكهة. أخبرتني (في خلال زيارة له في السجن عام ١٩٦٢) أنها على الرغم من احتمال تعرضها للاعتقال والزج في السجن، وهذا لا بد لكل سياسي يحارب من أجل الحرية أن يتوقع حدوثه، إلا أنها ستظل في البلاد وتعاني إلى جانب شعبها. هل تريان الآن مدى شجاعة والدتكما؟


Special letter to Zami 16.7.69

My darling,

This afternoon the Commanding Officer received the following telegram from attorney, Mendel Levin:

"Please advise Nelson Mandela his Thembekile passed away 13th instant result motor accident in Cape Town."

I find it difficult to believe that I will never see Thembi again. On February 23 this year he turned 24. I had ~~last~~ seen him towards the end of July 1962 a few days after I had returned from the trip abroad. Then he was a lusty lad of 17 that I could never associate with death. He wore one of my trousers which was a shade too big & long for him. The incident was significant & set me thinking. As you know he had a lot of clothing, was particular about his dress & had no reason whatsoever for using my clothes. I was deeply touched for the emotional factors underlying his action were too obvious. For days thereafter my mind & feelings were agitated to realise the psychological strains & stresses my absence from home had imposed on the children. I recalled an incident in December 1956 when I was an awaiting-trial prisoner at the Johannesburg Fort. At that time Kgatho was 6 & lived in Orlando East. Although he well knew that I was in jail he went over to Orlando West & told Ma that he longed for me. That night he slept in my bed.

But let me return to my meeting with Thembi. He had come to bid me farewell on his way to a boarding school. On his arrival he greeted me very warmly, holding my hand firmly & for some time. Thereafter we sat down & conversed. Somehow the conversation drifted to his studies, & he gave me what I considered, in the light of his age at the time, to be an interesting appreciation of Shakespeare's Julius Caesar which I very much enjoyed. We had been corresponding regularly ever since he went to school at Matatiele & when he later changed to Wodehouse. In December 1960 I travelled some distance by car to meet him. Throughout this period I regarded him as a child & I approached him mainly from this angle. But our conversation in July 1962 reminded me I was no longer speaking to a child but to one who was beginning to have a settled attitude in life. He had suddenly raised himself from a son to friend. I was indeed a bit sad when we ultimately parted. I

من رسالة إلى ويني مانديلا في ١٦ تموز ١٩٦٩ حول وفاة ابنه ثيمبي، راجعوا الصفحتين ١٨٩ – ١٩٠.

٤- من رسالة خاصة إلى ويني مانديلا في ١٦ تموز/يوليو ١٩٦٩ حول وفاة ابنه ثيمبي[1]

عصر هذا اليوم تلقى الضابط المسؤول برقية من المحامي، مندل ليفين:

أرجو إخطار نيلسون مانديلا بأن ابنه ثيمبيكيل توفي في الثالث عشر من الشهر الحالي جراء حادثة على الدراجة النارية في كايب تاون.

أجد صعوبة في التفكير بأنني لن أرى ثيمبي من جديد. في ٢٣ شباط/فبراير من هذه السنة بلغ الرابعة والعشرين من عمره. كنت قد رأيته قرابة نهاية شهر تموز من العام ١٩٦٢ بعد بضعة أيام من عودتي من رحلتي في الخارج. كان حينئذ شاباً مفعماً بالحيوية عمره ١٧ ربيعاً وما أمكنني أبداً أن أربط الموت به. كان يرتدي أحد سراويلي الذي كان طويلاً وكبيراً جداً عليه. كانت الحادثة بارزة وجعلتني أفكر. كما تعلمين لديه الكثير من الملابس، وكان دقيقاً فيما يتعلق بلباسه ولم يكن هناك سبب يدعوه لارتداء ملابسي. تأثرت كثيراً إذ إن العوامل العاطفية الكامنة تحت تصرفه هذا جلية جداً. لقد ظل عقلي ومشاعري طوال أيام في حالة اضطراب لإدراكي مقدار المشقة التي فرضها غيابي عن الديار على الأولاد. تذكرت حادثة في كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٥٦ حينما كنت سجيناً أنتظر المحاكمة في جوهانسبورغ فورت. في ذاك الوقت كان كغاثو في السادسة من عمره ويعيش في شرق أورلاندو. برغم أنه كان يدرك تماماً أنني في السجن إلا أنه توجه إلى غرب أورلاندو وأخبر والدتي أنه مشتاق إلي. وتلك الليلة نام في سريري.

ولكن دعيني أعد إلى لقائي مع ثيمبي. كان قد أتى لتوديعي في طريقه إلى المدرسة الداخلية. لدى وصوله ألقى علي التحية بحرارة شديدة وأمسك يدي بصلابة

(١) الرسالة الخاصة تكون حينما لا تُحتسب رسالة السجين من حصته. كان عادة يُعطى الإذن بإرسال رسالة خاصة بعد مناسبة وفاة أو في ما له علاقة بالدراسة.

مدة من الوقت. وبعدها جلسنا وتبادلنا الحديث. بطريقة ما مال الحديث إلى دراسته وقدم لي ما اعتبرته، على ضوء سنه في ذاك الوقت، شرحاً مثيراً للاهتمام لشخصية يوليوس قيصر الواردة في مسرحية شكسبير التي استمتعت بها كثيراً. كنا نتراسل بشكل منتظم مذ ارتاد المدرسة في ماتاتيلي، وحينما تركها في وقت لاحق والتحق بمدرسة وودهاوس. قطعت في كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٦٠ مسافة طويلة بالسيارة لرؤيته. نظرت إليه طوال هذه الفترة كطفل، وتعاملت معه بشكل أساسي من هذه الزاوية. لكن حديثنا في تموز/يوليو من العام ١٩٦٢، ذكرني بأنني ما عدت أكلم طفلاً، بل شخصاً بدأ يختار منحىً مستقراً في الحياة. لقد رفع نفسه فجأة من مستوى ابن إلى مستوى صديق. شعرت ببعض الحزن حينما افترقنا في نهاية اللقاء. لا يمكنني لا مرافقته إلى محطة الحافلات، ولا رؤيته يغادر المحطة، فكوني خارجاً على القانون، كما كنت عليه آنذاك، وجب علي أن أكون مستعداً للتخلي عن واجباتي الأبوية المهمة. لذا، قام ابني، لا! بل صديقي، بالخروج وحده ليعيل نفسه في عالم لا يسعني لقاؤه به سوى في السر وفي فترات متباعدة. أعلم بأنك اشتريت له الملابس، وأعطيته بعض المال، لكن برغم ذلك أفرغت جيوبي وأعطيته جميع النقود المعدنية التي يمكن هارباً يائساً الحصول عليها.

في خلال محاكمة ريفونيا، جلس ورائي ذات يوم. وظللت أنظر إلى الوراء وأهز له برأسي وأبتسم له ابتسامة عريضة. في ذاك الوقت، كان يسود الاعتقاد أننا سنُعطى بكل تأكيد أقصى العقوبات، وقد بدا ذلك بوضوح مكتوباً على وجهه. وبرغم أنه هز لي برأسه رداً علي عدة مرات، لكنه لم يرد إليَّ الابتسامة ولا مرة واحدة. لم يخطر لي قط أنني لن أراه من جديد. كان هذا قبل ٥ سنوات. لم أشتق إليك قط بقدر اشتياقي إليك الآن. من الجيد تذكر ذلك في هذا اليوم التعيس والمرير. يروي المؤلف بي جاي شومان قصة ضابط أفريقي أخذ جيشه المؤلف من محاربين سود رائعين إلى رحلة صيد. وفي خلال رحلة الصيد هذه، قتلت لبوة ابن الضابط الذي آذته بشكل بالغ. تم تعقيم الجرح برمح ساخن، وراح صاحب المقام الرفيع يتأوه ألماً عند معالجة

الجرح. وسأله لاحقاً شومان عن شعوره، فأجاب قائلاً: إن الجرح غير المرئي أكثر إيلاماً من ذاك المرئي. الآن فهمت ما يعنيه الضابط.

٥- *من رسالة إلى إفلين مانديلا في ١٦ تموز/يوليو ١٩٦٩ حول وفاة ثيمبي*

عصر هذا اليوم، أبلغني الضابط المسؤول وصول برقية من المحامي مندل ليفين من جوهانسبورغ، أشار فيها إلى وفاة ثيمبي في حادث دراجة نارية في كايب تاون في ١٣ من شهر تموز/يوليو.

أكتب إليك لأعبّر لك ولكغاثو وماكي[1] عن بالغ أسفي. أنا أكثر العالمين بمقدار قسوة هذه الضربة القوية عليكم، فثيمبي كان أول مولود لك والابن الثاني الذي تفقدينه. كما أعي تماماً مقدار الحب الكبير الذي كنت تكنينه له، والجهود التي بذلتها لتدريبه وتهيئته لأداء دوره في مجتمع صناعي معقد حديث. كما أعي أيضاً مقدار حب كغاثو وماكي، واحترامهما له، والأعياد والأوقات السعيدة التي أمضياها معه في كايب تاون.

أخبرتني ماكي في رسالتها التي كتبتها في تشرين الأول من العام ١٩٦٧، بأن ثيمبي ساعدك على شراء جميع حوائجهم. أخبرتني الراحلة أمي بحسن الضيافة الذي لقيته منه حينما زارتني في السجن في الجزيرة. وعلى امتداد السنوات الخمس الأخيرة وحتى شهر آذار/مارس من هذه السنة، سرد لي نوباندلا قصصاً مثيرة عن ارتباطه وإخلاصه للعائلة والاهتمام الشخصي الذي كان يبديه لجميع الأقرباء. رأيته لآخر مرة قبل ٥ سنوات في خلال محاكمة ريفونيا، ولطالما تشوقت إلى سماع هذه الأخبار، لأنها كانت القناة الأساسية التي تمكنني من سماع شيء عنه.

كانت الضربة شديدة الوقع عليّ أنا أيضاً. وإلى جانب عدم رؤيتي له منذ ٦٠

(١) ماكازيوي (ماكي) مانديلا، الابنة الثانية لزوجته الأولى إفلين. راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

شهراً على الأقل، لم أحظ بشرف منحه زفافاً لائقاً، ولا أن يوارى في الثرى حينما حانت منيته. وكتبت إليه في العام ١٩٦٧ رسالة طويلة ألفت انتباهه إلى بعض المسائل التي حسبت أن من مصلحته العناية بها بدون تأخير. تطلعت قدماً إلى تلقي مزيد من الرسائل منه، ولقائه وعائلته لدى عودتي. جميع هذه التوقعات قد تهشمت تماماً لأنه أُخذ منا باكراً في الرابعة والعشرين، ولن نراه ثانية. وما يعزّينا أنه كان لديه الكثير من الأصدقاء الطيبين الذين ينضمون إلينا في الحداد على رحيله عنا. لقد أتمّ جميع واجباته تجاهنا كوالدين، وترك لنا إرثاً يفخر به كل أب وأم: زوجته مولوكازانا الساحرة وطفلتين رائعتين(١).

من جديد، أقدم إليك وإلى كانغو وماكي، أحر تعازيّ، وأثق بأنك ستجمعين ما يكفي من القوة والشجاعة لتتخطي هذه المأساة المؤلمة.

٦- *من رسالة إلى الضابط المسؤول في سجن جزيرة روبن في ٢٢ تموز ١٩٦٩*

توفي ابني البكر ماديبا ثيمبيكيل، في الرابعة والعشرين من عمره، في كايب تاون في ١٣ تموز/يوليو ١٩٦٩، جراء إصابات تعرض لها في حادث دراجة نارية.

أود حضور الجنازة على كلفتي الخاصة، وأودّعه للمرة الأخيرة. لا أملك معلومات عن مكان دفنه، لكن أظن أنه سيتم إما في كايب تاون، جوهانسبورغ، وإما في أومتاتا. وسيسرني، في هذا الخصوص لو تعطونني الإذن للمضي في الحال مع مرافقة أو بدونها إلى المكان الذي سيرقد فيه جثمانه. إن كان قد دفن في الوقت الذي تتسلمون هذه الرسالة، فعندئذ سأطلب الإذن لزيارة قبره، بغية وضع الحجر، الاحتفالية التقليدية التي تُترك للأشخاص الذين يفوتهم الدفن الفعلي.

آمل أن تجد سبيلاً هذه المرة إلى مقاربة طلبي هذا بطريقة إنسانية أكثر مما

(١) زوجة ثيمبي، ثوكو وابنتان نديليكا ونانديي.

عاملت بها الطلب المماثل الذي قدمته قبل ١٠ أشهر في أيلول/سبتمبر ١٩٦٨، حين طلبت الإذن بالمغادرة لحضور جنازة والدتي. ستكون الموافقة على هذا الطلب كرماً بالغاً من جهتكم، وسيكون لها أبعد الأثر في نفسي. مثل هذه المبادرة الإنسانية كانت لتعمد إلى حد كبير، إلى تلطيف الضربة القاسية والخسارة المؤلمة لرجل مسجون فقد والدته، وكانت لتوفر لي فرصة أن أكون عند ضريحها. وأُعلمك بأنني رأيت ابني الراحل قبل أكثر من ٥ سنوات، ولك أن تقدّر كم أتوق إلى حضور الجنازة.

أود أخيراً الإشارة إلى أن السوابق توجد حينما تدرس الحكومات طلبات من هذا النوع.

٧- *من رسالة إلى نولوسافو أيرين مكوايي في ٢٩ أيلول/سبتمبر ١٩٦٩* [١]

قبل ١٠ أشهر من تقديم هذا الطب، قدمت طلباً مماثلاً حينما توفيت والدتي، برغم أن السلطات تبنت خطأً قاسياً في رفض ما عدته في ظل كل الظروف طلباً معقولاً، إلا أنني أملت هذه المرة أن تؤدي وفاة فردين من عائلتي، في خلال فرق زمني قصير، إلى موافقة السلطات على إعطائي الفرصة الوحيدة التي كنت أملكها في حياتي لأودع جثمان ابني ثيمبي... لكن بكل بساطة تم تجاهل طلبي، فلم يعطوني حتى إشعاراً بالتسلم. كما تم أيضاً رفض طلبي الحصول على نسخ من التقارير الصحافية حول الحادث المميت، وحتى هذه اللحظة لا أملك معلومات أصلية من أي نوع حول كيفية وفاة ثيمبي. لم أُحرم من فرصة ابني البكر، وصديقي للمرة الأخيرة، ومن كبرياء قلبي فحسب، بل بقيت غير ملمّ بكل ما يتعلق به، وبشؤونه.

٨- *من رسالة إلى أيرين بوثيليزي في ٣ آب/أغسطس ١٩٦٩* [٢]

أثّرت فيّ رسالة التعزية الموجودة في البرقية التي أرسلها رئيسي مانغوسوثو

---

(١) نولوسافو أيرين مكوايي، زوجة ويلتون زيماسيل مكوايي. من أجل معرفة المزيد عن ويلتون زيماسيل مكوايي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) أيرين بوثيليزي. زوجة مانغوسوثو، راجعوا الملاحظة الرقم ٩ في الأسفل.

(بوثيليزي)، نيابة عن العائلة، وتلقيتها في ١٨ تموز/يوليو (عيد مولدي). وأود منه أن يعلم بأنني قدّرت صنيعه هذا كثيراً[1]. السنتان ١٩٦٨ و١٩٦٩ كانتا عسيرتين وشاقتين عليّ. فقدتُ والدتي قبل ١٠ أشهر فحسب. في ١٢ أيار/مايو، تم احتجاز زوجتي بدون تحديد المدة الزمنية بموجب قانون الإرهاب، تاركة وراءها طفلتين صغيرتين كأنهما يتيمتان والآن، غاب ابني البكر بدون عودة أبداً. الموت كارثة مرعبة مهما يكن سببه وأياً يكن عمر المتوفى. حينما يقترب تدريجاً، كما في حالة المرض الطبيعي، يتم أقله تحذير الأقارب، والضربة قد لا تكون مدمّرة مثلما تكون عليه حينما يضرب فجأة. لكن حين[2] تعلم بأن الموت اختطف شخصاً معافى وسعيداً في ربيع حياته، فلا بد للمرء من أن يعيش هذه التجربة ليدرك كم يمكنها أن تشله. كانت هذه تجربتي في ١٦ تموز/يوليو حينما أُعلمت لأول مرة بوفاة ابني. اضطربت حالي من رأسي إلى أخمص قدميّ، ولثوان معدودة لم أعرف كيف عساه أن يكون رد فعلي. وجب علي أن أكون مستعداً أكثر، لأن ثيمبي لم يكن أول ابن أفقده. قبل سنوات طويلة، أي في الأربعينيات، خسرت طفلة في الشهر التاسع من عمرها. كانت قد أدخلت المستشفى، وكانت حالها في تحسن حينما ساءت فجأة وتوفيت في الليلة ذاتها. أفلحت في رؤيتها في خلال اللحظات الحرجة حينما كانت تكافح بشكل يائس لتمسك داخل جسدها الطري، بآخر شرارات الحياة التي كانت تتطاير منها. لم أعرف قط ما إذا كنت محظوظاً أم لا، حينما شهدت هذا المشهد الموجع. ظل يطاردني أياماً عديدة ولا يزال يحفّز فيّ ذكريات مؤلمة حتى يومنا هذا، لكن وجب أن يقوّيني لأقوى على تحمل مثل هذه الكوارث. ثم أتى يوم السابع والعشرين من أيلول/سبتمبر (عيد مولد زوجتي)، حينما أُعلمت بوفاة والدتي. كنت قد رأيتها لآخر مرة في أيلول/سبتمبر الماضي حينما زارتني على الجزيرة في بداية عامها السادس والسبعين، وقد سافرت وحدها من أوماتا، مخلفاً منظرها الحزن الشديد في نفسي.

(١) مانغوسوثو بوثيليزي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) ماكازيوي مانديلا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

فقد خسرت من وزنها، وبرغم كونها مرحة وساحرة، إلا أنها بدت متعبة ومريضة. أفلحت عند نهاية الزيارة في مراقبتها وهي تسير مبتعدة في اتجاه القارب الذي سيعيدها إلى البر الرئيسي. بطريقة ما، خطرت الفكرة في بالي بأنني رأيتها للمرة الأخيرة. لكن بمرور الشهور، بدأت تخفت الصورة التي شكلتها لها في زيارتها الأخيرة، وضاعت تماماً بسبب الرسالة المشوقة التي كتبَتْها بعد الزيارة تشدد فيها على سلامة صحتها. وحينما حانت لحظة الموت في السادس والعشرين من أيلول/سبتمبر كنتُ من جديد غير مستعد، أمضيت طوال بضعة أيام لحظات في زنزانتي لا أرغب أبداً في تذكرها. لكن شيئاً مما خبرته في أواخر الأربعينيات وفي أيلول/سبتمبر من السنة الماضية، يُضاهي ما مررت به في ١٦ تموز/يوليو. نُقل إلي الخبر في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. بدا فجأة وكأن قلبي توقف عن الخفقان، والدم الحار الذي كان يتدفق بحرية عبر شراييني طوال السنوات الـ٥١ الماضية، تجمد واستحال ثلجاً. عجزت لبعض الوقت عن التفكير أو الكلام، وبدت قوتي تنسلّ مني. وجدتُ في النهاية طريق العودة إلى زنزانتي وعلى كتفيّ حمل ثقيل، وهي آخر مكان يجدر برجل ثكلان أن يوجد فيه. وكالعادة، كان أصدقائي هنا لطفاء ومُعِينين، وفعلوا ما في وسعهم لإبقاء معنوياتي عالية.

٩- *من رسالة إلى نولوسافو أيرين مكوايي في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩*

كنت أتوق إلى حضور جنازة ثيمبي ورؤية جثمانه للمرة الأخيرة، بقدر توقي إلى فعل ذلك في إبان وفاة والدتي. وبرغم أنني لم آمل قط أن أخلِفَه في الحياة، لكن آلمني قلبي حينما أدركت أخيراً أني لن أتمكن من أن أكون قرب ضريحه. وهي لحظة في الحياة لا يتمنى الأب أن يفوتها أبداً. العديد من الأشخاص الذين يتفكرون في مشاكل السجين العادي، يميلون إلى التركيز أكثر على الأحكام المطولة التي لا يزال عليه تنفيذها، والعمل الشاق المفروض علينا القيام به، والطعام الرديء المعدوم الطعم، والملل المقيت المرهق الذي يلاحق كل سجين، والإحباطات المخيفة لحياة

يتحرك فيها البشر بدوائر تامة ، تحطّ اليوم عند النقطة التي بدأت بها في اليوم السابق. لكن بعضاً منا واجه تجارب أكثر إيلاماً من هذه، لأنها توغل عميقاً جداً في كيان المرء، في روحه.

١٠- *من رسالة إلى ابنه ماكغاثو في ٢٨ تموز/يوليو ١٩٦٩*

أكره إلقاء المحاضرات يا ماكغاثو حتى على أولادي، وأفضّل مناقشة الأمور مع الجميع على أساس المساواة التامة، حيث أعرض أفكاري كنصائح للشخص المعني، وحريّ به تقبلها أو رفضها، كما يحلو له. لكنني سأفشل في أداء واجبي إن لم أشر إلى أن وفاة ثيمبي تُلقي مسؤولية كبيرة على كتفيك. بتّ أنت الابن البكر الآن، وسيكون من واجبك جمع العائلة معاً كي تعطي مثالاً جيداً لأخواتك، وتكون فخراً لوالديك ولجميع أقربائك. هذا يعني أنه يتحتم عليك أن تعمل بجهد أكبر في دراستك، وألا تسمح أبداً لنفسك بأن تُحبطها المصاعب أو النكسات، ولا تنسحب أبداً من المعركة حتى في أحلك ظروفها. تذكر أننا نعيش في عصر جديد من الإنجازات العلمية، وأعظمها الحدث الأخير لنزول الإنسان على سطح القمر. هذا حدث بارز سيُغْني معرفة البشر بالكون، وقد ينجم عنه تغير أو تعديل لكثير من الافتراضات الأساسية في حقول معرفية عديدة. يجدر بالأجيال الأصغر أن تدرب أنفسها وتهيّئها، حتى تمسك بسهولة بارتدادات التطورات البعيدة المدى في مجال الفضاء. هذا مجال مليء بالمنافسة القوية والضارية، تُخصص فيها أكبر الجوائز لمن خضع لأقصى قدر من التدريب، ولمن يتمتع بأعلى مؤهلات أكاديمية في حقله الخاص. تستدعي المسائل التي تقلق البشرية اليوم عقولاً مدربة، لأن المرء الضعيف في هذا المجال مشلول من دون امتلاك الوسائل والمعدات اللازمة ليكفل النجاح والنصر ويضعهما في خدمة بلده وشعبه. إذاً عليك أن تحيا حياة منضبطة ومنظمة وتتخلى عن المتع البرّاقة التي تجذب الشاب العادي، وتعمل بجهد وانتظام في دراستك في خلال السنة، بحيث يعود ذلك عليك في النهاية بجوائز هامة وسعادة شخصية كبرى. وسُيلهم أخواتك

أن يحذين حذو أخيهم المحبوب، وسيستفدن كثيراً من معرفتك العلمية وخبرتك الواسعة وإنجازاتك واجتهادك. كما أن البشر يحبذون أن يكونوا على صلة بشخص ناجح ومجتهد ومنضبط، لا بد له أن يكسب عبر صقل هذه الصفات بعناية الكثير من الأصدقاء.

١١- حديث مع ريتشارد ستينغل عن النشاط الجنسي

ستينغل: رسائلك إلى زوجتك التي قرأتُها مفعمة بالشغف، وهي عبارة عن مزيج غير عادي، لأن الرسائل كانت مفعمة بالشغف في حين أنك كنتَ متحكماً في نفسك إلى أبعد الحدود طوال الوقت. كيف تفسر هذا الأمر؟

مانديلا: إنه أمر يصعب تفسيره، كنت مع امرأة تزوجتها منذ ٤ سنوات إلى حين تم زجي في السجن، وقد كانت في ريعان شبابها تعوزها الخبرة، وكان لديها ابنتان لم تقو على تربيتهما بشكل مناسب بسبب التحرشات والاضطهاد من قبل الشرطة.

ستينغل: إذاً، كيف يفسر ذلك وجود الشغف في رسائلك؟

مانديلا: بالطبع كنت أفكر فيها يومياً، ومثلما أردت تشجيعها، أردتها أن تعرف أن ثمة من يكترث لأمرها.

ستينغل: أجل، يتضح ذلك من خلال الرسائل. كيف تتقبل أنت نفسك فكرة أن زوجتك... أنه تمّ الحكم عليك بالسجن المؤبد وستغيب لسنوات طويلة. لديها حياة خارج السجن، وهي تلتقي رجالاً آخرين... لا بد من أن التفكير في هذا الأمر صعب جداً. إنها ربما تلتقي رجالاً آخرين قد تُعجَب بهم، وقد يحلون محلك موقتاً. كيف تحملت هذا الأمر؟

مانديلا: هذه مسألة كان على المرء محوها من ذهنه. يجب أن تتذكر أنني انخرطت في المقاومة السرية قبل دخولي السجن بسنتين. اتخذت قراراً واعياً بالانخراط في

المقاومة السرية. بمعنى آخر، لم تكن هذه المسائل ذات أهمية جوهرية بالنسبة إلي. كما كان على المرء تقبل المسائل الإنسانية، الواقع الإنساني، واقع أن الإنسان قد تأتي عليه أوقات يحتاج فيها إلى الاسترخاء، ويجدر به ألا يكون محباً للتحقيق والتقصي. يكفي أنها كانت امرأة وفية، وداعمة لي، تأتي لزيارتي وتراسلني. كان هذا كافياً.

ستينغل: ثم، كل شيء آخر قمتَ... كان هذا كافياً، وأخرجت جميع المسائل الأخرى من ذهنك؟

مانديلا: أجل.

ستينغل: لأنها ليست مهمة.

مانديلا: صحيح.

ستينغل: وهذا لم يغير علاقتها بك، ولا علاقتك بها.

مانديلا: لا.

ستينغل: في السياق ذاته، ماذا عن اعتقادك أنك ستمضي حياتك كلها في السجن، وأنك قد لا تمارس الجنس مع امرأة مجدداً في حياتك، وأن نشاطك الجنسي سيضمر. كيف تعاملت مع هذه الأفكار في السجن؟

مانديلا: في الواقع يعتاد المرء ذلك، ولا يصعب جداً عليه السيطرة على نفسه. أعني أنني تربيت في مدارس ثانوية، مدارس داخلية، تظل فيها بعيداً عن النساء طوال ٦ أشهر تقريباً، وتمرنت على ضبط نفسي. ثم حينما دخلت السجن عوّدت نفسي أن الجنس لن يتسنى لي الحصول عليه، وأمكنني تحمل الأمر.

١٢- من رسالة إلى ويني مانديلا في ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٦٩

إن الذين لا يتمتعون بروح محرّك، ولا اعتزاز بالوطن، ولا أهداف عليا للفوز بها، لن يواجهوا الإذلال ولا الهزيمة. لا يمكنهم تطوير أي إرث وطني، ولا تلهمهم أي مهمة مقدسة، ولا يسعهم تقديم أي شهداء أو أبطال وطنيين. سيفوز بعالم جديد، ليس أولئك الذين يقفون على مسافة بعيدة مخبئين أسلحتهم، بل من هم على أرض المعركة، الذين مزّقت العواصف بزاتهم، وموّهت أجسادهم في سياق القتال. العزة من نصيب أولئك الذين لا يتخلون أبداً عن الحقيقة، حتى حينما تبدو الأمور قاتمة ومتجهمة؛ الذين لا ينفكون يحاولون مراراً وتكراراً؛ ولا يُحبِط من عزائمهم الإهانات والإذلال، وحتى الهزيمة. منذ فجر التاريخ، لطالما بجّلت البشرية واحترمت الأشخاص الصادقين والشجعان، رجالاً ونساءً أمثالك يا عزيزتي: فتاة عادية أتت من قرية تكاد لا تظهر في معظم الخرائط، زوجة قروي بسيط، وهو الأمر الأكثر تواضعاً حتى بحسب معايير الفلاحين.

شعوري بالإخلاص لك يمنعني من إضافة المزيد علناً بشكل أكثر مما قلته في هذه الرسالة، التي لا بد أن تمر عبر أياد كثيرة. سنحظى ذات يوم بالخصوصية التي ستمكننا من تشاطر أرق الأفكار والأحاسيس التي قمنا بدفنها في قلوبنا على مدى السنوات الثماني الماضية.

١٣- من رسالة إلى أديلايد تامبو (٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٧٠)[١]

الأمل سلاح قوي حتى إن لم يبق شيء آخر. إن الذي أعانني على التحمل، حتى في أحلك اللحظات، هو معرفتي أنني فرد من عائلة مجرّبة وممتحنة بالرزايا، تغلبت على الكثير من المصاعب. في مثل هذه العائلة الكبيرة والواسعة، قد تتفاوت

(١) أديلايد فرانسيس تامبو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). كُتبت على هذه الرسالة ملاحظة بيد حارس في السجن تشير إلى أنها موجهة إلى أديلايد تامبو. كان مانديلا قد استخدم اسماً مستعاراً. من المرجح أنه لم يتم إرسالها.

الآراء حتى في كل شيء تقريباً. لكننا لطالما نجحنا في حل المشاكل معاً والتقدم إلى الأمام. تمد هذه الحقيقة روحي بأجنحة قوية.

١٤- حديث مع ريتشارد ستينغل عن والدته

ستينغل: هل فهمت (والدتك) كفاحك ومعتقداتك وتضحياتك؟

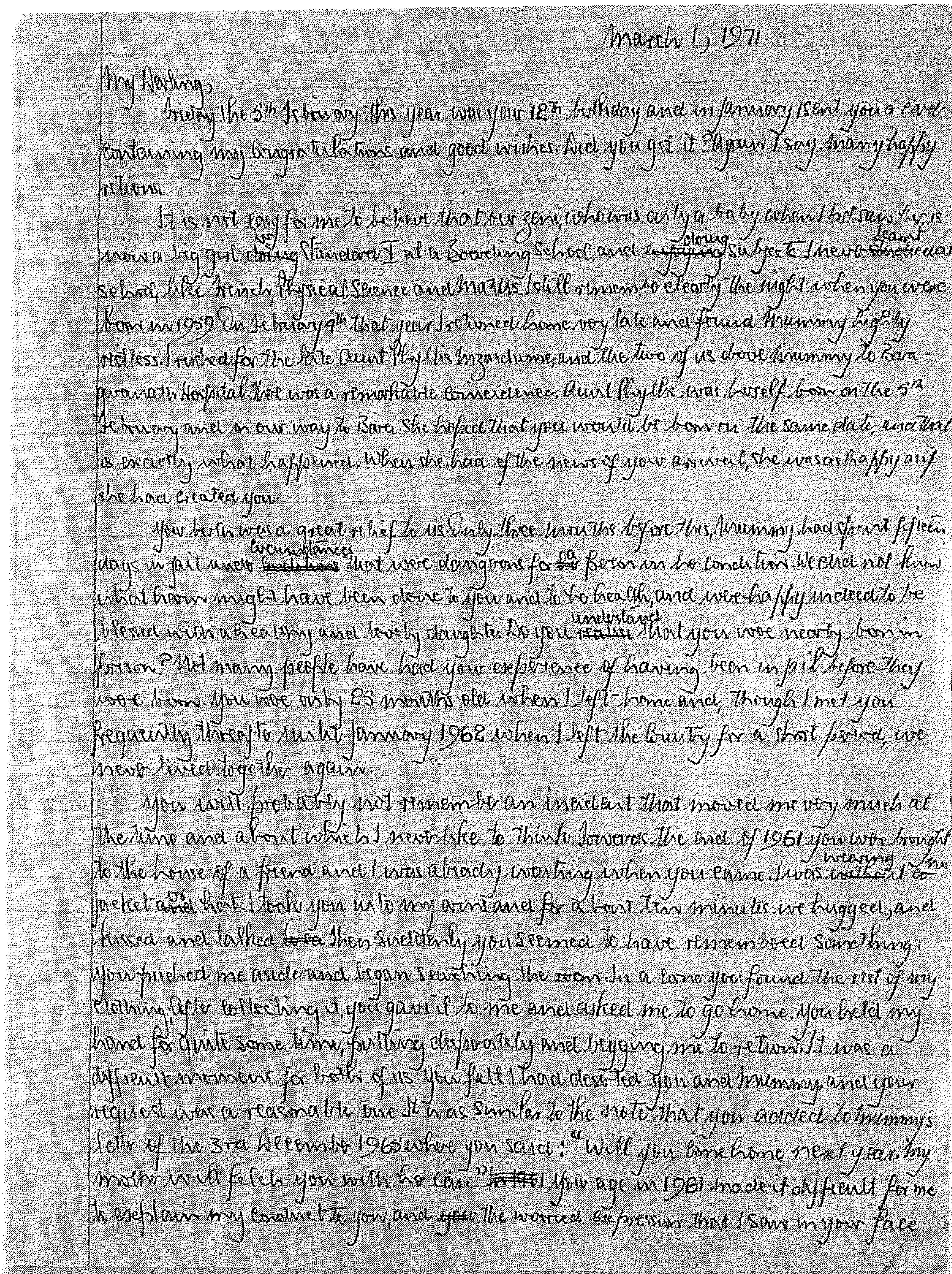
مانديلا: أجل فعلت. لكنها لم تفهمها في البداية مطلقاً. إذ إنني عدت ذات يوم إلى المنزل بعد انتهاء عملي، فوجدتها في انتظاري. «يا ابني عليك العودة إلى ترانسكي، فقد أتى إلى هنا رجلان أبيضان، وكانا يتكلمان لغة القوسا بطلاقة، وقالا: «إسمعي، ابنك يهدر وقته. إنه محام. إنه يعمل مع أشخاص لا يودون سوى خلق المتاعب، ولا يملكون أي وظيفة مثل السيد والتر سيسولو. وحري بك إنقاذ ابنك. يجب أن يعود إلى ترانسكي». وراحت تقول: «لا، لا هيا بنا نعود. لنعُد إلى ترانسكي». أدركت عندئذ أنني لم أقم بعملي كما ينبغي، فعوضاً من البدء بوعظ أمي، رحت أعظ الناس. لا بد لي من البدء هنا. لذا، شرعت حينئذ أشرح لها سبب عملي في السياسة. وراحت تقول في وقت لاحق: «إسمع إن لم تنضم إلى الشبان الآخرين في السياسة فسأحرمك الإرث». أجل، لكن استغرقت بعض الوقت قبل قول هذا الكلام.

١٥- حديث مع ريتشارد ستينغل عن مشاعره حيال ابتعاده عن عائلته

مانديلا: بالطبع، الملك ساباتا... والد الملك الحالي. هذا ابن أخي، وكان يرعى والدتي جيداً، وهو الذي تولى دفنها. أجل... شعرت بالأسى حينما مات وأنا في السجن.

ستينغل: كان هذا الأمر صعباً جداً عليك؟ فكرة أنك كنت المعيل، وأصبحت في السجن، وبالتالي تعجز...

مانديلا: أجل، كان أمراً صعباً جداً. كنت أحياناً أفكر - أبحث بين طيات روحي -



March 1, 1971

My Darling,

Friday the 5th February this year was your 12th birthday and in January I sent you a card containing my congratulations and good wishes. Did you get it? Again I say: many happy returns.

It is not easy for me to believe that our Zeni, who was only a baby when I last saw her, is now a big girl doing Standard VI at a Boarding School, and doing subjects I never learnt at school, like French, Physical Science and Maths. I still remember so clearly the night when you were born in 1959. On February 4th that year I returned home very late and found Mummy highly restless. I rushed for the late Aunt Phyllis Mzaidume, and the two of us drove Mummy to Baragwanath Hospital. There was a remarkable coincidence. Aunt Phyllis was herself born on the 5th February and on our way to Bara she hoped that you would be born on the same date, and that is exactly what happened. When she heard of the news of your arrival, she was as happy as if she had created you.

Your birth was a great relief to us. Only three months before this, Mummy had spent fifteen days in jail under circumstances that were dangerous for a person in her condition. We did not know what harm might have been done to you and to her health, and were happy indeed to be blessed with a healthy and lovely daughter. Do you understand that you were nearly born in prison? Not many people have had your experience of having been in jail before they were born. You were only 25 months old when I left home and, though I met you frequently thereafter until January 1962 when I left the country for a short period, we never lived together again.

You will probably not remember an incident that moved me very much at the time and about which I never like to think. Towards the end of 1961 you were brought to the house of a friend and I was already waiting when you came. I was wearing no jacket or hat. I took you in to my arms and for about ten minutes we hugged, and kissed and talked. Then suddenly you seemed to have remembered something. You pushed me aside and began searching the room. In a corner you found the rest of my clothing. After collecting it, you gave it to me and asked me to go home. You held my hand for quite some time, pulling desperately and begging me to return. It was a difficult moment for both of us. You felt I had deserted you and Mummy and your request was a reasonable one. It was similar to the note that you added to Mummy's letter of the 3rd December 1965 where you said: "Will you come home next year. My mother will fetch you with her car." Your age in 1961 made it difficult for me to explain my conduct to you, and the worried expression that I saw in your face

من رسالة إلى زيني مانديلا بمناسبة عيد مولدها الثاني عشر (الأول من آذار/مارس ١٩٧١).

في ما إذا كنت قد فعلت الصواب، فلم تكن والدتي تعاني فحسب، بل أخواتي أيضاً برغم أن اثنتين منهن كانتا متزوجتين، لكنهن كن يعانين. تساءلت إذا فعلت الصواب في محاولتي مساعدة الشعب، وإقحام أمي وعائلتي في مثل هذه الصعوبات. لكن كل مرة كان ينتهي بي المطاف بالقول: «لقد اتخذت القرار الصائب».

ستينغل: لكن وقع صراع بين واجباتك الشخصية تجاه عائلتك، وواجباتك الأكبر حجماً تجاه المجتمع؟

مانديلا: أجل، أجل.

ستينغل: وكان هذا الجدال الذي كنت...؟

مانديلا: أجل، أجل. هل اتخذت القرار الصائب؟ هل يمكن أن يكون القرار صحيحاً، ما يعني أن عائلتك يجب أن تعاني كما كانت تفعل؟ وقد عانت أمي لإرسالي إلى المدرسة برغم أن أحد أفراد عشيرتنا أخذني لاحقاً: الزعيم جونجينتابا دالينديبو[1] الذي كان عاملاً لحساب ساباتا، ووصياً له. لقد رباني وعاملني خير معاملة كأنني أحد أبنائه. لم أكن أشتكي قط في كنفه، فقد كانت إقامتي معه ومع زوجته. لكن كان واجبي يقتضي بمجرد أن أصبح قادراً على الإعالة، رعاية أمي وأخواتي. لكن لم أستطع ذلك في لحظة حرجة.

ستينغل: لأنه وفق الفلسفة الأخلاقية، ثمة من يقول إن أول واجباتك هو تجاه الأشخاص من حولك؟

مانديلا: العائلة، أجل.

ستينغل: وهل هذا صعب؟

(١) الزعيم جونجينتابا دالينديبو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: صعب جداً. في منتهى الصعوبة. لكن وجب علي تحمله، لأنني حينما كنت أجلس للتفكير في هذا الأمر كنت أقول: «لا بأس، فقد اتخذت قراراً. وهو قرار صائب»، لأنهم ليسوا الأشخاص الوحيدين الذين كانوا يعانون. فمئات، بل الملايين في بلدنا يعانون. لذا شعرت بأنني اتخذت قراراً صائباً.

١٦- *من رسالة إلى زيني وزندزي مانديلا (الأول من حزيران/يونيو ١٩٧٠)*

لقد مرت أكثر من ٨ سنوات على آخر مرة رأيتكما فيها، وأكثر من عام على أخذ والدتكما من بينكما على نحو فجائي. في السنة الماضية، كتبت إليكما رسالتين: واحدة في ٢٣ حزيران/يونيو والثانية في الثالث من آب/أغسطس. علمت الآن بأنكما لم تتلقيا أياً منهما. بما أن كلتيكما لا تزال دون السادسة عشرة، وبما أنه لا يُسمح لكما بزيارتي إلى أن تبلغا هذه السن، تظل كتابة الرسائل الطريقة الوحيدة التي أملكها لأظل على تواصل معكما، ولأسمع أخباراً عن صحتكما وتحصيلكما الدراسي بشكل عام. وبرغم أن هذه الرسائل الثمينة لا تصلكما، لكن تظل عليّ محاولة مراسلتكما كلما سنحت الفرصة. يقلقني بشكل خاص موضوع يفيد أنه لأكثر من سنة لم أتلقَّ معلومات مباشرة وواضحة عن الأشخاص الذين يرعونكما في خلال العطل المدرسية، وعن المكان الذي تمضيان فيه هذه العطل، وعن الذي يطعمكما ويشتري لكما الثياب ويدفع لكما الأقساط المدرسية وثمن الطعام والشراب، ويوفر لكما المسكن؛ وعن التقدم الذي تحرزانه في المدرسة. مواصلتي كتابة الرسائل يكتنفها احتمال أن يقف ذات يوم الحظ إلى جانبنا، وتتلقيا هذه الرسائل. في غضون ذلك، فإن مجرد كتابة أفكاري والتعبير عن مشاعري يمنحني قدراً كبيراً من المتعة والرضا. إنها وسيلة لنقل خالص حبي وأحرّ تمنياتي إليكما، ولتهدئة آلامي الشديدة التي تفتك بي كلما فكرت فيكما.

١٧- من رسالة إلى السيناتور دوغلاس لوخيل في سوازيلاند (الأول من آب/ أغسطس ١٩٧٠)[١]

بالكاد تصل الرسائل التي أرسلها إلى مقصدها، وكذلك الحال بالنسبة إلى الرسائل التي تردني. آمل أن تقتنع الأقدار القاسية التي تتدخل دوماً في مراسلاتي، والتي أقصتني عن عائلتي في لحظة حرجة بدون اعتبارات الشرف والصدق كي تسمح لهذه الرسالة بالوصول. أعلم بأنها بمجرد أن تصل إلى يديك، ستكون متاعبي قد وصلت إلى نهايتها.

تعلم بأنني شخص بسيط كحال معظم الأشخاص المعاصرين لي. وُلدت ونشأت في قرية ريفية بمساحاتها المفتوحة ومناظرها البديعة وهوائها النقي. وقبيل اعتقالي منذ ٨ سنوات، عشت عقدين من الزمن في المدينة، ولم أفلح قطّ في زعزعة خلفيتي القروية، وكنت أقضي بين الفينة والأخرى بعض الأسابيع في مسقط رأسي، كطريقة لاستذكار اللحظات السعيدة في طفولتي. وطوال فترة سجني، لطالما كان قلبي وعقلي يهيمان بعيداً من هذا المكان، وسط الآجام والمروج. أعيش بين أحضان هذه الأمواج مع جميع الذكريات والتجارب التي تراكمت على مدى نصف القرن الماضي: ذكريات حول الأراضي التي رعيت فيها الماشية، ومارست الصيد، ولعبت وارتدت المدرسة الابتدائية التقليدية. أرى نفسي أنتقل إلى ريف في بداية الأربعينيات وانغماسي في معمعة الأفكار الأصولية التي كانت تزعزع الشباب الأفريقي الواعي. أذكر أيام تدرجي، ولعق الطوابع، والقيام بجميع أنواع المشاوير اليومية، ومن ضمنها شراء شامبو الشعر وغيره من مساحيق التجميل للسيدات البيضاوات. (تشانسيلور هاوس)[٢]. هناك ترسخت صداقتي مع أوليفر تامبو أكثر مما

(١) دوغلاس لوخيل، محام وسيناتور ونائب عام في سوازيلاند. تدرّج في شركة «مانديلا وتامبو». راجعوا الملاحظة الرقم ١٤ في هذا الفصل.

(٢) «تشانسيلور هاوس» كان المبنى الذي أسس فيه مانديلا وأوليفر تامبو مكتب المحاماة الخاص بهما، واسمه «مانديلا وتامبو» العام ١٩٥٢.

كانت عليه حينما كنا زميلين في الجامعة، وعضوين في معسكر واحد. نشأت من حولنا صداقات جديدة ومثمرة - مايندي وزبيدة باتل ووويني ماندليني، عاملات الطباعة الأُوَل لدينا؛ والراحلة ماري آن التي أحزننا كثيراً رحيلها المفاجئ الذي أتى في غير أوانه؛ وروث ومايفيس وغودفري، والملاكم فريدي وتشارلي، وهو الوكيل وعامل التنظيفات المحبوب والمستقيم الذي لم يغب يوماً في ماي ماي[١].

حاربت في بعض الأحيان وحدك، في وجه الصعوبات القاسية، لنحافظ على بقاء الشركة عقب تجميد تحركي أنا وتامبو في إثر محاكمة الخيانة[٢]. حتى أنني أذكر الحادثة الغريبة التي وقعت حينما زرتني أنا وزامي في منزلنا في أورلاندو وست في كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٦٠. حينما اقتربت من البوابة عاصفة برد بقوة عنيفة إلى درجة أن زيني التي كانت آنئذ في الشهر العاشر من عمرها فحسب، طارت عن الأرض حيث ظلت بدون حراك بضع ثوان. ولم نشعر بالراحة إلا بعد استعادة وعيها صارخة ناجية بأعجوبة. يمكن أن تكون الأسلحة الروحية ديناميكية، وغالباً ما يكون لها تأثير يصعب تقديره إلا في ضوء التجربة الحقيقية في حالات معينة. بطريقة ما تجعل من السجناء رجالاً أحراراً وتحول عامة الناس ملوكاً، والتراب ذهباً خالصاً، للتعبير عن الأمر بصراحة ووضوح، يا داغي وحده دمي وعظمي مسجون خلف هذه الجدران المدعّمة.

بينما تظل وجهات نظري منفتحة، وأفكاري حرة حرية الباز.

مرساة أحلامي هي مجمل حكمة البشرية ككل. إنني متأثر أكثر من ذي قبل، باقتناعي أن المساواة الاجتماعية هي الأساس الوحيد للسعادة البشرية. وحول هذه المسائل تدور أفكاري. إنها مركزة على البشر، وعلى الأفكار التي يعيشون عليها،

(١) في جوهانسبورغ للعقاقير التقليدية. سوق ماي ماي هي السوق الأكبر والأهم.
(٢) كان مانديلا وأوليفر تامبو اثنين من بين أعضاء تحالف الكونغرس البالغ عددهم ١٥٦، الذين اعتُقلوا واتُّهموا بالخيانة العظمى العام ١٩٥٦. راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

وعلى العالم الجديد الذي يتكون، وعلى الجيل الجديد الذي يعلن حرباً شاملة على جميع أنواع القسوة، ضد أي نظام اجتماعي يخص الأقلية بالأفضلية الاقتصادية، ويحكم على السواد الأعظم من الناس بالفقر والمرض والأمية وطائفة من الشرور التي ترافق المجتمع الطبقي.

١٨- من رسالة إلى ويني مانديلا التي كانت حينئذ في سجن بريتوريا المركزي (الأول من آب/أغسطس ١٩٧٠)

إن حصاد التعاسة الذي جنيناه من الإحباطات التي تفطر القلب وتراكمت على مدى الشهور الخمسة عشر الماضية، ليس وارداً أن يزول من الذهن بسهولة. أشعر وكأنني غرقت في المرارة بكامل ذاتي، بلحمي ودمي وعظمي وروحي. أشعر بمرارة لا توصف، لكوني عاجزاً تماماً عن مساعدتك في المحن العصيبة والقاسية التي تمرين فيها. كم سيختلف الوضع يا عزيزتي بالنسبة إلى صحتك المتهاوية، وروحك وحالة قلقي واضطرابي التي أعجز عن التخلص منها. أود لو أمكنني لقاؤك فقط. لو أمكنني أن أكون إلى جانبك وضمك، أو لو أمكنني فقط إلقاء نظرة خاطفة على محياك عبر الشبكة السلكية السميكة التي تفصل بيننا.

المعاناة الجسدية لا تُقارَن بانهيار روابط المودة الدافئة التي تمثل أساس مؤسسة الزواج، والعائلة التي تربط الزوج والزوجة. إنها لحظة مخيفة في حياتنا، لأنها لحظة تحدّ للمعتقدات الراسخة، ووضع حلول لاختبار قاس. لكن ما دمتُ أتمتع بشرف التواصل معك، برغم أنه لا يزال يُسمح ذلك شكلياً بالنسبة إلي، وإلى أن أُحرم من هذا الشرف بشكل علني، فستظل الرسائل شاهدة على حقيقة محاولتي جاهداً وبصدق التواصل معك عبر الرسائل شهرياً. أدين لك بهذا الواجب ولا يلهيني شيء عن ذلك. ربما يطرح هذا الخط ذات يوم أشخاص طيبين. سيظل ثمة أشخاص طيبون على هذه الأرض وفي كل البلدان وحتى هنا في وطننا. ذات يوم قد نجد إلى

جانبنا الدعم القوي والصادق من رجل مستقيم وأمين يشغل منصباً مرموقاً، وسيعدّ من غير المناسب أن يتهرب من واجب حماية حقوق ألد خصومه وامتيازاتهم، حتى في معركة الأفكار التي نخوضها اليوم في وطننا. مسؤول يتمتع بحس كاف من العدل والحق لكي يوفر لنا الحقوق والامتيازات التي يسمح لنا القانون بها اليوم. وليس هذا فحسب، بل سيعوضنا أيضاً من تلك الحقوق والامتيازات التي حُرمنا منها بشكل جائر.

رغم كل ما حدث، في خلال مد الحظ وجزره على مدى الخمسة عشر شهراً الماضية، عشت في حالة أمل وتوقع. أحياناً يراودني شعور حتى بأن هذا الاعتقاد هو جزء لا يتجزأ من ذاتي. يبدو أنه حيك داخل نفسي. أشعر بأن قلبي يضخ الأمل بشكل متواصل إلى كل أجزاء جسمي ويدفئ دمي ويرفع معنوياتي. أنا مقتنع بأن فيضانات الكارثة الشخصية لا يمكنها أبداً أن تغرق ثورياً عاقد العزم، كما لا يمكن لركام التعاسة الذي يرافق المأساة أن يخنقه. الأمل بالنسبة إلى المحارب من أجل الحرية هو نظير سترة النجاة بالنسبة إلى السابح. ضمانة بأن المرء سيبقى عائماً وبعيداً من الخطر. أعلم يا عزيزتي أنه لو تم إحصاء الثروات من خلال أطنان الأمل والشجاعة الخالصة التي تكمن في قلبك (أخذت هذه الفكرة منك)، لكنت بكل تأكيد مليونيرة. تذكري هذا الأمر على الدوام.

١٩- من رسالة إلى ويني مانديلا في ٣١ آب ١٩٧٠

إن كان ثمة رسالة وددت من كل قلبي الاحتفاظ بها وقمت بقراءتها بهدوء مراراً وتكراراً في هدأة زنزانتي، فهي تلك الرسالة. كانت تعويضاً من الأشياء الثمينة التي حرمني إياها اعتقالك - عيد الميلاد وذكرى زواجنا وبطاقات المعايدة بعيد الميلاد - الأشياء الصغيرة التي لا تتوانين أبداً في التفكير فيها. ولكن طُلب إلي قراءتها على الفور وجُذبتْ مني فور انتهائي من قراءة السطر الأخير.

عمد العميد أوكامب إلى تبرير هذا الإجراء المجحف بعذر واه يفيد بأنك ذكرت في الرسالة عنوان منزلك وليس عنوان السجن. أكمل ليفسر لي بأن رسائلي إليك عوملت بالطريقة نفسها وبأنه لم يُسمح لك بالاحتفاظ بها. حينما ضغطت عليه ليعطيني تفسيراً تهرب من الإجابة. أدركت أنه كانت هناك أمور هامة على المحك تتمثل بانتهاكات خطيرة لحقوقك كسجينة تنتظرين المحاكمة، مثل حقك في كتابة الرسائل وتلقيها، وكذلك حجب حقي في المراسلة. ما يعني أن رسائلنا تخضع لرقابة خاصة. والحقيقة الفعلية هي أن السلطات لا تريدك أن تتشاطري محتويات الرسائل التي أبعثها إليك مع زملائك في السجن، والعكس صحيح. وهي تلجأ، لمنع ذلك، إلى جميع الوسائل المختلفة. ربما يضعف التواصل بيننا أكثر، أقله في خلال المحاكمة. كما تعلمين، فإن امتياز قدرتي على بعث الرسائل الشهرية العادية وتسلّمها من الأصدقاء والمعارف، قد اختفى عملياً مع اعتقالك. كنت أحاول التواصل مع ماتلالا منذ كانون الثاني/يناير الفائت، ومع نولوسافو منذ تشرين الثاني/نوفمبر. في ١٩ حزيران/يونيو فسر العميد أوكامب بأن قسماً آخر أعطاه تعليمات بعدم بعث هذه الرسائل، مضيفاً في الوقت عينه أنه ليس في وارد إعطائي أسباباً لهذه التعليمات، لكن هذه التعليمات ليست متأثرة بمحتوى الرسائل. حلت هذه المصارحة معضلة الاختفاء الغامض لمعظم الرسائل التي كتبتها على مدى الشهور الخمسة عشر الماضية. وتحوي هذه المسألة حتى مضامين أكثر خطورة. أتمنى لو كنت في موقع يسعني فيه الاعتماد دوماً على ما يقوله لي المسؤولون، لكنني أجد صعوبة متزايدة في تطبيق أمانيّ على الواقع الملموس. مرتين في تموز/يوليو وفي بداية هذا الشهر، أبلغت بأن رسالتك لم تصل بعد. وأدركت الآن أن الرسالة كانت هنا حينما كان يؤكد لي العكس.

٢٠- *من رسالة إلى نونيانيسو ماديكيزيلا (الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٠)* [1]

إن كان ثمة وقت إلزامي كي تبقى هادئة وحذرة ومنتبهة، وقت للتفكير والتفكير

(١) نونيانيسو ماديكيزيلا، أخت ويني.

والتفكير، فهو الآن. دعيها تلتزم الحذر. ثمة من لا يريدها أن تكون حرة، وسيتذرعون بأي حجة للانقضاض عليها.

حينما احتسبت جميع عيوب زامي، وجدتها لا تزال امرأة تتمتع بقدرة وطموح عظيمين، وذات صفات أعظم بكل ما امتلكته يوماً، وأنا أحترمها كثيراً. إنها تستحق التشجيع والدعم. واحد من أكثر الأمور التي أندم عليها، هو عجزي عن حمايتها: المرأة الوحيدة التي لها أول حق في الانتفاع من أي شيء أملكه على هيئة معرفة وتجربة ونصيحة. لا نظير لها في التحلي بالشجاعة والإخلاص. لكن مهما كان تأثرها بالمثاليات التي حركت غيرها من النساء العظيمات، إلا أنها لا تزال تعيش على كوكب الأرض. لا بد لها من تناول الطعام وتربية الأولاد وصوني وتأسيس منزل محترم. وكم أود الانتفاع من آمالي الكبيرة ذات يوم والتمكن من توفير كل هذا لها، الأمر الذي يترك لها الحرية للكفاح من أجل تحقيق طموحاتها بدرجة من الاستقلالية. لم تسنح هذه الفرصة البتة، ولم أفلح في إعالتها هي والأولاد، نظراً إلى القيود الكثيرة التي تحيط بها، إذ ما من أحد مستعد لتوظيفها، ولذلك تجد صعوبة في تحصيل معيشتها. يا لها من كارثة ألمّت بشابة عمرها ٣٦ سنة! لن أندم أبداً على القرار الذي اتخذته عام ٦١ ولكني أتمنى أن يرتاح ضميري يوماً ما[١]. إعتني بها يا نيانيا. لقد أعطيتك نبذة عن المرأة التي أعشقها، الإنسانة الكامنة خلف ستار الملابس الجميلة التي ترتديها والسمات الجذابة التي يُعرف عنها أنها تتحلى بها.

٢١- من رسالة إلى ويني مانديلا في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠

بدوت أفضل بكثير مما توقعت، ولكنك تغيرت كثيراً عما كنت عليه في آخر لقاء لنا في كانون الأول من العام ١٩٦٨. بدت جلياً عليك التأثيرات المتراكمة للضغوط العديدة. حينما سرت إلى الزنزانة بعد اللقاء كان يشغلني الخوف من أن تسوء حالة

(١) يشير مانديلا إلى القرار الذي اتخذه عام ١٩٦١ بالانخراط في المقاومة الرسمية وتشكيل (أم كاي).

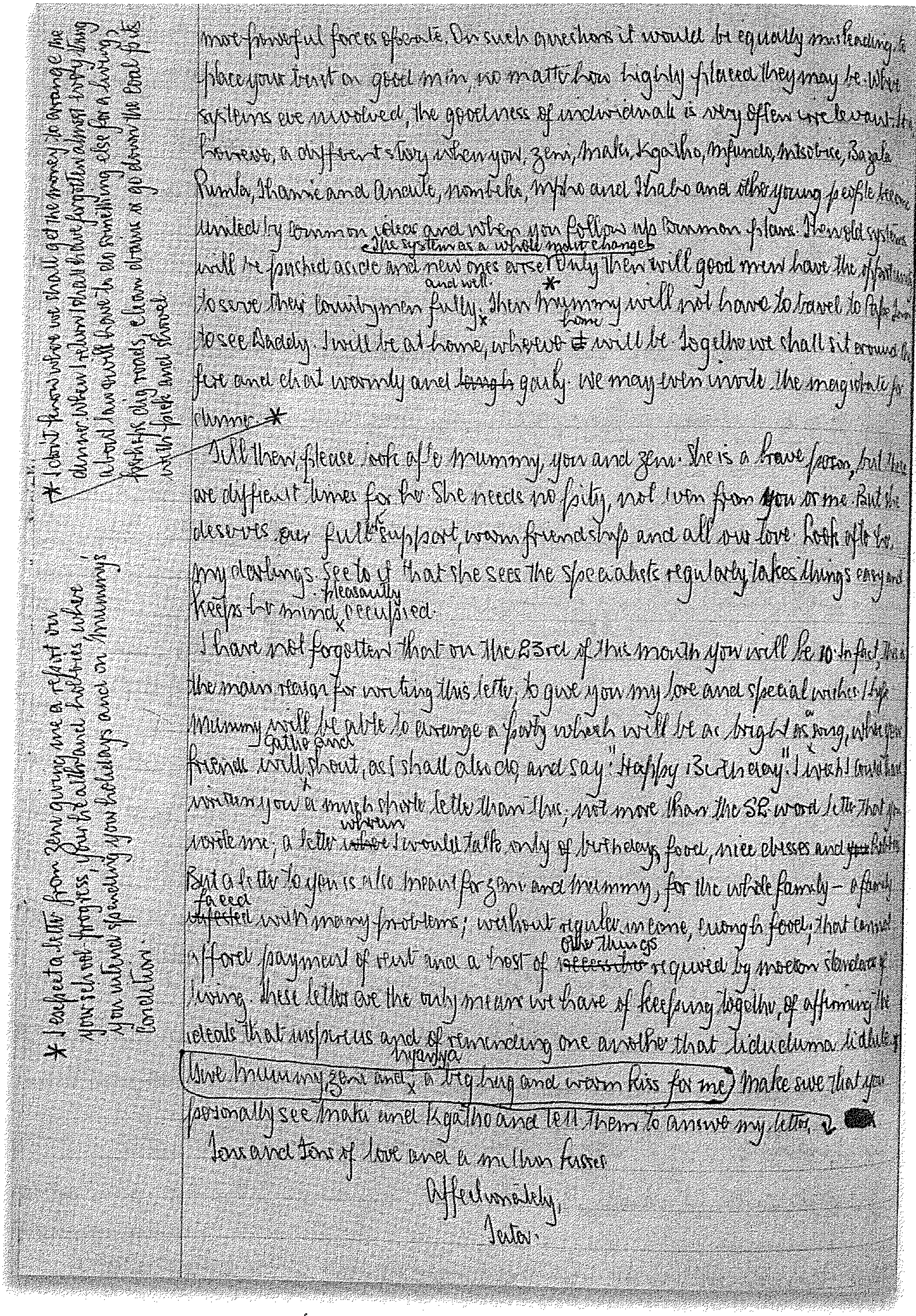
الوحدة والقلق لديك بعد اضطرارك إلى أن تمضي وحدك ١٢ ساعة ليلاً. ولا يزال هذا الخوف يطاردني.

لقد أمكنني مصادفةً لدى توجهي إلى غرف الزيارة في ٧ تشرين الثاني، من رؤية القارب الذي أتيت على متنه وهو يسير بسرعة إلى المرفأ ووجدته جميلاً بألوانه الناصعة. حتى عن بُعد بدا صديقاً حقيقياً للسجناء، وازداد توتري مع اقترابه. أتعلمين السبب؟! عدت ورأيته حينما أبحر عائداً إلى البر الرئيسي. وهذه المرة اختلفت الصورة تماماً. على الرغم من أنه لا يزال يحتفظ بألوانه الناصعة، إلا أن الجمال الذي رأيته قبل بضع ساعات قد اضمحل. وصار يبدو الآن مخيفاً وغير ودود البتة. فيما كان يبتعد ببطء وأنت على متنه، شعرت بأنني وحيد في هذا العالم، وبدت الكتب التي تملأ زنزانتي، والتي فرّجت عني طوال تلك السنوات بعيدة وغير مستجيبة. هل رأيت حبيبتي للمرة الأخيرة؟ هو سؤال ظل يتواتر في ذهني.

٢٢- من رسالة إلى زيندزي مانديلا في الأول من كانون الأول ١٩٧٠

في مناسبات مثل هذه أعي تماماً كم أنا معتمد بشكل كامل على أمك في كل سماعك ما أفعله تقريباً. مذ أُخبرت بإطلاقها مع صديقاتها، عشت على أمل رؤيتها قريباً، وشعرت بالشوق الذي تشعرين به لدى أصوات جرس بائع المثلجات أو حينما تشتري لك أمك فستاناً قصيراً. حاولت جاهداً الحفاظ على هدوئي حينما نقل إلي كغاثو على حين غرة الخبر المؤلم. ربما كنت لأفلح أكثر لو عملت في المسرح وليس في مجال القانون أو السياسة. لا بد وأنني أحسنت التمثيل لأني أفلحت في جعل أحد أصدقائي يعتقد بأن عدم مجيء أمك لزيارتي لم يؤثر بي. لو أنه كان يدري الحقيقة! الحقيقة أن مظهري الخارجي لا يشبه البتة حقيقة شعوري. فقد كنت مجروحاً ومضطرباً جداً.

أنت وزيني، ربما حتى ماما، قد يُبرّر لكنّ الاعتقاد بأن القاضي، الذي عاملنا


more powerful forces operate. On such questions it would be equally misleading to place your trust on good men, no matter how highly placed they may be. Where systems are involved, the goodness of individuals is very often irrelevant. It is, however, a different story when you, Zeni, Maki, Kgatho, Mfundo, Ntsobise, Bazala, Pumla, Thamie and Anele, Nombeko, Mpho and Thabo and other young people become united by common ideas and when you follow up common plans. The systems as a whole must change; the old systems will be pushed aside and new ones arise. Only then will good men have the opportunity to serve their countrymen fully and well. Then Mummy will not have to travel to Pretoria to see Daddy. I will be at home, where we will be together. We shall sit around the fire and chat warmly and gaily. We may even invite the magistrate for dinner. *

Till then, please look after Mummy, you and Zeni. She is a brave person, but these are difficult times for her. She needs no pity, not even from you or me. But she deserves our full support, warm friendships and all our love. Look after her, my darlings. See to it that she sees the specialists regularly, takes things easy and pleasantly keeps her mind occupied.

I have not forgotten that on the 23rd of this month you will be 10. In fact, this is the main reason for writing this letter, to give you my love and special wishes. I hope Mummy will be able to arrange a party which will be as bright as a song, where your friends will gather and shout, as I shall also do, and say: "Happy Birthday". I wish I could have written you a much shorter letter than this, not more than the 50-word letter that you wrote me; a letter wherein I would talk only of birthdays, food, nice dresses and hobbies. But a letter to you is also meant for Zeni and Mummy, for the whole family – a family faced with many problems; without regular income, enough food; that cannot afford payment of rent and a host of other things required by modern standards of living. These letters are the only means we have of keeping together, of affirming the ideals that inspire us and of reminding one another that lidudluma lidlule. Give Mummy, Zeni and Nyanya a big hug and warm kiss for me. Make sure that you personally see Maki and Kgatho and tell them to answer my letter.

Tons and tons of love and a million kisses.

Affectionately,
Tata.

* I don't know where we shall get the money to arrange the dinner. When I return I shall have forgotten almost everything about law and will have to do something else for a living; perhaps dig roads, clean drains or go down the coal pits with pick and shovel.

* I expect a letter from Zeni giving me a report on your school progress, your health and hobbies, where you intend spending your holidays and on Mummy's condition.

من رسالة إلى زيندزي مانديلا في الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٠

بتفاهة وقلة حس، هو رجل شرير. هو نفسه ربما لديه زوجة وأولاد كحالي تماماً، ويعي بكل تأكيد المشقة التي أوجدها من خلال إجبار أمك وأبيك على الافتراق لمدة طويلة، ولمنعنا من متعة رؤية أحدنا الآخر. ولكن مع ذلك أدرك أنه كإنسان هو بعيد كل البعد عن القسوة. على العكس، وضمن الحدود التي تفرضها بعض التقاليد المعينة التي باتت مقبولة في بلدنا، يعد لطيفاً وكيّساً، وأعده بكل صدق رجلاً نبيلاً. في خلال السنوات التسع التي عملت فيها محامياً غالباً ما كنت أقف أمامه، وقد وجدت متعة حقيقية في تقديم الحجج أمام رجل أعدّه عادلاً ومنصفاً.

ولكن حتى رجل مثل كبير قضاة جوهانسبورغ العظيمة التي تعد أكبر مدينة في جنوب إفريقيا وأغنى مدينة فيها، نجد أن يديه مقيدتان. لا يسعه فعل ما يحلو له. قد تجبره واجباته الرسمية على فعل ما تمقته طبيعته الشخصية. حتى المسؤولون الصغار في الأقسام الأخرى ربما يملكون سلطة تفوق سلطته، ويملكون الكلمة الأخيرة فيما يخص بعض واجباته الرسمية الهامة. في مثل هذه المسائل ليس من الحكمة أن نختار أفراداً معينين ونلقي اللوم على أكتافهم. مثل هؤلاء الأفراد قد لا يكونون مسؤولين عن القرارات التي يتخذونها. قد يكونون مجرد وسيلة تعمل من خلال القوى الأقوى منهم. في هذا الصدد قد يكون من المضلل بشكل مساو أن تضعي ثقتك في الرجال الأخيار، مهما كانوا يلقون من تقدير. حينما تتدخل الأنظمة فلا يكون لطيبة الأفراد قيمة في معظم الأحيان. ولكن القصة تختلف حينما تقومين أنت زيني وماكي وكغاثو ومفوندو وموتسوبيس وبازالا وبوملا وثامي وأنديل ونومبيكو ومفو وثابو وغيرهم من الشبان بالتوحد من خلال الأفكار المشتركة وحينما تتبعون خططاً مشتركة[1]. عندئذ يتم إبعاد الأنظمة القديمة جانباً وتوضع أنظمة جديدة. يجب أن يتغير النظام برمّته. وعندئذ فقط يمكن للرجال الأخيار أن يخدموا أبناء بلدهم بشكل جيد وكامل. وعندئذ لن تضطر الماما إلى السفر إلى كايب تاون لرؤية

(١) نومفوندو (مفوندو) مانديلا، ماتسو (موتسوبيس) وبازالا بيانا، وثامي وأنديل زابا: أقرباء لأولاد مانديلا. نومبيكو مغولوا: قريب بعيد. مفو وثابو نغاكان: أولاد أصدقاء مقربون من العائلة.

بابا. سأكون في الديار أينما كانت هذه الديار. وسنجلس معاً حول الموقد ونتبادل الأحاديث بدفء وسعادة. حتى أننا قد ندعو القاضي لتناول العشاء. حينما أكون سأكون قد نسيت كل شيء تقريباً يتعلق بالقانون وعلي أن أختار عملاً آخر لأحصّل منه معيشتنا، ربما قد أعمل في حفر الطرقات وتنظيف المجاري أو النزول إلى حفر الفحم حاملاً المعول والرفش.

٢٣- *من رسالة إلى جويس سيخاخان في الأول من كانون الثاني ١٩٧١* [١]

«ري روبا ماتسوهو» لك ولجون![٢] هل الخبر صحيح؟ هل حقاً أمكنكما فعل هذا بي، أن تتخذا مثل هذه القرارات الهامة من دون حتى أن تلمحوا لي إليها؟ لا بد وأنه فات علي تناول الكثير من اللحم وحلوى البودينغ في حفلة الخطبة. في زفافكما كنت لأقبل بي بهيئتي هذه، من دون تكلف عناء ارتداء معطف طويل وقميص منشّى واعتمار قبعة. والأهم بالنسبة إلي كان زفافكما ليكون إحدى المناسبات التي سيتسنى لي أن ألمع أخيراً. إنني أتمرن يومياً على فلوت صغير، هكذا يسميه الجميع هنا على الرغم من سعره رندان اثنان. ما زلت في مرحلة مبتدئة ولكن بمزيد من التمرين أمكنني أن أعزف عليه أكبر المعزوفات في اليوم العظيم.

٢٤- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: هل كانت تراودك كوابيس متكررة حينما كنت في جزيرة روبن؟

مانديلا: لا لا لا على الإطلاق.

ستينغل: لم تراودك، حسناً.

مانديلا: لا، لم تراودني الكوابيس قط.

(١) جويس شيخاخان راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) هو شكل من التهنئة بالستسوانية (ري روبا ماتسوهو).

ستينغل: حسناً، في رأيك، ما هي أسوأ اللحظات التي مررت فيها، وشعرت بأنك في منتهى اليأس على جزيرة روبن؟

مانديلا: يصعب جداً تحديد لحظة معينة، والقول إنها أسوأ اللحظات. لكن مسألة تعرض زوجتي للتحرش والمحاكمة على يد الشرطة، وأحياناً تعرضها للاعتداء في وقت لم أكن موجوداً للدفاع عنها. كانت هذه لحظة عصيبة جداً علي. وحينما وجدتها تُطرد من وظيفة إلى أخرى من قبل الشرطة. حيث يذهبون إلى رب العمل ويقولون له: «أنت تسبب المتاعب بإبقاء هذه المرأة تعمل لديك».

ستينغل: وماذا شعرت حيال ذلك؟ أعني هل شعرت بالعجز؟ هل شعرت بالغضب؟

مانديلا: من الطبيعي أنني شعرت بالغضب، لكن في الوقت عينه حاولت الحفاظ على هدوئي حيال هذا الأمر، وتذكرت أن هذا هو الثمن الذي نضطر إلى دفعه لكوننا ملتزمين الصراع. وهذا أمر أزعجني إلى حد كبير، وكنت فعلاً أشعر بالإحباط والعجز لأنه لم يكن بيدي ما أفعله حيال هذا الأمر.

ستينغل: ماذا عن... قرأت من قبل أنك أحياناً كنت تعود إلى زنزانتك في آخر النهار، وكانوا يضعون قصاصات من الصحف.

مانديلا: أجل، صحيح. كانوا يفعلون ذلك.

ستينغل: بشكل منتظم؟

مانديلا: كانوا يفعلون ذلك بين الفينة والأخرى. كلما كان يُنشر تقرير سيئ بخصوص عائلتي، كانوا يضعون قصاصة المقال على طاولتي. هذا قذر جداً.

ستينغل: وأفترض أن هذا كان يثير غضبك أيضاً.

مانديلا: أجل، في الواقع يعتاد المرء الأساليب التي يتبعونها، وقررتُ أن أحافظ على هدوئي حيال هذه الأمور. لكن بالضبط كان ينتابني بعض الغضب. على أن المرء يتعلم المحافظة على هدوئه لدى التعرض لهذه الاستفزازات.

ستينغل: صحيح. لديّ كلام مقتبس من ماك ماهاراج، تكلم فيه عليك وهذا الكلام له علاقة بما قلته تواً: «حينما عاش في السجن، ازداد كرهه وغضبه على النظام. لكن تجلي هذا الغضب تضاءل»[1]. هل تحسب هذا الكلام صحيحاً؟

مانديلا: هذا بكل تأكيد صحيح، بمعنى أنني أعمل الآن مع الأشخاص أنفسهم الذين زجوا بي في السجن، واضطهدوا زوجتي، ولاحقوا أولادي من مدرسة إلى أخرى. وأنا أحد الأشخاص الذين كانوا يقولون: «دعونا ننسَ الماضي، ونفكر في الحاضر».

٢٥- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن التواصل مع الأقسام الأخرى في السجن*

ستينغل: كيف كنت تتواصل مع الأشخاص الآخرين في الأقسام الأخرى؟

مانديلا: كنا نهرّب الرسائل، وكان كاثرادا... أحمد كاثرادا يتولى هذه المسؤولية. لكن حدثت حالات محرجة، فقد كنت ذات يوم واقفاً مع الحارس وكانوا يُدخلون الطعام بالبراميل. لم يكن يُسمح سوى لشبان المطبخ بإعطائنا البراميل عبر الأبواب بدون الدخول إلى قسمنا. كانت آخر توصيلة للطعام لذاك اليوم، وكنا حينئذ في المساء، عند غروب الشمس. كان ثمة شاب يتوق كثيراً إلى نقل رسالة وحين كنت واقفاً لتسلم الطعام حمل الرسالة وأعطاني إياها. حينذاك بالطبع كان الحراس يحترمونني، وشعرت بأنني محرج جداً. لم أفعل ما يجب فعله، ليس بسبب العقاب، بل بسبب التأثير في هذا الحارس، خصوصاً لأنه كان أصغر

(١) ساتياندراناث (ماك) ماهاراج، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مني، ولم أكن أريد الإساءة إلى الاحترام الذي يكنونه لي. ضايقني هذا الواقع كثيراً، ومشيت بعيداً عنه، وأعطيت الرسالة إلى كاثرادا، ووجدت صعوبة بالغة في النظر إلى ذاك الحارس الشاب.

ستينغل: لأنه رأى ما حدث؟

مانديلا: لا بد من أنه شاهده، لأننا كنا نقف معاً، وقد قام ذاك الشاب من المطبخ بعد توصيل البراميل بحمل الرسالة وإعطائها إلي، لأنه كان يائساً ومضطراً إلى نقلها ليحصل على رسالة طارئة.

ستينغل: وكان من المهين للحارس رؤية ذلك؟

مانديلا: كان مهيناً وانتهاكاً لوظيفته، لأنه وجب عليه أخذ إجراء في حق هذا الشاب وضدي أيضاً. كان عليه أن يأخذ الرسالة، لكن بداعي الاحترام تظاهر وكأنه لم ير شيئاً ولم يقدم على أي فعل. وقد أهانني هذا الأمر. لم يسعني أن أخون ثقة الناس بي بهذه الطريقة. في الوقت عينه والقول لذاك الشاب: «لا تعطني الرسالة، عاود أخذها»، لأنني لو فعلت ذلك لكان عاقبني الحارس ودانه. لكننا كنا نتمكن من التهريب بكل هدوء.

٢٦- *من رسالة إلى تيم ماهاراج (الأول من شباط/فبراير ١٩٧١)*[١]

قيل مراراً وتكراراً إن الذي يهم أكثر، ليس ما يجري للمرء، بل كيفية تقبل المرء له. قد يبدو سخفاً من قبلي أن أثقل عليك بما يعد مسألة عادية. لكن حينما يحين دوري لأصبح ضحية حظ عاثر، لا أنسى تماماً هذه الأمور البسيطة، وأترك أبواب الجحيم تفتح في وجهي.

(١) تيم ماهاراج؛ أول زوجة لماك ماهاراج. لمراجعة المزيد عن ماك ماهاراج راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

٢٧- من رسالة هُرّبت من السجن إلى محامين في دربان (كانون الثاني/يناير ١٩٧٧)

بريد (سيدات)، بيلاي وشركاه، دربان

أنوي رفع دعوى في دائرة كايب المحلية ضد إدارة السجون من أجل إعلان حقوق، وطلب قرار منع يوقف سلطات السجن عن إساءة استخدام سلطاتها وتعريضي أنا وزملائي المسجونين للاضطهاد السياسي وغيره من الانتهاكات.

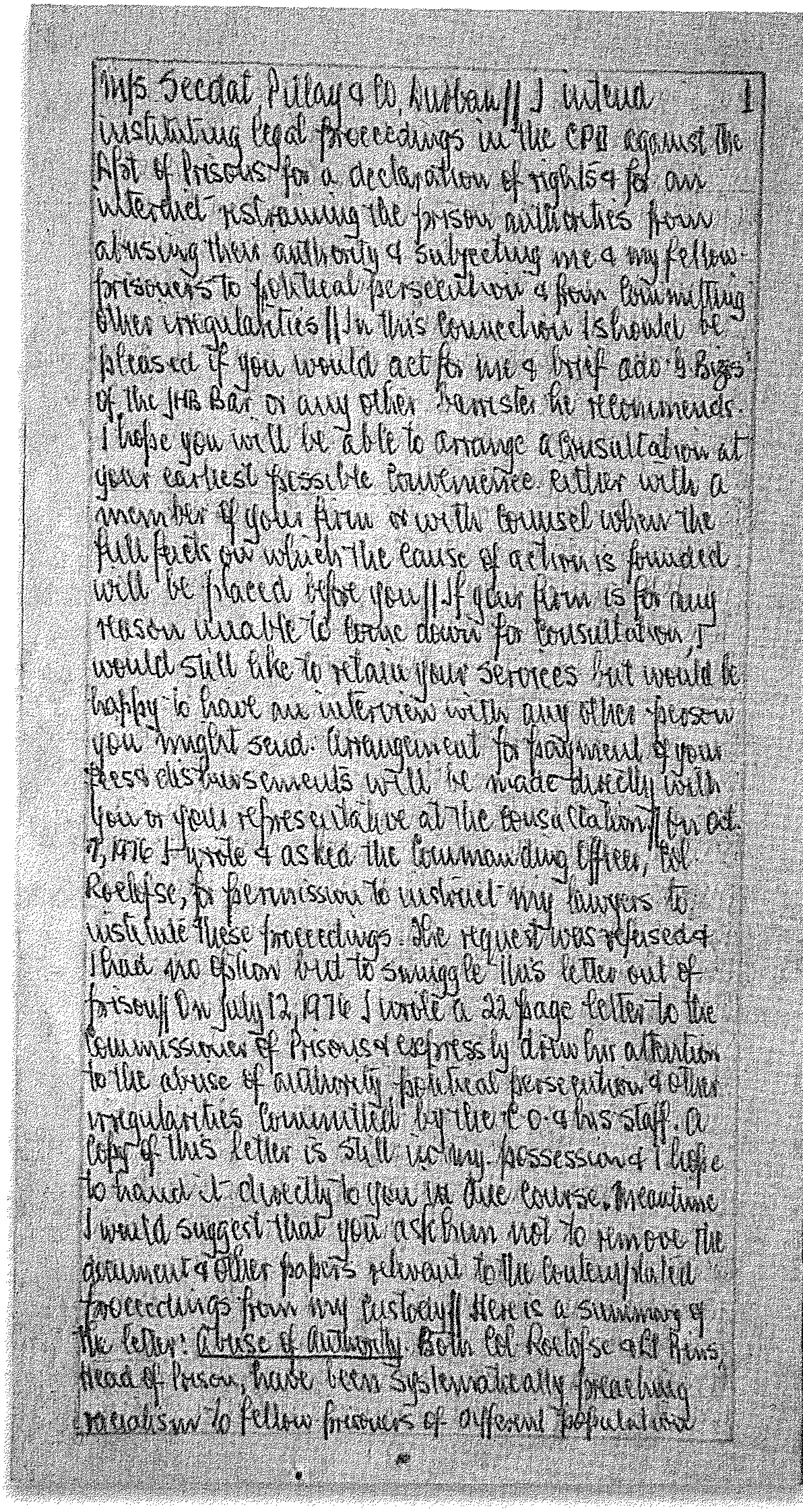
ويسرني في هذا الخصوص لو تتصرفون نيابة عني، وإعلام المحامي جي بيزوس من نقابة المحامين في جوهانسبورغ أو أي عضو نقابي آخر ينصحكم به[١]. آمل أن تتمكنوا من أخذ مشورة في أول فرصة تسنح لكم من عضو من شركتكم، أو من محام حينما تُعرض أمامكم الوقائع الكاملة التي أُسّس عليها سبب التحرك.

إن عجزت شركتكم لأي سبب، عن أخذ مشورة، فسأظل راغباً في الاستعانة بخدماتكم، ويسرني الاجتماع بأي شخص آخر ترسلونه. سيتم الخوض في ترتيبات دفع أجوركم وتكاليفكم مباشرة معكم، أو مع ممثلكم في خلال الاستشارة.

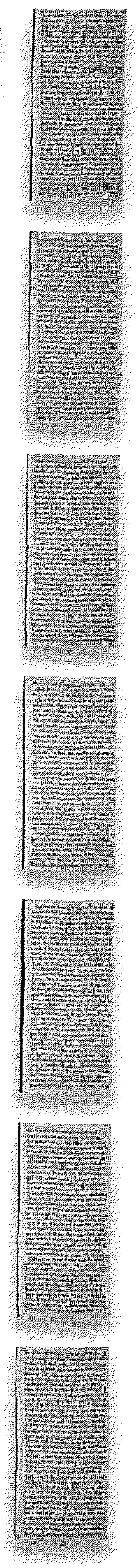
في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦ كتبت وطلبت إلى الضابط المسؤول، الكولونيل رولوفس، إذناً لاستشارة محاميّ من أجل رفع دعوى. فرفض الطلب، ولم أملك خياراً سوى تهريب هذه الرسالة من السجن.

وكتبتُ في ١٢ تموز/يوليو ١٩٧٦ رسالة تتألف من صفحتين إلى مفوض السجون ولفت نظره بشكل واضح إلى إساءة استخدام السلطة والاضطهاد السياسي وغيرهما من الانتهاكات التي يرتكبها الضابط المسؤول وفريق عمله. وما زلت أحتفظ بنسخة

(١) جورج بيزوس، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).



M/s Seedat, Pillay & Co, Durban// I intend 1
instituting legal proceedings in the CPD against the
M/st of Prisons for a declaration of rights & for an
interdict restraining the prison authorities from
abusing their authority & subjecting me & my fellow-
prisoners to political persecution & from committing
other irregularities// In this connection I should be
pleased if you would act for me & brief adv G Bizos
of the JHB Bar or any other barrister he recommends.
I hope you will be able to arrange a consultation at
your earliest possible convenience either with a
member of your firm or with counsel when the
full facts on which the cause of action is founded
will be placed before you// If your firm is for any
reason unable to come down for consultation, I
would still like to retain your services but would be
happy to have an interview with any other person
you might send. Arrangement for payment of your
fees & disbursements will be made directly with
you or your representative at the consultation// On Oct.
7, 1976 I wrote & asked the Commanding Officer, Col
Roelofse, for permission to instruct my lawyers to
institute these proceedings. The request was refused &
I had no option but to smuggle this letter out of
prison// On July 12, 1976 I wrote a 22 page letter to the
Commissioner of Prisons & expressly drew his attention
to the abuse of authority, political persecution & other
irregularities committed by the C.O. & his staff. A
copy of this letter is still in my possession & I hope
to hand it directly to you in due course. Meantime
I would suggest that you ask him not to remove the
document & other papers relevant to the contemplated
proceedings from my custody// Here is a summary of
the letter: Abuse of Authority. Both Col Roelofse & Lt Prins,
Head of Prison, have been systematically preaching
racialism to fellow prisoners of different population



من رسالة تم تهريبها من السجن إلى المحامين في دربان (كانون الثاني/يناير ١٩٧٧)، راجعوا الصفحات الآتية:١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩. الصفحة أعلاه هي بالحجم الفعلي.

من هذه الرسالة، وآمل تسليمها إليك مباشرة في الوقت المناسب. وأقترح في غضون ذلك أن تطلب منه ألا يأخذ مني الوثائق والأوراق الأخرى المتعلقة بالدعوى المرجوة.

إليك ملخص الرسالة: **إساءة استخدام السلطة.** كل من الكولونيل رولوفس والملازم برنز، رئيس السجن يعامل بعنصرية زملائي المساجين من جماعات عرقية مختلفة داخل الزنزانة الواحدة التي أمكث فيها، لإثارة مشاعر العداوة بيننا.

تدخل غير لائق بالعلاقات الاجتماعات. وبعد عرض الوقائع دعماً لهذا الاتهام، أضيف: «أعد الآن التفسيرات غير الصحيحة التي يكررها المسؤولون المحليون حيال مراسلاتنا وما يسمى الاعتراض، إما على محتويات الرسالة وإما على الشخص الذي كتبها، أسلوباً لحرماننا من حقنا القانوني في الحفاظ على علاقات طيبة بيننا وبين أقاربنا وأصدقائنا.

الرقابة على البريد المُرسل. كما كان يجري غالباً في الماضي، لم تصل بطاقة المعايدة التي أرسلتها إلى ابنتي بمناسبة عيد ميلادها في كانون الأول من العام ١٩٧٥. وكتبت في شهر شباط/فبراير المنصرم إلى زوجتي وندمت على ذلك. كما أشرت إلى صور أرسلتها إلي ابنتي مراراً، لكنها اختفت بدون أثر. اعترض الضابط المسؤول على هذا المقطع. تلعب ابنتي الركبي، ونصحتها في رسالة أخرى طالباً إليها الانتباه إلى طعامها. فطُلب إلي إلغاء هذا المقطع.

قررت حفيدة أخي دراسة القانون وكتبت رسالة طلبت فيها إلى السيدة أف كينتريدج من نقابة المحامين في جوهانسبورغ، أن تنصحها باختيار تخصص القانون كمهنة لامرأة. طلب إلي الملازم برنس بداية أن ألغي هذا المقطع بالتحديد. وبعد بضعة أسابيع كنت قد سلمت الرسالة المغيّرة، ثم قيل لي إنه رُفض إرسالها إليها لأن الدائرة باتت تعترض على شخصها. فاستنتجت: «لمنعي من إبلاغ زوجتي بأنني أرسلت إلى ابنتي بطاقة معايدة بمناسبة عيد مولدها ولم تصلها، وبأنني أفكر فيها

دائماً، وبأن الصور التي أرسلتها إليّ اختفت كلها. وهي أمور غير مقبولة ولا تستند لا إلى الاعتبارات الأمنية، ولا إلى الرغبة في الحفاظ على النظام والانضباط، ولا إلى تعزيز مصلحتي الخاصة. والأمر ذاته انطبق على رسالتي إلى السيدة كنتريدج...

الرقابة على الرسائل الواردة. لكن أسوأ الإساءات التي تُركب في ما يخص الرقابة على الرسائل، تشمل حق البريد الوارد، وفي هذا الخصوص، ارتكب الفظائع الضابط المسؤول وفريق عمله. الرقابة ماركة انتقامية، ومن جديد لا تحدث لاعتبارات أمنية وانضباطية، وليس لرغبة في تعزيز مصلحتنا.

أعدها جزءاً من حملة اضطهاد سياسي منظم، ومحاولة لإبقائنا غير ملمين بما يجري خارج السجن، حتى فيما يخص مسائلنا العائلية الخاصة. إن الضابط المسؤول لا يحاول قطعي عن الدفق القوي للدعم والنيات الحسنة الذي تواصل عليّ طوال ١٤ سنة من سجني على شكل زيارات ورسائل وبطاقات وبرقيات فحسب، بل إضعاف الثقة بنا أمام عائلاتنا وأصدقائنا عبر تصويرنا أمامهم على هيئة أشخاص غير مسؤولين لا يحترمون أبداً الرسائل المرسلة إليهم، ولا يردون على المسائل الهامة التي يبعثها إليهم المرسلون.

إضافة إلى ذلك، تعد المعايير المزدوجة التي تستخدم في الرقابة على البريد، أمراً جباناً ومحسوباً لخداع الناس وجعلهم يكوّنون انطباعاً خاطئاً، فحواه أن البريد المُرسل لا يخضع للرقابة. وفي حالات هذه الرسائل، تُطلب إلينا إعادة كتابتها كلما طرأت مسألة تعترض عليها سلطات السجن، وذلك بغية التخلص من أي دليل يشير إلى أنها خضعت لرقابة شديدة. فالرسائل الواردة تخضع لكثير من القص والخربشة كما يحلو للرقيب. ما من شيء يعبّر لك عن مقدار التلف الذي يلحقونه بالبريد الوارد، أكثر من التفتيش الفعلي منك شخصياً. تتألف الكثير من الرسائل التي أرسلتها إلي زوجتي من قصاصات من معلومات غير متماسكة يصعب الاحتفاظ بها حتى ضمن

مغلف[1]. دخلت زوجتي السجن عدة مرات ولا تعرف قوانين السجون جيداً فحسب، لكنها تعرف أيضاً حساسية مسؤوليكم المحليين تجاه أي شيء قد يعدونه مرفوضاً. إنها تبذل جهداً كبيراً كي تحصر حديثها في الشؤون العائلية، وبرغم ذلك لا تكاد تنجو رسالة واحدة من رسائلها من التشويه.

في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥، كتبت إليّ رسالة مؤلفة من خمس صفحات، ولم يصلني سوى صفحتين بقيتا منها. إن سياسة الرقابة المتبعة هنا، لا يعتمدها حتى مسؤولوك الخاصون في السجون الأخرى. كما تعرف، سُجنت زوجتي في الآونة الأخيرة مدة ستة أشهر في سجن كرونستاد[2]. وقام الضابط المسؤول في ذاك السجن بإرسال بعض رسائلها، لكنه أخضعها لرقابة شديدة لهذه الغاية.

لكن ما أمقته جداً، هو إجبارنا على أن نكون شركاء في ممارسة مرتكزة على خطأ جسيم. فمن المُنافي للأخلاق أن يقوم الضابط المسؤول بإتلاف أو احتجاز رسائل لنا من عائلاتنا أو أصدقائنا، وفي الوقت ذاته منعنا من إخبارهم بما يفعله. أعدها قساوة من قبله أن يسمح لأهلنا بمواصلة إهدار المال والوقت والطاقة والنية الحسنة والحب، عبر إرسال رسائل وبطاقات إلينا يدرك الضابط المسؤول أنها لن تُعطَى إلينا أبداً.

عليك أن تُصدر بياناً رسمياً تحدد فيه بوضوح سياسة دائرتك، وتحدد بشكل أدق ما تعده مرفوضاً، وفئات الأشخاص الذين لا يمكنهم مراسلتنا، أو بعث بطاقات تعبر لنا عن نيتهم الحسنة.

اختفاء الرسائل خلال النقل. إن عدد الرسائل التي تختفي في خلال النقل أكبر بكثير من أن تُبرر بحجة عدم جدارة دائرة البريد، ومن الرفض المتواصل وغير

---

(١) غالباً ما يقطع رقباء السجن كلمات وجملاً ومقاطع يعدونها مهينة ضمن الرسائل.

(٢) المفروض عليها، عبر وجودها برفقة فرد يُحظّر عليه التحرك أيضاً. حُكم على ويني بخرق الحظر.

المنطقي للضابط المسؤول السماح لنا بتسجيل رسائلنا. لا بد لي من الاستنتاج أن اختفاءها ليس عَرضياً.

الزيارات. حتى هنا تتخطى الإجراءات التي يتخذها الضابط المسؤول في مراقبة الأحاديث التي تدور بين السجناء وزوارهم، الموجبات الأمنية. أن يضعوا أربعة أو أحياناً ستة حراس لمراقبة زائرة واحدة، والتحديق إليها والتنفس بشكل تهديدي، كل ذلك شكل صاخب من التهويل.

من واجبي إخبارك أن ثمة اعتقاداً سائداً بين زملائي السجناء، يفيد بوجود جهاز تنصت في خلال هذه الزيارات، يسجل جميع الأحاديث، ومن ضمنها المسائل الخاصة بين الزوج وزوجته. إن صح ذلك، فلا يوجد أي تبرير لاستعراض القوة الذي يظهرونه عموماً في خلال هذه الزيارات.

المؤهلات اللغوية للرقباء. إن الرجل المسؤول مباشرة عن مراقبة الرسائل والمجلات، هو ضابط الصف ستينكامب، الذي كان في السابق مسؤولاً عن القسم. وبرغم أنه ربما نجح في مادة اللغة الإنكليزية، إلا أنه بكل تأكيد لا يجيد هذه اللغة أكثر من إجادتي لغة جنوب أفريقيا. وأشك إن كان الرقيب فوري أحسن منه حالاً.

حتى الضابط المسؤول يجد صعوبة في التعبير باللغة الإنكليزية. في الواقع في خلال السنوات الأربع عشرة التي قضيتها في السجن، لم ألتق ضابطاً مسؤولاً، لغته الإنكليزية ضعيفة بقدر لغة الكولونيل رولوفس الذي يدير سجناً، يعد فيه معظم السجناء ناطقين باللغة الإنكليزية ولا يجيدون لغة جنوب أفريقيا.

حظر مراسلة المؤيدين السياسيين. أخبرني حينئذ الملازم برنس أنه لا يحق لنا التواصل مع أي شخص تعرّف به الدائرة بأنه مؤيد سياسي لنا، ولا لأقارب سجناء آخرين بصرف النظر عن محتوى الرسالة.

برقيات وبطاقات معايدة بمناسبة عيد الفصح. اتبع الضابط المسؤول طريقة جديدة لا يسمح لنا بها برؤية البرقيات الفعلية المرسلة إلينا. وما يجري أن المرء يُعطى رسالة مخربشة على ورقة خالية من تاريخ إرسال وتلقّي البرقية وغيرهما من المعلومات الهامة، يسود الاعتقاد أن هذه البرقيات تخضع أولاً للتدقيق من قبل الشرطة الأمنية، قبل بعثها إلى المُرسَلة إليه. ومن أجل تغطية التأخير الناجم عن ذلك، طبّق الضابط المسؤول هذه الطريقة.

يدفع الناس الذين يرسلون هذه البرقيات المزيد من المال من أجل ضمان وصول الرسالة بسرعة. وتعد مسألة هامة للعامة أن تتعمد دائرة حكومية إعاقة العمل الفاعل والسلس لخدمة عامة يدفع لقاءها المواطنون رسماً خاصاً.

المال المدفوع عن السجناء. ثمة انطباع عام بين السجناء، يفيد بأن الضابط المسؤول والشرطة الأمنية يتلاعبان بأموالنا. في ٣١ أيار/مايو ١٩٧٦ أرسل الملازم برنس رسالة فحواها أنه تم تسلم مبلغ ٣٠ رنداً من السيد والسيدة ماتلاكو في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥. لم يُعط أي تفسير عن سبب قوله لي مراراً هذه السنة، إنه لم يتم تسلم المال، ولا عن سبب عدم دخول المبلغ في حسابي في البيان الذي قُدّم إليّ من قسم المحاسبة.

لا بد لي من إخبارك أن أسلوب التجاهل الذي عوملت به الشكاوى التي قدمتها والمماطلة في الحصول على معلومات بسيطة بشأن ما يعد أموالاً ائتمانية، هما مسألة ذات أهمية بالغة عليك أن تحقق فيها بأسرع وقت ممكن، وتبرّئ سمعة دائرتك أقله في هذه المسألة المحددة.

نقاشات سياسية في جلسات مجلس السجن. درجت العادة في هذه الجلسات منذ عدة سنوات أن يقوم أعضاؤها بضم السجناء إلى النقاشات السياسية. يستخدم المجلس هذه النقاشات بغية خداع أولئك المعارضين سياسة التنمية المنفصلة.

فشل مفوض السجون في زيارة السجناء السياسيين على جزيرة روبن. إن

الانتهاكات الموصوفة أعلاه، يزيد من حدتها فشلكم في زيارة الجزيرة، ومنحنا فرصة مناقشة هذه المشاكل معكم مباشرة. إن زيارة أي مسؤول آخر من المقر الرئيسي مهما كانت رتبته، لا يعوض من زيارة رئيس الدائرة شخصياً.

ويكمن أحد أسباب المشاكل هنا في وجود صلة بين هذه الدائرة والشرطة الأمنية، وإحدى أولى الخطوات في مسعاكم إلى معالجة مشكلنا تكون بقطع الصلة عنه تماماً. يعد العديد من المساجين مفوض السجون فيما يخص جميع المسائل المتعلقة بنا، مجرد رئيس صوري، أما الرئيس الحقيقي فهو رئيس الشرطة الأمنية الذي لا يأمر مفوض الشرطة بما يفعله فقط، بل يوجهه إلى كيفية فعله.

كنت أتساءل عمّ إذا وجبت علي مواصلة كوني جزءاً من ممارسة أعدها لاأخلاقية وتُعطي الانطباع أنني ما زلت أتمتّع بالحقوق والامتيازات التي انتزعت مني، إلى درجة أنها أصبحت بدون جدوى عملياً.

لكني ما زلت أعتقد أنك كرئيس لهذه الدائرة يحمل رتبة جنرال، لن تسمح - أو تتغاضى - بهذه الأساليب الماكرة، وإلى أن يثبت قرارك الفعلي حيال هذه المسألة خطأ اعتقادي، سأواصل العمل على قاعدة أنه لا علم لك بما يجري في هذا السجن.

من غير المجدي الظن أن أي نوع من الاضطهاد سيغير آراءنا. حكومتك ودائرتك تملكان سجلاً سيئاً مليئاً بالحقد والازدراء والاضطهاد للسود، وخصوصاً الأفارقة. حقد وازدراء يمثلان المبدأ الرئيسي لقوانين الدولة. إن قساوة هذه الدائرة تعرّض شعبنا لتفتيش لاأخلاقي، حيث يُطلب إلى السجين التعري تماماً، والكشف عن مخرجه ليتم تفتيشه فيه بحضور آخرين. ممارسة قذرة تماماً كإقحام حارس إصبعه في مخرج السجين، والاعتداء على السجناء يومياً بدون أي استفزاز من قبلهم، قد تم وضع حد له من قبل الحكومة، بعد أن تحولت إلى فضيحة على مستوى الوطن.

لكن لاإنسانية الحارس الجنوب أفريقي لا تزال موجودة، إلا أنها تحولت الآن

إلى قنوات أخرى، واتخذت شكل الاضطهاد النفسي الماكر، وهو حقل يجهد فيه بعض مسؤوليك المحليين ليتخصصوا فيه. لدي أمل أن يستوعب رجل، في مثل رتبك وتجربتك، خطورة هذه الممارسة الخطيرة، ويتخذ إجراءات مناسبة لإيقافها.

إنه من غير المجدي، كما أنه مخالف لتجارب الدولة التاريخية، التفكير في أن شعبنا سينسانا، وعلى الرغم من مرور ١٦٠ سنة على إعدام سلاشتر نك، و٧٤ عاماً على معسكرات الاعتقال في الحرب الأنكلو بويرية، و٦١ سنة على إلقاء جوبي فوري خطابه الأخير.

لن أصدقك بكل تأكيد إن قلت لي إنك نسيت الآن الوطنيين الأفارقة، الرجال الذين ساعدت تضحياتهم على تحريرك من الاستعمار البريطاني وحكم البلاد، وأن تصبح أنت تحديداً رئيس هذه الدائرة.

من غير المعقول بكل تأكيد أن يتوقع أي إنسان من شعبنا، الذي يعدنا أبطاله القوميين، المحاكمين بسبب نضالنا لاسترجاع بلدنا، أن ينسى طوال حياتنا، وفي قمة الصراع للحصول على جنوب أفريقيا حرة.

قومك يذبحون قومي اليوم، وليس من قبل قرن ونصف قرن ماضيين. إنها دولة جنوب أفريقيا الحالية التي تعاني اضطهاداً عرقياً، وسجناً بدون محاكمة، وتعذيباً وأحكاماً قاسية، والتهديد بمعسكرات الاعتقال. وهذه انتهاكات تجري ليس في الماضي البعيد فحسب، بل أيضاً في المستقبل القريب. كيف يمكن قومنا أن ينسانا بينما نحن نحارب لتحريره من جميع هذه الشرور؟

في جنوب أفريقيا، كما في غيرها من البلدان المختلفة ثمة مسائل مختلفة تفرق بين السجناء والمسؤولين. لا أوافق على سياسة الدائرة التي ترأسها أنت. أمقت هيمنة البيض، وسأحاربها بكل سلاح يتوافر بيدي. لكن حتى حينما يأخذ التصادم بيني وبينك شكله الأكثر تطرفاً، أود منا أن نحارب وفقاً لمبادئنا وأفكارنا بدون اللجوء إلى

الحقد الشخصي، حتى أستطيع عند نهاية المعركة، مهما كانت النتيجة، أن أصافحك بعد شعوري بأنني خضت حرباً مع صنو نزيه ونبيل احترم ميثاق الشرف والكرامة. لكن حينما يواصل مرؤوسوك استخدام أساليب ماكرة، عندئذ لا يسعنا مقاومة الشعور بالمرارة والازدراء. تنتهي الرسالة هنا. إنها مجرد موجز توانيتُ فيه في ذكر بعض الوقائع المهمة. وفي خصوص مسألة الرسائل، قد يكون صحيحاً أن هذه الدائرة يحق لها الاعتراض على محتويات الرسالة فقط، وليس على كاتبها. لكن لا سبيل لي للوصول إلى النسخة الكاملة لقوانين السجون وتنظيماتها وأنظمتها، ولا إلى أنظمة الخدمة. ربما تود التحقيق في المسألة.

كدت أنسى إخبارك أنه في التاسع من أيلول/سبتمبر أبلغني المفوض أنه تلقى رسالة من مفوض السجون في السادس والعشرين من آب/أغسطس، ذكر فيها الأخير أنه راض عن تصرف الإدارة على هذه الجزيرة، ولا يسعه التحقيق في شكاوى الأفراد المحتجزين في سجون الدولة. بهذا الجواب أعطى مفوض السجون مباركته الرسمية لانتهاكات السلطة، والاضطهاد النظامي، وغيرهما من الاعتداءات المذكورة في رسالة في ١٢ تموز/يوليو.

أخيراً، أودّ أن تعلم أن هذه التعليمات ستُلغى من قبلي فقط... إما تحت توقيعي، وإما مباشرة في خلال مقابلة مع ممثل من شركتكم.

مع كامل إخلاصي

ن. ر. مانديلا ٤٦٦/٦٤

كانون الثاني/يناير ١٩٧٧

9

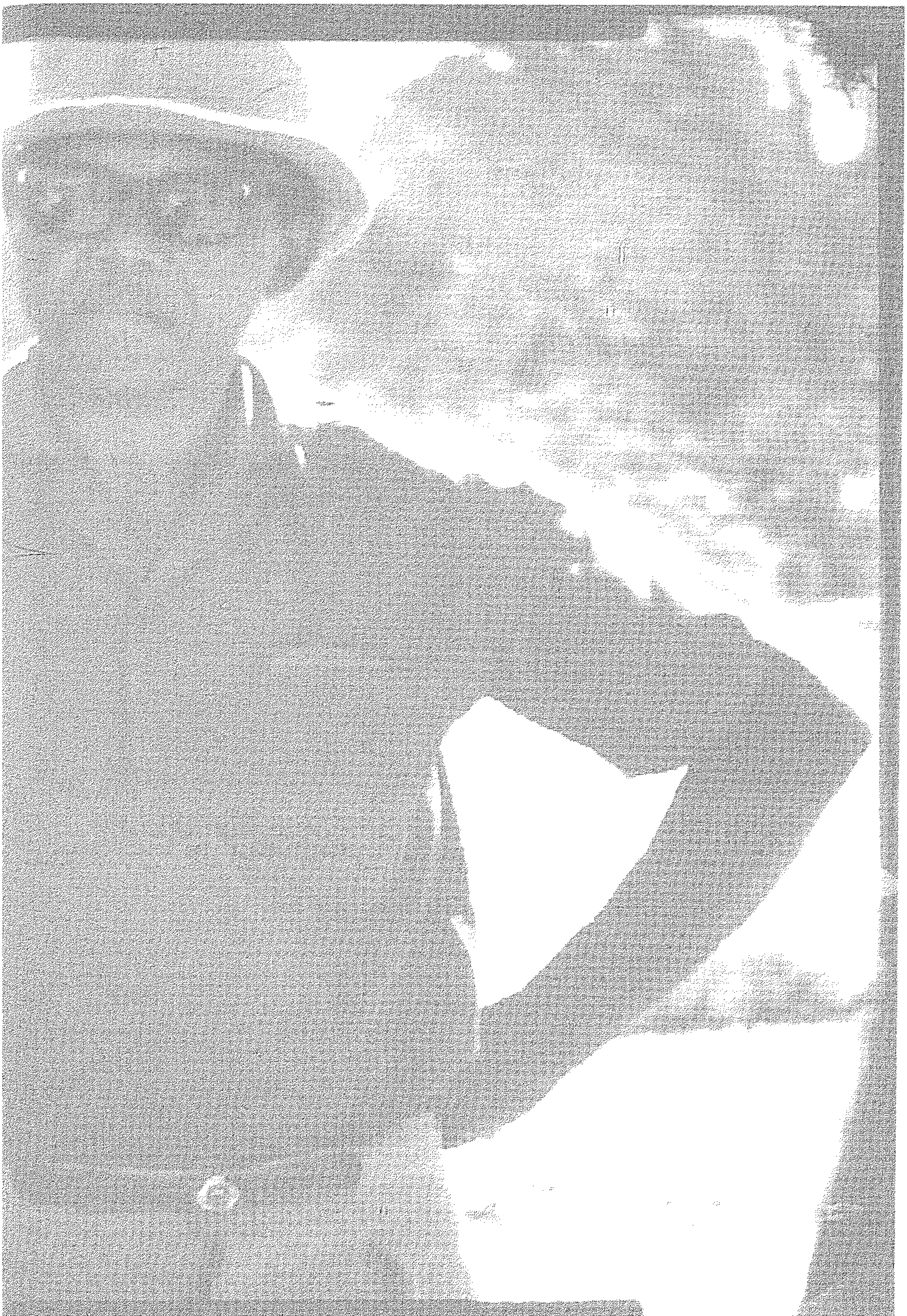
in the country's prisons. With this reply the COP has given his official blessing to the abuse of authority, systematic persecution & other irregularities mentioned in my letter of July 12. Finally, I should like you to know that these instructions will only be cancelled by me either in writing under my signature or directly through an

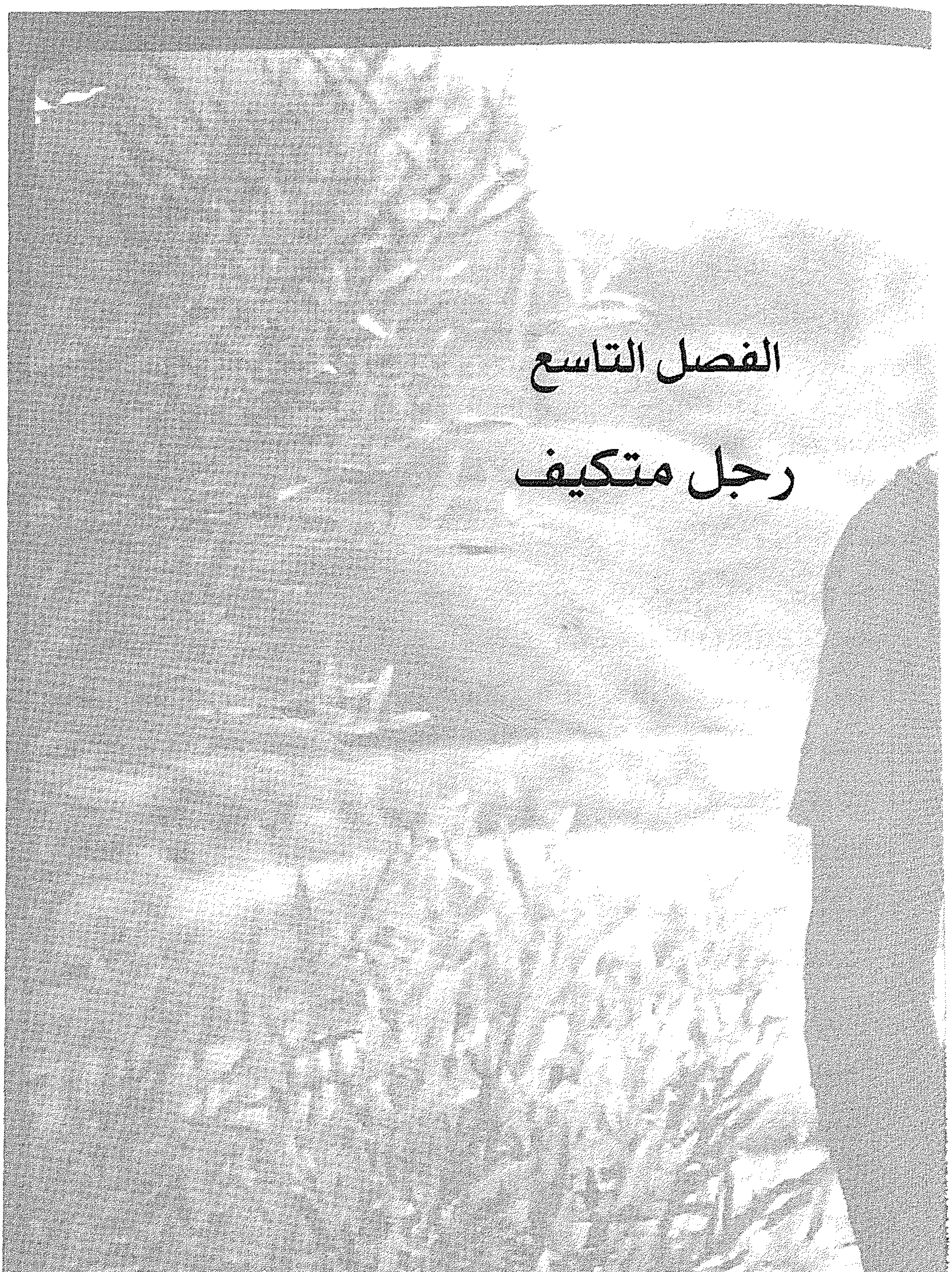
10

interview with a representative of your firm.

Yours sincerely
NRMandela 466/64.
January 1977.

من رسالة تم تهريبها من السجن إلى محامين في دربان (كانون الثاني/يناير ١٩٧٧). راجعوا ص ٢١٧ وما بعدها.





الفصل التاسع

رجل متكيف

تنفقُ الجياد الشهيرة والمسنة كحال الكثير من التي سبقتها. يتم نسيان بعض منها، ويذكر بعضها الآخر، كمجرد عناصر تاريخية، يهتم بأمرها الأكاديميون فحسب.

من رسالة إلى آرتشي غوميد (الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥). راجعوا ص ٢٣١.

١- من رسالة إلى آرتشي غوميد (الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥)

تنفقُ الجياد الشهيرة والمسنة كحال الكثير من التي سبقتها. يتم نسيان بعض منها، وتذكر بعضها الآخر، كمجرد عناصر تاريخية، يهتم بأمرها الأكاديميون فحسب.

٢- من مسودة سيرته الذاتية غير المنتهية التي كتبها في السجن

(١) يجب أن تتطرق قصة حياة المرء بشكل صادق إلى الزملاء السياسيين، شخصياتهم وآرائهم. إذ يود القارئ أن يعرف نوعية شخصية الكاتب، وعلاقاته بالآخرين. ولا يجدر أن تنبثق هذه المعلومات من النعوت المستخدَمة، بل من الوقائع ذاتها. (٢) لكن، يجدر بشكل محتوم للسيرة الذاتية الخاصة بمقاتل من أجل الحرية، أن تتأثر بمسألة ما إذا كان كشف بعض الحقائق، مهما بلغت درجة صحتها، سيساعد على تأجيج الصراع، أم لا. إن كان الإفصاح عن هذه الحقائق سيمكّننا من رؤية المشاكل بوضوح وتقريب هدفنا أكثر، إذاً فمن واجبنا القيام بذلك، برغم احتمال تأثير هذا الإفصاح سلباً في أفراد معينين محددين بالأمر. لكن الصراحة التي تسبب توتّرات وانقسامات لا داعي لها، وقد يستغلها العدو ويؤخّر الصراع ككل، تعد أمراً خطيراً يجدر تفاديه. (٣) ويمسي الحذر الكامل ضرورياً حينما تتم كتابة السيرة الذاتية بشكل سري في السجن، حيث يتعامل المرء مع زملاء سياسيين هم أنفسهم يعيشون في ظل مشاقّ الحياة وضغوطها في السجن، ويتواصلون يومياً مع المسؤولين المشغوفين باضطهاد السجناء. عند الكتابة في ظل هذه الظروف، يغريني كثيراً ذكر الأمور التي من شأنها جعل زملائي المساجين يشعرون بأن تضحياتهم لم تذهب هدراً، وهذا يبعد عن أذهانهم الظروف التعيسة التي يعيشون في ظلها، ويُدخل السعادة والأمل قلوبهم. ثمة جزء هام من ذاك الحذر واللعب العادل، يتمحور حول

إجراء أكبر قدر من التشاور مع زملائي بشأن ما تنوي القول عنهم: أن تضع المسودة في تداولهم، وتعطيهم فرصة التعبير عن آرائهم الخاصة بخصوص أي مسألة مثيرة للجدل تتم مناقشتها حتى تعكس بدقة الوقائع ذاتها وجهات نظر جميع المعنيين، ومهما تكن تعليقات كاتب هذه الوقائع. لسوء الحظ، جعلت الظروف التي كتبت هذه القصة في ظلها، وخصوصاً الاعتبارات الأمنية، من المستحيل عليّ استشارة أي أحد ما خلا حفنة قليلة من أصدقائي(1).

٣- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنتهية التي كتبها في السجن*

كان الضوء مسلطاً على قلة من الشخصيات المعروفة بيننا، مثل ويلتون مكاوي وبيلي نير ورايموند ملابا وأحمد كاثرادا وغوفان مبيكي ووالتر سيسولو(2). وهذا أمر طبيعي لأنهم يحسبون من عداد أبرز الرجال في بلادنا ، ويحبهم مئات الآلاف من الأشخاص في هذه البلاد وخارجها، لشجاعتهم وتفانيهم. كلهم محبوبون ومتفائلون، وكانوا مصدر وحي لجميع زملائي المساجين. لقد كانوا من عداد المسجونين الذين ساعدوا على جعل أفرادنا واعين دوماً التقليد النبيل المرتبط بحركة الهيئة(3). لكن هذا جزء من القصة فحسب. إن كل واحد من رجالنا نظير حجر يكوّن منظمتنا، وثمة رجال في القطاع الأساسي عالجوا مشاكل أكبر وأكثر حساسية أثرت في مئات عديدة من الرجال الذين يأتون من مختلف مشارب الحياة، والأغلبية الساحقة الذين لا يحظون بأي زيارات أو رسائل أو أموال من أجل الدراسة، ولا يستطيعون القراءة ولا الكتابة، ويتعرضون على الدوام لجميع مظالم الحياة في السجن، في حين أننا نحن هنا نتعامل مع حوالى ٢٠ رجلاً.

---

(١) كتب مانديلا السيرة الذاتية سراً، وكان أحمد كاثرادا ووالتر سيسولو يتفقدانها بحثاً عن الأخطاء في الوقائع. من ثم كان ماك ماهاراج ولالو شيبا ينسخان النصوص بخط صغير على أوراق رقيقة.

(٢) بيلي نير، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٣) تحالف من المنظمات المناهضة للتمييز العنصري، مؤلف من الهيئة الأفريقية الوطنية والهيئة الهندية الجنوب أفريقية وهيئة الديموقراطيين وهيئة الأشخاص ذوي البشرات الملونة.

٤- *من مسودة سيرته الذاتية غير المنتهية التي كتبها في السجن*

يتقاسم والتر سيسولو وكاثي (كاثرادا) قاسماً مشتركاً واحداً يمثل جزءاً هاماً من صداقتنا، وأقدّره كثيراً: لا يتوانيان أبداً في انتقادي عندما أرتكب أخطاء، وكانا طوال حياتي السياسية نظير مرآة أرى من خلالها نفسي. أتمنى لو يسعني إخباركم المزيد عن زملائي الشجعان الذين أعاني معهم الإذلال بشكل يومي، وبرغم ذلك يتصرفون بكل شرف وعزم. أتمنى لو أمكنني سرد أحاديثهم ومزاحهم، واستعدادهم للمساعدة في أي مشكلة شخصية يعانيها أي من زملائهم المساجين، حتى تقووا على الحكم بأنفسكم على نوعية هؤلاء الرجال الذين يضحون بحياتهم على مذبح الكراهية العرقية البغيض.

٥- *من رسالة إلى ويني مانديلا في سجن كرونستاد (الأول من شباط/فبراير ١٩٧٥)*

بالمناسبة، قد تجدون الزنزانة المكان المثالي لتعلم التعرف إلى النفس، والبحث بشكل واقعي ومنتظم في طريقة عمل ذهنك ومشاعرك. ونميل في الحكم على تقدمنا كأفراد إلى التركيز على العوامل الخارجية، مثل المركز الاجتماعي للمرء وتأثيره وشعبيته وثرائه ومستواه العلمي. بالطبع، تعد هذه العوامل مهمة في قيس نجاح المرء في الأمور المادية. ومن المفهوم تماماً أن يبذل العديد من الأشخاص أقصى جهودهم لتحقيق جميع هذه العناصر. لكن العوامل الداخلية قد تكون أهم في تقويم تقدم المرء كإنسان. الصدق والشفافية والبساطة والتواضع والكرم الصافي وعدم الغرور والاستعداد لمساعدة الآخرين - صفات في متناول كل إنسان - هي أساس الحياة الروحية للمرء. يعد التقدم في مسائل من هذا النوع غير قابل للتحقق بدون استبطان جدي، وبدون معرفة الذات، وهما نقطتا ضعفك وأخطائك. فأقله، تعطيك الزنزانة الفرصة للقيام يومياً بفحص سلوكك الكامل، للتغلب على الجزء السيئ منه، وتطوير النواحي الإيجابية لديك. التأمل المنتظم، لـ١٥ دقيقة مثلاً في

اليوم قبل الخلود إلى النوم، يمكن أن يكون مثمراً جداً في هذا الصدد، وقد تجد في بادئ الأمر صعوبة في تحديد النواحي السلبية في حياتك، لكن المحاولة العاشرة قد تجدي نفعاً كبيراً. لا تنسوا بتاتاً أن القديس هو من لا يتوانى في المحاولة.

٦- *من رسالة إلى السيدة دي بي ألكساندر (الأول من آذار/مارس ١٩٧٦)*

إحدى الهوايات المفضلة لدي هي تفحص جميع البطاقات التي تلقيتها على مدى السنة الفائتة. وقبل بضعة أيام فقط، كنت أنظر إلى البطاقة التي أرسلتها إلي في شهر كانون الأول الفائت. تضم أربع كلمات مطبوعة فقط، وقد أضفت إليها ثلاث كلمات بخط واضح وكبير. إن ندرة الكلمات خاصية تتسم بها جميع الرسائل الموسمية التي تلقيتها منك، وبرغم ذلك أجدها ملأى بالدفء والإلهام، وكلما وردتني هذه الرسائل، أشعر بأنني أصغر من الحفيد ليو.

٧- *من رسالة إلى زاميلا أيوب (٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٧)*

كتبت ذات مرة إلى زامي في بداية السبعينيات رسالة اعتبرتها رومانسية، من رجل يحب، بل يعشق زوجته العزيزة. وأشرت إلى أن زيني وزيندزي قد كبرتا وباتتا جميلتين، وأنني أجد متعة بالغة في التحدث إليهما. استشاطت زوجتي العزيزة غضباً. وحينما وصلت إلى آخر سطر من رسالتها، شعرت بأنني محظوظ جداً لكوني بعيداً جسدياً عنها. وإلا لكنت فقدت وداجي. بدا وكأنني ارتكبت فعل خيانة. ذكرتني قائلة: « أنا وليس أنت من قام بتربية هاتين الطفلتين اللتين بتَّ تفضلهما الآن عليّ!». صُدمتُ بكل بساطة.

٨- *من التتمة غير المنشورة لسيرته الذاتية*

إن تدريبي وخبرتي كمحام متمرس في أكبر مدينة في جنوب أفريقيا، جوهانسبورغ، جعلاني ذا حساسية في مرحلة مبكرة من حياتي السياسية، تجاه ما

كان يجري في أروقة السلطة في بلادنا. وتم تعزيز هذه الخبرة المبكرة في خلال سجني على جزيرة روبن.

آنذاك، لم يكن حراس السجن الشريحة الأفضل تعليماً في المجتمع. كان معظمهم عدائيين تجاه طموحاتنا، فقد عدوا كل سجين أسود اللون إنساناً ثانوياً وهامشياً وكانوا عنصريين جداً، وأفظاظاً وقساة في التعامل معنا.

كانت ثمة استثناءات بارزة في ما بينهم. قاموا بتحذير زملائهم بكل أناة، من أنه في أنحاء أخرى من العالم غالباً ما فازت حركات التحرير على ظالميها، وأصبح أفرادها هم الحكّام وحث هؤلاء الحراس التقدميون على وجوب معاملة السجناء وفق الأنظمة بشكل جيد، حتى إذا فازوا في وقت لاحق وأصبحوا أفراداً في الحكومة يعاملون بدورهم البيض بشكل جيد.

لطالما ركزت الهيئة الأفريقية الوطنية على مبدأ أننا نحارب ليس ضد البيض، بل ضد هيمنتهم، وهي سياسة انعكست بالكامل في التركيبة العرقية للبنى الأساسية للمنظمة والحكومة على مستوى حكومي وإقليمي ومحلي.

لم يتسنَّ لجميع زملائي المساجين الفرصة للتعرف إلى شؤون الأقسام الحكومية في ذاك الوقت. شكك بعض الأفراد الأكثر نفوذاً بيننا في ما إن كان الحوار مع نظام التمييز العنصري خياراً معقولاً.

٩- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن ترقيته إلى مرتبة عليا في السجن*[1]

ستينغل: إذاً، لمَ كنت الأول؟

(١) كان السجناء يُصنفون إلى أربع مراتب، من أ إلى ج. يتلقى سجناء المرتبة (أ) أكبر الامتيازات. ويُصنف السجناء لدى وصولهم في المرتبة (د)، ما يعني أن في مقدورهم تلقي رسالة واحدة، وكتابة واحدة أيضاً، ومقابلة زائر واحد كل ستة أشهر.

مانديلا: إنها مسألة علاقات طيبة مع السلطات... وعلى الرغم من أن مسؤوليها ورجالها كانوا يتشاجرون معنا، إلا أنني حافظت على علاقة طيبة معهم، لأنني أردت أن أبقى قادراً على الذهاب إليهم لمناقشة أي مشكلة، لأن الناس كانوا يُقلقونني، في القطاع الأساسي - الأشخاص الذين لا تتواصل معهم - وفي مجموعتنا، في قطاعنا. وكانوا يثيرون قلقي في ما يخص جميع أنواع المشاكل، بعض منها خطير جداً، وجب أن يتم حله بعيداً جداً من المشاكل العامة المتعلقة بالسياسة والممارسات. وبالتالي، حافظت على علاقة طيبة معهم، حتى مع أوكامب، وبالطبع مع المفوض العام ستاين... ولكن كنت أتشاجر معهم حول مسائل مبدئية، وحينما كانوا يقترفون عملاً خاطئاً.

١٠- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن حراس السجن*

لا أريد أن نثير انطباعاً يفيد بأن جميع الحراس هم مجرد حيوانات وخبثاء، لا. من البداية، كان ثمة حراس شعروا بأنه تجدر معاملتنا على نحو صائب. بدون تفاخر ومباهاة، وكانوا عادة يأتون خصوصاً في خلال عطل الأسبوع - وفي المساء للتحدث إلي. وكان بعضهم أخياراً بحق. وكانوا يُبدون آراءهم بصراحة حيال المعاملة التي كنا نتلقاها. بالمناسبة، حينما بتنا نعرف الحراس والمسؤولين، جرى نقاش جدي بين الحراس. كان بعضهم يقول: «ليس بوسعنا معاملة الناس بهذا الشكل. علينا أن نعاملهم بشكل لائق. علينا أن نعطيهم الصحف، ومذياعاً». وبعضهم الآخر يقول: «لا، إن فعلتم ذلك فأنتم ترفعون معنوياتهم. لا تفعلوا ذلك». فيردون عليهم قائلين: «حتى لو تم ذلك، فسيظلون على الجزيرة». إذاً، كان يجري هذا النقاش بينهم. حينما رأينا هذا الانقسام بين الحراس، قررنا بعد فترة من الوقت، أن نُضرب عن العمل السريع ونعمل ببطء. كنا نمضي صباحاً بأكمله في تحميل حمولة واحدة. جربوا جميع الوسائل وما كنا نتزحزح. لكن كان هنا شاب يسمى الرقيب أوبيرمان، كان يستدعينا كلنا ويقول: «أيها السادة، لقد أمطرت الليلة الفائتة وانزلقت التربة عن

الطرقات. أحتاج إلى الكلس لأصلح حالة الطرقات. أريد اليوم خمس حمولات، حمولة لوريات. هلاّ ساعدتموني؟». إن استدعاء الشاب لنا جميعاً ومخاطبتنا كسادة، جعلانا نشعر بالحاجة إلى مساعدته، فكنا نملأ تلك اللوريات الخمسة، في غضون ساعة كحد أقصى. وبمجرد أن يغادر، نعود إلى الإبطاء في عملنا.

لم يكن ذاك الشاب دمثاً فقط، بل كان حينما يخدم في المطبخ نحصل على حصصنا من الطعام. في المطبخ، كان يجري الكثير من التهريب. حيث يأخذون اللحم الخاص بنا والسكر وكل ما وقعت عليه أيديهم. أما هذا الرقيب فكان يحرص على حصولنا على حصصنا. لذا، كنا نحترمه، كان يوجد الكثير من الحراس من أمثاله. لذا، على الرغم من مواجهتنا صعاباً جمة، إلا أننا كنا نشهد لحظات جيدة يعاملنا فيها بعض الحراس كبشر.

١١- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: هل شارك بعض الحراس في نقاشات سياسية معك؟

مانديلا: أجل، أجل، كثيراً. بشكل عام، كان ثمة بعض الشبان ذوي الطبع الحاد الذين كانوا ينخرطون في النقاشات. وأمسوا نتيجتها، ودودين جداً معنا... ودودين جداً. وما زلت على علاقة طيبة مع بعضهم حتى الآن.

ستينغل: وكيف بدأت مشاركاتهم؟ كانوا يصغون إليكم، ثم بدأوا يطرحون آراءهم هم أيضاً؟

مانديلا: كانوا يطرحون علينا الأسئلة. في ما يتعلق بي، أنا لم أبدأ قطّ أي نقاش سياسي مع أي حارس. كنت أصغي إليهم. فالمرء يكون أكثر فاعلية إن أجاب شخصاً يريد أن يطرح أسئلة، حينما يتم التطوع بإعطاء المعلومات مجاناً، يمقت ذلك بعض الأشخاص، ولا تكون فاعلاً. من الأفضل أن تحافظ على مسافة معينة بينك وبين

الآخرين. لكن حينما يطرح أحدهم السؤال «ماذا تريدون بالضبط؟»، لأنهم هكذا يطرحون الأسئلة عادة: «أخبرني فقط ماذا تريدون»، عندئذ تشرح لهم. «لديكم ما يكفي من الطعام وتقلقون في شأن هذه الأمور؟ لمَ تسببون مثل هذه المصاعب: الشقاء للبلاد ومهاجمة الأبرياء وقتلهم؟»... عندئذ تتسنى لك الفرصة للشرح لهم والقول: «لا، أنت تجهل تاريخك الخاص. حينما كان الإنكليز يضطهدونكم، فعلتم كما نفعل بالضبط. وهذا هو درس من التاريخ».

١٢- *حديث مع ريتشارد ستينغل*

ستينغل: كان ماك ماهاراج يتكلم حول كيفية قيامك في السجن بتمثيل السجناء الآخرين، وكان هذا مناهضاً للأنظمة؟

مانديلا: أجل، أجل.

ستينغل: لكنهم في النهاية سمحوا بذلك؟

مانديلا: نعم

ستينغل: كيف حدث ذلك؟

مانديلا: لا، في إثر الإصرار والتأكيد على حقك، وجب عليهم أن يقبلوا، لأن الرجل حينما يقاتل، يحترمه حتى الأعداء، وخصوصاً إن قاتل بذكاء. قلت: «هذا خاطئ وقد رأيته. ماذا ستفعلون حياله؟ إن كان لدي الحق في التكلم نيابة عن السجناء الآخرين، ممن قاموا بارتكاب جريمة، جنحة، فماذا ستفعلون حيال ذلك؟ أنت ضابط، عليك أن تقوم بشيء ما حيال ذلك. إن رفضتم القيام بذلك فأعطوني الإذن بمراسلة المكتب المسؤول عنكم. وإن لم يساعدني، فسأراسل وزير العدل. وإن لم يساعدني وزير العدل، فعندئذ سأكون قد استنفدت قنوات تلقي الشكاوى في مصلحة السجن. سأتوجه إلى الخارج». وكانوا يخشون ذلك. كانوا يخشون إصراري،

وجرت حالات تسلمت فيها قضية وتوجهت بها في نهاية المطاف إلى وزير العدل، وحينما لم أشهد أي تطور، هرّبت رسالة إلى الخارج، ونقلت تقريراً بالواقعة إلى الصحافة. لذا، حينما ذهبت إليهم وقلت: «إن لم تسمحوا بذلك، أعرف ما سأفعل»، أثرت بذلك خشيتهم بسبب التجربة السابقة. لذا، سمحوا لي بهذه الطريقة بالتكلم مع سجناء آخرين.

١٣- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: هل تظن أن الأشخاص من جيلك لا يزالون نوعاً ما، يعنون للناس البيض الذين لن يكون لهم وجود في الجيل الأصغر؟ حتى أنت نفسك على سبيل المثال، هل يوجد بعض الرواسب...

مانديلا: شعور بالدونية تجاه البيض؟

ستينغل: أجل.

مانديلا: لا، لا أظن ذلك، خصوصاً حينما تكون قد شاركت في حركة تحررية لفترة طويلة، ودخلت السجن وخرجت منه مراراً. كان أحد أهداف حملة التحدي للعام ١٩٥٢ هو غرس روح المقاومة ضد الاضطهاد، وعدم الخشية من الرجل الأبيض والشرطي وسجنه ومحاكمه... وآنذاك، زُجّ بـ٨٥٠٠ شخص في السجن عمداً لأنهم خرقوا القوانين التي وُضعت لإهانتنا وفصلنا، ولحفظ بعض الامتيازات للبيض. خرقنا تلك القوانين ودخلنا السجن. وبات شعبنا اليوم، نتيجة للحملات من هذا النوع، لا يخشى القمع، ومستعداً لتحديه. وإن أمكن الرجل تحدي قانون دخول السجن والخروج منه، فليس وارداً تخويفه بالزجّ به في السجن. هذا بشكل عام. لذلك، حتى في جيلنا الأكبر، ليس ثمة دونية ما عدا أنه يمكن القول إننا أكثر نضجاً في معالجة المشاكل. نعلم بأن التواصل هو أفضل طريقة لإقناع أي شخص، لأن معظم هؤلاء الشبان لم يتنوّروا، ولم يتعمقوا كثيراً ليتمكنوا من تقدير المشاكل.

وعندما تواجههم بجدال بشكل هادئ جداً بدون رفع صوتك، فأنت لا تبدو مشككاً في كرامتهم واستقامتهم. دعه يرتَح ويتمكن من فهم جدليتك. عادة، حتى الحراس داخل السجن، حينما تجلس وتتكلم معهم، ينهارون بشكل كبير. ينهارون...

كان ثمة شاب، يُدعى الرقيب بونزايير، وهو شاب مثير للاهتمام. جرى بيننا ذات يوم جدال، وقلت له بضعة أمور غير سارّة بحضور بعض المساجين الآخرين. لكنني وجدت لاحقاً أنني قسوت كثيراً عليه، لأنه مقارنة بي شاب يافع. كان في العشرينات من عمره، لكنه في منتهى الصلابة والتحفظ والبرودة، وبدا جلياً أنه اقترف خطأً. لكن وجدت أن ملاحظاتي كانت حادة جداً، لذا عدت في اليوم التالي إلى المكتب وقلت له: «اسمع، أنا آسف جداً بشأن ما قلته. لم أفعل الصواب. برغم أنك خاطئ، إلا أنني آسف على ما قلته». فقال: «عد وقل لي هذا الكلام حينما ترى أصدقاءك. تكلمت معي بتلك الطريقة والآن تأتيني زاحفاً سراً (يضحك)... وتقدم الاعتذار. استدع أولئك الرجال الذين شتمتني أمامهم». فاضطررت إلى استدعائهم والقول: «لا، لديه وجهة نظر سديدة لأنني أهنته أمامكم. اعتذرت إليه على انفراد، ولم يقبل اعتذاري. ثم قال لاحقاً: «أنا قبلته». لكن حتى آنذاك، لم يكن لديه شعور بالامتنان، بالرغبة في شكري. ظل متعجرفاً... (يضحك).

أحد الأمور التي يخشاها الحراس ... هو حينما يأتي ضابط ذو رتبة عالية إلى قسمنا. يرغبون في أن يكونوا هناك لاستقباله. حينما كنت أرى ضابطاً مقبلاً من مسافة كنت أفكر في وجوب تحذيره والقول له: « سيد بونزايير، الكولونيل مقبل». فيقول: «وماذا في ذلك؟ إنه يعرف هذا المكان. في وسعه أن يأتي ويسير وحده. لن أرافقه» (يضحك). إنه مستقل جداً. إنه يتيم. كان قد أخبرني قصته، ولهذا السبب شعرت بالخزي جراء ما قلته له. لقد نشأ في ميتم... وإحدى القصص التي أخبرني إياها، أنه حينما كانوا يتناولون الفطور أو أي وجبة أخرى، كانوا لا يتكلمون بعضهم مع بعض، لأنهم يمقتون حالتهم. وهذا الواقع نتيجة أنه ليس لديهم أهل، ويفتقرون

إلى العاطفة الأبوية، وكانت مرارته، في رأيي، تعود إلى هذا السبب. وقد احترمت الشاب كثيراً لأنه صنع نفسه بنفسه. أجل. كان مستقلاً ويتلقى علومه. وغير هيّاب البتة... أعتقد أنه ترك السجن، أجل. لهذا السبب أتكلم عليه بهذا الانفتاح. وإلا لما كنت لأفعل، لأن من شأن ذلك أن يؤثر فيه.

١٤- *من رسالة إلى ويني مانديلا (٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦)، في سجن النساء، كُتبت أساساً بلغة القوسا، وتُرجمت ترجمة غير دقيقة إلى الإنكليزية على يد مسؤول في السجن*

تمر عليّ لحظات سعادة أضحك فيها وحدي، لدى التفكير في الفرص التي سنحت لي، إضافة إلى أوقات المتعة. لكن ثمة الكثير من الوقت للتأمل عوضاً من الانشغال في أمور هامة. ثمة الكثير من الأشياء التي تجذب الانتباه: التحدث مع الأصدقاء، قراءة كتب مختلفة، أمور تنعش الذهن، كتابة رسائل إلى عائلات وأصدقاء، ومراجعة الرسائل الواردة من الخارج. الأفكار لا تأتي إلا بعد الاسترخاء، وتحيط بشخص واحد. أعرف أصدقائي الدائمين جيداً. الضمير يتمزق، ويتضاعف الاحترام والحب. هذه هي الثروة الوحيدة التي أملكها.

١٥- *من رسالة إلى المحامية فيليسيتي كنتريدج (٩ أيار/مايو ١٩٧٦)*

إنني أعمل منذ ١٦ سنة، وقد تكون آرائي باتت قديمة الطراز. لكنني لم أحسب يوماً النساء، بأي طريقة أقلّ جدارةً من الرجال...

١٦- *من رسالة إلى ويني مانديلا (٢ أيلول/سبتمبر ١٩٧٩)*

ستكون محقة تماماً في اعتبار عام ١٩٧٩ عام النساء. يبدو أنهن يطالبن بأن يؤمن المجتمع باقتناعهن بالمساواة بين الجنسين. عاشت السيدة الفرنسية سيمون فيل تجارب مؤلمة حتى أصبحت رئيسة البرلمان الأوروبي، فيما تبلي ماريا بينتاسيلغو

2.

I wrote to the children just after your detention consoling them not to be worried about your absence from home. I also reminded them that you are experienced in facing difficulties at the same time wishing them good luck and success in the examinations. Although encouraging them, Iam always concerned about your health, spending speelless nights rhinking about the children who are left alone the damage of property in the house, thinking of friends and the loss of such a good paying job, the loss of money paid for examinations and the anxiety of not knowing when we shall meet again. The firls told me that they visited you several times and that you seemed to be in good health. Such messages gives one courage.

This year I received two letters from ZINDZI and none from ZENI. I did not want to ask her about that when they were here for fear that she would be ashamed. Although I wrote to them in September I will do so again next month. It sounds well that ZEIN and BAHLE are still in good terms. ZINDZI said she parted with FIDZA. Her new friend is MAFUTHA OUPA. She said you will explain all about that for she could take the whole day and night to do that. I hope you will write about that. I always think of a place where they can spend the holiday since you are not at home.

Although I am still without proof whether you received the letters of Sept. 1 and Oct. 1, as for the one of Aug. 1 I will always be expecting an answer to hear if you do receive my letters. In spite of what the contents of those letters might be, their main point love, sympathy, remembrance, respect and all that might be relevant to all that I had written therein. My main problem since I left home is my sleeping without you next to me and my waking up without you close to me, the passing of the day without my having seen you with that audible voice of yours. The letters I write to you and those you write to me are an ointment to the wounds of our separation.

As I am writing, the book of that famous author about the desert country is not far from me. The spiritual draught has vanished and substituted by the rain that fell as I completed it. Your letter dated 19/9 is just arriving now. As I am speaking, all the springs of life are running. The tributaries are full of clean water, the lakes are full and all the grandeur of nature has returned to normal. At this minute all my thoughts are beyond the Vaal in Johannesburg in the room where you are my sister.

With love,

DALIBUNGA.

Mrs. Nobandla MANDELA, Female Section, Johannesburg Prison,
P.O. Box 1133, Johannesburg (2000).

TRANSLATED FROM Xhosa to English by B/D/Sgt. RAPHADU.

CAPE TOWN.
1.11.1976.

من رسالة إلى ويني مانديلا (الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦)، في سجن النساء، كُتبت أساساً بلغة القوسا، وتُرجمت ترجمة غير دقيقة إلى الإنكليزية على يد مسؤول في السجن.

بلاءً حسناً في البرتغال، وفق التقارير، لا يتضح جلياً من الذي يدير عائلة كارتر. تحين أوقات تبدو فيها روزالين كارتر هي التي تتسلم زمام الأمور[1]. وأحتاج بشدة إلى ذكر اسم مارغريت ثاتشر. فعلى الرغم من انهيار أمبراطوريتها الممتدة في أرجاء العالم، وخروجها من الحرب العالمية الثانية كقوة من الدرجة الثالثة، إلا أن بريطانيا لا تزال من عدة نواحٍ، مركز العالم. التطورات التي تحدث هناك تجذب الانتباه من جميع أرجاء العالم.

تذكرنا إنديرا غاندي بأنها في هذا السياق، تحذو حذو آسيا فحسب، التي أنتجت في العقدين الأخيرين ما لا يقل عن سيدتين قياديتين. في الواقع شهدت القرون الغابرة نساء عديدات حاكمات: إزابيلا ملكة إسبانيا؛ إليزابيث الأولى ملكة إنكلترا؛ كاثرين العظيمة ملكة روسيا (لا أعرف مقدار العظمة التي كانت عليها)؛ أميرة باتلوكوا، مانتاتيسي، والكثيرات غيرهن[2]. لكن جميع هذه السيدات أصبحن سيدات أوليات عبر الوراثة. واليوم يتسلط الضوء على النساء اللواتي أوصلن أنفسهن بأنفسهن.

١٧- *من رسالة إلى أمينة كاشاليا (٢٧ نيسان/أبريل ١٩٨٠)*

كيف تجرئين على تعذيبي عبر تذكيري بوجبة الحمام تلك! هذا نظير حف الملح بجرح دام. ما زلتُ، بعد ٢٨ سنة أحن إلى ذاك اليوم الذي لا يُنسى. أجل، أنت محقة تماماً! حان الوقت لتناول وجبة أخرى. متى، وأين؟ لم يعد أمراً مهماً. لكن ما دمت تفكرين في الأمر وتطرحين أسئلة ذات صلة، فذاك أمر مذهل بشكل كاف. يغريني القول: «إسلقي الحمام اللعين وأرسليه. إن كان بعض الرجال في جوهانسبورغ يطلبون عادة وجبات الطعام من مطعم فرنسي، فلم عساك لا تستطيعين تدبُّر إرساله إلى مسافة ألف ميل؟ بالطبع، هذه أمانٍ، فأنا وأنت ندرك أن هذه الوجبة لن تصل

(١) روزالين كارتر (١٩٢٧-). متزوجة بالرئيس جيمي كارتر.

(٢) مانتاتيسي (١٧٨٠-١٨٢٦). الوصية على عرش باتلوكوا (سوثو)، ١٨١٣-٢٦.

أبداً إلى المحيط الأطلسي. في كانون الأول الفائت، أرسلت إلي صديقتنا عايشة من كايب تاون وجبة عيد ميلاد تليق بالملوك، غير منتبهة إلى أنه ليس ثمة مجال في هذا القسم لمثل هذه المبادرات»[1]. كم كنت سأستمتع لو أنني تذوقت وجبة بالكاري حقيقية وطازجة معدّة منزلياً. لم يعيدوا إليها الحزمة فحسب، بلو هشّموا بعض الأواني. ما بدأ بكثير من العطف والنية الحسنة، انتهى بالإحباط، وربما حتى بالمرارة. كتبت إليها رسالة مواسية، وآمل فقط أن تشعر بقليل من التحسن بعد أن تصل إليها. لكن، حتى وأنا أكتب هذه السطور على عجل، فإن القلب والرأس، الدم والذهن، تتصارع كلها بعضها مع بعض. الأول يتوق بشكل مثالي إلى جميع الأشياء الجميلة التي نفتقدها في حياتنا، والرأس يقاوم الوقائع القوية التي نعيش حياتنا في ظلها.

١٨ - *حديث مع ريتشارد ستينغل*

لديّ عدد من الأعمال من تأليف سي جاي لانجينهوفن... كريستوس فان ناساريث: «مسيح الناصرية»: «ظلال الناصرية». والكتاب الآخر هو لولوراي، وقد كان كتاباً حذقاً جداً، كُتب في العشرينيات حيث طار رجل من الأرض إلى القمر... ثم يقارن الظروف على القمر بتلك الموصولة على الأرض. في الحقيقة، كان رجلاً من القمر هو الذي طار إلى الأرض، ويصف التناقض بين الحياة عليها وتلك التي على القمر، وكيف أن الطرق هناك مرصوفة بالذهب وما إلى هنالك، وكيف طار عائداً إلى بلاده...

ستينغل: لماذا أحببت الكاتب لانجينهوفن؟ لماذا أحببته؟

مانديلا: أولاً، كتابته بسيطة جداً. وثانياً، كان كاتباً مرحاً جداً، وبالطبع كان يعود

(١) د. عايشة أرنولد (توفيت العام ١٩٨٧)، كانت صديقة تعيش في كايب تاون، بقيت معها زيني وزينيدزي لدى زيارة مانديلا في السجن. كانت تراسل مانديلا وترسل إليه الطعام.

جزء من كتابته لتحرير الأفارقة إلى الرغبة في تقليد الإنكليزي. كانت فكرته تدور حول غرس العزة الوطنية بين الأفارقة لذا، راقني كثيراً. أجل... ثم من ناحية الشعر (دي جاي) أوبرمان... لم يكن شعره موجهاً نحو فكرة معينة ذات طبيعة سياسية، بل كان يدور حول الأدب الصافي، وقد كان جيداً جداً.

١٩- من رسالة إلىويني مانديلا، بواسطة العميد أوكامب، سجن بريتوريا، (الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٠)

تصوّر رواية من تأليف سي جاي لانجينهوفن اسمها «ظلال الناصرية»: محاكمة المسيح على يد بونتيوس بايلايت حينما كانت فلسطين خاضعة للرومان، ولما كان بايلايت حاكمها العسكري. قرأت الرسالة العام ١٩٦٤، والآن أتحدث استناداً إلى ذاكرتي الصرفة. وبرغم أن الحادثة الموصوفة في الكتاب وقعت قبل حوالى ألفي سنة، إلا أن القصة تحوي مغزى تعد صحته عالمية، وذا معنى، ومهماً اليوم، بقدر ما كان عليه في قمة حكم الأمبراطورية الرومانية.

يكتب بايلايت بعد المحاكمة رسالة إلى صديق له في روما، يبوح له فيها باعترافات ملحوظة. بشكل مختصر، هذه هي القصة التي رواها هو، ولكني عرضتها بصيغة المتكلم للتوضيح فقط:

لكوني حاكماً على المقاطعة الرومانية، قمت بمحاكمة الكثير من القضايا التي تضم جميع أنواع المتمردين. لكن محاكمة المسيح هذه لن أنساها أبداً! ذات يوم، تجمّع حشد كبير من الكهنة والأتباع اليهود، وهم يرتجفون غضباً وحماسة خارج قصري، وطالبوا بأن أصلب المسيح لادعائه أنه ملك اليهود، وفي الوقت ذاته أشاروا إلى رجل غُللت يداه ورجلاه بالسلاسل بشكل محكم. نظرت إلى السجين فالتقت نظراتنا. لكنه ظل، في غمرة كل الحماسة والضجيج، محافظاً على هدوئه التام: هادئاً وواثقاً، كأن ملايين الناس يقفون إلى جانبه. قلت للكهنة إن السجين خرق القانون



466/64 Nelson Mandela

Dade Wethu,

January 1, 1970

A novel by Langenhoven, "Skaduwees van Nasaret" [Shadows of Nazareth] depicts the trial of Christ by Pontius Pilate when Israel was a Roman dependency & when Pilate was its military governor. I read the novel in 1964 & now speak purely from memory. Yet though the incident described in the book occurred about 2000 years ago, the story contains a moral whose truth is universal & which is as fresh & meaningful today as it was at the height of the Roman Empire. After the trial, Pilate writes to a friend in Rome to whom he makes remarkable confessions. Briefly this is the story as told by him &, for convenience, I have put it in the first person:

As governor of a Roman province I have tried many cases involving all types of rebels. But this trial of Christ I shall never forget! One day a huge crowd of Jewish priests & followers, literally shivering with rage & excitement, assembled just outside my palace, & demanded that I crucify Christ for claiming to be king of the Jews, at the same time pointing to a man whose arms & feet were heavily chained. I looked at the prisoner & our eyes met. In the midst of all the excitement & noise, he remained perfectly calm, quiet & confident as if he had millions of people on his side. I told the priests that the prisoner had broken Jewish, & not Roman law & that they were the rightful people to try him. But in spite of my explanation they stubbornly persisted in demanding his crucifixion. I immediately realised their dilemma. Christ had become a mighty force in the land & the masses of the people were fully behind him. In this situation the priests felt powerless & did not want to take the responsibility of sentencing & condemning him. Their only solution was to induce imperial Rome to do what they were unable to do.

At festival time it has always been the practice to release some prisoner & as the festival was then due, I suggested that this prisoner be set free. But instead, the priests asked that Barabas, a notorious prisoner, be released & that Christ be executed. At this stage I went into court & ordered the prisoner to be brought in. My wife & those of other Roman officials occupied seats in the bay reserved for distinguished guests. As the prisoner walked in my wife & her companions instinctively got up as a mark of respect for Christ, but soon realised that this man was a Jew & a prisoner, & whereupon they resumed their seats. For the first time in my experience, I faced a man whose eyes appeared to see right through me, whereas I was unable to fathom him. Written across his face was a gleam of love & hope, but at the same time he bore the expression of one who was deeply pained by the folly & suffering of mankind as a whole. He gazed upwards & his eyes seemed to pierce through the roof & to see right beyond the stars. It became clear that in that courtroom authority was not in me as judge, but was down below in the dock where the prisoner was.

My wife passed me a note in which she informed me that the previous night she had dreamt that I had sentenced an innocent man whose only crime was that of messiah to his

من رسالة إلى ويني مانديلا (الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٧٠).

اليهودي وليس الروماني، وإنهم أحق الناس بمحاكمته. لكن، برغم تفسيري هذا، أصروا بعناد على المطالبة بصلبه، فأدركت على الفور معضلتهم. أصبح المسيح قوة هائلة على الأرض، وكانت جماهير الشعب تقف وراءه. شعر الكهنة في ظل هذا الوضع بالعجز، ولم يشاؤوا تحمُّل مسؤولية الحكم عليه، ودينه. وحلهم الوحيد كان إقناع روما الاستعمارية بالقيام بما يعجزون هم عن القيام به.

لطالما جرت العادة في أوقات الاحتفال إطلاق بعض السجناء. وبما أنه آنذاك كان وقت الاحتفال، اقترحت إطلاق ذاك السجين. لكن، عوضاً من ذلك، طالب الكهنة بإطلاق باراباس، وهو سجين سيئ السمعة، وإعدام المسيح. توجهت في هذه المرحلة إلى المحكمة، وأمرت بجلب السجين. جلست زوجتي، وعدد من المسؤولين الرومان في المقاعد المخصصة للضيوف المميزين. حينما دخل السجين وقفت زوجتي والضيوف بشكل لاإرادي دلالة على احترام المسيح، لكن سرعان ما أدركوا أن هذا الرجل يهودي وسجين، وبالتالي عاودوا الجلوس. لأول مرة في حياتي المهنية، واجهت رجلاً بدت عيناه تخترقان جسدي في حين عجزت أنا عن سبر غوره. كان يشع في وجهه وميض الحب والأمل، لكن في الوقت عينه عكسَ تعابير شخص آلمته بشدة حماقة البشرية ومعاناتها. رفع رأسه ونظر إلى الأعلى، فبدا أن عينيه اخترقتا السقف وراحتا تنظران إلى ما وراء النجوم. بات من الواضح أن في تلك الغرفة لم تكن السلطة تنبع مني كقاض، بل من قفص الاتهام في الأسفل، حيث السجين. أمرّت إلي زوجتي ملاحظة أطلعتني فيها أنها في الليلة الفائتة حلمت بأنني حكمت على رجل بريء لم يرتكب جريمة سوى أنه مخلّص شعبه. «ها هو يقف قبالتك يا بايلايت الرجل الذي أبصرته في حلمي، لتحقق العدالة!». علمت أن ما قالته زوجتي كان صحيحاً تماماً، لكن فرض علي واجبي أن أحكم على هذا الرجل بغض النظر عن براءته. وضعت الملاحظة في جيبي، وبدأت مناقشة القضية. أطلعت السجين على التهمة الموجهة إليه، وطلبت إليه أن يشير إلى ما إذا كان مذنباً أم لا.

تجاهلني عدة مرات تماماً، وبدا جلياً أنه يعد المحاكمة مجرد جلبة لا داعي لها، إذ إنني قد حسمت أمري في شأن العقوبة. كررت السؤال، وأكدت له أني أملك السلطة لإنقاذ حياته. ذاب وميض السجين في ابتسامة ونطق للمرة الأولى. اعترف بأنه ملك، وبهذا الجواب الوحيد البسيط دمرني تماماً. لقد توقعت أن ينكر هذه التهمة كما يفعل جميع السجناء، فأوصل اعترافه الأمور إلى نهايتها وخواتيمها.

أتعلم يا صديقي العزيز، أنه حينما ينظر قاض روماني في قضية في روما، يرشده بكل بساطة التهمة والقانون والدليل المقدم أمام المحكمة، وسيتخذ قراره استناداً إلى هذه العناصر فقط. لكن هنا في المقاطعات، بعيداً عن روما، نحن في حرب. الرجل الموجود على أرض المعركة لا تهمه سوى النتائج: النصر وليس العدالة والقاضي هو نفسه يخضع للمحاكمة. لذا، برغم إدراكي أن هذا الرجل بريء، إلا أن واجبي فرض علي الحكم عليه بالإعدام. وبالتالي فعلت. آخر مرة رأيته فيها كان يشق طريقه بصعوبة تجاه موقع الجُمجمة وسط الإهانات والضرب والسخرية، تحت وطأة الصليب الثقيل الذي سيُصلَب عليه. قررت أن أكتب إليك هذه الرسالة الشخصية، لأنني أعتقد أن هذا الاعتراف المموّه لصديق، سيهدئ أقله من روع ضميري المتعب.

هذه باختصار قصة يسوع ولا داعي للتعليق، ما خلا القول إن لانجينهوفن كتب ليحفز الوعي السياسي لدى شعبه في جنوب أفريقيا في وقت ومكان معينين، حيث على الرغم من الاستقلال الرسمي الذي يتمتع به الشعب يعمد الإنكليز إلى احتكار أعضاء الحكومة، ومن خلالهم النظام القضائي. بالنسبة إلى الأفريقي، قد تذكّر هذه القصة بتجارب غير سارة، وتنكأ جروحاً قديمة، لكنها تعود إلى مرحلة انقضت. بالنسبة إليك وإلي، إنها تطرح مسائل لها طبيعة معاصرة. آمل أن تجديها مفيدة وهامة، وثقي بأنها ستجلب لك درجة معينة من السعادة.

٢٠- من رسالة إلى ويني مانديلا (٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦)، في سجن النساء في جوهانسبورغ، تُرجمت من لغة القوسا إلى الإنكليزية على يد مسؤول في السجن

قرأت تواً كتاباً من تأليف كاتبنا الشهير حول منطقة الكارو وغيرها من المناطق. ذكّرني بالزمن الذي جلتُ فيه في هذه الأماكن جواً وبراً وبواسطة السكة الحديد. رأيته ثانية لدى مروري عبر بوتسوانا في طريق عودتي من أفريقيا. لكن من بين جميع الصحارى، لا أعتقد أنه وجد صحراء مخيفة بقدر الصحراء الكبرى، حيث توجد كثبان هائلة جداً تُرى حتى لو كانت في الهواء. لم أرَ أي شجرة أو واحة مطلقاً. كانت الصحراء جافة جداً، إلى درجة أنه لم يتوافر أي قطرة مياه لإرواء ظمئي. الرسائل الواردة منك ومن العائلة تناظر الندى وأمطار الصيف وكل الجمال البلدي الذي ينعش الذهن، ويشعر المرء بالثقة. منذ اعتقالك، لم أتلق سوى رسالة واحدة منك في الثاني والعشرين من آب/أغسطس. لا أعرف حتى الآن أي شيء عن شؤون المنزل: قاطنيه؛ طريقة دفع الإيجار؛ وفاتورة الهاتف؛ ومصاريف الفتاتين والتكاليف؛ أو إن كان ثمة بارقة أمل بعودتك إلى العمل بعد إطلاق سراحك. إلى أن أتلقى رسالة منك توضحين فيها جميع هذه الأمور، لن أرتاح أبداً... وفي الوقت الذي أكتب الآن، لا يبعد عني الكتاب الذي ألفه ذاك الكاتب الشهير عن الدولة الصحراوية. اختفى الجفاف الروحي وحل محله المطر الذي انهمر وأنا أُتمّ الرسالة. لقد وصلت رسالتك التي بعثتها في ١٩-٩ الآن. وأنا أتكلم، تتدفق جميع ينابيع الحياة. روافد الأنهر امتلأت كلها بالمياه النظيفة، وفاضت البحيرات، وعادت كل عظمة الطبيعة إلى طبيعتها.

٢١- من رسالة إلى زيندزي مانديلا (١٠ شباط/فبراير ١٩٨٠)

كنت أراجع قبل بضعة أيام الملاحظات التي أخذتها من مجموعة «بلاك آز

أي آم»[1]. لسوء الحظ لم يعد الكتاب الأصلي في حوزتي، وبرغم أنه بات الآن في وسعي قراءة المجموعة بعناية، لا أملك فرصة دراسة كل قصيدة شعر بمساعدة الصور المُرفقة. لكن حينما رأيت المقتطفات الأدبية المختارة أخذت الاحتياطات الضرورية التي من شأنها أن تساعدني على تذكر الصورة المرفقة كلما قرأت بيتاً شعرياً معيناً.

قُطِعتْ شجرة

بقلم زيندزي مانديلا

قُطعت شجرة وتناثرت الثمرات

بكيتُ

لأنني خسرتُ عائلتي

الجذع، والدي

الأغصان، دعمه الكبير

الثمرات، الزوجة والأولاد

الذين يعنون له الكثير

لذيذون ومحبون كما يجدر بهم أن يكونوا

كلُّهم على الأرض

الجذور، السعادة

اقتُطعت منه.

(١) «بلاك آز أي آم» أي كوني سوداء، هي مجموعة من القصائد التي نُشرت عندما كانت زيندزي في السادسة عشرة وأهدتها إلى والديها.

لدى قراءة قصيدة «قُطعت شجرة» بوجود صورة الشجرة الجافة المرسومة بوضوح في ذاكرتي، والأكواخ والجبال في الخلفية، أدهشتني على الفور رمزية التناقضات التي تشع بوضوح من الأسطر. ربما هذا النوع من التناقض هو المتأصل في كل ناحية من نواحي الحياة. تكمن هذه التناقضات في الطبيعة والمجتمع، في قلب كل ظاهرة، ويمكن أن تحفز الحاجة إلى التفكير الجدي والتقدم الحقيقي. ستبدو الشجرة بدون الأسطر الموجودة في الأسفل، أقل من عادية. وبالكاد يلاحظها أي إنسان. تبدو كأن البرق صعقها في خلال العصر الحجري وامتصت نسغها آلاف الخفافيش. إن أمكن الأشياء غير الحية أن تصبح يوماً أشباحاً، لصارت بكل بساطة هذه الشجرة شبحاً.

لقد دمرها التقدم في السن أو المرض. لم يعد في مقدورها احتباس طاقة أشعة الشمس، ولا استخراج المياه الحيوية من التربة أسفلها. أغصانها وأوراقها، جمالها وكرامتها التي جذبت في ما مضى أنظار محبي الطبيعة والحيوانات من جميع الأنواع، قد اختفت. لم تعد الشجرة سوى أخشاب للحرق لها جذور. إنها جرداء بقدر حجر الحديد الخام وقلة من الناس تصدق أنه في زمن معين وفي تاريخ ما، أمكنها حمل الثمار.

لكن هذه الاستعارة حولت هذه الشجرة الميتة ذاتها شيئاً حياً، له معنى هام، يفوق أهمية الشجرة اليافعة والسليمة المزروعة في واد، تربته خصبة ويُروى بشكل جيد، بمدى أوسع من مدى مِخذَفة دايفيد الشهيرة. يجب أن توجد بعض الأشياء في الطبيعة ميتة ومميتة في الوقت عينه، نظير هذه الشجرة البالية المنظر. لكن في الشعر، لا تعود شيئاً غير ذي أهمية في مكان محلي، وتصبح من الممتلكات المنزلية، وجزءاً من الأدب العالمي الذي يساعد على إشباع الحاجات الروحية للقراء في دول عديدة. إن الاستخدام المتقن للصور المجازية، يجعل من الشجرة مركز الصراع الذي يُعد قديماً قدم المجتمع عينه؛ النقطة التي يلتقي فيها عالمان: العالم الماضي والعالم

الحاضر. رمز المنزل الحلم الذي وُجد على الأرض، والآمال المبعثرة نتيجة الواقع الفعلي الذي نعيش حياتنا في ظله.

الفن الراقي هو عالمي بدون شك، وغير محدود بزمن. وهؤلاء الذين سيقرأون عملك الأدبي قد يرون بين سطوره طموحاتهم وتجاربهم الخاصة. أتساءل عن الصراعات التي أثارها هذا العمل في أفكار والدتك ومشاعرها. لا بد من أنها ضجت بالسعادة والفخر. لكن لا بد من أنه مرت لحظات خدش فيها قلمك أرق مناطق في جسدها، تاركاً إياه يرتجف ألماً وقلقاً، وهو أمر سيجعل من مرارتها أكثر مرارة.

سيذكر قطع الشجرة وتناثر الثمرات بشجرة الدراق الجميلة التي نبتت قرب نافذة غرفة نومنا وثمارها اللذيذة. لا بد من أن أحلامها تعرَّضت لمطاردة قاطع الخشب العديم الرأفة، الذي تفرض عليه مهنته القضاء على ما أوجدته الطبيعة، ولا يتأثر قلبه بنواح الشجرة الساقطة، وصوت تكسر أغصانها وتناثر ثمراتها.

أبناء على الأرض وبعيدون عن متناول اليد. يخطر على الفور في بالي، الراحل ثيمبي والطفل ماكازيوي (الأول) الذي خلَفَه ونام في المقبرة طوال العقود الماضية. أفكر فيكم جميعاً وفي البؤس الذي نشأتم في ظله، والذي أنتم مضطرون اليوم إلى العيش فيه. لكنني أختار إن كانت والدتكم قد أخبرتكم يوماً بأخيكم الذي مات قبل أن يُولَد. كان صغيراً بقدر قبضة يدك حينما تركتك. وكاد يقتلها.

ما زلت أذكر يوم الأحد ذاك، حينما كانت الشمس توشك على المغيب. ساعدت والدتك على النهوض من سريرها والتوجه إلى الحمّام. بالكاد كان عمرها ٢٥ سنة آنذك، وكانت تبدو جميلة ومميزة بجسدها الفتي والناعم الذي كان يغطيه ثوب حريري زهري. لكن عند عودتنا إلى غرفة النوم، اختل توازنها فجأة، وكادت تقع أرضاً. لحظتُ أيضاً أنها كان تتعرّق بشدة، واكتشفت أنها أكثر مرضاً مما ادّعت. هرعت بها إلى طبيب العائلة، فأرسلها إلى مستشفى «كورونايشن» حيث مكثت

عدة أيام. كانت أول تجربة مريعة لها كزوجة، نجمت عن التوتر الشديد الذي سببته له المحاكمة على الخيانة التي تواصلت مدة أربع سنوات. تذكرني قصيدة «قُطعت شجرة» بهذه التجارب القاسية كلها. لكن القلم الجيد من شأنه أن يذكرنا أيضاً بأسعد لحظات حياتنا، ويثير أفكاراً نبيلة في بالنا وروحنا ودمنا. يمكنه أن يحول المأساة أملاً وانتصاراً.

٢٢- *من رسالة إلى ويني مانديلا (٢٦ نيسان/أبريل ١٩٨١)*

لا أنفك أحلم، بعض الأحلام سار، وبعضها الآخر ليس كذلك. ليلة الجمعة السابقة لعيد الفصح، أبصرتُني أنا وإياك داخل كوخ على أعلى تلة مطلة على واد سحيق، حيث هناك نهر كبير يتدفق على حافة غابة. رأيتك تنزلين على منحدر التلة غير منتصبة القامة كعادتك، ولكن بخطوات أقل ثقة. كنت تخفضين رأسك طوال الوقت كأنك تبحثين عن شيء يبعد بضع خطوات عن قدميك. عبرت النهر، وحملت معك حبي، تاركة إياي مهموماً. رحت أراقبك بعناية وأنت تجوبين تلك الغابة من دون هدف، محافظة على مسافة قريبة من ضفة النهر. فوقك مباشرة كان زوجان مثّلا تناقضاً صارخاً. بدا جلياً أنهما متحابان ويركزان على نفسيهما. بدا أن العالم برمته موجود في هذا الموقع.

دفعني قلقي بشأن سلامتك واشتياقي الصرف إليك إلى النزول عن التلة لأرحب بعودتك، في حين عاودت عبور النهر في طريقك إلى الكوخ. إن احتمال الانضمام إليك في الهواء الطلق، وفي مثل هذا المحيط الجميل، حفّز لدي الذكريات العزيزة، وتطلعت إلى الإمساك بيدك وتقبيلها قبلة شغوفة. لكن ظني خاب، وأضعتك وسط المنحدرات السحيقة التي تصل إلى الوادي، ولم ألتقك ثانية إلا حينما عدت إلى الكوخ. هذه المرة، كان المكان يضج بالزملاء الذين حرمونا من الخصوصية. أردت كثيراً لو أسوّي كثيراً من الأمور. في آخر مشهد، كنت متمددة على الأرض في زاوية، تنامين لتتخلصي من الاكتئاب، والملل والإنهاك. ركعت على الأرض لأغطي

الأجزاء المكشوفة من جسمك ببطانية. كلما راودتني مثل هذه الأحلام أصحو وأنا أشعر بالقلق والهم، لكنني أرتاح فور إدراكي أنه كان مجرد حلم. لكن هذه المرة، كان رد فعلي مختلطاً ومشوشاً.

٢٣- *من رسالة إلى أمينة كاشاليا (٣ أيار/مايو ١٩٨١)*

تسري إشاعات بين الفينة والأخرى بأن صحتي قد انهارت، وبأني في لحظات حياتي الأخيرة. لا بد من أن آخر هذه الإشاعات هزّ العائلة والأصدقاء. صحيح أنه قد يكون ثمة مرض غرّار ينخر الأعضاء الحيوية في الجسم بدون علم الضحية به، لكن حتى الآن أشعر بالعافية التامة.

٢٤- *من رسالة إلى زيندزي مانديلا (الأول من آذار/مارس ١٩٨١)*

في معظم الأحيان حينما أجوب الزنزانة جيئة وذهاباً، أو حينما أستلقي على سريري، يهيم ذهني بعيداً، متذكراً حادثة ما وخطأً ما. ومن بين هذه الأفكار تخطر لي فكرة إذا كنت في عز أيام حياتي خارج السجن، أظهرت تقديراً كافياً للحب واللطف اللذين أبداهما الكثير من الأشخاص الذين صادقوني وساعدوني حتى حينما كنت فقيراً ومكافحاً.

٢٥- *من رسالة إلى ثوروبيتساين تشوكودو (الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٧٧)*[(١)]

١٤ سنة، هي مدة طويلة سارت فيها النكسات والحظوظ الموفقة يداً بيد. كبر الأحباب في السن بسرعة نتيجة جميع أنواع المشاكل الروحية والجسدية التي تعد أفظع من أن تُذكر. تميل الروابط العاطفية إلى الضعف في حين يتلو الإنسان الواقعي

(١) ثوروبيتساين تشوكودو كان اسماً مستعاراً لأديلايد تامبو (كان اسمها تشوكودو قبل الزواج)، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). لم يشأ مانديلا أن ينبّه السلطات إلى أنه كان يراسل آل تامبو، الذين كانوا في المنفى في المملكة المتحدة، وتم إرسال الرسالة بواسطة ويني.

الحكمة التالية: يضاعف الغياب الاشتياق، ويكبر الأطفال، ويكوّنون وجهات نظر لا تتساوق مع تمنيات الوالدين. حينما يعود الغائبون في نهاية المطاف يجدون بيئة غريبة وغيرة ودودة. وتثبت الأحلام والمواعيد الزمنية عصية على التحقق، وحينما يضرب النحس ضربته، يكاد القدر لا يوفر جسوراً ذهبية.

لكن التقدم الكبير ممكن دوماً إن حاولنا نحن أنفسنا التخطيط لكل تفصيل في حياتنا وتصرفاتنا، ولا نسمح بتدخل القدر إلا وفقاً لشروطنا نحن.

٢٦- *من رسالة إلى ويني مانديلا (٩ كانون الثاني/يناير ١٩٧٩)*

لقد ضلل التحريف العديد من الأشخاص الأبرياء، لأنه محوك حول وقائع وأحداث ملموسة لا ينكرها أولئك الذين لا يزالون يتمتعون بضمير حي. لا تموت العادات بسهولة فهي تترك آثارها الجلية، والندوب غير المرئية المحفورة في عظامنا وفي دمنا، وتسبب دماراً للعوامل الرئيسة لا سبيل إلى إصلاحه، ويمكنها أن تواجه سلالاته أينما ذهبوا، وتحرمهم الكرامة والنظافة والسعادة التي وجب أن يتمتعوا بها. مثل هذه الندوب تصور الناس كما هم، وتجلب التناقضات المحرجة التي يحياها الأفراد علانية. ومثل هذه التناقضات هي بدورها المرآة التي تجسّد تمثيلاً أميناً لمن تضرروا وتقول: «مهما تكن مُثُلي في الحياة، فهذا ما أنا عليه».

لحياتنا وقاياتها الداخلية وتعويضاتها الخاصة. قيل لنا إن القديس هو آثم لا ينفك يحاول أن يكون نظيفاً. يمكن المرء أن يكون شريراً ثلاثة أرباع حياته، ومن ثم ينال الاحترام لأنه عاش حياة مقدسة في الربع الباقي من عمره. في الحياة الواقعية لا نتعامل مع آلهة، بل مع أشخاص عاديين مثلنا: رجال ونساء يضجون بالتناقضات، يتمتعون بالثبات والاضطراب، والضعف والقوة، والشهرة والسمعة السيئة؛ أشخاص تتصارع في مجرى دمائهم يومياً اليرقانات الخبيثة مع المبيد الحشري الفعال. وفي أي حال، عسى أن يركز المرء لدى الحكم على الآخرين، وهو أمر يعتمد على

شخصية القاضي المعني. حينما نحكم على الآخرين، كذلك يحكم الآخرون علينا. الشكّاك سيُعذَّب دوماً، والساذج سيكون مستعداً باستمرار لتصديق كل ما يقوله الـ«أوثوبيلا سيكوتييل»[1]، في حين سيستخدم المحب للانتقام الفأس الحادة عوضاً من نافض الغبار المريّش الناعم. لكن الواقعي، مصدوماً وخائب الظن بفعل زلات من يحبهم، فسينظر إلى السلوك البشري من شتى جوانبه، وسيركز بشكل موضوعي على الخصائص الموجودة لدى الشخص، التي تعد رفيعة وتعزز المعنويات وتحفز حماسة المرء للعيش.

٢٧- *من رسالة إلى ماكي مانديلا، (٢٧ آذار/مارس ١٩٧٧)*

كما تعلمين، لقد عُمّدت في الكنيسة الميثودية، ودرست في المدارس الوزليانية: كلاركباري وهيلدتاون وفورت هير. عشت في ويزلي هاوس، حتى أنني أصبحت في فورت هير أستاذاً في مدرسة الأحد. حتى هنا كنت أحضر جميع الطقوس الكنسية وأستمتع ببعض العظات... لدي معتقدي الخاص في ما يتعلق بوجود قوة عظمى أو عدم وجودها، ومن الممكن أن يتمكن المرء بسهولة من شرح سبب اعتقاد الناس من قديم الزمان، بوجود إله. أنا واثق بأنك تعلمين بأن ما يسمى الحضارة الأوروبية، قد تأثر إلى حد كبير بالحضارتين اليونانية والرومانية القديمتين. لكن على الرغم من معرفتهم العلمية المتقدمة في العديد من الحقول، كان لدى اليونانيين ما لا يقل عن ١٤ إلهاً. لقد سمعت بأسماء بعض منها - أبولو، أطلس، كيوبيد، جوبيتير، مارس، نيبتون، زوس... إلخ. وجرى استفتاء في الآونة الأخيرة في إنكلترا لمعرفة عدد الأشخاص الذين يؤمنون بالله، وإن كنت أذكر الوقائع بشكل صحيح، وُجد أن أقل من ٣٠ في المئة من إجمالي السكان يؤمنون بالله. إنني لا أعلق على هذه المسألة بطريقة أو بأخرى، إلا أنني أقول فقط إنه

(١) (أوثوبيلا سيكوتييل) هي عبارة بلغة القوسا تعني الشخص الذي يستغلك إن كنت سهل الانخداع أو سريع التأثر.

نتيجة لخبرتي الحياتية، من الأفضل بكثير يا عزيزتي أن تحتفظي بالمعتقدات الدينية لنفسك. فقد تهينين بدون قصد منك الكثير من الأشخاص عبر محاولتك بيعهم أفكاراً يعدونها غير علمية ومحض خيال.

٢٨- من رسالة إلى زينذي مانديلا (٢٥ آذار/مارس ١٩٧٩)

أخبرنا كاهن في الوقت عينه تقريباً برجل نبالي يملك قدرت شبيهة بقدرات ابن الشيطان. ووفقاً للكاهن، كان النبالي يقتل القططة والكلاب والخنازير فقط من خلال النظر إلى عيونها. وادعى أيضاً أن في مقدوره التخلص من البشر بالسهولة ذاتها. أخبرنا أيضاً أن قساً مسيحياً في تلك القرية أطلع النبالي على أن قوة الله أقوى من الشر في قلب الإنسان. ومن ثم تحدى النبالي في منازلة لإثبات القوة. وتفيد القصة أنه في يوم محدد واجه القس وشيوخه الرجل الآسيوي وتضرعوا إلى الله أن يمدهم بالقوة ليظهروا علوية الدين المسيحي. وبالنتيجة اعتنق النبالي المسيحية.

الصعوبة الوحيدة التي أجدها في هذه العظة، تكمن في أنني لا أحب المعجزات التي تحدث دوماً في أراض بعيدة، خصوصاً إن لم تكن تُفسّر علمياً. يصعب تصديق هذه القصة برغم أنها سُردت على سبيل الوعظ. لكن إن كان الهدف من ورائها تصوير الصراع بين الخير والشر، والعدالة والظلم، عندئذ نقبل الرمزية.

٢٩- من رسالة إلى الأميرة زيناني مانديلا دلاميني (٢٥ آذار/مارس ١٩٧٩)[١]

لكن العناية بالأمور الصغيرة وتقدير اللباقات البسيطة، هي عادة دلالة هامة على الإنسان الجيد.

(١) (زيناني - زيني) مانديلا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). تزوجت بالأمير ثامبوموزي (موزي) دلاميني، ابن ملك سوازيلاند، سوبهوزو عام ١٩٧٧.

٣٠- من حديث مع ريتشارد ستينغل حول ما إذا كان سجناء حركة توعية السود على جزيرة روبن، شعروا بأن سجناء الهيئة الأفريقية الوطنية كانوا معتدلين جداً[١]

لا، لا أظن ذلك، لكن انضم إلينا عدد كبير منهم، وكان الناس يملكون انطباعاً خاطئاً عن الهيئة الأفريقية الوطنية، لأن أول ما يقوم به الأفريقي هو التصرف بعدوانية تجاه العدو. لكن لا بأس بذلك، إن كنت تريد تثقيف الناس وتوجيههم إلى فكرتك، وقد فعلنا ذلك مع حراس السجن. ولا يسعك القيام بذلك بعدوانية. إن كنت عدائياً فأنت تنفّرهم وتدفعهم إلى القتال معك رداً عليك، في حين أن المقاربة الأرق، خصوصاً إن كنت واثقاً بقضيتك تحقق نتائج أكبر بكثير من كل تلك التي تجنيها العدائية.

٣١- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: في عطلة الأسبوع، سردت قصة رمزية عن الشمس والريح؟

مانديلا: أجل، صحيح.

ستينغل: وجدتها قصة رائعة، وخطر لي أنه يمكن تضمينها مكاناً ما في الكتاب.

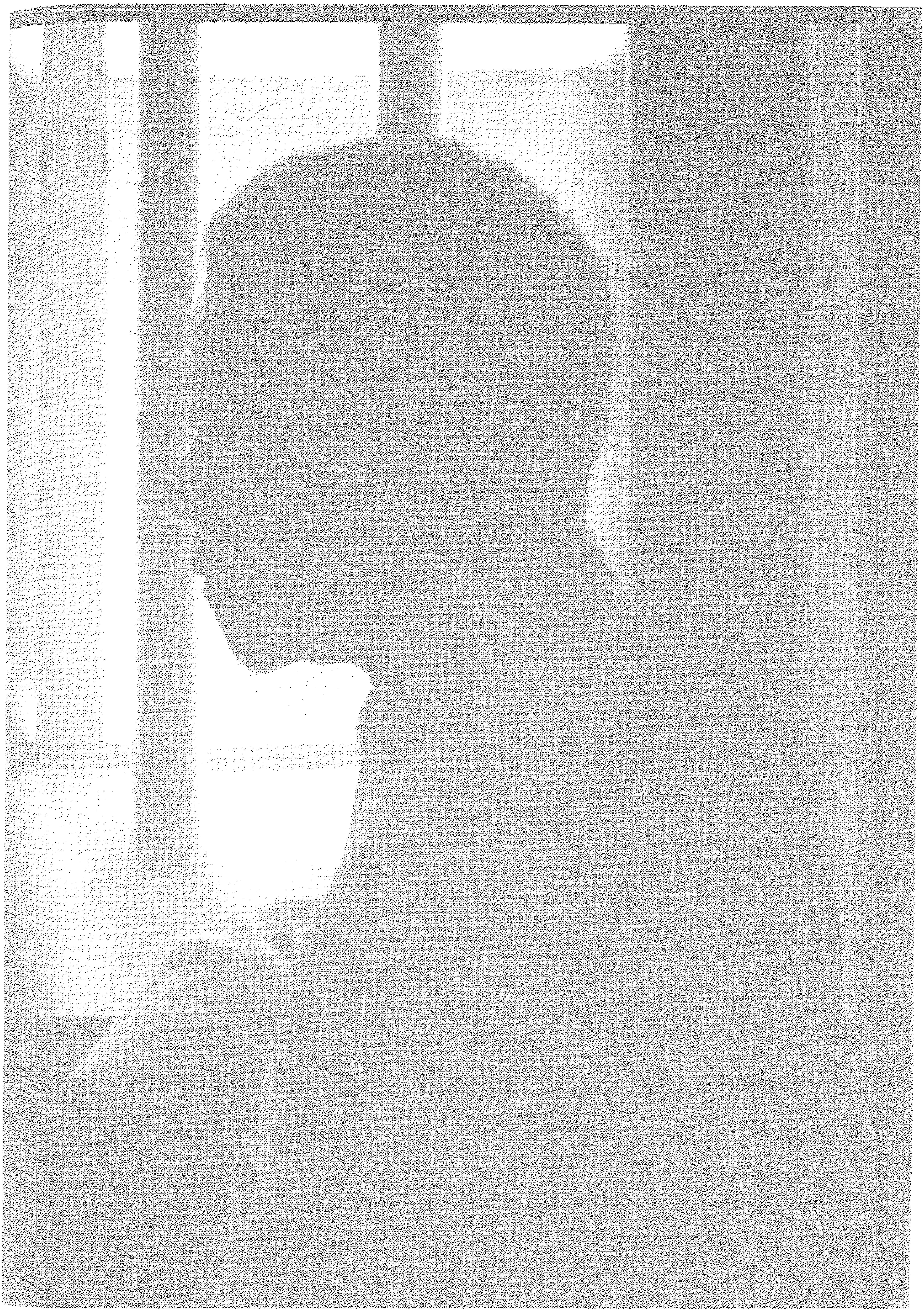
مانديلا: أجل.

ستينغل: هلاّ أعدت سردها الآن؟

مانديلا: أجل، كان مهماً الحرص على غرس رسالة السلام عميقاً في تفكير الناس وسلوكهم. كنت أقابل بين قوة السلام الفائقة، وسردت جدالاً بين الشمس والريح، حيث تقول الشمس: «أنا أقوى منك»، فترد الريح قائلة: «لا، بل أنا أقوى».

(١) حركة توعية السود، كانت حركة مناهضة للتمييز العنصري تستهدف الشبان والعمال السود، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

وبالتالي، قررتا اختبار قوتيهما مع مسافر كان يتدثر ببطانية. واتفقتا أن التي تفلح منهما في دفع المسافر إلى التخلي عن البطانية، هي ستكون الأقوى. فبدأت الريح. شرعت تعصف، وكلما اشتد عصفها لفّ المسافر نفسه أكثر فأكثر بالبطانية. وراحت تعصف وتعصف، لكنها عجزت عن جعله يترك البطانية. وكما قلت، كلما اشتد عصفها لف المسافر جسمه بالبطانية أكثر فأكثر. وفي النهاية استسلمت الريح. ثم بدأت الشمس ترسل أشعتها بشكل خفيف، ثم زادت حدتها أكثر فأكثر فشعر المسافر بأنه ما من داع للبطانية لأن الغرض منها أساساً هو توفير الدفء. لذا، قرر التخلي عنها وتركها، لكن أمست أشعة الشمس أقوى وأقوى. وفي النهاية رمى البطانية. إذاً، من خلال طريقة لطيفة أمكن دفع المسافر إلى التخلص من البطانية. وهذا هو المغزى من القصة. من خلال السلام، ستفلح في هداية أكثر الأشخاص عناداً وتمسكاً بمبدأ العنف. وهذا هو الأسلوب الذي يجدر بنا اتباعه.



الفصل العاشر

تكتيكات

المُثُل التي نقدّرها، وأصدق أحلامنا، وأحر آمالنا، قد لا تتحقق في حياتنا. لكن هذه نقطة جانبية. فمعرفة أنك في خلال يومك أنجزت مهامك، وكنت على قدر توقعات أخيك الإنسان، هي ذاتها تجربة مجزية، وإنجاز هائل.

من رسالة إلى شينا دانكان (الأول من نيسان/أبريل ١٩٨٥).

١- من رسالة إلى الموقر فرانك شيكان (٢١ آب/أغسطس ١٩٨٩)[1]

النصر في قضية كبيرة لا يُقاس فقط من خلال الوصول إلى الهدف النهائي. يعد أيضاً نصراً أن تكون على قدر توقعات الآخرين في حياتك.

٢- من رسالة إلى شينا دانكان (الأول من نيسان/أبريل ١٩٨٥)[2]

النصر في قضية كبيرة لا يُقاس فقط من خلال الوصول إلى الهدف النهائي. يعد أيضاً نصراً أن تكون على قدر توقعات الآخرين في حياتك.

٣- من رسالة إلى البروفيسور صاموئيل داش (١٢ أيار/مايو ١٩٨٦)[3]

لا يسعك فتح أبواب هذا السجن حتى أخرج منه حراً، ولا يسعك أيضاً تحسين الظروف التي أُضطر إلى العيش في ظلها. لكن زيارتك سهلت عليَّ بكل تأكيد تحمل جميع المصاعب التي أحاطت بي على مدى السنوات الاثنتين والعشرين الماضية.

٤- من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن

أعي أيضاً أنه تم بذل جهود كبيرة هنا وفي الخارج من أجل إطلاقي أنا وسجناء

(١) فرانك شيكان (١٩٥١-) رجل دين وناشط ضد التمييز العنصري، وكاتب وموظف حكومي، وعضو في الهيئة الأفريقية الوطنية.

(٢) شينا دانكان (١٩٣٢-٢٠١٠) ناشطة ضد التمييز العنصري. قائدة «بلاك ساش»، منظمة ضد التمييز العنصري تابعة لامرأة بيضاء. كتب مانديلا هذه الرسالة إليها بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيس منظمة «بلاك ساش».

(٣) صاموئيل داش (١٩٢٥-٢٠٠٤). عضو في مجلس رابطة حقوق الإنسان الدولية. كبير مستشاري لجنة ووترغايت السيناتورية. كان داش أول أميركي يقابل مانديلا في السجن عام ١٩٨٥.

سياسيين آخرين، وهي حملة وهبتنا إلهاً كبيراً، وأظهرت أن لنا مئات الآلاف من الأصدقاء. إلى جانب عطف زوجتي وعائلتي عموماً، قلة هي الأمور التي ألهمتني أكثر من معرفتي بأنه برغم سعي العدو إلى عزلنا وتهميشنا، إلا أن الناس في كل مكان لم ينسونا قط. لكننا نعرف العدو جيداً، سوف يود إطلاقنا من موقع قوة وليس ضعفاً، وهذه فرصة فوتوها عليه إلى الأبد. مهما تكن مُلهِمةً معرفتُنا بأن أصدقاءنا يصرون على خروجنا من السجن، إلا أن المقاربة الواقعية تُظهر بوضوح أن علينا أن نستبعد تماماً احتمال نجاح مثل هذا المطلب. لكني متفائل جداً. حتى من وراء جدران السجن في وسعي رؤية الغيوم الكثيفة والسماء الزرقاء فوق الأفق، وأنه مهما بلغ خطأ حساباتنا، ومهما كانت الصعوبات التي لا تزال يتحتم علينا مواجهتها، فسأتمكن في حياتي من الخروج إلى تحت أشعة الشمس، والسير بخطى واثقة، لأن هذا الحدث سيتحقق بفعل قوة منظمتي، وعزم شعبنا الصرف.

٥- *من رسالة إلى هيلدا بيرنشتاين (٨ تموز/يوليو ١٩٨٥)*

لدى التحدث عن التقدم، يعود الذهن إلى العام ١٩٦٢، حينما كنت أصغي إلى تجارب زملاء بن بيلا، الذين كانوا مثقفين جداً[1]. واجهتُ الشباب في بعض من تلك النقاشات، كان بعض منهم بالكاد يبلغون العشرينات من العمر، لكنهم كانوا يتكلمون نظير المحنكين السابقين، وبقوة مقنعة في أمور سياسية، كنتُ فيها أقله مجرد هاوٍ. كادت وجنتاي تحمرّان خجلاً، وسألت نفسي عن سبب تخلفنا في هذا المجال. لكن اليوم تغيرت الأمور، ولهو مصدر إلهام أن أعلم بأن جنوب أفريقيا تنتج شباناً ذوي عزم ويتمتعون بمستوى وعي عال جداً. إن كانت ركبتاك تتصلبان وعيناك تضعفان وسنك تتقدم، فعليك أن تعزي نفسك بمعرفة أن مساهمتك الخاصة هي عامل مهم في هذا الصدد.

(١) يشير مانديلا إلى تدريبه العسكري الذي تلقاه في المغرب العام ١٩٦٢.

٦- من رسالة إلى اللورد نيكولاس بيثيل (٤ حزيران/يونيو ١٩٨٦)(١)

أريد القول إن ثمة خطورة كبيرة أن يجلس المرء جانباً، ويكون مجرد متفرج على الاضطراب المأسوي الذي يمزق بلدنا، ويولّد مثل هذه المشاكل الخطيرة. قد يكون صحيحاً أن الأيام التي ستحول فيها الأمم الجيوش الكبيرة حركات سلام نافذة، والأسلحة الفتاكة محاريث غير مؤذية، لا تزال بعيدة عنا سنوات عديدة. لكن ما يمدنا اليوم بالأمل، أنه بات يوجد منظمات عالمية وحكومات ورؤساء دول وجماعات وأفراد نافذون يكافحون بشجاعة وجدّ لتحقيق السلام في العالم.

٧- من رسالة إلى هيلدا بيرنشتاين (٨ تموز/يوليو ١٩٨٥)

يواصل الذهن مَخْض الأحداث الراهنة وتلك التي تم نسيانها منذ أمد، بعضها يتضمن أصدقاء مقربين ما عادوا في الوجود. يزعجنا أنه في معظم هذه الحالات لم نتمكن من إلقاء النظرة الأخيرة عليهم، أو حتى بعث رسائل تعاطف إلى أحبائهم: موزز وبرام، وميكل وجا بي، دوما وجاك، مولي وليليان، أم بي وجوليان، جورج ويوسف. القائمة طويلة جداً، ولا يسعني ذكرها كلها هنا. لكن صدمتنا الطريقة القاسية التي ماتت بها روث (فيرست)، وأدخلت المرارة إلى قلوبنا بشكل يفوق الوصف. وبعد حوالى ٣ سنوات من تلك الحادثة المأسوية، لم تشف الجروح تماماً بعد. ستوافقينني في الرأي بأن قلة قليلة من أصدقائها لم يُصبهم في وقت أو آخر لسانها الحاد. لكن أحداً لن ينكر أنها كانت إنسانة ملتزمة جداً ومتمتعة بقدرات عالية، ومثّل موتها نكسة قاسية علينا جميعاً.

---

(١) اللورد نيكولاس بيثيل (١٩٣٨-٢٠٠٧). سياسي بريطاني، ومؤرخ، وناشط في مجال حقوق الإنسان. عضو في كل من البرلمان والجمعية التشريعية الأوروبية. قابل مانديلا في سجن بولسمور العام ١٩٨٥.

٨- حديث مع ريتشارد ستينغل عن عودته إلى السجن بعد عملية البروستات التي خضع لها في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥

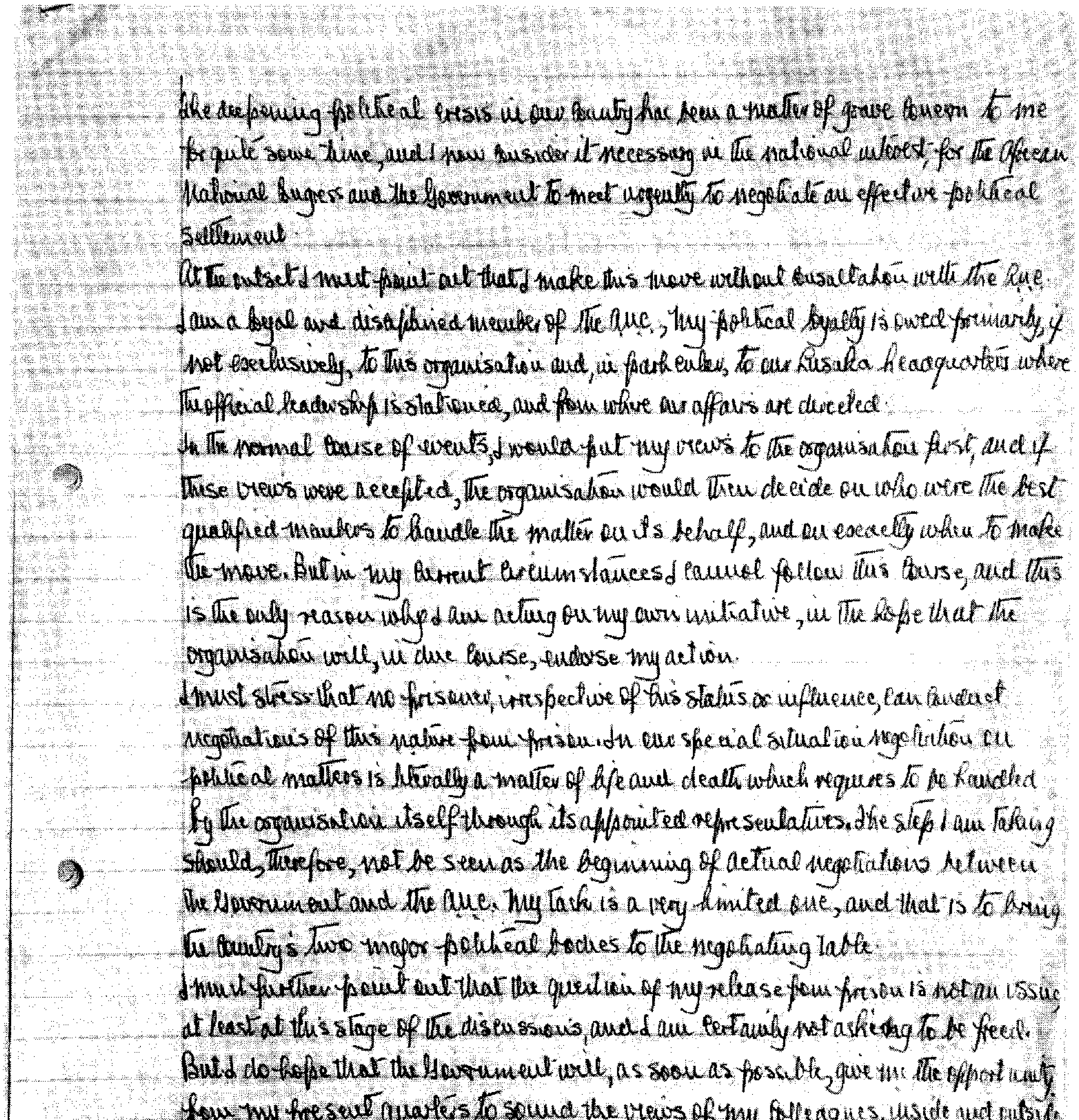
ستينغل: هل فوجئت حينما أخذوك إلى تلك الزنزانة وحدك؟

مانديلا: لا، كان الضابط المسؤول آنذاك العميد مونرو، أتى لإحضاري، وفي الطريق من المستشفى إلى السجن قال لي: لا، لن نعيدك إلى أصدقائك الآن، إلى زملائك[١]. سوف تبقى وحدك. فقلت له: لماذا؟ فأجاب: لا أدري، تسلمت هذه التعليمات من المكتب الرئيسي.

ستينغل: ولكن، ألم تكن قد طلبت نقلك؟

مانديلا: لا، لا. لم أطلب ذلك. لكن بالطبع حينما فعلوا ذلك قررت استخدام هذا الأمر للبدء بمفاوضات، ولأنها ستكون مسألة حساسة. لطالما كانت الحكومة تروج دعاية في الانتخابات تقول فيها: لن نتكلم أبداً مع الهيئة الأفريقية الوطنية... إنها منظمة إرهابية تتألف من أشخاص يقدمون على اقتراف الجرائم وتدمير الممتلكات. لذا، من أجل الإقدام على تحرك، وجب أن يتوافر عنصر السرية، وحينما كنت أمكث وحدي كان في مقدوري توفير عنصر السرية هذا. وبرغم أنني افتقدت أصدقائي، ولم أشأ الانفصال عنهم، إلا أنني قررت حينئذ استغلال الفرصة وهذا ما فعلته. وقلت لزملائي إنه لا يجدر بنا افتعال مشكلة من هذه المسألة. لم أقل لهم بالطبع إنني سأستغل هذه المسألة. لو أنني أخبرت أصدقائي بأنني سأستخدم ذاك الوضع بغية البدء بمفاوضات لما كنا تفاوضنا. لكانوا رفضوا الأمر. لذا، قررت أن أبدأ المفاوضات بدون إخبارهم ثم أواجههم بالأمر الواقع.

(١) كان مانديلا يتشاطر زنزانة جماعية مع والتر سيسولو ورايموند مالابا، وأندرو ملانغيني، وأحمد كاثرادا.



The deepening political crisis in our country has been a matter of grave concern to me for quite some time, and I now consider it necessary in the national interest for the African National Congress and the Government to meet urgently to negotiate an effective political settlement.

At the outset I must point out that I make this move without consultation with the ANC. I am a loyal and disciplined member of the ANC; my political loyalty is owed primarily, if not exclusively, to this organisation and, in particular, to our Lusaka headquarters where the official leadership is stationed, and from where our affairs are directed.

In the normal course of events, I would put my views to the organisation first, and if these views were accepted, the organisation would then decide on who were the best qualified members to handle the matter on its behalf, and on exactly when to make the move. But in my current circumstances I cannot follow this course, and this is the only reason why I am acting on my own initiative, in the hope that the organisation will, in due course, endorse my action.

I must stress that no prisoner, irrespective of his status or influence, can conduct negotiations of this nature from prison. In our special situation negotiation on political matters is literally a matter of life and death which requires to be handled by the organisation itself through its appointed representatives. The step I am taking should, therefore, not be seen as the beginning of actual negotiations between the Government and the ANC. My task is a very limited one, and that is to bring the country's two major political bodies to the negotiating table.

I must further point out that the question of my release from prison is not an issue, at least at this stage of the discussions, and I am certainly not asking to be freed. But I do hope that the Government will, as soon as possible, give me the opportunity from my present quarters to sound the views of my colleagues, inside and outside the country, on this move. Only if this initiative is formally endorsed by the ANC will it have any significance.

I will touch presently on some of the problems which seem to constitute an obstacle to a meeting between the ANC and the Government. But I must emphasise right at this stage that this step is not a response to the call by the Government on ANC leaders to declare whether or not they are nationalists,

/and to...

نسخة مكتوبة بخط اليد من رسالة تقترح إجراء محادثات بين الهيئة الأفريقية الوطنية والحكومة العام ١٩٨٥.

٩- *من التتمة غير المنشورة لسيرته الذاتية*

كان رفقائي في السجن رجالاً صادقين وأصحاب مبادئ. بعد أن وضعوا نصب أعينهم أن بعض الثورات التي وقعت في أنحاء أخرى من العالم، قد خانت الصراع عشية تحقيق النصر أو بعده بقليل، أصبحوا يشكون في المبادرات الفردية. لو أنهم علموا مسبقاً بشأن خطتي القاضية بالتكلم مع الحكومة، لكان قلقهم بشأن رجل واحد عُزل عنهم ويقوم بمثل هذا الفعل أمراً مفهوماً. كان مقر المنظمة (الهيئة الأفريقية الوطنية) يقع في زامبيا، حيث كان يتمركز القادة الذين كانوا يقودون الصراع. وحدهم هم الذين كانوا يعرفون اللحظة الاستراتيجية للتحرك. لم تنحرف الهيئة قط عن المبدأ القائل بأن تحرير بلدنا يتم في النهاية من خلال الحوار والمفاوضات.

لكني فاوضت الحكومة بدون إخباري زملائي المساجين. وفي خلال تلك المحادثات، اقترح د. نيل برنارد، وهو رئيس إدارة المخابرات في نظام التمييز العنصري، أن فريقاً قرر البدء بنقاشات سرية مع ثابو مبيكي، مضيفاً أنه وفقاً لمصادره يعد هذا الرجل أهلاً للمفاوضات[١].

عارضت هذا الاقتراح استناداً إلى أن مثل هذه المحادثات لا يمكنها أن تكون سرية أبداً. ونظراً إلى أنها ستتم في بلد أجنبي، أشرت إلى أنه يجدر بهم الاتصال بالرئيس أو الأمين العام للهيئة الأفريقية الوطنية، أوليفر تابو أو ألفرد نزو على التوالي[٢]. وقلت إن البدء بمثل هذه المحادثات غير المشروعة، قد يفسد مستقبل الحياة السياسية لشاب. ظننت أن برنارد تقبل نصيحتي.

لذا، صُدمت حينما اكتشفت لاحقاً أن برنارد تجاهل نصيحتي واتصل بثابو مبيكي. لكن مبيكي كان حكيماً بما فيه الكفاية، ورفض الانخراط في محادثات

---

(١) د. لوكاس (نيل) برناد، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). ثابو مبيكي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) ألفرد بافيتوكسولو نزو راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

سرية بدون موافقة المنظمة. ونقل تقريراً إلى الرئيس الذي أذن له ولصديقه جايكوب زوما، بلقاء برنارد[1].

١٠- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن المحادثات في الثمانينيات*[2]

ستينغل: ظللت تقول لهم إن الصراع المسلح هو رد فعل على ما تفعله الحكومة في البدء، وإنه نظراً إلى عدم توافر مجال للاحتجاج السلمي أو الدستوري، لم يبق لكم سوى هذا الخيار.

مانديلا: أجل.

ستينغل: وماذا كان ردهم على هذا الكلام؟

مانديلا: لم يقووا على الإجابة عن هذه المسألة بالطبع. تبنوا في البداية الموقف الطبيعي بأن العنف هو مجرد فعل جرمي لا يقوون على تحمله. والنقطة التي كنت أطرحها تفيد بأن الوسيلة التي تستخدمها الجهة المضطَهَدة من أجل تحقيق نضالها، تحددها الجهة المضطهِدة ذاتها. حينما يستخدم المضطهِد وسائل سلمية كذلك سيفعل المضطَهَد؛ لكن في حال استخدم القوة فسوف يرد المضطَهد أيضاً بالقوة. هكذا كان جدالي... لكنهم طرحوا سؤالاً وجدتُ أنه معقول جداً وكان: «كنا طوال السنة نصرّح بأننا لن نفاوض الهيئة الأفريقية الوطنية أبداً، والآن تقول إنه يجدر بنا التفاوض. سوف نفقد مصداقيتنا مع الناس. كيف عسانا أن نتغلب على ذلك. في وسعنا التحدث معك، وربما سيتفهم شعبنا ذلك، لكن لا يسعنا التكلم مع الهيئة لأن ذلك سيمثل انحرافاً صارخاً وتاماً عن السياسة التي اتبعناها من قبل. سوف نخسر صدقيتنا». هذا هو السؤال الذي طرحوه.

---

(١) جايكوب غيدلييليكيسا زوما (١٩٤٢-). رئيس جنوب أفريقيا (٢٠٠٩-).

(٢) كتب مانديلا رسالة إلى وزير العدل كوبي كوتسي العام ١٩٨٥ يطلب إليه فيها عقد اجتماع للبدء بمناقشة احتمال إجراء محادثات بين الحكومة والهيئة الأفريقية الوطنية.

وجدت صعوبة في معالجة هذا السؤال، وقلت لهم: «لقد كنتم تطبقون سياسة التمييز العنصري. قلتم إنه يجدر نقل السود إلى الأرياف. وقد غيرتم هذه الفكرة الآن. لقد جعلتم قانون تقييد تحركات السود، إحدى أهم سياساتكم، ثم أبطلتم هذا القانون. لم تفقدوا المصداقية... يجدر النظر إلى مسألة المفاوضات من وجهة النظر هذه. يجب أن تتمكنوا من القول لشعبكم إنه ما من حل لهذه المسألة بدون الهيئة الأفريقية الوطنية. كانت هذه مقاربتي. لكن كانت الإجابة عن هذا السؤال صعبة، لأنه كان صحيحاً».

ستينغل: وكانت المسائل الأخرى التي أرادوا مناقشتها معك، تتعلق بمسألة الحقوق الجماعية: كيف عسانا أن نحمي مصلحة الأقلية البيضاء؟

مانديلا: أجل، أجل.

ستينغل: وماذا فسرت لهم الأمور بهذا الخصوص في خلال هذه النقاشات؟

مانديلا: حوّلتهم إلى مقالي الذي كتبته العام ١٩٥٦ في صحيفة تسمى «تحرير» كتبت فيها قائلاً: «إن دستور الحرية ليس مخططاً للاشتراكية»[1]. وفي ما يخص الأفارقة، يعد في واقع الأمر مخططاً للرأسمالية، لأن الأفارقة سيحظون بالفرصة التي لم يحظوا بها قط من قبل، للتملُّك حيثما يشاؤون، وستزدهر الرأسمالية في ما بينهم كما لم تفعل من قبل. كانت هذه هي الفكرة التي قدمتها.

١١- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن عيادة كونستاتيابرغ الطبية، حيث تمت معالجته عند إصابته بالسل*

ستينغل: كيف وجدت عيادة كونستاتيابرغ؟

(١) «دستور الحرية»، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

مانديلا: جيدة جداً. في الواقع في أول يوم أُخذت فيه إلى هناك، أتى كوبي كوتسي لرؤيتي في الصباح الباكر، ثم جلبوا لي الفطور. لم يعرفوا في اليوم الأول لوصولي ما هي الحمية الغذائية الموصوفة لي... حمية خالية من الكوليسترول، كانت تعني ببساطة أنه لا يجدر بي تناول البيض أو اللحم المقدَّد. لكن في صباح ذاك اليوم بالذات، جلبوا لي بيضتين والكثير من اللحم المقدد، ثم أتوا بحبوب الفطور (يضحك). ثم قال الرائد الذي كان مسؤولاً عني في سجن بولسمور: «لا يا مانديلا، لا يسعك تناول هذا الطعام، فهذا مخالف لتعليمات الطبيب». فقلت: «اليوم أنا مستعد للموت، لذا سآكله». (يضحك) أجل، فلم يكن قد سبق لي أن تناولت البيض واللحم المقدد منذ وقت طويل.

١٢- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن انتقاله من عيادة كونستاتيابرغ الطبية إلى سجن فيكتور فيرستر في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨*

مانديلا: كنت متعوداً عادات الحراس. وأمكنني في هذه الحادثة بالذات، من خلال التحركات، أن ألاحظ أن شيئاً ما سيحدث، إذ كان ثمة أمر غير عادي. كان الرائد المسؤول متوتراً ونزقاً جداً وكانت تتم الكثير من المشاورات بين الحراس، وكان ثمة منع تام لقدوم أي شخص إلى جناحي، ولم يسمحوا سوى للممرضة التي كان يُفترض أنها تؤدي مناوبتها في العمل. ولحظت أن ثمة أمراً ما، لكنني لم أعرف ما هو. في النهاية، دخل الرائد في المساء وقال: «هيئ نفسك يا مانديلا، فسوف نأخذك إلى بارل»[١]. فقلت: «لماذا»؟ فأجاب: «سوف تمكث هناك الآن». وفي الساعة التاسعة، غادرنا بمرافقة كبيرة. كان قد حل الظلام حينما وصلنا، ثم دخلنا غرفة نوم واسعة، لكن كان فيها الكثير من الحشرات. بالطبع، أنا معتاد الحشرات، لأنه كان مكاناً برياً. بري، بمعنى أنه أعجبني. إن كنت تحب الطبيعة فسوف تشعر

(١) يقع سجن فيكتور فيرستر بين بارل وفرانسشووك في غرب كاسب، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

بالسرور في ذاك المكان. لكن كان فيه الكثير جداً من الحشرات. بعض منها لم يسبق لي أن رأيته من قبل: مجموعة متنوعة وكثيرة من الحشرات، و«أم أربع وأربعين» تسير في الأرجاء. رأيت كثيراً منها.

ستينغل: في غرفة نومك؟

مانديلا: أجل، في غرفة النوم، معظمها في غرفة النوم. وفي الصباح، كنستها إلى الخارج، كما كان يوجد بعوض. لكنني نمت نوماً هانئاً. ثم أتى كوبي كوتسي، وزير العدل في عصر اليوم التالي، وأراد أن يتعرف إلى حالة المبنى - أي المنزل - وراح يجول من غرفة إلى أخرى متفقداً إياه. توجهنا إلى الخارج وراح يتفحص الجدران الأمنية وقال: «لا يجدر رفع هذه الجدران». كان حذراً جداً، وأراد الحرص على أنني مرتاح، كما جلب معه بعض النبيذ الشهي الغالي الثمن... كان في منتهى اللطف والدماثة، ثم قال لي: «لا، سوف ننقلك إلى هنا. فهذه مرحلة ما بين السجن والحرية. إننا نقوم بذلك لأننا نأمل أن تقدر صنيعنا هذا. نريد أن نوفر بعض السرية للمحادثات بيننا وبينك». وقد قدّرت صنيعهم. هذا ما حدث.

ستينغل: وهل شعرت بأنك ما بين الحرية والاحتجاز في ذاك المكان؟

مانديلا: هذا هو الشعور الذي يتبادر إلى المرء، لأنهم سيّجوا المكان عدا الجدران الأمنية وجعلوه بطريقة توفر مساحة شاسعة للتحرك. أمكنني التحرك... في المكان، على الأرض. كان الحارس الذي يعد لي الطعام، ضابط الصف سوارت[1] يأتي في الساعة ٧ ويغادر في الرابعة عصراً. لم يكن ثمة مفاتيح. أمكنني البقاء في الخارج لأي مدة أريدها. وحينما كان يغادر إلى منزله كان يأتي حراس لحراسة المكان في خلال الليل، وكان لدي حوض سباحة، وبالتالي كنت مرتاحاً جداً في

(١) جاك سوارت كان حارس سجن قام بالطهو لمانديلا في سجن فيكتور فيرستر.

ذاك المكان. المشكلة الوحيدة أنني كنت محاطاً بأسلاك شائكة وجدران أمنية. عدا ذلك كنت أتمتع بالحرية.

كان سوارت مستعداً للطهو وغسل الصحون. لكني أخذت على عاتقي الحد من شعوره بالتوتر والامتعاض المحتمل من ناحيته جراء اضطراره إلى خدمة سجين، عبر إعداد الطعام، ثم غسل الصحون، فعرضت أن أغسلها بنفسي فرفض... قال إن هذا عمله. فقلت: «لا، علينا أن نتشاطر هذا العمل». وعلى الرغم من إصراره، وقد كان صادقاً في ذلك، لكني أجبرته، بكل ما للكلمة من معنى، على السماح لي بغسل الصحون، وأنشأنا علاقة وطيدة بيننا... الحارس سوارت شاب لطيف جداً. إنه صديق مقرب إليّ.

في الواقع، أعطاني ورقة لأنه يجدر بي الاتصال بمفوض السجون، والاتصال به ثانية.

١٣- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عما تعلمه في السجن*

لست في موقع تحديد عامل معين واحد، يمكنني القول إنه أثر فيَّ، لكن أولاً كانت سياسة الحكومة قاسية ومتوحشة جداً، ويجدر بالمرء دخول السجن ليكتشف ما هي السياسة الحقيقية للحكومة خلف القضبان. لكن في الوقت عينه، يكتشف المرء أن الحراس ليسوا جميعاً متوحشين. بالطبع، كانت هذه السياسة الأساسية، والحارس العادي كان قاسياً لكن برغم ذلك ثمة أشخاص طيبون، بشر، عاملونا معاملة حسنة جداً، وحاولوا في إطار الأنظمة وأحياناً خارجها، أن يشعرونا بأننا في ديارنا.

ثم، هناك مسألة نضال السجناء. كان يتوقع المرء ترويع شعبنا، نظراً إلى الظروف القاسية التي كانت متوافرة، خصوصاً في الستينيات. لكن، لم يحدث ذلك مطلقاً. فقد قاتلوا منذ البداية. وبالكاد كان بعض هؤلاء الأشخاص الذين خاضوا تلك الصراعات

معروفين، وما زالوا كذلك شبه معروفين حتى يومنا هذا. وقد وجدتُ المقاومة، أي قدرة الروح البشري على مقاومة الظلم، متوافرة داخل السجن. كما تتعلم أنه لا تجدر بك حيازة درجة جامعية لتتمتع بصفات القائد، خصائص رجل يريد مكافحة الظلم أينما كان... كان ثمة الكثير من الرجال الذين كانوا مستعدين لاتخاذ موقف نضالي... مفضلين التعرض للعقاب وللاعتداء حتى، عوضاً من الاستسلام. في القسم الذي كنا فيه، كان ثمة أشخاص مثقفون، ولهم أعمال قرأها الكثيرون، وسافروا إلى خارج البلاد، ووجدت متعة في التحدث معهم. حينما كنت أجلس وأجري نقاشاً معهم، كنت أشعر بأنني أتعلم الكثير.

١٤- من حديث مع *ريتشارد ستينغل* عن *تحرش الشرطة* بويني مانديلا

ظلوا يتحرشون بالرفيقة ويني طوال الـ٢٧ سنة التي غبت فيها، وقد انتقدت عنصر الدعاية والإعلان المغرضين اللذين قدموهما في هذا السياق. حينما حطت الرفيقة ويني في مطار جان سماتس بعد رؤيتي، كان قد حضر كالعادة عدد كبير من الصحافيين وطرحوا أسئلة متعلقة بالقضية، ثم ركبت الرفيقة ويني في السيارة واتجهت إلى أورلاندو. كانت تسير وراءها حافلة فيها بعض داعميها. وفي الطريق إلى سويتو، أوقفت الشرطة الحافلة، وقامت بتفتيشها واحتجزتها. لم يكن هناك داع لهذا الفعل. كان مجرد فعل دعائي استعراضي روّجوه للبلاد وللعالم. أمكنهم أن يقوموا بطريقة هادئة ومحترمة بالتحقيق، وحتى احتجاز الحافلة إن وجدوا أنه يُفترض القيام بذلك. لكنهم لم يفعلوا ذلك. ثانياً، حينما توجهوا للإغارة على المنزل، جلبوا مؤسسة الإرسال في جنوب أفريقيا، وتم نقل كل عملية الإغارة عبر التلفاز. جرى ذلك حوالى الساعة الثالثة فجراً، وتم عرض زوجتي عبر التلفاز بملابس النوم، وكذلك ابنتي. تم تجريد بعض الشبان من ثيابهم في الغرف الخلفية. لذا، كانت ثمة ناحية دعائية كبيرة. لم يعد مجرد تحقيق للشرطة، بل كانت مسألة دعاية وإعلان. وهذا ما انتقدته.

١٥- من رسالة إلى الزعيم مانغوسوثو بوثيبيزي (٣ شباط/فبراير ١٩٨٩)

إن إحدى المهام الأصعب التي تواجهها القيادة اليوم، هي الوحدة الوطنية، على امتداد حركة التحرير لم يمر على شعبنا وقت أهم من هذا كي يتكلموا بصوت واحد، وعلى المقاتلين الأحرار كي يوحدوا جهودهم. إن أي تصرف أو تصريح من أي جهة صدر، يميل إلى خلق الانقسامات أو مضاعفتها، في ظل هذا الوضع السياسي الراهن، يعد خطأً فادحاً يجدر تفاديه بشتى الأثمان. الصراع هو حياتنا. وعلى الرغم من أن لحظة الانتصار قد لا تكون متوافرة حالياً، إلا أنه في وسعنا برغم ذلك جعل هذا الصراع إما مثمراً جداً، وإما كارثياً تماماً. وطوال مسيرتي السياسية نادرة هي الأمور التي أزعجتني بقدر رؤية أفراد شعبنا يقتلون بعضهم بعضاً كما يحدث الآن[١].

١٦- حديث مع أحمد كاثرادا عمّ إذا صادق على خطاب ألقته ويني مانديلا حول تطويق أعناق الناس وإحراقهم أحياء من خلال إشعال دواليب مغمّسة بالنفط حول أعناقهم

ثمة مسألة تتعلق بك، تفيد بأنك وافقت على «خطاب أطواق الأعناق» الذي ألقته ويني.

مانديلا: يا للهول.

كاثرادا: أرسل إلي أنطوني سامبسون نسخة عن حديث... لا نعرف من الذي وضع تلك الملاحظات...[٢] «وافق نيلسون مانديلا على خطاب «تطويق الأعناق» الذي ألقته ويني مانديلا. وقال إنه من الجيد عدم مواجهة أي شخص أسود ويني

(١) انخرط عناصر من الهيئة الأفريقية الوطنية ومن حزب إنكاثا الحر في معركة ضارية، هدفت إلى بسط الهيمنة على أنحاء من البلاد.

(٢) وضع هذه الملاحظات محامي مانديلا، إسماعيل أيوب، وتم وضعها في أرشيف الهيئة الأفريقية الوطنية في جامعة فورت هير.

مانديلا. لكن أبدى بعض التحفظات عن مهاجمة ويني مانديلا لريكس غيبسون من «ستار»، لأن غيبسون نشر دفاعاً قوياً عن الخطاب قبل بضعة أيام».

مانديلا: لقد دنت هذا الأمر علانية.

كاثرادا: يقول (سامبسون): «بخصوص المسألة الخلافية المتعلقة بالتعليقات المزعومة لماديبا على خطاب ويني، ارتأيت أنه تجدر بك رؤية الوثيقة التي استندت إليها في ملاحظاتي، لأنها كما يبدو أصلية وموجودة في أرشيف وطني. لا أظن أنه في مقدوري تجاهلها، لكن بالطبع في وسعي القول إن الرئيس ينكرها بشدة. لكن من المفيد الشرح أو التفكر في كيفية نشوء سوء التفاهم هذا».

مانديلا: لكن، كيف عساه ألا يثق بنا؟ من الذي احتفظ بهذا الأرشيف؟ ليس ثمة شيء من هذا القبيل. لقد دنت هذه المسألة بدون تحفظ.

كاثرادا: وأنا أيضاً فعلت ذلك.

مانديلا: إنها غير صحيحة البتة.

١٧- *حديث مع ريتشارد ستينغل عن الدراسة في السجن*

ستينغل: هل استمتعت بدراسة القانون في السجن، أم بدت تجربة بعيدة عما كنت تمر فيه في ذاك الوقت؟ أم بعيدة عن الصراع؟

مانديلا: لا، كانت ممتعة. إن القانون يثير اهتمامي كثيراً. لكني كنت مشغولاً جداً في جزيرة روبن. لم أحرز تقدماً من أي نوع في الدراسة. سارت الأمور أول سنة على ما يرام، وكذلك في السنة الثانية، لكن في العام الأخير لم أملك الوقت الكافي للدراسة بسبب المشاكل السياسية، وأظنني رسبت ثلاث مرات، في السنة الأخيرة. حينما انتقلت إلى سجن بولسمور فقط، حظيت بفرصة التركيز، خصوصاً حينما كنت

وحدي. أدركت حينئذ من البداية أنني سأنجح. لكن عدا ذلك هجرت الدراسة بكل ما للكلمة من معنى.

١٨- *من حديث مع ريتشارد ستينغل*

في الهيئة الأفريقية الوطنية، ولدى معالجة أي مشكلة، عادة نبدأ بالأقطاب المتقابلة، ثم نناقش المسألة بعمق. ومن ثم نتوصل إلى إجماع على الأمر الذي يجعل من قراراتنا متينة جداً. إجمالاً، على الجزيرة كان الرفيق هاري يقود مجموعة بمقاربة معينة، وبسبب معرفته وقدرته وخبرته، كان قادراً على التأثير في عدد كبير من رفقائنا[1]. لكن في كل مسألة تقريباً، كنا نتوصل في النهاية إلى إجماع. وكنا نقتنع بأننا نظرنا إلى المسألة من جميع جوانبها. على سبيل المثال، في مسألة العلاقة بين الهيئة الأفريقية الوطنية والحزب الشيوعي، مال إلى جعل الفرق غير واضح، ودارت الكثير من جدالاتنا حول هذه النقطة. وإذ أراد بعض منا إبقاء الفرق شاسعاً جداً وواضحاً جداً، مال هو إلى إخفائه. وربما كان ثمة سبب لذلك في السجن، لأننا أردنا التكلم بصوت واحد. وبرغم ذلك، لم تكن مقاربة دقيقة لأن الحزب والهيئة لطالما كانا مختلفين جداً برغم أنهما كانا يتعاونان.

١٩- *من حديث مع ريتشارد ستينغل*

كما تعلم، كنت أحب القراءة في تلك الأيام قبل انشغالي الكثيف. إنها أحد الأشياء التي أفتقدها اليوم واستمتعت بها في السجن. كنت أستيقظ وأستحم وأنتظر طبيب المستشفى، ثم أتناول الفطور وأتفرغ من بعد ذلك للجلوس والدراسة. وجدتُ مشهد كوتوزوف في رواية «الحرب والسلم»، الذي تتم فيه مناقشة ما إذا كان تجدر

(١) هاري (مفيفيثي) ثيمبا غوالا (١٩٢٠-٩٥)، معلم وسجين سياسي، عضو في الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي وعضو في «أمخونتو وي سيزوي».

بهم المدافعة عن موسكو أم لا، جميلاً. حينما كان الجميع يقولون لا يسعنا التخلي عن العاصمة، كان همه الوحيد وجوب ادخار قوة الجيش الروسي للشتاء لأن جيش نابوليون لا يستطيع البتة مواجهة الجيش الروسي في الشتاء. لا تهمني المباني. إنها مجرد عواصف. إنني مهتم بإنقاذ جيشي من الدمار. هكذا كان موقف ملك الزولو، شاكا أيضاً[1]. حينما كان شاكا يقاتل انسحب من المواجهة ضد إحدى القبائل، ولما أتوا إلى القرية الملكية، قال مستشاروه: «لا، دعنا نقاوم الآن، دعنا نواجه». فقال: «لمَ عساي أن أدافع عن الأبنية. يمكن تدمير الأبنية اليوم وبناؤها غداً»... انسحب، لكنه حرص في خلال انسحابه على عدم ترك قطعة خبز واحدة للعدو: ساق ماشيته، وحمل معه الذرة والحبوب وما إلى هنالك. حرص على عدم ترك أي طعام. ثم تعب جيش عدوه وشعر بالجوع... وحينما كان جنوده ينسحبون لحق بهم – على مسافة قريبة – ثم وقف العدو راغباً في وقوع صراع كي ينهي التهديد. لكنه لم يفعل، أبى الهجوم. وعندما كانوا يقفون كان يقف، وحين يتقدمون ينسحب. لكن في النهاية، انسحب العدو بعد أن بات يشعر بالجوع. وحينما نام جنوده أرسل شاكا رجاله ليختلطوا بينهم، لأن الزي العسكري كان مماثلاً، وفي هدأة الليل كان كل من رجال شاكا يطعن الرجل النائم قربه، ثم يصرخ قائلاً: الساحرة، أومثاكاثي تهاجمني. فينهض الجميع. لذا لم يناموا. أبقاهم مستيقظين، وراح يتهيأ لمهاجمتهم وهم متعبون وجياع. وتواصلت هذه الحال إلى أن وصلوا إلى نهر كبير حيث كان يوجد رجل يعبره، ووجب على جيش العدو أن يفرّق صفوفه كي يعبر النهر. وحينما عبر نصف الجيش، أقدم حينئذ على مهاجمة جنوده وقضى عليهم. ثم عبر ليقضي على بقية عناصره. وهكذا، نرى أنه كان يضع التكتيكات، مثل تلك التي توافرت في المعركة بين كوتوزوف ونابليون.

(١) شاكا كاسينزانغاخونا (١٧٨٧–١٨٢٨). ملك الزولو، ١٨١٦–٢٨.

٢٠- حديث مع أحمد كاثرادا

مانديلا: أمكنني جني الكثير من المال حينما كنت في سجن فيكتور فيرستر. جريدتان مختلفتان تماماً...

كاثرادا: حقاً؟

مانديلا: أتتا لتلتقطا لي صورة، ووعدتني إحداهما بدفع نصف مليون.

كاثرادا: ورد ذلك في الصحف.

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: لا، لا مهلاً؛ أو ربما الحارس كريستو براند هو من أخبرنا بذلك؟ لكني عرفت هذا الأمر.

مانديلا: نصف مليون!

كاثرادا: أجل، أجل. لا، براند هو من أخبرنا.

مانديلا: قلتُ لا، لن أوافق على هذا العرض.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: رفضت.

كاثرادا: ألم يحدث ذلك حينما كنت في عيادة كونستاتيابرغ الطبية؟

ألم يتم ذلك في إبان وجودك في تلك العيادة؟

مانديلا: كانت الصورة الأخرى في إبان وجودي في العيادة.

كاثرادا: أجل.

أما الصورة الأولى فكانت في سجن فيكتور فيرستر. قلت: اسمع، أنا أقوم بالمفاوضة، وأن يرى هؤلاء الناس أنني أسيء استخدام موقعي... عندئذ سأطعن بصدقيتي. لا يسعني القيام بذلك. فقالوا: نصف مليون رند.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: وعلى الرغم من كوني رجلاً فقيراً لديه أولاد وأحفاد، إلا أنني رفضت التفكير في هذا الأمر لأنني ظننت أنني لو توقفت وفكرت فيه فسأشعر بالإغراء.

فقلت: لا، لا، لا أريد هذا العرض بتاتاً، وارتفعت نبرة صوتي وازدادت، لأنني وجدت أيضاً أن ثمة مصادر إزعاج من حولي. فقد كنا داخل المبنى، في الردهة. وقلت: لا، لا، لا لا أريد التفكير في هذا العرض. إنني أقوم بالتفاوض. ربما في وقت لاحق إن لم أكن منخرطاً في التفاوض، قد أفكر في الأمر. لكن ليس الآن! وتصرفت بحدّة.

ثم قالوا: «إذاً، ما رأيك في ٧٥٠ ألفاً؟ فقلت: «في وسعكم إعطائي ٧٥٠ ألفاً» لكنني لن آخذها». لذا، رفضت عرضهم. ثم حينما كنت في العيادة تلقيت عرضاً آخر قيمته مليون.

كاثرادا: أجل، أتى من مجلة «تايم» على ما أظن.

مانديلا: أظنك محقاً.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: أجل، إذاً، رفضت. أن يكون المرء فقيراً هو أمر فظيع.

كاثرادا: لا، لقد كتبت أيضاً حول معاناتك بسبب الحرمان داخل السجن.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: تغريك...

مانديلا: هذا صحيح.

كاثرادا: .... أمور كثيرة.

مانديلا: بكل تأكيد.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: بكل تأكيد حتى خارج السجن، عليك أن تتعود إخطار رفقائك حينما تتلقى عرضاً ما.

٢١- من رسالة إلى الممرضة الأخت شونا برادلي (٢١ آب/أغسطس ١٩٨٩)(١)

كنت أستمع ذات صباح إلى عظة عبر المذياع، كان يقدم فيها المبشر النصح حول كيفية مواجهة المشاكل. أشار إلى أن المتاعب لها دوماً طبيعة موقتة، وأنه استناداً إلى طريقة معالجة المرء لها غالباً ما تتبعها لحظات مفرحة.

٢٢- حديث مع ريتشارد ستينغل

ستينغل: يقول الناس: «أكبر مشكلة في نيلسون مانديلا، أنه مستعد كثيراً لرؤية الخير في الأشخاص الآخرين». كيف ترد على ذلك؟

مانديلا: هذا ما يقوله العديد من الناس. كان يقال ذلك عني مذ كنت مراهقاً، ولست أدري ربما يكون ثمة بعض الصحة في هذا الكلام. لكن حينما تكون شخصية

(١) كانت شونا برادلي ممرضة في عيادة كونستاتيابرغ الطبية.

عامة، عليك أن تتقبل أمانة الآخرين إلى أن يثبت العكس. وحينما لا يثبت لك العكس، ويُقْدم الناس على تصرفات تبدو خيّرة، فما الذي يدعوك إلى الشك فيهم؟ أن تقول إنهم يقدِمون على فعل الخير لأن لديهم حافزاً خفياً؟ عندما يظهر الإثبات، عندئذ يجب أن تتعامل مع هذه النقطة، أي مع مسألة الخيانة تلك، ثم تنساها، لأنه بهذه الطريقة في وسعك، أن تتعامل مع الناس في الحياة وتتحملهم. عليك أن تدرك أن الناس أنتجتهم وحول المجتمع الذي تعيش فيه وبالتالي هم بشر. لديهم نقاط جيدة وأخرى سيئة. واجبك أن تعمل مع البشر كبشر، وليس لأنك تحسبهم ملائكة. وبالتالي، بمجرد أن تدرك أن شخصاً معيناً يتمتع بفضيلة ما وبضعف ما تعمل معه وتتكيف مع نقطة الضعف لديه وتحاول مساعدته ليتخطاها. لا أريد أن يخيفني شخص ما اقترف بعض الأخطاء وهو يعاني بعض الزلات البشرية. لا يسعني السماح لنفسي بالتأثر بذلك. ولهذا السبب، ينتقدني العديد من الأشخاص.

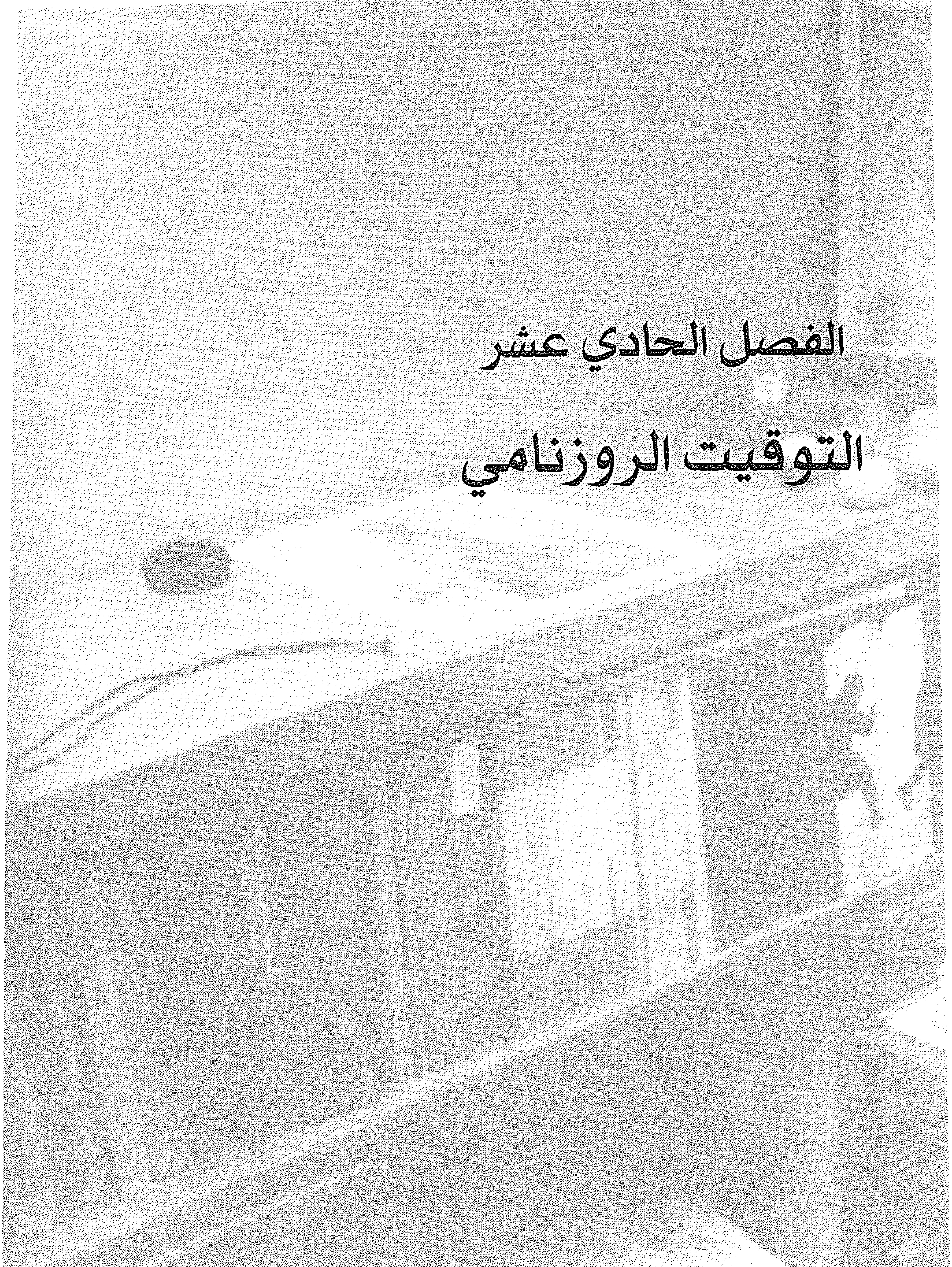
ثم في المركز الذي أشغله، تنحصر مهمتي الأساسية في جمع الجهات المختلفة معاً وبالتالي علي الإصغاء جيداً حينما يأتيني شخص ما ليشرح لي مشكلة، وصعوبة العمل مع الآخرين. لكن عليك في الوقت عينه، في خلال الإصغاء ومعالجة المسألة، أن تدرك أن العامل الأساسي الغالب يكمن في وجوب محافظتك على تماسك المنظمة. لا يسعك تقسيم المنظمة. يجب أن يتمكن الناس من اللجوء إليك حتى تستطيع ممارسة دور الحفاظ على تماسك المنظمة.

٢٣- *من حديث مع ريتشارد ستينغل*

سيشعر الناس بأنني أرى فيهم خيراً جزيلاً. لذا، هذا انتقاد علي التأقلم معه. وقد حاولت ذلك. لأنه أصحَّ أم لم يصح، أجده أمراً مفيداً. من الجيد التصرف على أساس أن الآخرين هم أصحاب أمانة وشرف، لأنك تميل إلى جذب الأمانة والشرف

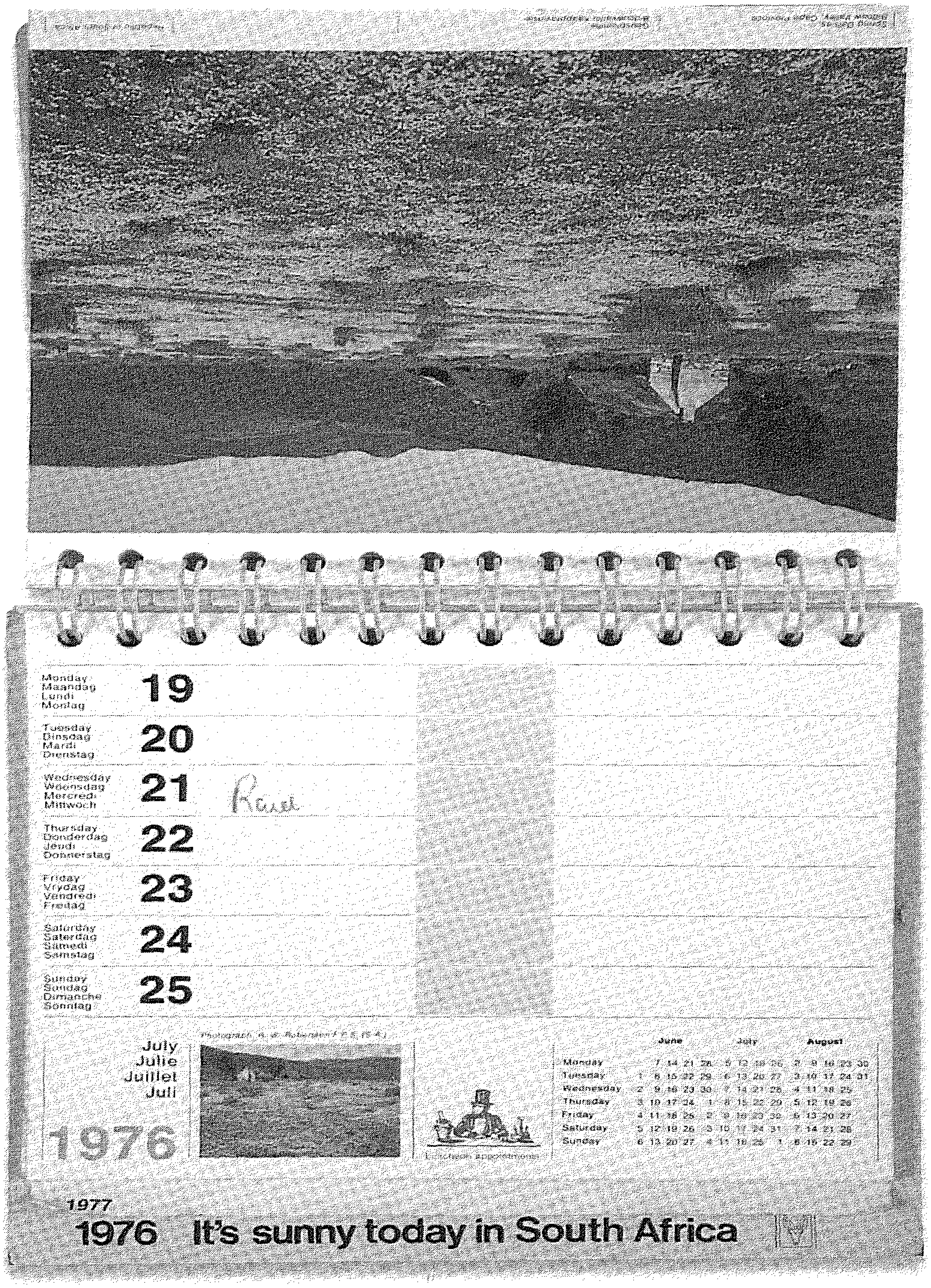
إن كنت تنظر على هذا النحو إلى الأشخاص الذين تتعامل معهم. وقد أحرزت تقدماً كبيراً في تنمية العلاقات الشخصية، لأنني أضع افتراضاً أساسياً بأن الذين أتعامل معهم هم ذوو أمانة واستقامة. هذا ما أؤمن به.





الفصل الحادي عشر

التوقيت الروزنامي



صفحة من روزنامة مانديلا المكتبية أشار فيها إلى حدوث غارة في ٢١ تموز/يوليو ١٩٧٦.

احتفظ مانديلا بمجموعة من الروزنامات المكتبية في سجون جزيرة روبن وبولسمور وفيكتور فيرستر، تراوح تواريخها بين ١٩٧٦ و١٩٨٩. وإلى جانب دفاتر ملاحظاته، تعد السجلات الأكثر مباشرة التي تدل على أفكاره الخاصة وتجاربه اليومية. لم يدون الملاحظات بشكل يومي. في الواقع، أحياناً نجد أسابيع لم يدوّن فيها أي ملحوظة، الأمر الذي يفسر الفجوات بين التواريخ التي تظهر في المقتطفات التي تؤلف الفصل الحادي عشر. من بين الملاحظات الموجودة، تم جمع أهمها وأبرزها في هذا الفصل. برغم أن هذه الملاحظات تمثل نسبة صغيرة من عددها الإجمالي، إلا أنه لم يتم تغيير الفحوى الكلي للروزنامات بشكل جوهري. قد يبدو تضمين بعض الملاحظات غريباً. يجب ألا يغيب عن البال أن الضروريات التي تؤخذ كمسلّمات في العالم الخارجي، كانت تعد رفاهيات ثمينة في السجن. كان توافر الحليب لإضافته إلى الشاي، حدثاً هاماً على سبيل المثال. وكذلك كانت الزيارات والرسائل. وكلمة «غارة» وحدها تُخفي وراءها تهديداً أكبر.

---

١٨ آب/أغسطس ١٩٧٦

تلقيت معلومات بشأن اعتقال زامي. أنكر الضابط المسؤول وصول بطاقة معايدة بعيد مولدي.

٢٣ آب/أغسطس ١٩٧٦

أبلغني ضابط الصف برنارد، أنه تم التحفظ عن بطاقة المعايدة بمناسبة عيد مولدي.

٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٦

بدأت أقرأ كتاب «ادفنْ قلبي» لـ دي براون: أرسلته جامعة لندن[١].

٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٦

عيد مولد زيندزي

١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧

التكلم على الآخرين، هو رذيلة بكل تأكيد، وفضيلة حينما نتحدث عن أنفسنا.

٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧

حلمت بأن كغاثو يقع في حفرة، ويجرح رِجله.

٢١ شباط/فبراير ١٩٧٧

غارة شنها حوالى ١٥ حارساً تحت قيادة الضابط المسؤول برنارد.

٢ آذار/مارس ١٩٧٧

هزة قوية في الساعة ٦:٥٥ صباحاً[٢].

٢٥ آذار/مارس ١٩٧٧

حلمت بأن كغاثو وجورج وأنا والآخرين نتسابق في حقل مزروع بمحاصيل خضراء، وننزل عن تلة بأقصى سرعتنا. وقع كغاثو وتمت مساعدته. صحوت وأنا أركض إليه.

---

(١) «ادفن قلبي في ووندد ني»، دي براون (نُشر العام ١٩٧٠).

(٢) حدثت هزة أرضية على اليابسة، فسببت أضراراً بالغة في بلدة تولباغ.

٢٥ نيسان/أبريل ١٩٧٧

يزور الصحافيون والمصورون وممثلو القنوات التلفزيونية الجزيرة، ويلتقطون صوراً لزنازين السجناء والمباني الخاصة بهم[١].

٤ حزيران/يوليو ١٩٧٧

قابلتني زامي وزندزي مدة ساعة ونصف الساعة. النصيحة بشأن الترحيل إلى براندفورت تمت في ١٦-٥-١٩٧٧[٢].

١١ تموز/يونيو ١٩٧٧

شفرة حلاقة.

٢٢ آب/أغسطس ١٩٧٧

رسالة تتعلق بمرهم حلاقة، ومرهمين مطرّيين للبشرة تم تسليمهما.

٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧

يشير الرائد زاندبورغ إلى أن ق. د. (قيصر مانتانزيما) يرغب في زيارة ماديبا بنفسه في ٢-١٢-٧٧. ويرد ماديبا قائلاً إن هذه الزيارة يجب تأجيلها[٣].

٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧

معجون أسنان (مينتادينت) ١٠٠ ملل (عدد ٢).

(١) دعت الحكومة ٢٥ صحافياً إلى جزيرة روبن لتبديد الإشاعات المتعلقة بإساءة معاملة السجناء السياسيين.
(٢) عقب سجن ويني العام ١٩٧٦، نُفيت من جوهانسبورغ إلى براندفورت في فري ستايت العام ١٩٧٧.
(٣) قرر مانديلا وغيره من المحاكمين في قضية ريفونيا المسجونين، أنه نظراً إلى دعم ماتانزيما مخطط البانتوستان، لا يجدر بمانديلا لقاؤه.

صابون (فينوليا) كبير (عدد ٦).

عبوة زيت للشعر (فازلين) كبيرة.

كيلوغرام واحد أومو (مسحوق غسيل).

١١ آذار/مارس ١٩٧٩

العارض الثلاثي: الوهن والاتكالية والفزع.

٢٧ آذار/مارس ١٩٧٩

يزور الوزير جيمي كروغر الجزيرة بصحبة جي دو بريز. تحدثنا لحوالى ١٥ دقيقة[١].

٩ أيار/مايو ١٩٧٩

تشاور مع د. أي سي نيثلينغ، اختصاصي عيون.

البصر ممتاز. التهاب فيروسي، لكنه سيشفى سريعاً، فما من داعٍ لنظارات جديدة.

٢٠ أيار/مايو ١٩٧٩

ينشط الالتهاب الفيروسي مجدداً من العين اليسرى إلى اليمنى.

٢١ أيار/مايو ١٩٧٩

العين اليمنى وحدها مؤلمة وحمراء.

(١) جايمس كروغر (١٩١٧-٨٧). سياسي ووزير للعدل والشرطة، (١٩٧٤-٧٩). رئيس مجلس الشيوخ، (١٩٧٩-٨٠).

٢٢ أيار/مايو ١٩٧٩

بدأت عصراً بقطرة ألبوسيد للعين.

٢٣ أيار/مايو ١٩٧٩

حلمت بأنني عدت إلى منزلي ليلاً، والأبواب مشرّعة، وزامي نائمة في سرير، وفي السرير الآخر ينام طفلان، ربما زيني وزندزي. وثمة أطفال مدارس عديدون في الخارج. احتضنت زامي، وطلبت إلي التوجه إلى النوم.

٢٤ أيار/مايو ١٩٧٩

بدأت أستخدم قطرة ألبوسيد بتركيز ٣٠ في المئة عند الظهيرة.

الأول من حزيران ١٩٧٩

أن يتأمل المرء أمر سهل، لكن الرغبة هي التي تفسد الأمل.

٢ حزيران/يونيو ١٩٧٩

في بلد مريض تعد كل خطوة إلى العافية إهانة لأولئك الذين يعيشون على مرضه.

الهدف من الحرية أن تُوجدها لأجل الآخرين.

٣ حزيران/يونيو ١٩٧٩

التقيت زامي وزازي ساعة واحدة[1]. ترتدي زامي ثوباً صوفياً أحمر، وتضع منديلاً على الرأس. وتلبس زازي معطفاً شبيهاً بمعطفي.

(١) زازيوي (زازي) هي ابنة زيناني، حفيدة مانديلا.

١٢ حزيران/يونيو ١٩٧٩

(بلغة جنوب أفريقيا) أتى الجنرال رو. تحدث مع العميد دو بليسي.

١٤ حزيران/يونيو ١٩٧٩

ذكرى الزواج الحادية والعشرون.

١٤ تموز/يوليو ١٩٧٩

تزورني زيني وزيندزي وزاماسوازي مدة ٤٥ دقيقة[١].

زاماسوازي مصابة بالزكام، وتواصل الصراخ.

٦ آب/أغسطس ١٩٧٩

يزور وزير العدل لو غرانج السجن يرافقه الضابط المسؤول عن السجن، دو بريز[٢].

١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٧٩

يزورني الزعيم بامبيلانغا صاحب النفوذ الكبير مدة ساعة ونصف الساعة[٣].

٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٩

مقابلة مع السيد أي أم عمر، بخصوص قضية الدولة في مقابل ساباتا داليندييبو.

(١) زاماسوازي (سواتي) هي ابنة زيناني، حفيدة مانديلا.
(٢) وزير القانون والعدل لويس لو غرانج. كان دو بريز مفوض السجون.
(٣) ألبرت بامبيلانغا متيرارا. حاكم أبا ثيمبو.

١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٩

الوزن بدون ملابس: ٧٥ كلغ.

٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٩

مقابلة مع زيندزي استغرقت حوالى الساعة.

تبدو زيندزي جميلة ومبتهجة، وتمكث مع آن طوملينسون.

٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٩

تعود زيندزي مدة حوالى ٤٥ دقيقه. وتبدو من جديد مبتهجة وسعيدة. تحدثنا عن الكتب والناشر مايك كيركوود.

٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩

دخلت المستشفى: عملية بسيطة. إزالة وتر ممزق في عقب القدم اليمنى، أجراها د. بريتنباتش.

حلمت بأنني وزيندزي زرنا بارا (مستشفى باراغواناث) ليلاً. سألتني لِمَ أعطيت تعليمات إلى محام معين من دون آخر.

١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩

قابلتني زامي حوالى ساعتين. زادت وزناً كانت بثوب أزرق فاتح لا بأس به، وبدت أنيقة جداً.

١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩

فك القطب الرقيب كامينغا. أُزيلت عُظيمة كبيرة نسبياً من عقب القدم اليمنى على يد د. بريتنباتش. وطبيب التخدير د. سي موس.

٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩

رسالة بخصوص شراء خفّين، موجهة إلى الرائد هاردينغ.

٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩

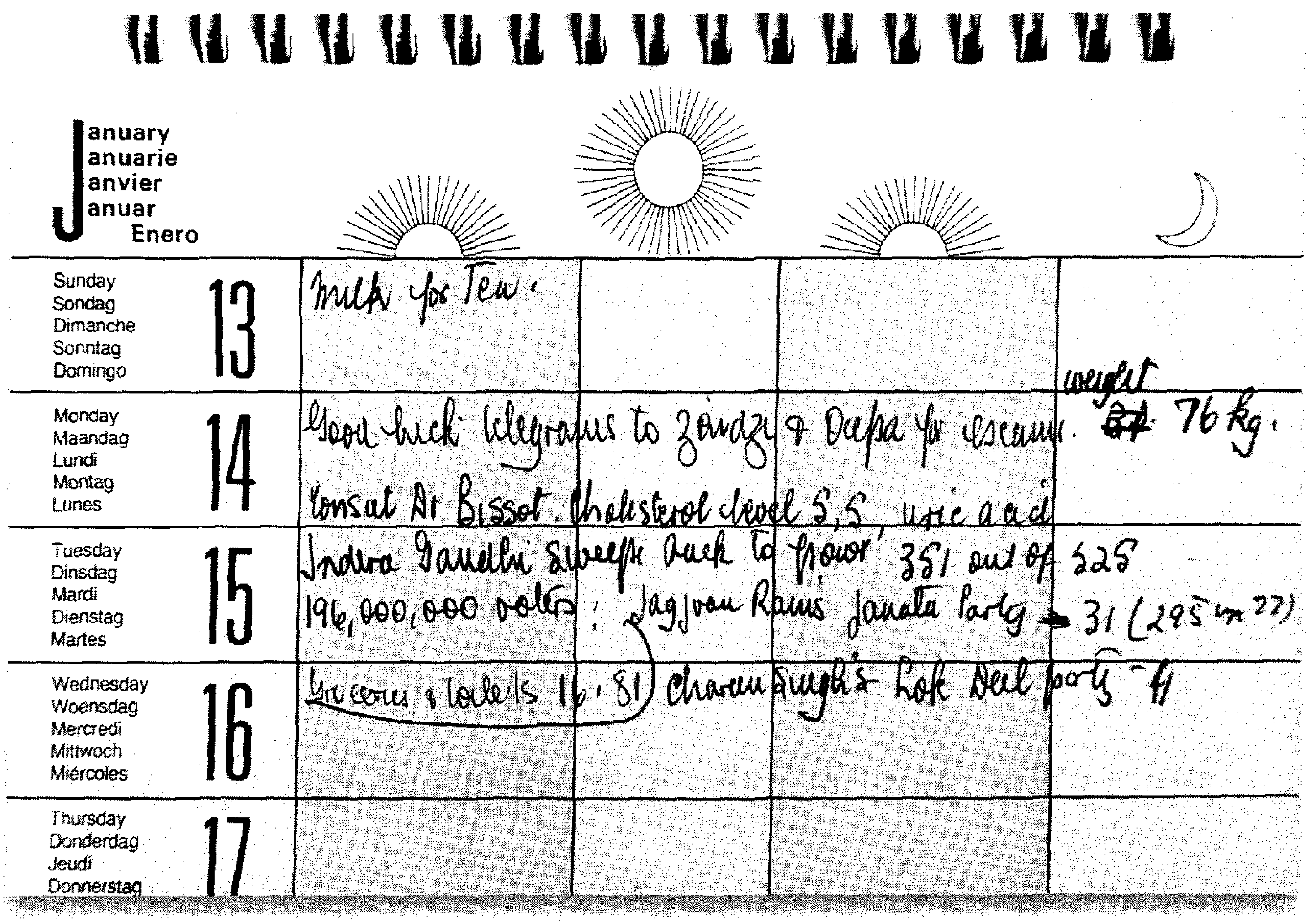
زيارة لساعة من زامي: بقالة الميلاد من بمبورغ (بيترماريتزبورغ).

٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩

زيارة لمدة ٤٥ دقيقة من زامي وسواتي. وعود بإرسال ٢٠ صورة.

٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠

قراءة كتاب «سوداء كما أنا عليه»: ٥٥ بيتاً شعرياً لزيندزي. «سوداء و١٤»، عنوان مختصر للنشر.



انظر أعلاه.

إلى نيلسون مانديلا في سجنه، ونومزامو مانديلا في صمته الذي حُكم عليه به، للمعاناة التي يتحملانها لأجلنا جميعاً[1].

١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠

شفرة جديدة.

١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠

حليب للشاي.

٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠

زارتني زامي لحوالى ٤٥ دقيقة. اشتكت من أن ماديبا يبدو متعباً.

١٣ آذار/مارس ١٩٨٠

عيد الميلاد الأول لسواتي.

١٩ آذار/مارس ١٩٨٠

تلقيت برقية زامي بخصوص وفاة ليلي (ليليان نغويي).

٢٠ آذار/مارس ١٩٨٠

أرسلتُ برقية تعزية (طارئة) إلى إديث نغويي[2].

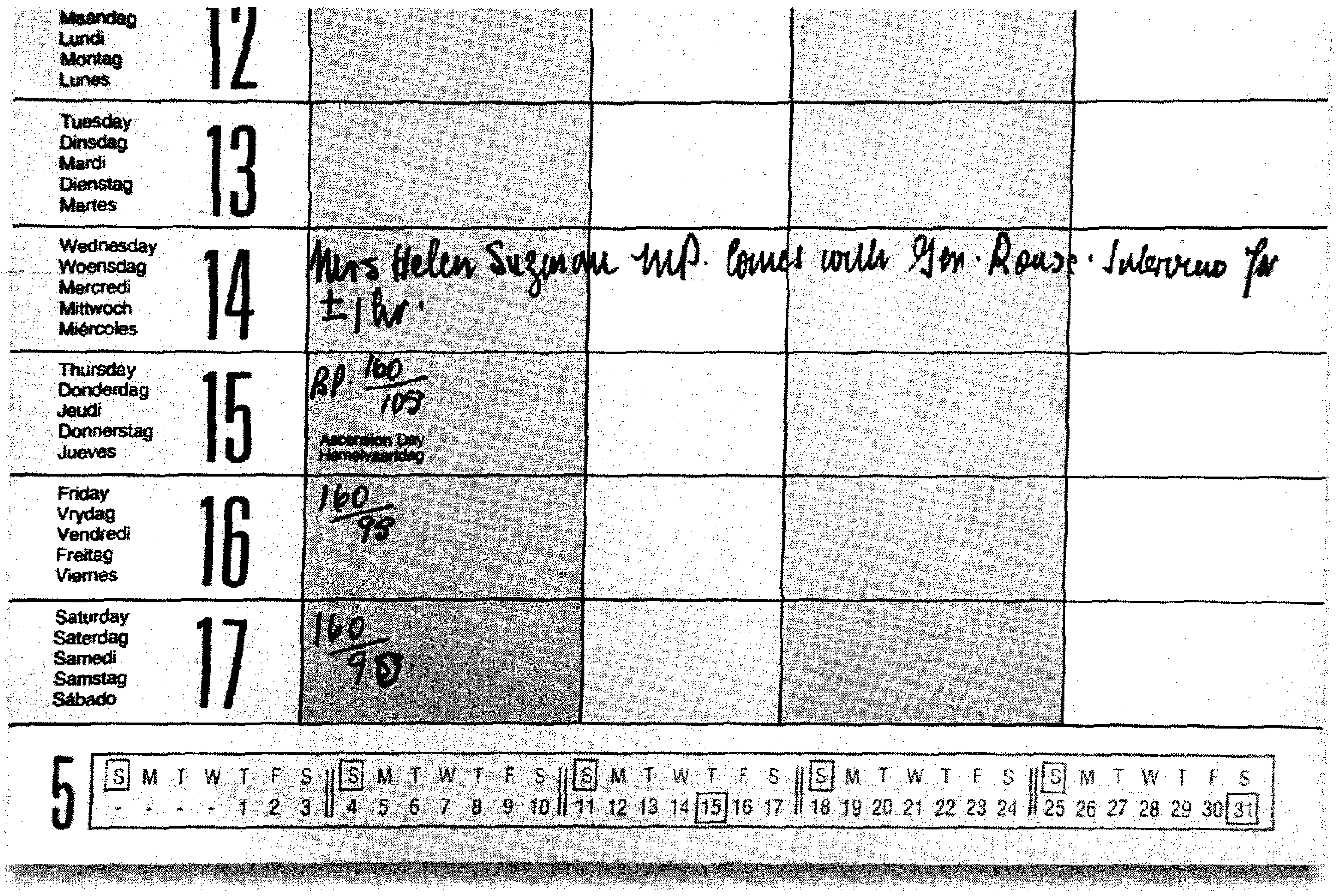
(١) الإهداء في كتاب «سوداء كما أنا عليه».
(٢) ابنة ليليان نغويي.

١٤ أيار/مايو ١٩٨٠

أتتني السيدة هيلين سوزمان، نائبة في البرلمان، مع الجنرال رو[1]. مقابلة لحوالى ساعة.

٢٣ أيار/مايو ١٩٨٠

استشارة مع د. أي أل ماريسكي، الذي يعلن أنني في حالة جيدة، وقلبي في وضع أفضل من المرة الأخيرة التي فحصني فيها.



انظر أعلاه.

حلمت بأنني أعود إلى منزلي في وقت متأخر من الليل، عند الفجر تقريباً. احتضنت زامي بقوة وهي تدخل من الباب الخلفي لمنزلنا في أورلاندو. زامي في عمر السنتين تقريباً، ابتلعت شفرة حلاقة ثم تقيأتها. وقد صفعتها جراء فعلتها هذه.

(١) هيلين سوزمان، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

٢٥ أيار/مايو ١٩٨٠

حلمت برامي وزيني وزيندزي. زيني في عمر السنتين. طلبت إلي زيندزي تقبيلها، وأشارت إلى أنني لستُ دافئاً بما فيه الكفاية. وطلبت إلي زيني أيضاً تدفئة نفسي.

٨ حزيرن/يونيو ١٩٨٠

تعود زامي مبتهجة بثياب زرقاء.



انظر أعلاه.

٩ حزيران/يونيو ١٩٨٠

الميزانية: ٤١ رنداً و٤٤.

٢٤ حزيران/يونيو ١٩٨٠

يأخذ الرقيب كامينغا ضغط دمي البالغ: ١٨٠/٩٠.

٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٠

فحصني د. كابلان، وتبين أن ضغط دمي يبلغ ١٢٠/٨٠، ووزني ٧٨ كلغ. كما قرأ لي تقرير د. ماريسكي حول فحص القلب.

١٢ تموز/يوليو ١٩٨٠

لم تقو زامي وزيندزي وزوبول على المجيء بسبب الطقس السيئ.

١٣ تموز/يوليو ١٩٨٠

تحضر زامي وزيندزي وزوبول في زيارة مطولة[1].

إعلان وفاة السير سيريتسي كاما.

٢٤ آب/أغسطس ١٩٨٠

بوثي وكغاثو[2]، أول مرة أرى فيها كغاثو يضع ربطة عنق.

٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

٢٥٠ غراماً من مسحوق القهوة السريعة (نسكافيه): ٤/١٠ رندات.

صلصة الخرد: ٥٤ سنتاً.

قصّة شعر: ٤٥.

(١) زوبول هي زوليكا سيكاميلا (١٩٨٠-). ابنة زيندزي وحفيدة مانديلا.

(٢) بوثي (يعني «أخ»، رغم أنه ليس بالضرورة أخاً بالدم). قريب لمانديلا من بلدته الأم.

بسكويت بجوز الهند: ٥٤.

شطائر طعام: ٧١.

قدر كبيرة: ٥٥.

فراي بنتوس: ٥٥.

ليمون: ٢٦.

خليط الكيك (٢٥٠ غراماً): ٣٨.

١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

زامي وأوبا. ترتدي زامي ثوباً شديد الحمرة، وفي عنقها مدلاة مطلية بالذهب، تبدو جميلة. وأوبا يرتدي بزة سوداء مخطّطة بالأبيض[١].

١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٠

يوقع ٧٣ ألف شخص عريضة إطلاق نيلسون مانديلا.

١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٠

يوم السجين[٢].

٢٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٠

قام ضابط الصف بيينار بأخذ وثائق بدون موافقتي.

(١) أوبا سيكاميلا. شريك زيندزي آنذاك.

(٢) اليوم الرسمي للتضامن مع السجناء السياسيين في جنوب أفريقيا، حددته الجمعية العمومية في الأمم المتحدة العام ١٩٧٦.

٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٠

حملة مناصرة لمانديلا في زيمبابوي: حملة تحرير مانديلا في جامعة زيمبابوي، جمعت ٦٠٠ توقيع تلتمس إطلاقه.

المنظم هو كليفورد ماشيري.

٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٠

(بلغة جنوب أفريقيا) ما دام الأفارقة يظنون أنهم العرق الأسمى ويحتفظون بحق فرض الحلول على الآخرين، فسيظل المستقبل كئيباً.

مبدأ تعليم البانتو يحمل مع وصمة عار[1]. لن يتم قبول أي نظام، أياً يكن، ما دام نظاماً للعزل العرقي.

٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠

زارت زامي وزيندزي وزوبول جزيرة روبن لحوالى ساعة. كلهن يرتدين ملابس خفيفة. وعدن بمراسلة أيشة (أرنولد): ذكرى احتفالية في دربان. جائزة نهرو[2].

شريط خطاب إنديرا غاندي لم يصل.

٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩٨١

زيت زهر الربيع يخفّض ضغط الدم ومستوى الكوليسترول والوزن الزائد.

(١) قانون تعليم البانتو للعام ١٩٥٣ شرّع فصل الأعراق في المؤسسات التربوية.
(٢) من قبل حكومة الهند العام ١٩٧٩. تم منح مانديلا جائزة جواهر لال نهرو للتفاهم الدولي.

١٨ شباط/فبراير ١٩٨١

الأميرة آن ٢٣ ٩٥١
جاك جونز ١٠ ٥٠٧ } رئيس جامعة لندن
نيلسون مانديلا ٧ ١٩٩

مؤيدو نيلسون مانديلا من بينهم رئيسة الكلية البارزة البروفيسورة باربارا هاردي، ومحلل الشؤون الراهنة جوناثان ديمبلبي[١].

الأول من نيسان/أبريل ١٩٨١

برنامج مانديلا الوثائقي: منتج محطة «بي بي سي» فرانك كوكس، الذي صنع الوثائقي الدرامي التلفزيوني حول هروب المحرر دونالد وودز من جنوب أفريقيا، يهيّئ لتصوير وثائقي درامي تلفزيوني حول نيلسون مانديلا في حزيران/يونيو.

عملية اختيار الممثلين السود والبيض من جنوب أفريقيا ستبدأ في حزيران/يونيو. ستكون مدة البرنامج ٥٠ دقيقة، وسيكون حلقة من سلسلة ٣ حلقات حول موضوع حقوق الإنسان. وسيُصوّر في موقع مشابه لجزيرة روبن في مكان ما في بريطانيا.

٣ نيسان/أبريل ١٩٨١

يتكلم الأسقف ديزموند توتو في غرفة اللجنة في مجلس العموم في أوج حملة إطلاق سراح مانديلا[٢].

(١) تم ترشيح مانديلا لمنصب رئيس جامعة لندن العام ١٩٨١.
(٢) الأسقف ديزموند توتو، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

من بين الحاضرين: مايكل فوت[1] ودايفيد ستيل[2]. صادق على العريضة ٩٤ نائباً، ٢٥ نضيراً، ٣٠ عضواً كنسياً بارزاً منهم ١٩ أسقفاً، و٩٨ بروفيسوراً، و٥٠٠ منظمة تُمثّل ما يُقدّر بـ ١٢ مليون فرد.

٥ أيار/مايو ١٩٨١

وفاة شهيد الجيش الجمهوري الأيرلندي، بوبي ساندز.

١٠ أيار ١٩٨١

وصول زامي وسواتي في حوالى الساعة ١٠ صباحاً: تدق ساوتي العازل الزجاجي وتصرخ: افتحوا افتحوا. وأخيراً تبكي فتبعدها أخت مانديلا.

١٧ أيار/مايو ١٩٨١

عدد السجناء الدارسين

طالب: ٢٩.

السنتان الأوليان في الجامعة: ١٠٢.

امتحان القبول الجامعي ١٢٧.

درجة جامعية: ٥٩.

الدبلوم: ١٧.

العدد الإجمالي: ٣٣٤.

٣٠٪ منهم لا يخضعون للامتحانات.

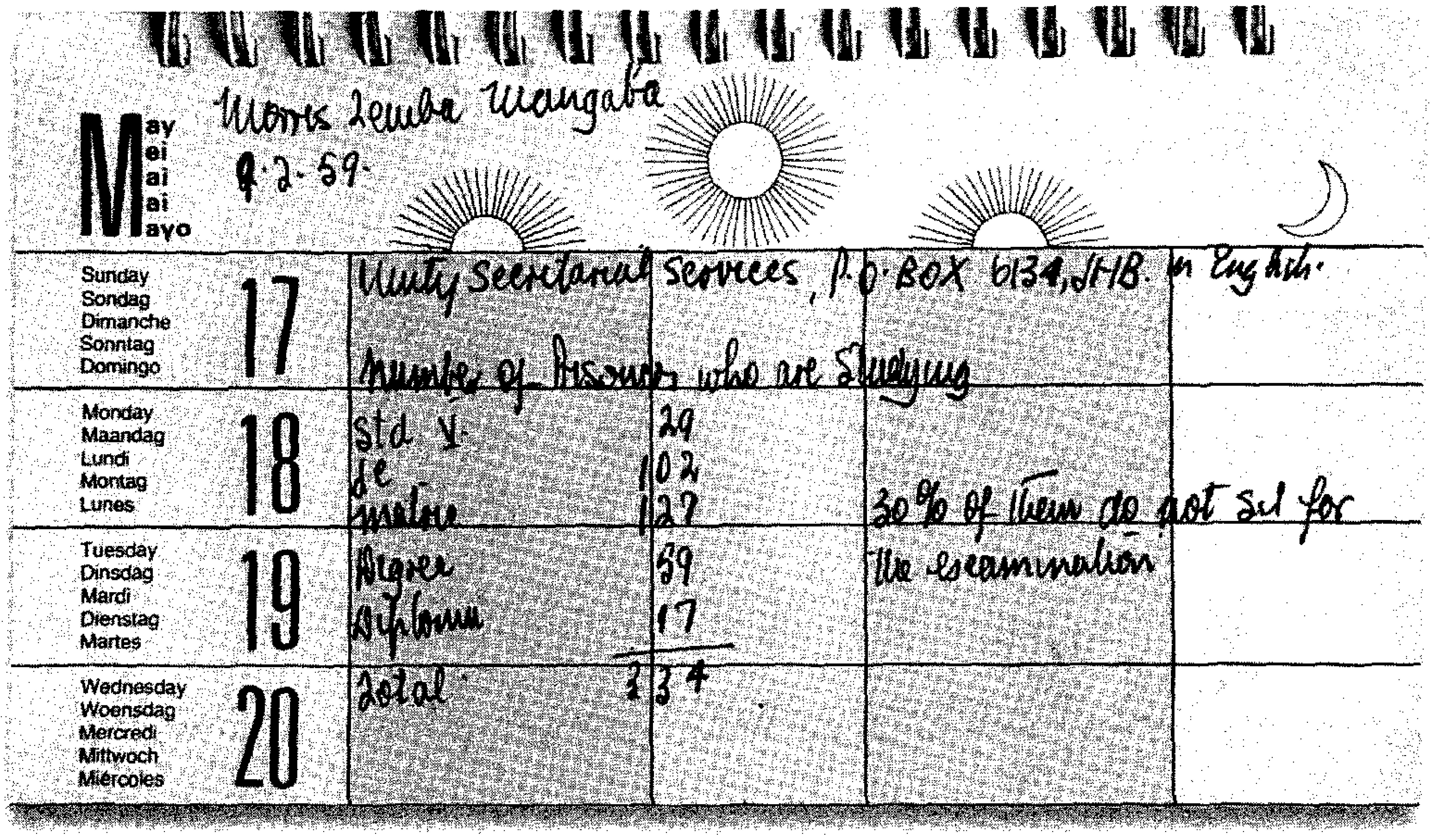
---

(١) مايكل فوت (١٩١٣-٢٠١٠)، قائد في حزب العمال البريطاني وكاتب.

(٢) دايفيد ستيل (١٩٣٨-) سياسي بريطاني وقائد الحزب الليبيرالي، ١٩٧٦-٨٨.

٥ آب/أغسطس ١٩٨١

تسلم د. إيكويمي (أليكس) نائب رئيس نيجيريا، جائزة «ذا فريدوم أوف غلاسكو» نيابة عن نيلسون مانديلا من العمدة السيد مايكل كيلي. الوثيقة التي تمنح



انظر صفحة ٣٠٢.

الشرف المعروف بـ«بورغيس تيكيت» ستُحفظ في مجلس الحكومة في لاغوس، حينما ينال مانديلا حريته، وآمل أن يكون ذلك في المستقبل القريب، سيتمكن من القدوم إلى لاغوس وتسلمها.

١٥ آب/أغسطس ١٩٨١

زامي وزوبول: قبّلت زوبول عبر الزجاج العازل، وتكلمت إليها عبر الهاتف. راحت تلعب في الأرجاء، وجعلت الحديث مع زامي مستحيلاً. قررنا عدم جلبها في اليوم التالي.

١٩ آب/أغسطس ١٩٨١

أنطوني بوبي تسوتسوبي: ٢٥.

جوهانس شابانغو: ٢٨.

دايفيد مويس: حكم عليهم بالإعدام القاضي ثيرون (كارل)[١] «لتعش طويلاً روح الجماهير الكادحة في جنوب أفريقيا، لتعش روح المجتمع الدولي، ليعش نيلسون مانديلا، ليعش سولومون مالانغو!»[٢].

٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨١

تمضي زامي عيد مولدها الـ٤٥ معنا. تقارير حول تحرش باغٍ بها وبالعائلة من قبل شرطة جنوب أفريقيا بخصوص جواز سفر زيندزي وسكن مابيتسيلا في المنزل[٣].

سافرت زيني وزيندزي إلى ريو دي جانيرو والولايات المتحدة ومدريد في ٩-١٠-٨١.

١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١

قُتل (غريفيثس) مزينج[٤].

١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨١

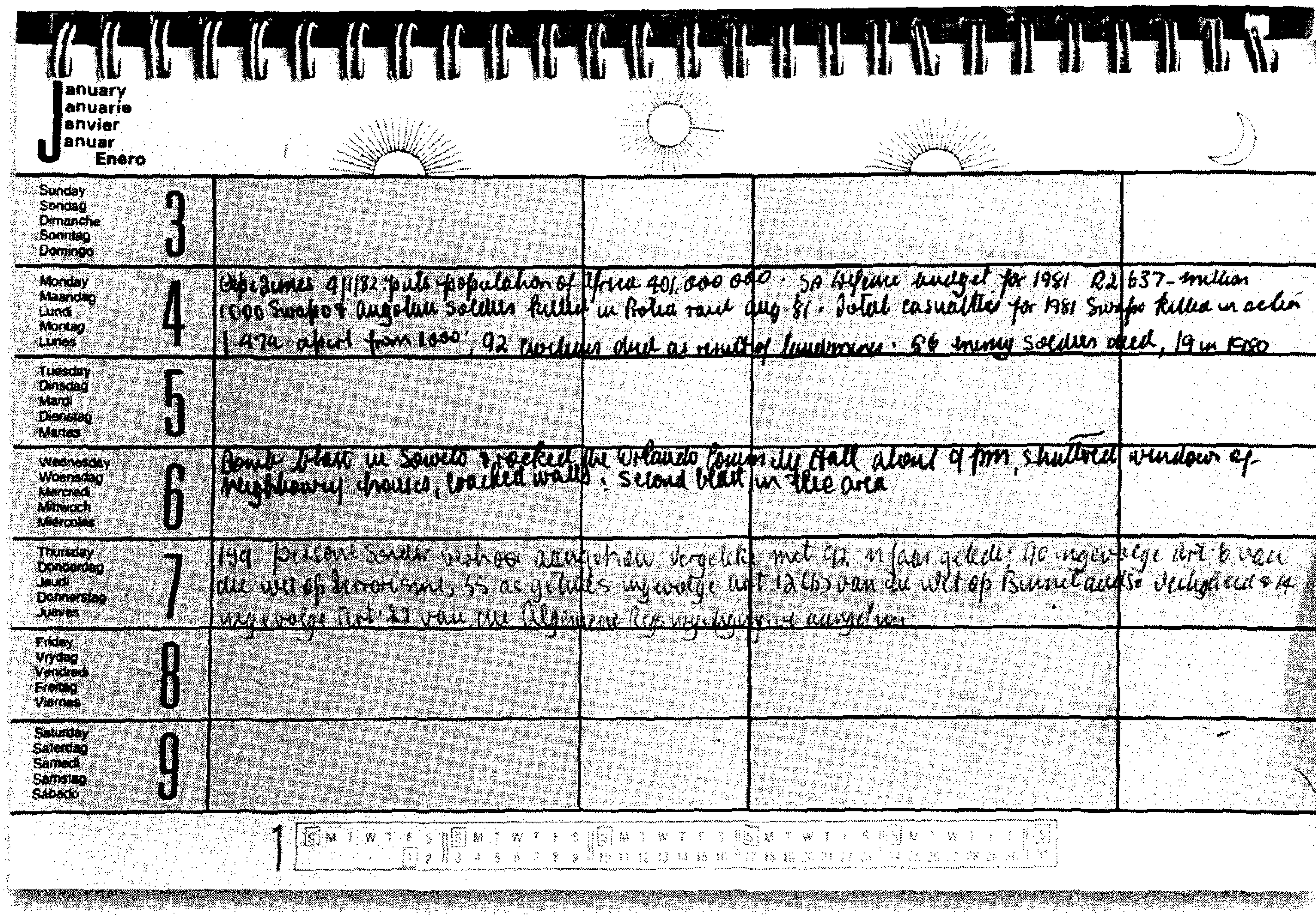
أبلغني الضابط المسؤول أن زامي تعرضت لحادث سير في جبل أيليف، وأصيبت

(١) أنطوني بوبي تسوتسوبي، جوهانس شابانغو، ودايفيد مويس، كلهم كانوا أعضاء في «أمخونتو وي سيزوي».

(٢) سولومون مالانغو (١٩٥٦-٧٩)، عضو في أمخونتو وي سيزوي. تم شنقه.

(٣) مابيتسيلا هو أم كاي مايلفان. عضو في «أمخونتو وي سيزوي». كان يمكث في منزلويني.

(٤) ملونجيسي غريفيثس مزينج (توفي العام ١٩٨١). ناشط مناهض للتمييز العنصري، محام في مجال حقوق الإنسان وسجين سياسي. عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية. قتلته الشرطة الأمنية.



انظر صفحة ٣٠٤.

إصابة خطرة في العنق والكتفين والأضلع. كما تعرضت للحادث ذاته فتاة تبلغ الـ١٤ من عمرها من ماديكيزيلا. ودخلت المستشفى في كوكستاد. وقد تُنقل إلى دربان. تم إرسال برقية تمنيات بالعافية على الفور.

٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢

انفجار قنبلة في سويتو هزت قاعة أورلاندو العمومية في حوالى الساعة ٩ ليلاً، تطاير زجاج المنازل المجاورة وتشققت الجدران: ثاني انفجار في المنطقة.

٢٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢

نفي زامي إلى براندفورت، وتم تجديد الإقامة الجبرية في المنزل هناك سنة أخرى.

٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢

لا تزال يد زامي اليسرى في الجبيرة. لا تبدو بخير. وضع الجبيرة الجديدة جراح العظم في بلومفونتين، د. شيبلي. ستراه في العاشر من شباط/فبراير وإن لم يظهر أي تحسن فقد يُجري لها عملية جراحية.

٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢

تعود زامي واضعة نظارة شمسية على عينيها. سترسل صوراً لزفاف ثيمبي نهار الاثنين صباحاً.

٢٦ آذار/مارس ١٩٨٢

طوم لودج: «سياسة مقاومة السود في جنوب أفريقيا ١٩٤٨-١٩٨١».

(يُنقل مانديلا فجأة إلى سجن بولسمور على البر الرئيسي في ٣٠ آذار/مارس ١٩٨٢).

٢٤ نيسان/أبريل ١٩٨٢

زارتني زامي في سجن بولسمور برفقة السيد أليستر سباركس، لكن لم يُسمح له بالدخول[1].

٢٥ نيسان/أبريل ١٩٨٢

تعود زامي ثانية برفقة أليستر سباركس. تبدو على خير ما يرام. تنوي إعادة الزيارة في الشهر القادم.

(١) أليستر سباركس (١٩٣٣-). كاتب وصحافي وناقد سياسي.

٥ أيار/مايو ١٩٨٢

عبوة من بيستو (بودرة صلصة مرق اللحم) أُعطيت للمطبخ من قبل المعاون تيربلانش مع التعليمات باستخدام ملعقة صغيرة واحدة كل يوم أربعاء فقط. استخدام أول ملعقة صغيرة.

١٢ أيار/مايو ١٩٨٢

ملعقة صغيرة من بودرة بيستو للمرة الثانية.

١٧ أيار/مايو ١٩٨٢

اتحاد عمال الهندسة المندمج (لندن)، سيعطي ١٨٠٠ رند إلى زامي حتى تقوى على ماديبا. تمكنت زامي من زيارة ماديبا الشهر الفائت، بفضل كرم امرأة من دورست، تدعى السيدة ماجوري راك.

٢٦ حزيران/يونيو ١٩٨٢

تفيد زامي التي كانت ترتدي معطفاً بنياً فاتحاً، عن تهديدات بالقتل ومحاولة تفجير الحافلة الصغيرة: رافقها مابيتسيلا، لكنه لم يدخل الغرفة.

الأول من آب/أغسطس ١٩٨٢

بطاقة تهنئة بعيد مولد أيشة (أرنولد).

٧ آب/أغسطس ١٩٨٢

ماكي (زيارة مرتقبة تم تقديم الطلب للقيام بها في ٣٠ نيسان/أبريل). أتى ماكي لساعة واحدة ونزل في منزل كولي.

٨ آب/أغسطس ١٩٨٢

بقي ماكي ٣٠ دقيقة. قلع سنّين أماميتين، وأخرى على الجنب.

١٧ آب/أغسطس ١٩٨٢

(بلغة جنوب أفريقيا، يُفترض أنها من قصاصة من صحيفة) لقد أودت رسالة مفخخة بحياة روث فيرست: روث فيرست، مسؤولة في الهيئة الأفريقية الوطنية المحظورة، توفيت في مابوتو بعد أن انفجرت رسالة مفخخة بين يديها. حدثت هذه الواقعة في مركز الدراسات الأفريقية في الجامعة حيث كانت تعمل، وفقاً للوكالة الإخبارية الرسمية، أنغوب. ومن بين الأشخاص الآخرين الذين كانوا إلى جوارها، مدير المركز السيد أكينو دي براغانسا الذي تعرض لإصابة جراء الانفجار، وفق ما قاله أحد أفراد عائلته. ويبدو أن أحد مستشاري الرئيس سامورا ماشيل قال إن إصابته ليست خطيرة.

الكتب التي ألفتها: ١٧٧ يوماً، ماسورة البندقية، دراسة للحكم العسكري في أفريقيا، سيرة حياة أوليف شراينر، ودراسة لليبيا المعاصرة (ربما «ليبيا: الثورة المحيّرة».

٢١ آب/أغسطس ١٩٨٢

وفاة الملك سوبوزا في عمر الثالثة والثمانين[١].

٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢

ترتدي زامي ملابس أتتها هدية من نغوجي من كينيا[٢].

(١) ملك سوازيلاند. حمو زيناني. نغوينياما سوبوزا الثاني (١٨٩٩-١٩٨٢). سوبوزا.
(٢) نغوجي وا ثيونغو (١٩٣٨-). مؤلف كيني.

٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢

إطلاق بريتين بريتينباك من سجن بولسمور[١].

٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٣

التقى قائد الحزب الليبيرالي البريطاني السابق السيد جيريمي ثورب زيناني في خلال رحلة عمل إلى سوازيلاند[٢]. وناقش السيد ثورب الذي يروج خطة بناء منازل منخفضة التكلفة مصنوعة من الأعشاب المضغوطة، مسألة الإقامة الجبرية لزامي في منزلها وسَجن زوجها.

٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٣

أغارت الشرطة على زامي في عملية بحث استمرت ٣ ساعات، قامت بها ٦ آليات للشرطة بحضور النائبين هيلين سوزمان وبيتر سول[٣]. واستُدعيت للمثول أمام القضاء لزعمهم أنها خرقت قرار حظر. صادروا ملصقات وكتباً ووثائق وغطاء سرير. كما صوروا ٦ مرضى موجودين في عيادة صحية متنقلة.

٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٣

سويتان. ٣١-١-٨٣: أخذت الشرطة الأمنية غطاء سريرها - صمم السيناتورات استبداله. أعضاء نافذون في الكونغرس الأميركي سيستبدلون غطاء السرير الذي صادره رجال الشرطة الأمنية في جنوب أفريقيا من السيدة ويني مانديلا في الآونة القريبة. سيُقدم غطاء السرير الجديد إلى زوجة قائد الهيئة الأفريقية الوطنية كرمز لاهتمام الكونغرس بانتهاكات الحقوق المدنية في جنوب أفريقيا.

---

(١) بريتين بريتينباك (١٩٣٩-). كاتب ورسام. احتُجز في سجن بولسمور لـ ٧ سنوات وفق قانون الإرهاب.
(٢) جون جيريمي ثورب (١٩٢٩-). قائد في الحزب الليبيرالي البريطاني.
(٣) بيتر سول (١٩٣٦-). عضو في مجلس مدينة جوهانسبورغ ونائب.

٢ شباط/فبراير ١٩٨٣

دخلت مستشفى وودستوك.

٣ شباط/فبراير ١٩٨٣

أُجريت عملية لي في مؤخر يدي وفي إصبع قدمي اليمنى.

٥ شباط/فبراير ١٩٨٣

بدت زيندزي مبتهجة وسعيدة.

١٤ شباط/فبراير ١٩٨٣

نزعت لي الأخت فيريرا في مستشفى وودستوك القطب من إصبع قدمي الكبرى: أشار د. شتاين إلى أن التقارير الواردة من المختبر الطبي تشير إلى أنه ما من إشارة إلى وجود أي ورم خبيث في إصبع قدمي.

٢١ آذار/مارس ١٩٨٣

أوليمبيا القديمة: القائد الجنوب أفريقي الأسود المسجون نيلسون مانديلا، جُعل مواطن شرف في القرية اليونانية.

٢٢ آذار/مارس ١٩٨٣

حركة اللجنة المناهضة للتمييز العنصري ولجنة الأمم المتحدة ضد التمييز العنصري، نشرتا أمس تصريحاً يحمل أكثر من ٤ آلاف توقيع يحثّ على إطلاق قائد الهيئة الأفريقية الوطنية نيلسون مانديلا.

٢٤ آذار/مارس ١٩٨٣

قائد الهيئة الأفريقية الوطنية سينال جائزة: سيتي كولدج في نيويورك منحت

نيلسون مانديلا دكتوراه في القانون لالتزامه الإيثاري مبادئ الحرية والعدالة. د. برنارد هارلسون، رئيس الجامعة. «ستُقدم الجائزة في حزيران».

٢٩ آذار/مارس ١٩٨٣

دُعيت زامي إلى حضور افتتاح للبرلمان في بون في ٢٩ آذار/مارس من قبل داي غرونينم. تقارير سويتية. سيُعاد تسمية الشارع في كامدن، شمال لندن، حيث تقع المقارّ الجديدة لحركة مناهضة التمييز العنصري في شارع مانديلا على شرف قائد الهيئة الأفريقية الوطنية المسجون. يسمى حالياً الشارع باسم شارع سيلوس تيمناً باسم المستكشف البريطاني الذي ساعد سيسيل جون رودز على جعل روديسيا تحت الحكم الاستعماري[١].

٢٥ نيسان/أبريل ١٩٨٣

مرسوم مانديلا: طلب ديموقراطي ليبيرالي من الكونغرس إصدار مرسوم يُعلن فيه قائد الهيئة الأفريقية الوطينة المسجون نيلسون مانديلا وزوجته ويني، مواطنين أميركيين مبجلين. دُعم السيد كروكيت من قبل ١٢ زميلاً له في مجلس النواب حينما قدم مراسيمه المشتركة - سيد كروكيت[٢]. يتم التخطيط لإقامة مركز موارد للمعلومات حول جنوب أفريقيا، ويُعتقد أنه سيكون الأول في نوعه، من أجل تخليد ذكره، عمل روث فيرست التي قُتلت بواسطة رسالة مفخخة في مابوتو السنة الفائتة. الهدف الأساسي من المركز، الذي سيكون مقره في البداية في جامعة بريطانية، هو الجمع على «أفلمة» جميع المواد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية الموجودة في الجامعات والمؤسسات في العالم حول جنوب أفريقيا.

(١) شارع سيلوس، سُمي تيمناً بفريديريك كورتني سيلوس (١٨٥١-١٩١٧).
(٢) جورج دبليو كروكيت الابن (١٩٠٩-٧٧). عضو في مجلس النواب الأميركي، ١٩٨٠-٩١.

٢١ أيار/مايو ١٩٨٣

تشكلت الجبهة الديموقراطية الموحدة لمجابهة اقتراحات الحكومة الدستورية: تي أي سي، سي يو أس أي، أس أي أي دبليو يو، جمعية سويتو المدنية وغيرها[١]. ٣٢ منظمة، أكثر من ١٥٠ مندوباً ومراقباً تبنوا بيان تشكيل الجبهة الديموقراطية الموحدة، وطالبوا بمناهضة الاقتراحات الدستورية والإصلاحية. د. أي محمد هو رئيس المجلس.

٤ حزيران/يونيو ١٩٨٣

هيرالد: قرر أعضاء مجلس مدينة دبلن إقامة تمثال نصفي لنيلسون مانديلا للإشادة بمساهمته الملحوظة في الحرية. في البداية، طُلب جعله رجلاً حراً لمدينة دبلن، لكن شعر بعض أعضاء المجلس بأن هذا لن يكون مناسباً، إذ لن يكون حاضراً ليحمل هذا الشرف.

٩ حزيران/يونيو ١٩٨٣

تم شنق سيمون موغوراين وجيري ماسولولي وماركوس موتونغ في سجن بريتوريا المركزي[٢].

١٤ حزيران ١٩٨٣

المحامي إسماعيل ماهوميد والوكيل إسماعيل أيوب: استشارة قانونية حول ظروف العيش في سجن بولسمور المشدد الحراسة.

الأول من تموز/يوليو ١٩٨٣

تزور النائبة السيدة هيلين سوزمان القسم برفقة العميدين مونرو وبوثما. نشرح

(١) الهيئة الهندية الترانسفالية، مجلس اتحادات جنوب أفريقيا، نقابة العمال المتحدين في جنوب أفريقيا.
(٢) كلهم أعضاء في «أمخونتو وي سيزوي»، أُعدموا بتهمة الخيانة العظمى.

لها مآسينا، ونُريها الباحة والغرف الفردية التي يتم بناؤها. أعلمتها بأنه كان شرفاً لي تلقي جائزة الدكتوراه من قبل جامعة بلجيكا.

٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣

الوزن بدون ثياب: ٧٦,٨ كلغ.

الطول: ١،٧٨ م. أي حوالى ٥ أقدام و١٠ (بوصات).

١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣

الأسقف هادلسون، رئيس حركة مناهضة التمييز العنصري، أسدل الستار على لوحة منقوشة في ليدز، يوركشاير، تسمي رسمياً الحدائق الموجودة قبالة المجلس المدني في المدينة باسم قائد الهيئة الأفريقية الوطنية المسجون، نيلسون مانديلا. تصف اللوحة المصنوعة من الأردواز مانديلا بـ«رمز مقاومة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا»، وتسجل عبارة قالها. أعقب حفلة إسدال الستار اجتماع في المجلس البلدي تكلم فيه أشخاص عديدون على مانديلا. كما قرئت رسالة من الأمين العام للأمم المتحدة السيد خافيير بيريز دي كويلار.

١٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٤

زرعت الجزر والشمندر والفول السوداني[١].

١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٤

زرعت البندورة على صينيتين منفصلتين.

(١) كان مانديلا يزرع الخضر على سطح سجن بولسمور.

١٩ شباط/فبراير ١٩٨٤

وصول النتائج التكميلية

زيارتان مع زامي من الساعة ٨:٤٥ صباحاً: ترتدي ثوباً طويلاً أبيض، وتضع حول عنقها عقداً من الخرز الجميل. ستتوجه هي وأوبا بالسيارة إلى أومتاتا غداً.

٢٨ شباط/فبراير ١٩٨٤

أطلعني العميد مونرو على أن كاي دي (ماتانزيما) يرغب في رؤيتي أنا ووالتر سيسولو. وذكّرنا كاي دي بقرار جزيرة روبن القاضي بأن الوقت ليس مناسباً لهذا الاجتماع.

الأول من آذار/مارس ١٩٨٤

اجتماع آخر مع العميد مونرو، حينما طلبت الإذن بمراسلة أوليفر تامبو وغوفان مبيكي في خصوص الزيارة المقترَحة لكاي دي[1].

٧ آذار/مارس ١٩٨٤

أشارت صحيفة «كايب تايمز» إلى أن زامي ستنقل إلى ماديبا اقتراح كاي دي بإطلاق سراحه.

٨ آذار/مارس ١٩٨٤

ترتدي زامي ثوباً بنياً غامقاً طويلاً وغطاء لائقاً للرأس، تنقل إلي اقتراحاً من داليوونغا (ماتانزيما). زيارتان مدة كل منهما ٤٠ دقيقة.

(١) أرشيبالد مفوييلوا غوفان مبيكي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

نقلت صحيفة «كايب تايمز» مزيداً من التقارير. تعلن كوبي كوتسي أن الإفراج أمر ليس وارداً التفكير فيه حتى.

١٠ آذار/مارس ١٩٨٤

«كايب تايمز»: يقابل ماديبا زوجته ثانية ويعطيها جوابه عن عرض كاي دي.

١٢ آذار/مارس ١٩٨٤

«كايب تايمز»: يرفض قائد الهيئة الأفريقية الوطنية العرض. سيتحدى أي محاولة لإطلاقه وتقييد تحركاته داخل ترانسكي: مصمم على العودة إلى دياره في سويتو، ولن يبقى في ترانسكي.

١٥ آذار/مارس ١٩٨٤

أسطوانات ماديبا تلقى رواجاً. سجلت أسطوانة تنادي بإطلاق نيلسون مانديلا نجاحاً كبيراً على قائمة أنجح الأغاني بعد أسبوع واحد، تحتل أغنية «حرروا نيلسون مانديلا» التي تغنيها فرقة «ذا سبيشلز»، وهي فرقة متعددة الأعراق المرتبة الرابعة على قائمة أنجح الأغاني في راديو كابيتول والمرتبة ٦٨ على القوائم الوطنية[1].

٢٢ آذار/مارس ١٩٨٤

أُرسل مبلغ ٤٩،٤٠ رنداً إلى «تايم» لإعادة التجديد.

أجرى د. لو رو صورة بيانية كهربائية لعمل القلب، وكانت النتيجة مُرضية، اتضح أثر لوجود دم في البول. ضغط الدم عال ١٤٠/٩٠.

الأول من أيار/مايو ١٩٨٤

«كايب تايمز»، ١/٥: السيدة مانديلا الفصيحة جداً، التي يُمنع الاقتباس منها

(١) «حرروا نيلسون مانديلا» كانت أغنية احتجاجية كتبها جيري دامرز من فرقة «ذا سبيشلز». أُطلقت في الأسواق كأغنية منفردة «حرروا نيلسون مانديلا/حطموا الباب»، العام ١٩٨٤.

وفق قانون جنوب افريقيا لأنها شخص محظور، ألقت محاضرة مطولة بكل سلاسة، وقد تم سماعها ورؤيتها في شهر أيار/مايو.

١٢ أيار/مايو ١٩٨٤

زامي وزيني: حظيت بزيارة مباشرة للأقارب للمرة الأولى. زيارتان.

١٨ حزيران/يونيو ١٩٨٤

الصحيفة السويتية: منح الرئيس الكوبي فيديل كاسترو إحدى أرقى الميداليات في كوبا لنيلسون مانديلا، قائد الهيئة الأفريقية الوطنية المحظورة الذي دخل سجن جنوب أفريقيا مدة ٢٢ سنة. أُعطي الوسام العسكري بلايا غيرون (خليج الخنازير) إلى السيد ألفرد نزو، الأمين العام للهيئة الأفريقية الوطنية الذي يزور كوبا. وقال السيد جيسوس مونتان، عضو المكتب السياسي في كوبا: «مانديلا هو النموذج الملهِم لروح المقاومة الذي لا يُقهر».

٢٣ حزيران/يونيو ١٩٨٤

ماكي وكوماني لـ ٤٠ دقيقة[١].

١٦ تموز/يوليو ١٩٨٤

«كايب تايمز»: في إشارة مقتضبة إلى قائد الهيئة الأفريقية الوطنية نيلسون مانديلا الذي ينفذ حكماً بالسجن المؤبد، قال السيد ألان هيندريكس إنه حان الوقت لأن يتم تحريره[٢]. قال: «إن كان قد اقترف خطأ فقد نفذ عقوبته بكل تأكيد».

(١) كوماني مانديلا. ماكازيوي بن مانديلا وحفيد مانديلا.
(٢) ألان هيندريكس (١٩٢٧-٢٠٠٥). وزير ومدرّس وسياسي من حزب العمال.

١٨ تموز/يوليو ١٩٨٤

تم تجديد الاشتراك في صحيفة «ستار» ستة أشهر أخرى تبدأ من ٣-٣-٨٤.

تكلفة الاشتراك: ٩٥/٢٨ رنداً.

٥ آب/أغسطس ١٩٨٤

تعود زامي في زيارتين، مدة كل منهما ٤٠ دقيقة، جلبتها ماريتجي[١]. أشارت زامي إلى أن شهناز كتبت عدة رسائل لم أتلقَّها[٢].

١٢ آب/أغسطس ١٩٨٤

مجلة «سانداي إكسبرس» النقدية: جوبرت ماليرب: تعهد جيمي كليف عدم العودة إلى جنوب أفريقيا إلى أن تحكم الأغلبية[٣]. وقال هذا الكلام في خلال احتفال نيلسون مانديلا السنوي في قاعة كريستال بالاس في جنوب لندن الأسبوع الفائت.

حضر حوالى ٥ آلاف شخص إلى المسرح ليستمعوا إلى موسيقى كليف، والعازف البارع على البوق الجنوب أفريقي هيو ماسيكيلا، ومجموعة من الفرق الأفريقية، وفرقة الريغا البريطانية الساحرة، «أسود»، التي اختتمت العرض.

٢٨ آب/أغسطس ١٩٨٤

دم في البول، عينة أخرى أخذها الرائد برغر.

٣٠ آب/أغسطس ١٩٨٤

قام الرائد برغر بقياس ضغط الدم: ١٤٠/٨٠.

(١) ماريتجي فان دير ميروي. زوجة هارفي فان دير ميروي، صديق لمانديلا.
(٢) شهناز مير، ابنة فاطمة مير، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٣) جيمي كليف (١٩٤٨-). مغنٍ جامايكي يؤدي أغاني السيكا والريغا.

٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤

الميزانية: ٥٦٠/٧٧ رنداً. استشارة د. لوبشر الاختصاصي في مجرى البول. أكد فحص البول وجود دم فيه. وتم إجراء صورة أشعة من قبل ميسر بايسون، بيينار... إلخ، فكشفت عن خلل في عمل الكلى، لكن بدون التيقن من هذا الخلل. مزيد من الفحص في مستشفى «فولكسهوسبيتال» غداً.

٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤

وُضعت في آلة المسح الطبي في مستشفى «فولكسهوسبيتال». تم اكتشاف تكيُّس في الكلية اليمنى وفي الكبد أيضاً. التكيُّس في الكلية مليء بالماء فحسب، وفي الكبد قد يكون متكلّساً. تم إجراء مزيد من الفحوصات في المستشفى.

١٢ أيلول/أيلول ١٩٨٤

دخلتُ مستشفى وودستوك لمزيد من الفحوصات بشأن مشاكل الكلى.

الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤

قامت الأخت دو توا بقياس ضغط الدم الذي بلغ ١٠٠/١٧٠.

«كايب تايمز»: كيف تحولت الهيئة الأفريقية الوطنية إلى سياسة الصراع المسلح. أندرو بريور. قسم الدراسات السياسية.

١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤

سول بلاتجي، قومي جنوب أفريقي ١٨٧٦-١٩٣٢ (بقلم برايان ويلان)[1].

(١) سول بلاتجي: قومي جنوب أفريقي، برايان ويلان (نُشر العام ١٩٨٤). سولومون تشيكيشو بلاتجي، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤

النتائج: رسبت في المواد الستّ كلها[١]

٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٥

يمدني الضابط المسؤول الساعة الـ١٢:١٥ بنسخة عن خطاب الرئيس بوثا. في الساعة ٣:١٥ أجريت مشاورة مدتها ٤٠ دقيقة مع ٤ رفقاء عن السقف.

الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

يُخرجني الكولونيل ماركس إلى حديقة السجن. أمضيت ساعة ونصف الساعة أتفرّج على المناظر. كم هي مثيرة للاهتمام حياة الطيور! في وقت لاحق، لحق بي زملائي الأربعة من السطح إلى زنزانتي، حيث تناولنا وجبة خفيفة حوالى ساعة من الوقت.

٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

أخرجني إلى الحديقة الملازم باركويزن. أمضيت ساعة، وجلبت معي كيساً كاملاً من البندورة.

٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

(١-١١-١٩٨٦) الوزن: ٧٦ كلغ، الطول ١،٨٠ متر[٢].

١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

أخرجني الملازم بارخويزن إلى الحديقة، وأمضيت ساعة أتفرَّج على الحقول المختلفة. أعطانا العميد مونرو تعليمات بالابتعاد عن الطريق السريع لأسباب أمنية.

(١) يشير مانديلا إلى دراسته لنيل درجة في الحقوق.
(٢) أثبت قيس طول مانديلا زيادة بنسبة سنتمترين عما كان عليه في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣، ما يشير إلى وجود تقصير في عمل الحراس الذين يقيسون طوله.

١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

انتقلت إلى الزنزانة المجاورة، لأن الحجرة التي كنت أقيم فيها يتم طلاؤها.

٢٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

أُبلغت رفض طلبي الحصول على لوح تسخين وإبريق شاي كهربائي وقابس، وكذلك رُفض طلب الإذن بإرسال كتب هدية إلى الأطباء الذين أجروا العملية لي. شاهدت فيلم «سوفيز تشويس»[١].

٢٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

أخرجني العميد مونرو إلى الحديقة بعد الاحتجاز، ثم مررنا بغربي توكاي، عبر حقول كرمة شاسعة تمتد على سفح الجبل، ثم عبر منازل تشع منها الثروات من خلال جدران الآجر.

٢٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

شاهدت أفلام المكتبة:

«الإرهابيون والرهائن».

«طلاب في موسكو».

«وضع نساء الماوري».

«رسوم متحركة».

(١) فيلم «سوفيز تشويس» إنتاج العام ١٩٨٢.

٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

يمدني الضابط المسؤول الساعة الـ١٢:١٥ بنسخة عن خطاب الرئيس بوثا. في الساعة ٣:١٥ أجريت مشاورة مدتها ٤٠ دقيقة مع ٤ رفقاء عن السقف.

الأول من شباط/فبراير ١٩٨٦

٣ ساعات من المشاورات مع جورج (بيزوس). سيقدم طلباً للتشاور معنا جميعاً في ١٤-٢. رفض طلبه مصافحة جميع الآخرين.

٥ شباط/فبراير ١٩٨٦

احتفلت بعيد مولد زيني عبر فتح علبة من اللحم الضأن.

مقابلة مدتها ٤٠ دقيقة مع تيهوفو (والتر سيسولو).

٧ شباط/فبراير ١٩٨٦

شاهدت ٤ مقاطع من «أمادوس»[1]. قصة شائقة، لكن النهاية صدمتني لكونها فاترة نوعاً ما.

١٢ شباط/فبراير ١٩٨٦

أمضيت زهاء ساعتين من الوقت مع رايموند ملابا ندوبي بمناسبة عيد مولده الـ٦٦. تناولنا الغداء معاً وتقاسمنا قالب حلوى بمناسبة عيد الميلاد. طلبت إليه مناقشة تعليماتنا لجورج بيزوس مع الرفقاء الآخرين.

٢١ شباط/فبراير ١٩٨٦

حظيت بزيارة خاصة مدتها ٨٠ دقيقة من زامي وزيندزي. وزارني بعد دقائق

(١) «أمادوس» إنتاج العام ١٩٨٤.

من الاجتماع مع العائلة، العميد مونرو. أمضيت حوالى ٤٥ دقيقة أخرى مع شخصية هامة جداً: جين أوباسانجو[١]. وشاهدت قبل ذلك فيلماً: «بوتي غان غرينس تو»[٢] (الأخ يتجه إلى الحدود).

٥ نيسان/أبريل ١٩٨٦

أنا و زاميلا (والتر سيسولو) شهدنا على زواج ديديكا وندوبي الذي تمّمه الأسقف سيغكوبو دواين، وساعده الموقر مبوملوانا، بحضور السيدة سالي، والعميد مونرو والضابط المسؤول غريغوري[٣].

زيارة من موزي وزيني مدتها ٨٠ دقيقة.

٨ نيسان/أبريل ١٩٨٦

تزورني زامي ونوموسكو مدة ٤٠ دقيقة، وتبلغانني وفاة ساباتا في اليوم السابق[٤].

ستبلغ زامي العائلة وتحاول جلب الجثة من لوساكا.

١٥ نيسان/أبريل ١٩٨٦

شاهدت الفيلم التراجيدي «بول جايكوب والعصابة النووية» إلى جانب «البعبع الكهربائي» رقصة جديدة مذهلة[٥].

---

(١) أولوسيغون أوباسانجو (١٩٣٧-). جنرال الجيش النيجيري، (١٩٩٩-٢٠٠٧). كان أحد الأفراد التسعة في (مجموعة الأشخاص البارزين)، الذين أرسلهم الكومونويلث للتحقيق في مسألة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا.

(٢) يحتمل أن يكون اسمه «بوتي غان بوردر تو»، إنتاج عام ١٩٨٤.

(٣) جايمس غريغوري (١٩٤١-٩٣). حارس ورقيب ومؤلف «غودباي بافانا». نُشر العام ١٩٩٥.

(٤) نوموسكو. الزوجة الأولى للملك ساباتا ووالدة الملك بوييليخايا. الملك ساباتا جونغولانغا داليندييبو توفي في المنفى في زامبيا.

(٥) «بول جايكوب والعصابة النووية» إنتاج العام ١٩٧٨. «البعبع الكهربائي» إنتاج العام ١٩٨٣.

نيسان/أبريل ١٩٨٦

شاهدت فيلم «مفقود» ومباراة العام ١٩٧٤ القصيرة بين الليونز وسبرينبوكس التي فاز فيها الليونز بنتيجة ١٢-٣.

٥ أيار/مايو ١٩٨٦

زارتني النائبة السيدة هيلين سوزمان والسيد تيان فان دير ميروي من الساعة ٩:٣٠ حتى ١١:٥٥[١]. أجرينا حديثاً مسهباً حول القضايا السياسية.

٦ أيار/مايو ١٩٨٦

أطلعني العميد مونرو على أن الجنرال فينتر يود الحصول على معلومات أدق بخصوص بامبيلانغا وداليوونغا[٢].

١٦ أيار/مايو ١٩٨٦

مقابلة مع جميع أفراد «مجموعة الأشخاص البارزين من الكومونويلث».

٢٨ أيار/مايو ١٩٨٦

«أعلم لماذا يغني الطائر في القفص»، من إخراج مايا أنجلو.

مكتبة الأفلام

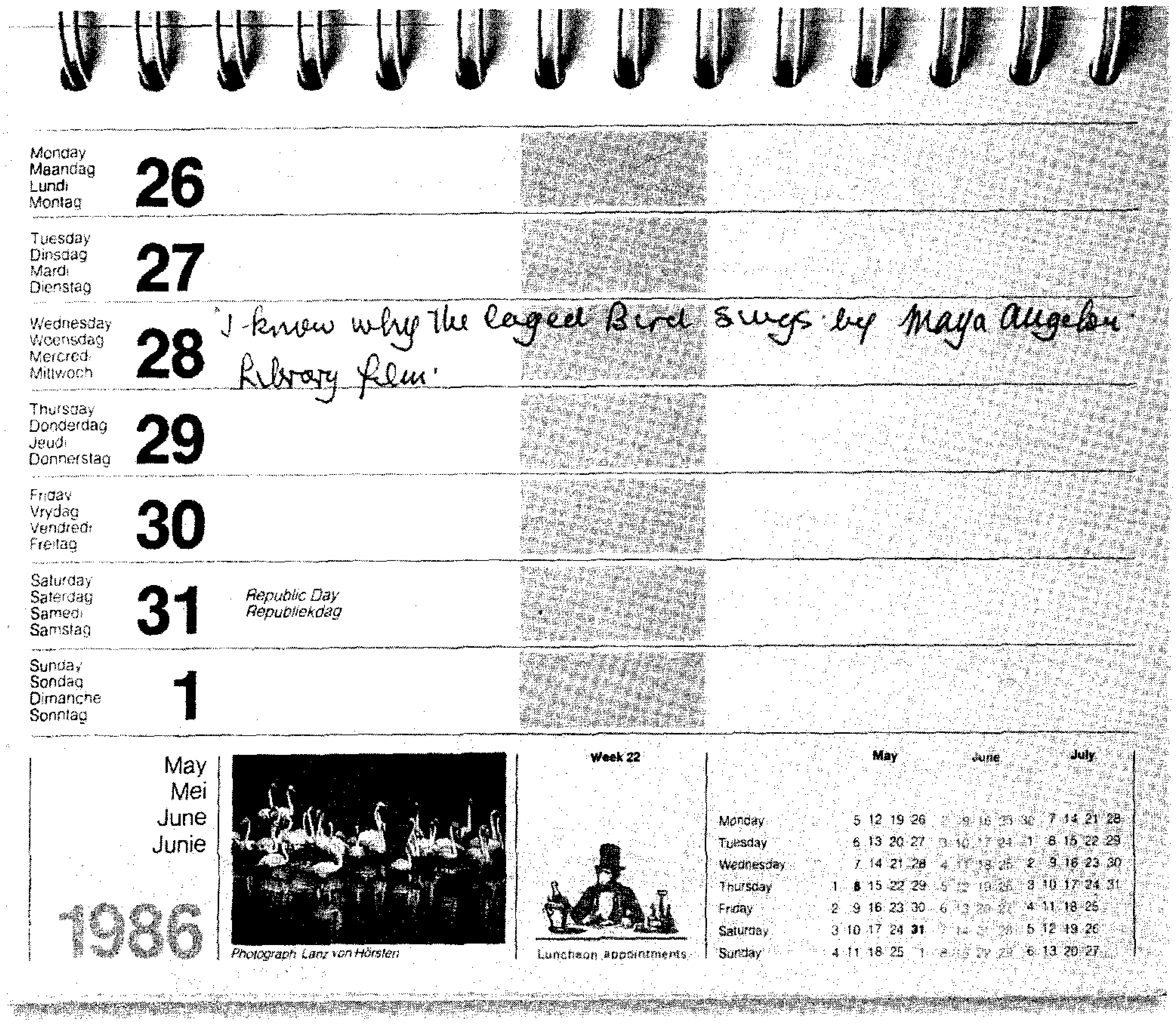
---

(١) تيان فان دير ميروي، نائب عن الحزب الفيديرالي التقدمي.

(٢) داليوونغا هو كاي دي ماتانزيما.

١٦ حزيران/يونيو ١٩٨٦

حلمت بأن زامي أصبحت محامية. ظهرت في قضية ضد مانديلا وتامبو، كسبت الدعوى بسبب تخلف الفريق الآخر عن الحضور. يصل نيلسون مانديلا إلى المحكمة ليطالب بإبطال الحكم، ويستدعيها إلى المحكمة.



Monday Maandag Lundi Montag 26

Tuesday Dinsdag Mardi Dienstag 27

Wednesday Woensdag Mercredi Mittwoch 28 'I know why the caged Bird sings' by Maya Angelou Library Film'

Thursday Donderdag Jeudi Donnerstag 29

Friday Vrydag Vendredi Freitag 30

Saturday Saterdag Samedi Samstag 31 *Republic Day Republiekdag*

Sunday Sondag Dimanche Sonntag 1

May Mei June Junie 1986

Photograph Lanz von Hörsten

Week 22

Luncheon appointments

May June July

انظر أعلاه.

١٧ حزيران/يونيو ١٩٨٦

يطلعني الضابط المسؤول غريغوري بطريقة متعجرفة، على أن الرسالة التي أضاعها قد فُقدت ولا يسعه فعل شيء البتة حيال ذلك. وصرح أيضاً بأن أحداً مهما كان منصبه لا يمكنه أن يهدده.

١٨ حزيران/يونيو ١٩٨٦

أجريت نقاشاً مع الرائد فان سيترت بخصوص الضابط المسؤول غريغوري. يعدني الرائد بحل المسألة بمجرد أن يأتي الضابط المسؤول غريغوري.

١٨ آب/أغسطس ١٩٨٦

الموقر بيتر ستوري، صلاة استهلالية قصيرة حول «الاثنين»[١].

فيلم «محمد علي في ألمانيا»، إضافة إلى فيلم «الخرقى ينتقمون»، وفيلم قصير[٢].

١٩ آب/أغسطس ١٩٨٦

الموقر بيتر ستوري يتكلم على التسامح.

٢٠ آب/أغسطس ١٩٨٦

الموقر بيتر ستوري يتلو صلاة ربانية.

٢٥ آب/أغسطس ١٩٨٦

عمد الرائد برغر إلى قياس ضغط الدم الذي بلغ ١٤٠/٨٠.

الموقر برايان جوهانسون: حول الوقوف.

٢٦ آب/أغسطس ١٩٨٦

الموقر برايان جوهانسون: حول المشي.

---

(١) «الموقر بيتر»، ستوري. كاهن ميثودي.
(٢) انتقام الخرقى، إنتاج العام ١٩٨٤.

٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٦

الموقر برايان جوهانسون: حول الجلوس.

٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦

الأب مايكل أوستين من جوهانسبورغ: حول كيفية العيش كالمسيح.

عمد الرائد برغر إلى قياس ضغط الدم الذي بلغ ١٢٠/٧٠.

٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦

الأب مايكل أوستين: قال لويولا إن أخبره أحدهم أنه على وشك الموت فسيواصل لعب ورق الشدة.

١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦

تم إعدام زوندو (سيبوسيسو)، سيفو بريدجيت زولو وكلارنس لاكي بايي[١].

الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦

تم توفير جهاز تلفاز. الجميع يشاهدون التلفاز منزعجين من الساعة ٤ عصراً إلى ٦:٤٥.

٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦

تم توفير هوائي جديد أفضل حالاً.

١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦

اجتماع مع داليوونغا برفقة أتش تي مبونزي، قنصل ترانسكي، ونيلسون مابونو[٢].

(١) أفراد في «أمخونتو وي سيزوي» أُعدموا في ٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦.

(٢) نيلسون تايتل مابونو (توفي العام ١٩٩٦). إيمبونجي. (ومعناها شاعر مديح تقليدي).

١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦

توفي الرئيس سامورا ماشيل في حادث تحطم طائرة على الحدود بين جنوب أفريقيا والموزامبيق.

٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦

تُعلن عبر المذياع وفاة سامورا ماشيل، رئيس جمهورية الموزامبيق. وزير الدفاع ووزير النقل ونائب وزير الشؤون الخارجية.

١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦

أرسلت إلى زيندزي بطاقة معايدة بمناسبة عيد مولدها. حلمت بجيمي وكوني[١].

زارني جيمي أنا وزامي، ودعوناه إلى المجيء وتمضية العطلة معنا. كما حلمت بأنني أطلب إلى السيد سيديلسكي إيجاد وظيفة لي.

٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦

أمضيت اليوم مع الزملاء في مقرهم، واستمتعت بتناول غداء شهي.

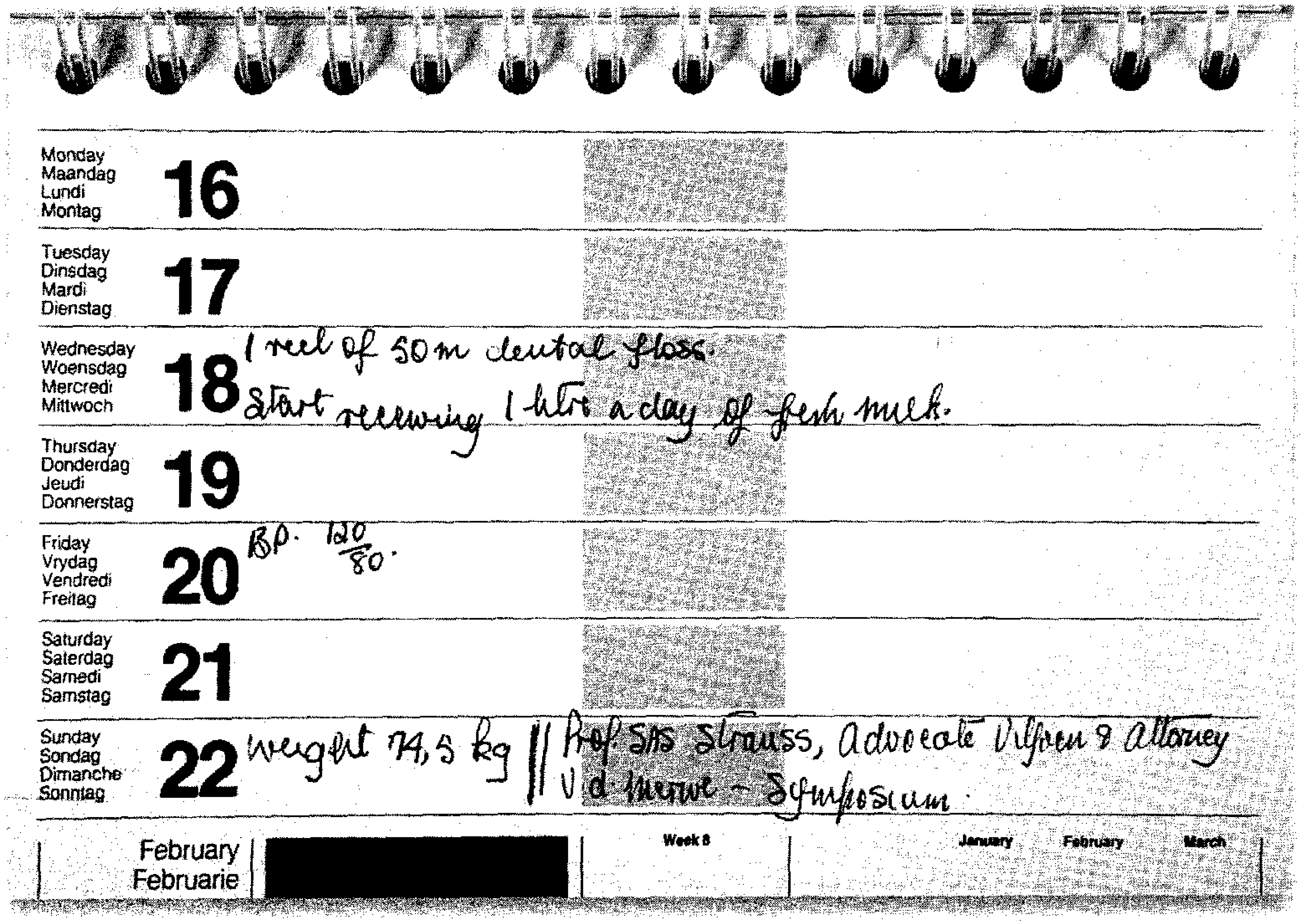
٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٧

(بلغة جنوب أفريقيا) لست راضياً عن الدليل المتعلق بتضييع الرسالة الموجهة إلى زامي.

لم تكن نسخة فوتوستاتية. وعد مكتب البريد بإرساله فوتوستاتا في غضون ذلك.

---

(١) د. جايمس (جيمي) لويل زويلينزيما نجونغوي (١٩١٩-٧٦). طبيب وناشط ضد التمييز العنصري. رئيس الهيئة الأفريقية الوطنية في كايب. كونستانس (كوني) نجونغوي (١٩٢٠-٢٠٠٩). ممرضة وناشطة ضد التمييز العنصري. زوجة د. جايمس نجونغوي.



Monday / Maandag / Lundi / Montag **16**

Tuesday / Dinsdag / Mardi / Dienstag **17**

Wednesday / Woensdag / Mercredi / Mittwoch **18** 1 reel of 50m dental floss. Start receiving 1 litre a day of fresh milk.

Thursday / Donderdag / Jeudi / Donnerstag **19**

Friday / Vrydag / Vendredi / Freitag **20** BP. 120/80.

Saturday / Saterdag / Samedi / Samstag **21**

Sunday / Sondag / Dimanche / Sonntag **22** Weight 74,5 kg || Prof SAS Strauss, Advocate Viljoen & Attorney V d Merwe – Symposium

February / Februarie — Week 8 — January February March

انظر صفحة ٣٢٧.

١٨ شباط/فبراير ١٩٨٧

بكرة خيط أسنان طولها ٥٠ متراً.

بدأت أتلقى ليتراً واحداً من الحليب الطازج في اليوم.

٢٠ شباط/فبراير ١٩٨٧

ضغط الدم: ١٢٠/٨٠.

٢٣ شباط/فبراير ١٩٨٧

احتفلت بعيد مولد ثيمبي بقطعة من الحلوى الغنية بالفاكهة وبعض الفول السوداني.

٤ نيسان/أبريل ١٩٨٧

فحصني د. مارشال: مشكلة في العين اليمنى. لا أقوى على رؤية شيء.

٨ نيسان/أبريل ١٩٨٧

استشارة البروفيسور فان رووين، تايغربيرغ (مستشفى)، يجد فجوة في شبكة العين، ويُجري عملية في العين اليمنى، وينصح بعدسات جديدة للقراءة. يود معاينتي ثانية بعد أسبوعين.

٢٠ نيسان/أبريل ١٩٨٧

زارني أربعة رفقاء من قسم النساء في السجن لمدة ساعتين[١].

٢٢ نيسان/أبريل ١٩٨٧

يعلن جيم فيش من محطة «بي بي سي» استقالة جو سلوفو، كرئيس أركان «أمخونتو وي سيزوي». تعليق من قبل جون بارات[٢].

استشارة للبروفيسور فان رووين، تايغربيرغ. يُلقي أشعة لايزر إضافية في عيني اليمنى. وسيعاينني ثانية بعد شهر.

٢٣ نيسان/أبريل ١٩٨٧

مقابلة مع مفوض السجون الجنرال ويليمس بخصوص التحرش بالعائلة.

٩ تموز/يوليو ١٩٨٧

بدء مؤتمر داكار بين الهيئة الأفريقية الوطنية ومجموعة من الجنوب أفريقيين.

---

(١) والتر سيسولو ورايموند مالابا وأندرو ملانجيني وأحمد كاثرادا، كانوا حينذاك محتجزين في قسم النساء في سجن بولسمور.

(٢) جون بارات (١٩٣٠-٢٠٠٧). المدير الوطني لمَجْمع جنوب أفريقيا للشؤون الدولية، ١٩٦٧-٩٤.

١٤ تموز/يوليو ١٩٨٧

استشرت د. دي هان، الاختصاصي في الأنف والأذن والحنجرة، بخصوص ألم شعرت به في مفصل الفك الأيمن. وقد كشف الفحص عدم وجود أي خلل ملحوظ، ما خلا انتفاخاً بسيطاً في قناة الأذن اليمنى، وربما لا علاقة له بالألم.

٦ آب/أغسطس ١٩٨٧

عيد مولد آيشة أرنولد: في الساعة ٩:٢٠ أبلغني الرقيب براند موت آيشة. وسلمت على الفور برقية ليتم إرسالها إلى أمين والأولاد.

١٩ آب/أغسطس ١٩٨٧

الوزن: ٦٧ كلغ، وزن الجسم بدون الملابس.

شفرة حلاقة جديدة.

٢٠ آب/أغسطس ١٩٨٧

مساحة الزنزانة ٦،٤ أمتار×٥،٤ أمتار.

٢٢ آب/أغسطس ١٩٨٧

مقابلة مدتها ساعة مع كاثي (أحمد كاثرادا) في عيد مولده.

٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٧

محاولة لتجنب تناول السكر العادي في جميع أنواع الطعام والشراب.

١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٧

زارتني أختي مابل لمدة ٤٠ دقيقة. أعطيتها ١٢٠ رنداً[١].

٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٧

احتفلت بعيد مولد زامي بتناول برياني بلحم الضأن، إضافة إلى لوبياء بالزبدة، وقطعة من الحلوى بالفاكهة.

٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧

أخبرني هارفي أن منزلنا الجديد في سويتو، قد تم تفجيره وتدميره. رأيت تايهوفو (والتر سيسولو) لمدة ٤٠ دقيقة.

٥ حزيران/يونيو ١٩٨٨

استشارة د. شابيرو بشأن ألم شعرت به تحت عظمة الترقوة اليمنى وفي قدمي اليسرى. وكشفت صور الأشعة عدم وجود أي خلل، لكن يوجد دم في البول. اقترح أن يفحصني اختصاصي في مجرى البول. الوزن: ٧٢ كلغ ونصف كلغ.

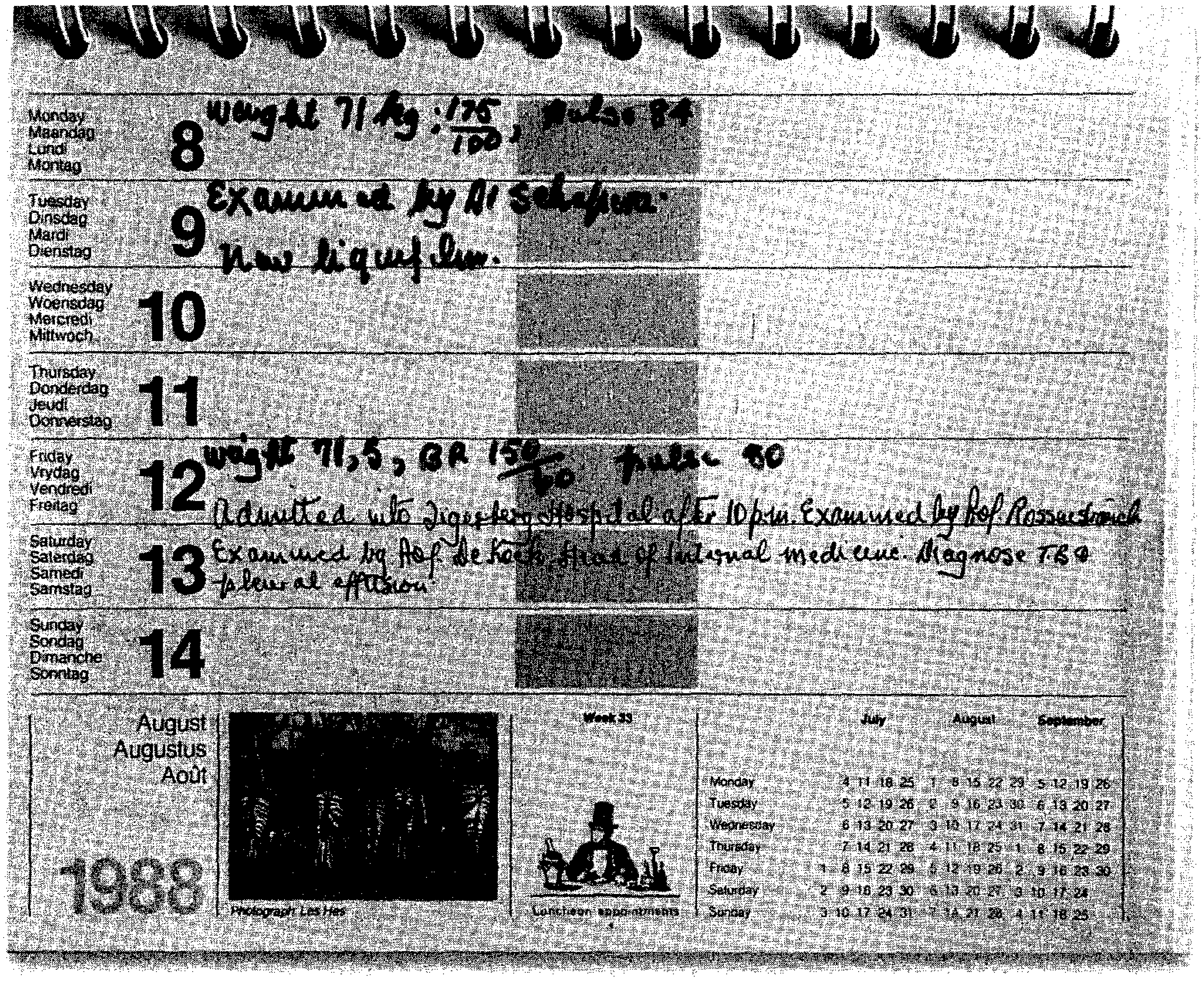
١٢ آب/أغسطس ١٩٨٨

دخلت مستشفى تايغربيرغ بعد الساعة العاشرة ليلاً. فحصني البروفيسور روزنستراوتش.

١٣ آب/أغسطس ١٩٨٨

فحصني البروفيسور دي كوك، رئيس قسم الطب الداخلي. تم تشخيص إصابتي بالسل، وتناضح في غشاء الجنب.

(١) نونتانكو مابل تيماكوي (اسمها قبل الزواج مانديلا) (١٩٢٤-٢٠٠٢).



انظر صفحة ٣٣١ وما أدناه.

١٧ آب/أغسطس ١٩٨٨

زارني الموقر أنطوني سيمونز.

٢٤ آب/أغسطس ١٩٨٨

الوزن: ٧١ كلغ. القيّمة إيلاين كاين تذهب في إجازة بدءاً من ٢٥-٨-١٩٨٨.

ثياب نوم جديدة.

٢٥ آب/أغسطس ١٩٨٨

الوزن: ٧٠،٣ كلغ.

٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٨.

الوزن: ٧١،٥ كلغ.

تذهب الأخت دي وال في إجازة.

١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك. جلب معه بندقاً، وكيساً من الفول السوداني.

١١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك: ملاحظات أخذتها الأخت إي كينز (لا علاقة تربطها بالقيّمة). إي كينز من تايغربيرغ. أخذت الأخت ليتيسيا جونسون الملاحظات في المساء. جلبت الأخت مارلين فورستر قالب حلوى بالشوكولاته.

١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

الوزن ٦٩،٥ كلغ.

١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

الأخت كيلاسي بام، تذهب إي في إجازة لأسبوع.

٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك. تعلن القيّمة تي أنها ستسافر إلى لندن لزيارة أختها المريضة.

٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

الوزن: ٧٠ كلغ. ٤ عينات من الدم أخذها الرائد كلينهانس.

لم يأت د. ستوك. ثم أتى حوالى الساعة الخامسة عصراً. تلقى تقريراً يفيد بأنني عاودت السعال. أكدت له أنني لم أكن أسعل.

٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

الوزن: ٧١ كلغ. فحصني د. ستوك كالعادة.

زرت الحديقة لحوالى ٤٥ دقيقة. الجو غائم وبارد.

٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك كالعادة.

احتفلت الممرضة كاي بعيد مولدها الـ٢١ ـ في ٢٥-٩-٨٨.

زيارة من الأخت برادلي.

٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨

تم جلب ملابس السجن.

١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

فحصني د. سوك كالعادة، كما فحصني البروفيسور دي كوك.

تلقيت زيارة من زامي وليبي وزينديزي وزوز وزوندوا[١].

١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

خضعت لامتحان في القانون العسكري.

(١) نومابانلا بيليسو (اسمها قبل الزواج ليبي) (١٩٣٠-٩٧). زوزو هي ابنة زينديزي وحفيدة مانديلا، زوليكا، وزوندا هو ابن زينديزي وحفيد مانديلا، يُعرف أيضاً باسم غدافي (١٩٨٥-).

فحصني د. ستوك في حوالى الساعة ٥:٣٠ عصراً.

٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك كالعادة. وصف لي زوجين من الجوارب الطويلة المطاطة وسيباكول.

٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

الوزن: ٧١ كلغ. فحصني د. ستوك: حصلت على ٥٠٠ غ من الفول السوداني؛ ١٠٠ غ من جوز البرازيل؛ ١٠٠ غ من اللوز. زارني د. ستروس، كبير المشرفين في تايغربيرغ.

٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك. أخبرني الرائد ماراي بقبول طلبي شراء ملابس. الوزن ٧١ كلغ.

١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك. تأخذ الأخت روث إجازة مدة أسبوعين.

٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨

الوزن: ٧٣ كلغ. تأخذ الأخت راي إجازة مدة ٣ أسابيع إلى جوهانسبورغ. فحصني د. ستوك.

٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك. يعود مرتين لينقل إلي تقريراً عن نتائج فحص الدم، ولإخباري بحالة الأخت جولي مورغان. تكشف الفحوصات عن التهاب سحايا فيروسي.

٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨

فحصني د. ستوك.

نُقلت من عيادة كونستانتيابيرغ في حوالى الساعة ٩:٣٠ مساءً إلى بارل (سجن فيكتور فيرسير).

٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨

«برايفيت» (سرّي) ٦٠٠٥ جنوب بارل، سجن ١٣٣٥/٨٨.

فحصني د. شونينغ. (٠٢٢١١)٤١٠١١-٧٦٢٤

٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨

أمضيت ٧ ساعات مع رفقاء سجن بولسمور.

٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨

تلقيت زيارة من زامي وزيندزي وزوزو والزونداوين[1].

٢ كانون الثاني/يناير ١٩٨٩

زارني العميد تي تي ماتانزيما من حوالى الساعة ٩:١٥ صباحاً حتى الساعة ١:٣٠ بعد الظهر.

وافقت على رؤية الطرفين المتنازعين في مسألة خلافة ثيمبو.

(١) زوندا الأول، هن ابن زيندزي، والآخر هو زوندا مايلفاين، نجل أم كاي مايلفاين.

١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٩

زارتني زامي وزيندزي من الساعة الـ١١ قبل الظهر حتى الـ١:١٥ بعد الظهر. تناولنا الغداء معاً.

٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩٨٩

زرت عيادة «ورموند وشركاه» للتصوير بالأشعة السينية في سيتي بارك. ومررنا بالسيارة في رحلة العودة على لانغا وغوغوليثو وكروسرودز وخاييليتشا وستراند وبوفورت ويست ودو توا باس، وغرابو وإلغين وفرنشوك. ٩,٧٠ رندات للرقيب غريغوري.

٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٩

انتهى علاج السل.

٢٤ شباط/فبراير ١٩٨٩

زارني السيد سيديلسكي لحوالى ٤٠ دقيقة. لم يُسمح بدخول زوجته وابنته روث. باري رجل دين في إسرائيل. وكولن يعمل في التجارة في جنوب أفريقيا (سمسار أراض)[١]. إعطاء ٩/٧٠ رندات للرقيب غريغوري.

١٢ آذار/مارس ١٩٨٩

تلقيت حتى الآن ٦٧٤ بطاقة معايدة بحلول عيد مولدي من ديموقراطيي كايب.

١٥ آذار/مارس ١٩٨٩

زارني تايهوفو من الساعة ١١:١٥ حتى الثانية بعد الظهر.

(١) ابنا لازار سيديلسكي.

١٦ آذار/مارس ١٩٨٩

فحصني البروفيسور أم بي فان رووين. تدهور في العين اليمنى، لكن لم يوحِ بضرورة إجراء عملية. مررنا عبر ويلينغتون وورشستر وروسونفيل وتالباغ عبر نفق دو توا. إعادة فحص على يد د. فان سيغيلين. زار أيضاً سجن بولسمور.

١٧ آذار/مارس ١٩٨٩

زارني بري بري (ويلتون مكواي) من الساعة ١١:١٥ حتى الواحدة بعد الظهر.

٢٤ آذار/مارس ١٩٨٩

زارني ماندلا من الساعة ١١:٣٠ حتى الـ١:٣٠ بعد الظهر(١).

جلب جائزة ساخاروف. لفافة وشيك وميدالية.

٢٥ آذار/مارس ١٩٨٩

زارني وونغا (كاي دي ماتانزيما)، ومافو وزوجتاهما(٢). ٤٠٠ رند من وونغا، و٢٠٠ رند من مافو. أخذت ٥ رندات أخرى من الحمام.

٢٦ آذار/مارس ١٩٨٩

زارني ماندلا من الساعة ١١:١٠ حتى الساعة ١٢:٥٠ بعد الظهر. أعطيته ٤٠٠ رند، إضافة إلى الرندات الـ٩٠ التي أُعطيت له في ٢٤-٣-٨٩.

(١) ماندلا مانديلا (١٩٧٤-). ابن ماكغاثو وحفيد مانديلا.
(٢) مافو هو مافو ماتانزيما.

٣٠ آذار/مارس ١٩٨٩

تلقيت زيارة من السيدة إينجيلبريخت والسيد نيل من فيرست ناشونال بنك، بارل. رسالة إلى شينج (مانجوسوثو بوثيليزي) سلمتها كي يتم إرسالها اليوم. تم تعديلها بحسب طلب سلطات السجن.

٢١ نيسان/أبريل ١٩٨٩

تسلمت ٥٧ بطاقة معايدة بحلول عيد مولدي أصدرها حزب العمال في لندن.

٣١ أيار/مايو ١٩٨٩

وصلت زامي إلى البوابة بشكل مفاجئ. طلبت أن تأتي مع زيندزي.

٨ حزيران/يونيو ١٩٨٩

تلقيت زيارة من أمينة ويوسف كاشاليا مدة ٣ ساعات.

٩ حزيران/يونيو ١٩٨٩

زارني الجنرال دبليو (ويليمس)، وتبادلنا بعض الأفكار بشأن مسألة هامة.

١٤ حزيران/يونيو ١٩٨٩

زارني مايك روسو.

نصيحة بألا أتلقى أي زيارة حتى الـ٢٤ من هذا الشهر.

١٥ حزيران/يونيو ١٩٨٩

زارني زاميلا (والتر سيسولو) لحوالى ساعة ونصف الساعة.

٢٠ حزيران/يونيو ١٩٨٩

أُعلمت بفشل الخطة.

٢٦ حزيران/يونيو ١٩٨٩

تلقيت زيارة من الجنرال ويليمس وشخص آخر من الـ٩ صباحاً حتى الـ١١:٤٥ قبل الظهر.

٤ تموز/يوليو ١٩٨٩

اجتماع حساس مع الوزير كا سي (كوبي كوتسي).

٥ تموز/يوليو ١٩٨٩

اجتماع مع شخص هام جداً، لم نناقش أي مسائل سياسية.

ضغط الدم في الساعة السابعة صباحاً: ١٧٠/١٠٠.

٣:٤٥ عصراً: ٩٠/١٦٠.

١١ تموز/يوليو ١٩٨٩

ضغط الدم في الساعة الـ٧ صباحاً: ١٨٠/٩٠.

٢:٣٠ عصراً: ٩٠/٢١٠.

تلقيت زيارة من الجنرال دبلوي (ويليمس) وشخصين آخرين.

تلقيت زيارة من الزعيم أم بي جويي وأخيه لحوالى ٣ ساعات.

١٣ تموز/يوليو ١٩٨٩

ضغط الدم في الساعة ٧ صباحاً ١٦٠/٨٠.

٣:٤٥ عصراً: ١٧٠/٩٠.

زارتني السيدة هيلين سوزمان.

١٤ تموز/يوليو ١٩٨٩

تلقيت زيارة من كاثي (كاثرادا)، مباندلا (ملانجيني)، موكونو (موتسوليدا)، ندوبي (ملابا)، زاميلا (سيسولو).

١٨ تموز/يوليو ١٩٨٩

ضغط الدم ٨٠/١٧٠ في الساعة الـ٧ صباحاً. عيد مولدي الـ٧١. تلقيت زيارة من زامي وجميع الأولاد والأحفاد، ما عدا عائلة زيني وإسحاق.

١٩ تموز/يوليو ١٩٨٩

توجهت إلى الخارج من الساعة ١٠:١٥ صباحاً حتى ٣:٤٥ عصراً.

٢ آب/أغسطس ١٩٨٩

تلقيت زيارة من رفقائي في سجن بولسمور وجزيرة روبن لـ٥ ساعات.

٣ آب/أغسطس ١٩٨٩

زارتني فاطمة [مير] من الساعة ٩:١٥ صباحاً حتى الساعة ٣:٤٥ عصراً.

٤ آب/أغسطس ١٩٨٩

زارتني السيدة ستيلا سيغكو من الساعة ١٠ صباحاً حتى ٣:٣٠ عصراً[١].

٨ آب ١٩٨٩

تلقيت زيارة من الزعيمين زانينغكيل دالاسيل وفاثيكيل هولوميسا.

١٠ آب/أغسطس ١٩٨٩

تلقيت زيارة من مامفيلا رامفيل مدة ٣ ساعات[٢].

١١ آب/أغسطس ١٩٨٩

اجتماع مدته ٣ ساعات مع أوسكار مبيثا في سجن بولسمور[٣].

١٢ آب/أغسطس ١٩٨٩

تقرير بأن أو آر أصيب بجلطة، تم نقله إلى لندن.

لم تأت زيني والأولاد لزيارتي.

١٣ أيلول/سبتمبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من كغاثو وماندلا وندابا[٤].

---

(١) الأمير ستيلا سيغكو (١٩٣٧-٢٠٠٦). رئيسة وزراء ترانسكي، ١٩٨٧، ووزيرة في جنوب أفريقيا ما بعد التمييز العنصري.

(٢) مامفيلا رامفيل (١٩٤٧-). أكاديمي وطبيب وناشط ضد التمييز العنصري.

(٣) أوسكار مافاكافاكا مبيثا (١٩٠٩-٩٤). ناشط ضد التمييز العنصري ونقابي وسجين سياسي.

(٤) ندابا مانديلا. نجل ماكغاثو وحفيد مانديلا.

٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٩

ضغط الدم في الساعة الـ٧ صباحاً: ١٦٥/٩٠.

الساعة ٣:٤٥ عصراً: ١٦٠/٨٠.

تم تنصيب السيد أف دبليو دي كليرك رئيساً جديداً للبلاد[١]

١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

ضغط الدم: ٩٠/١٨٠.

إعلان نية إطلاق تايهوفو وآخرين[٢].

زارني كغاثو من الساعة ٧:١٥ حتى ٨:٣٠ صباحاً.

زارني الوزيران كوتسي ود. فيلجون[٣].

١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

صور أشعة للصدر والرجل على يد د. كابلان. تسلقت صخرة بارل.

١٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

زارني جيف ماسيمولا من الساعة ١٠:٤٥ حتى الـ٤ عصراً[٤].

---

(١) فريديريك ويليم (أف دبليو) دي كليرك، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) تم إطلاق والتر سيسولو، رايموند مالابا، أحمد كاثرادا، أندرو ملانجيني، إلياس موتسوليدي، جيف ماسيمولا، ويلتون مكاوي، أوسكار مبيثا بعد ٥ أيام من سجن جوهانسبورغ.

(٣) جيريت فيلجون (١٩٢٦-٢٠٠٩). وزير التطوير الدستوري. وفر إطار عمل لمناقشات الحكومة مع الهيئة الأفريقية الوطنية.

(٤) جافتا (جيف) كغالابي ماسيمولا (١٩٢٨-٩٠). ناشط سياسي وسجين سياسي. عضو في باك (الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية).

١٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من روشيل[١].

١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من ٧ أقارب وأصدقاء من ثيمبولاند.

١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من ٤ أقارب وأصدقاء: ترسل زامي ملاحظة.

٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

تكلمت مع سيريل ومورفي[٢].

٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

اجتماع شعبي حاشد للسجناء السبعة الذين أُطلقوا إلى جانب غوفان (مبيكي).

٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من زامي وزيندزي والطفل، من الساعة ٩ صباحاً حتى الـ٥ عصراً.

١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩

تلقيت زيارة من ٥ سجناء سابقين في روبن آيلاند من الساعة ١١ إلى الساعة ٤ عصراً.

---

(١) روشيل متيرارا. حفيدة مانديلا وفق التقاليد.

(٢) سيريل رامافوسا ومورفي موروب.

٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩

عيد مولد ماري بينسون الـ٧٠[١]

١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩

التقيت رئيس البلاد أف دبليو دي كليرك مدة ساعتين و٥٥ دقيقة.

٢٩ كانون الأول/أكتوبر ١٩٨٩

ضغط الدم في الساعة الـ٧ صباحاً ١٧٠/٩٠.

٨:٣٠ صباحاً: ١٤٠/٨٠.

٤ عصراً: ١٦٠/٨٠.

تلقيت زيارة من لالو شيبا وريجي فانديار وشيريش نانابي[٢].

٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩

تكلمت مع زاميلا ونتسيكي[٣].

٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩

ضغط الدم في الساعة الـ٧ صباحاً: ١٥٥/٨٠.

٣:٤٥ عصراً: ١٤٠/٨٠.

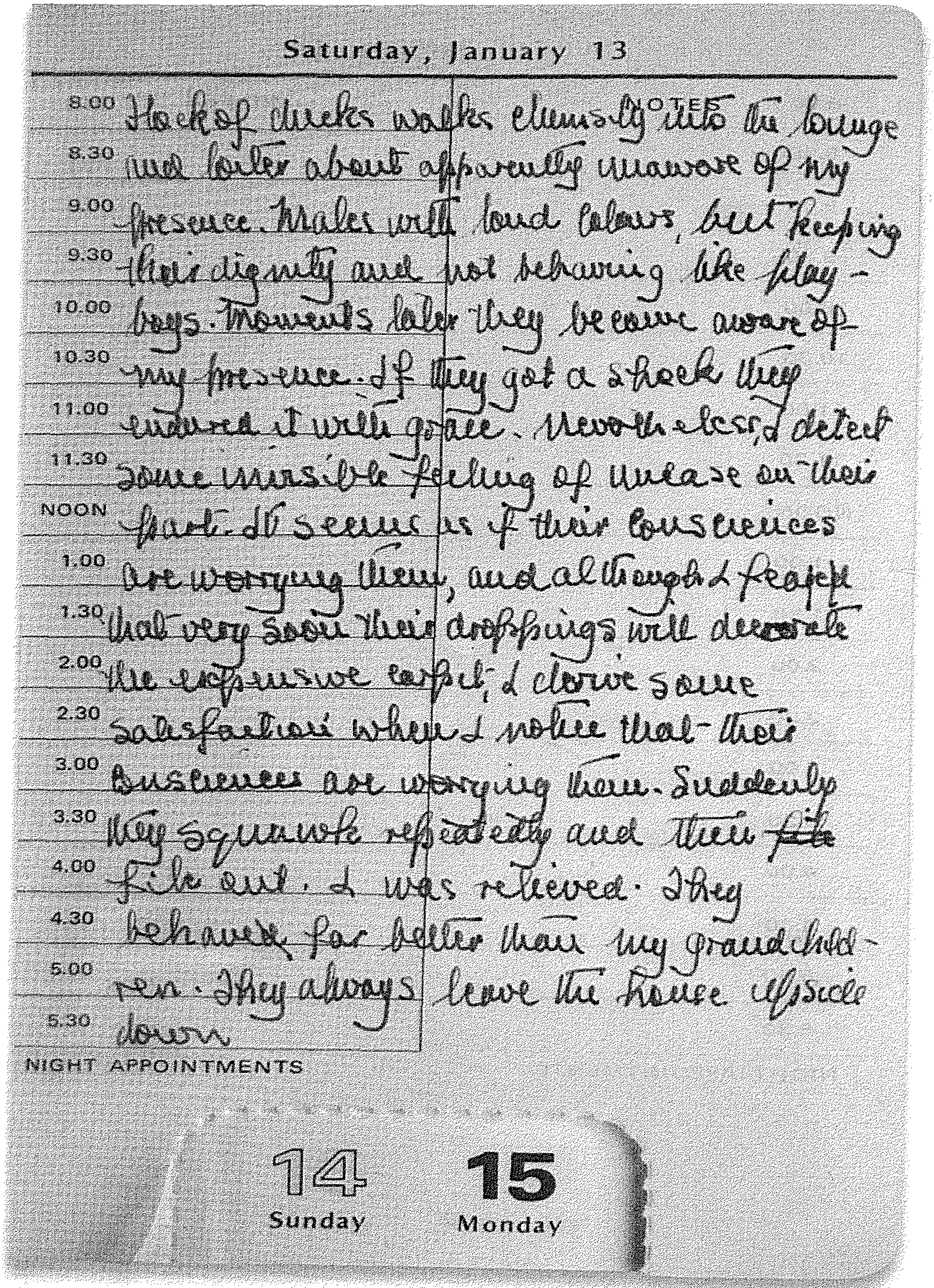
قياس السروال: ٣٤/٨٧.

موديل: ٨١٢٧.

(١) ماري بينسون (١٩١٩-٢٠٠٠). مؤلفة وناشطة ضد التمييز العنصري.
(٢) ريجي فانديار وشيريش نانابي، كانا عضوين في «أمخونتو وي سيزوي»، وأصبحا سجينين سياسيين.
(٣) نتسيكي، هي ألبرتينا سيسولو.

كان مبيت مانديلا في المنزل في سجن فيكتور فيرسر فترة انتقالية بين السَجن والحرية. في ١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٩٠ كان هذا آخر ما دونه في دفتر يومياته، وهو موجود داخل السجن.

سار سرب من البط بخُرق إلى الردهة، وراح يتنقل في الأرجاء غير منتبه إلى وجودي على ما يبدو. الذكور ألوانها فاتحة، لكنها تعكس وقاراً ولا تتصرف على نحو مستهتر. وبعد لحظات انتبهت إلى وجودي كما لو أصيبت بالصدمة. يبدو أنها استوعبتها بشكل فائق. لكني لاحظت شعورا خفياً بالضيق لديها. يبدو كأن ضمائرها تُقلق راحتها، وعلى الرغم من أنني خشيت أن تعمد فضلاتها سريعاً إلى تزيين السجادة الباهظة الثمن، إلا أنني شعرت ببعض الرضا حينما لاحظت أن ضمائرها تقلق راحتها. فجأة، راحت تطلق أصواتاً عالية ثم غادرت، فارتحت. إنها تحسن التصرف أكثر من أحفادي بكثير. إذ دوماً يقلبون البيت رأساً على عقب.



Saturday, January 13

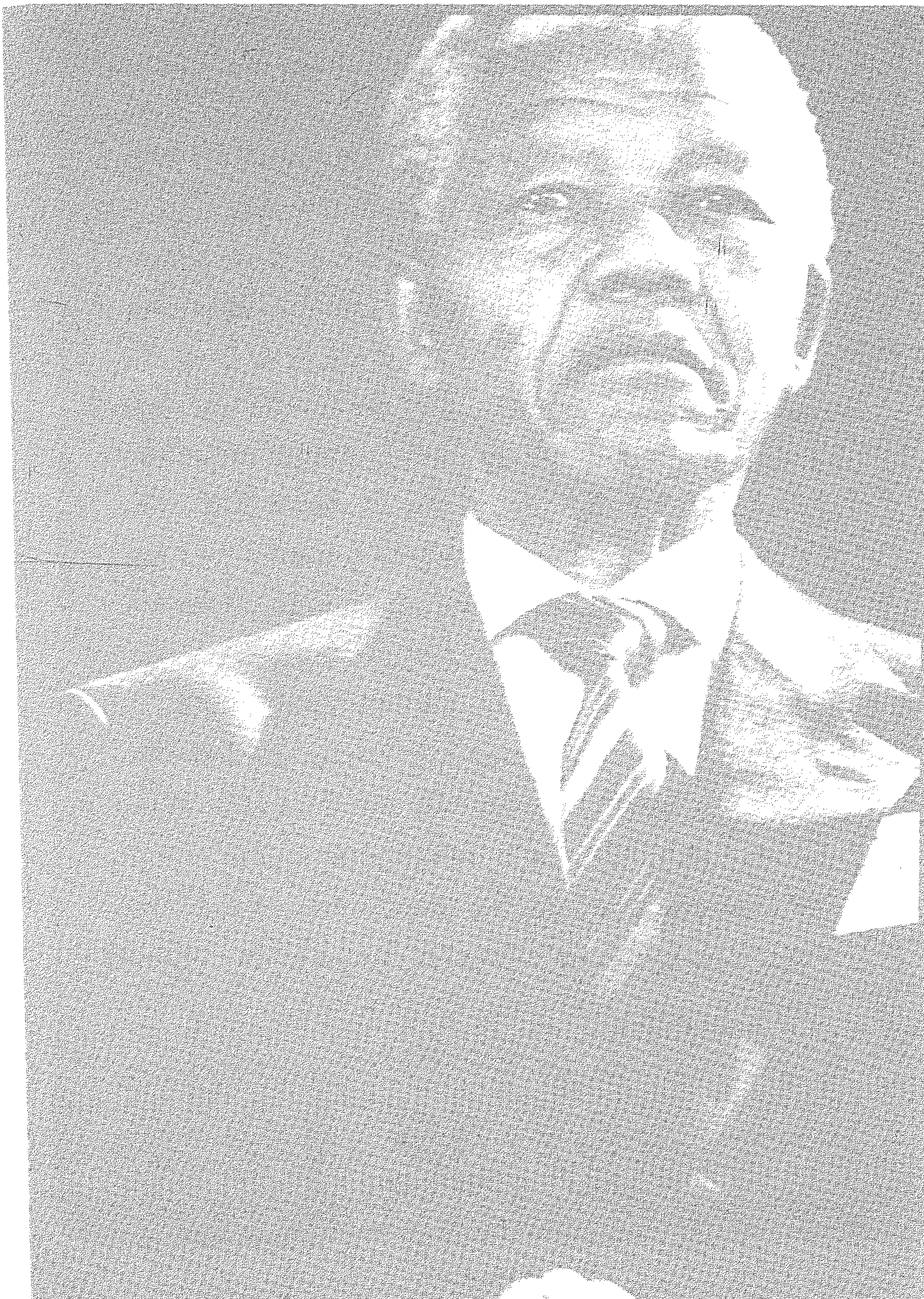
NOTES

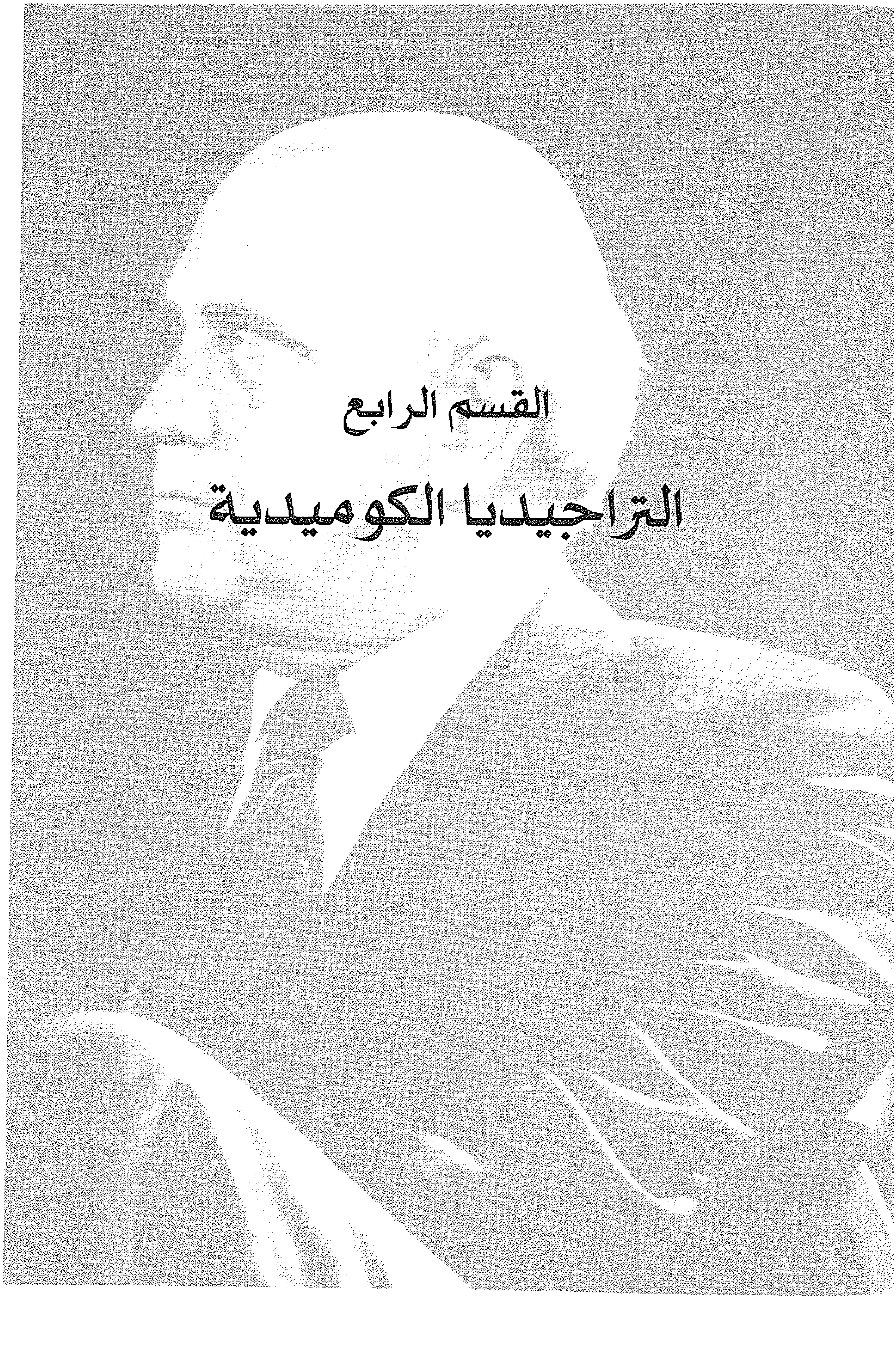
Flock of ducks walks clumsily into the lounge and loiter about apparently unaware of my presence. Males with loud colours, but keeping their dignity and not behaving like play-boys. Moments later they became aware of my presence. If they got a shock they endured it with grace. Nevertheless, I detect some invisible feeling of unease on their part. It seems as if their consciences are worrying them, and although I feared that very soon their droppings will decorate the expensive carpet, I derive some satisfaction when I notice that their consciences are worrying them. Suddenly they squawk repeatedly and then ~~file~~ file out. I was relieved. They behaved far better than my grandchildren. They always leave the house upside down.

NIGHT APPOINTMENTS

14 Sunday | 15 Monday

انظر صفحة ٣٤٥.





القسم الرابع

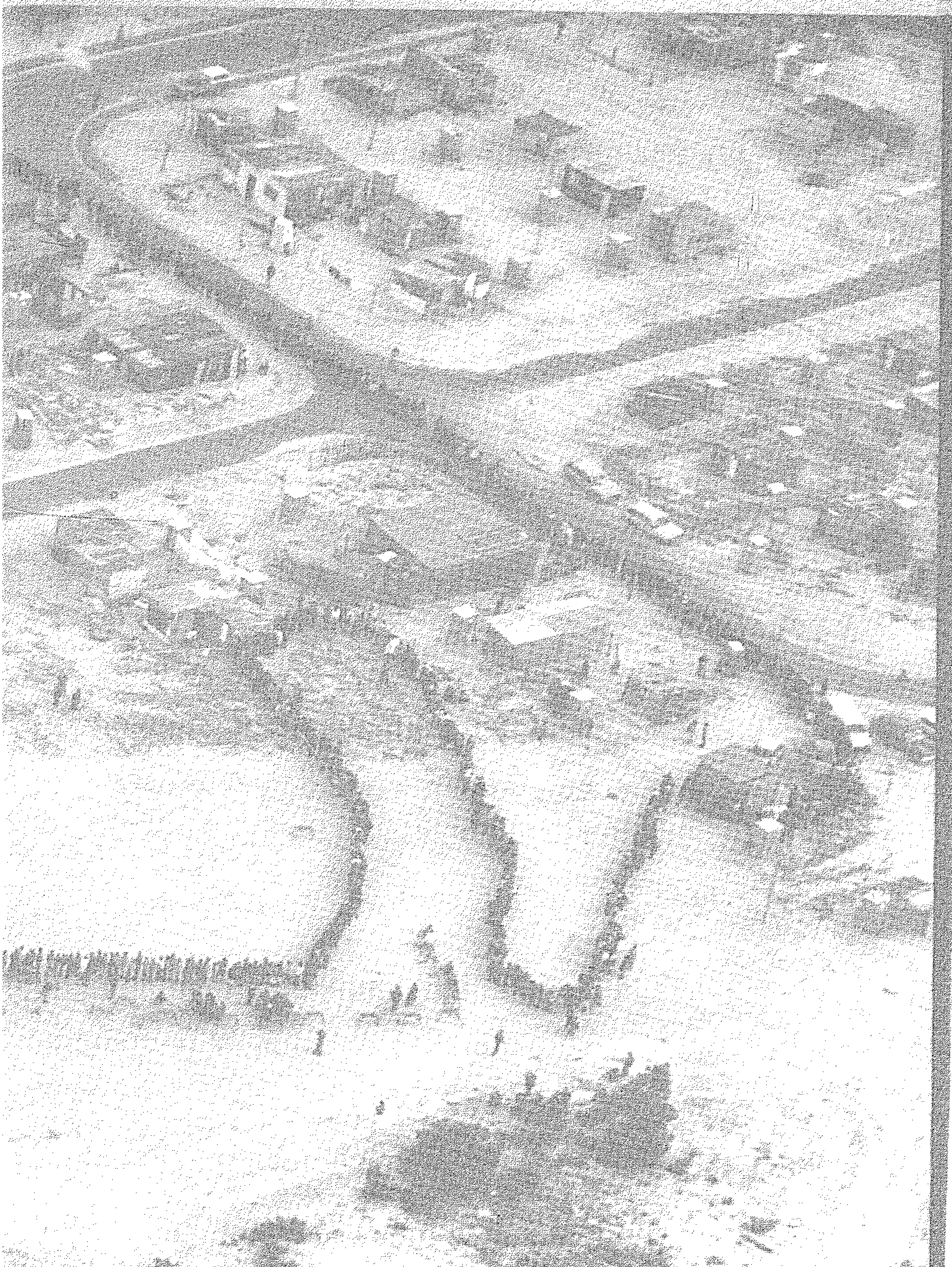
التراجيديا الكوميدية

كانت السنوات التي أعقبت خروج مانديلا من السجن صاخبة بالنسبة إليه. كان منشغلاً في تنظيم الهيئة الأفريقية الوطنية، وإجراء المفاوضات، والاستعداد للانتخابات، والحكم كرئيس، والسفر حول العالم لكونه القائد الأشهر في سنه. وفي غضون ذلك كله يتأقلم مع مسألة طلاقه ويني. رجل منعزل حتى في حياته الخاصة، وجد صعوبة في التكلم على علاقاته الشخصية. نادراً ما كان وقته ملكه. وهذا ينعكس في مجموعة الملاحظات التي احتفظ بها في خلال تلك الفترة. وعدا الملاحظات المطولة التي دونها في خلال الاجتماعات، فإن ما دونه يُعد مقتطفات متقطعة للأحداث اليومية.

كانت الفترة الممتدة بين ١٩٩٠ و١٩٩٤ ملأى بسفك الدماء والخوف في جنوب أفريقيا. قُتل الآلاف في العنف السياسي. وشاع وقوع المجازر مثل تلك التي وقعت في سيبوكينغ وبيوباتونغ وبيشو. وطوال الوقت، كانت ثمة خشية واضحة من حدوث انقلاب لجناح اليمين مدعوم عسكرياً. قادت البراغماتية المفاوضات وسياسة التصالح.

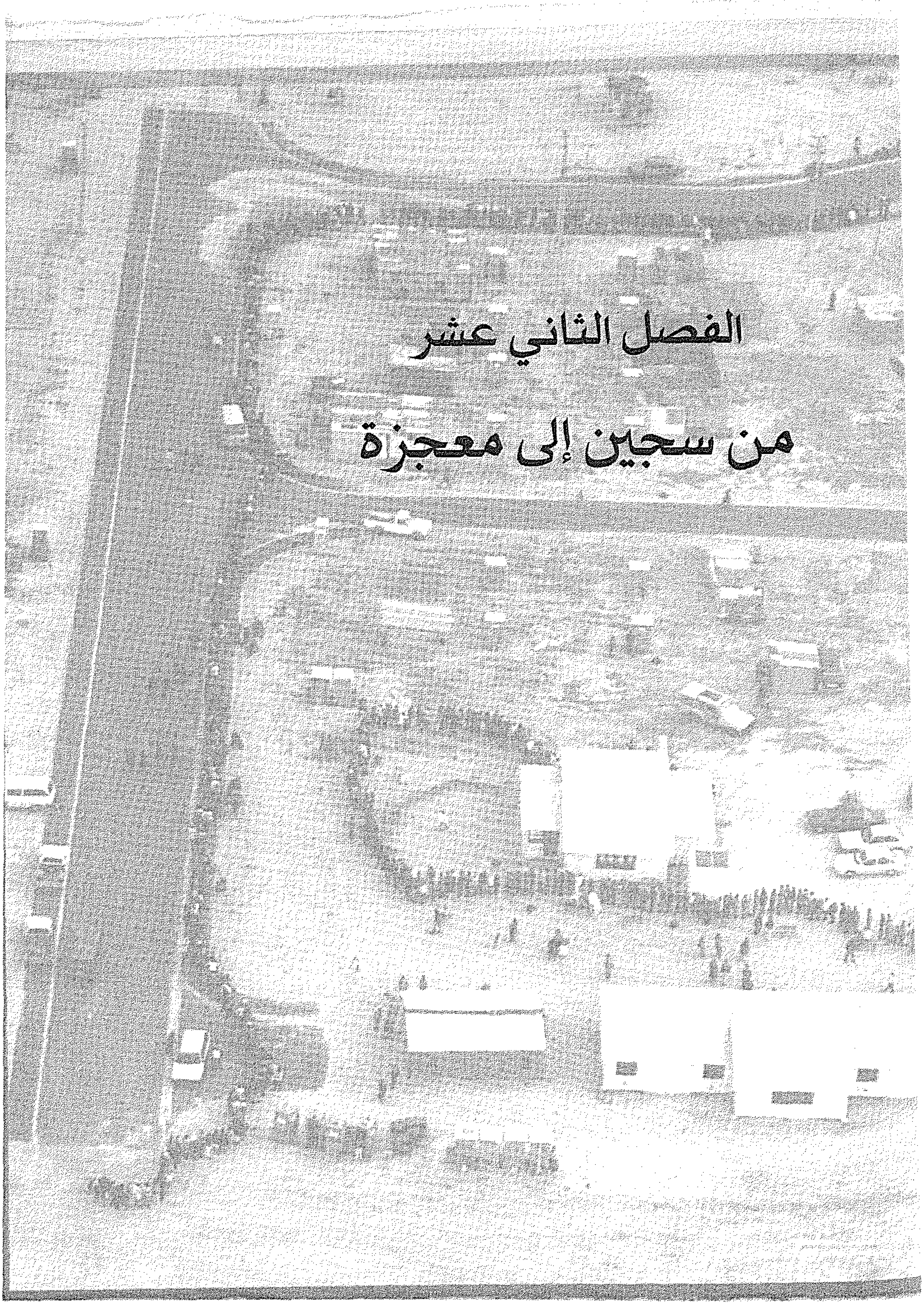
وجرت الأحاديث التي تبادلها نيلسون مانديلا مع أحمد كاثرادا وريتشارد ستينغل من أجل مشاريع الكتب المرخصة خاصته، في الوقت عينه الذي كان يحافظ فيه على تماسك البلاد (قبل نيسان/أبريل ١٩٩٤)، أو يديرها فعلياً (من أيار/مايو ١٩٩٤). يوماً يشهد على نتائج العنف الوحشية بأم عينيه، ويوماً آخر يستغرق في تأمل صامت ومدروس لماضيه. في حين أنه استمتع على الأرجح بالأحاديث، وغالباً ما قهقه أو ضحك (ذات مرة توجه بنظره نزولاً وقال «لقد قلبت حظي»)، إلا أنه كان أيضاً يتثاءب في كثير من الأحيان، واشتكى ذات مرة من أنه يعجز عن إبقاء عينيه مفتوحتين.

إن تذكر نيلسون مانديلا سنوات سجنه لا يخلو من الحنين: الروتين؛ الرفقاء؛ الدروس التي استقاها؛ أوقات الدراسة والقراءة؛ أوقات كتابة الرسائل. يحن إلى التأمل. ولسخرية القدر، نراه قد ظل، بطريقة ما، سجيناً. على مر السنوات كثيراً ما مازح الزوار والضيوف بتعليقه أنه لم يتحرر بعد، وهو يشير بإصبعه إلى مساعديه الشخصيين: «وهؤلاء هم سُجّاني».



الفصل الثاني عشر

من سجين إلى معجزة



إننا لا نقلل من شأن الأعداء. فقد حاربوا في صراعات ماضية بشجاعة في وجه ظروف قاسية، ونالوا إعجاب الجميع. لكن كان لديهم آنذاك ما يدافعون عنه: استقلالهم. اليوم انقلبت الأدوار. باتوا أقلية من المضطهِدين، ونفوقهم كثيراً عددياً هنا في الوطن، وهم معزولون في كل العالم كله. وبكل تأكيد، ستكون نتيجة الصراع مختلفة.

مقطع مقتبس من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن.

١ - *من مسودة سيرته الذاتية غير المنشورة التي كتبها في السجن*

إننا لا نقلل من شأن الأعداء. فقد حاربوا في صراعات ماضية بشجاعة في وجه ظروف قاسية، ونالوا إعجاب الجميع. لكن كان لديهم آنذاك ما يدافعون عنه: استقلالهم. اليوم انقلبت الأدوار. باتوا أقلية من المضطهدين، ونفوقهم كثيراً عددياً هنا في الوطن، وهم معزولون في العالم كله. وبكل تأكيد، ستكون نتيجة الصراع مختلفة. عجلة الحياة تدور، وما فتئ أبطالنا الوطنيون على مر التاريخ بدءاً من أوتشومايو إلى الزعيم ألبرت لوثولي، وفي الواقع شعب بلادنا برمته، يعملون لأجل تحقيق ذلك منذ أكثر من ثلاثة قرون. كانت العجلة مسدودة ومعوّقة بفعل الشمع الجاف والصدأ، لكننا أفلحنا في جعلها تصرّ، وفي تحريكها إلى الأمام والوراء، ونعيش على أمل وثقة بأنه ذات يوم سنتمكن من فتلها بدائرة كاملة حتى ينهار المتكبرون ويرتفع شأن المستضعفين. لا، حتى يقوى جميع الناس، متكبرين ومظلومين في الأرض، على العيش بمساواة.

٢ - *حديث مع ريتشارد ستينغل عن أسلوبه الخطابي*

ستينغل: أحياناً ينتقدك الناس لكونك لستَ ناشطاً في طريقة خطابك.

مانديلا: في مثل هذا الجو، حيث نحاول التوصل إلى تسوية عبر المفاوضات، لسنا في حاجة إلى خُطَب استنهاضية. علينا مناقشة المشاكل مع الناس بهدوء، لأن الناس يودون معرفة كيفية تصرفك، أو تعبيرك عن نفسك، وبعدئذ يأخذون فكرة عن طريقة معالجتك مسائل هامة في خضم هذه المفاوضات. تفضل جماهير الناس رؤية شخص يتمتع بالمسؤولية ويتكلم بطريقة مسؤولة. يحبون ذلك، لذا أتجنب إلقاء

خطب استنهاضية حماسية. لا أود تحريض الناس. أريد للجماهير أن تفهم ما نفعله، وأرغب في نقل روح تصالحي إليهم.

ستينغل: هل تقول إن أسلوبك في الكلام اختلف اليوم عما كان عليه في الأيام الغابرة قبل دخولك السجن؟

مانديلا: بتٌّ ليّن العريكة، بكل تأكيد. حينما كنت شاباً، كنت راديكالياً جداً، وأستخدم لغة طنّانة وأقاتل الجميع. أما اليوم، فعليّ شغل منصبي القيادي، وبالتالي، لم يعد إلقاء خطب استنهاضية محرضة أمراً مناسباً...

٣- من تتمة سيرته *الذاتية* غير المنشورة

يقدّر القادة كثيراً ذاك الانتقاد البنّاء ضمن بنى المنظمة، مهما بلغت حدته. ويعد أحد الأساليب الأكثر فاعلية لمعالجة المشاكل الداخلية، ولضمان أخذ آراء كل رفيق في الاعتبار بعناية، وفي حال شاء رفيق ما أن يعبر عن آرائه بحرية لا يجدر أن يكون ثمة خوف من التهميش، أو ما هو أسوأ من ذلك: إيقاعه كضحية.

من الخطأ الجسيم بالنسبة إلى أي قائد أن يغالي في الحساسية في وجه الانتقاد؛ أو أن يُجري النقاشات وكأنه مدرّس يتكلم مع متعلمين أقل معرفة ومعدومي الخبرة. يجدر بالقائد أن يشجع أي عملية تبادل آراء حرة وغير مقيدة، ويرحّب بها. لكن لا يجوز لأحد أن يشكك في صدقية رفيق آخر، سواء أكان قائداً أم عضواً عادياً.

٤- من تتمة سيرته *الذاتية* غير المنشورة

لا يجدر بالمرء أبداً نسيان أن الهدف الأساسي من الجدال، داخل المنظمات وخارجها، في الاجتماعات السياسية، في البرلمان وغيره من البنى الحكومية، هو وجوب خروجنا من الجدال، مهما بلغت حدة اختلافاتنا، أقوى وأقرب وأكثر وحدة وثقة من ذي قبل. إن إزالة الاختلافات والشك المتبادل ضمن منظمة المرء، وبين

منظمة المرء وخصومه، مع تركيز كامل على تطبيق السياسة الأساسية لمنظمته، يجب أن تكون دوماً مبدأنا الهادي.

٥- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن انفصاله عن ويني مانديلا

لا، لن أدخل في التفاصيل، ما خلا القول إني اضطررت إلى الانفصال عنها لأسباب شخصية.

٦- من دفتر ملاحظات

عدد القتلى في سانيفيل، كرزغرسدورب

قُتل ١٨ شخصاً في وضح النهار في جنازة سام نتولي[١].

وأشارت جميع الأدلة التي اكتُشفت على مدى السنتين الماضيتين، إلى أن الحزب الوطني والنظام يعرفان من هم القتلة، وسبب قتلهم الأبرياء والرجال العزّل والنساء والأطفال، ومن الذي يدفع لهم ليقترفوا هذه الأفعال. ولِمَ لم يتم إرسال الكتيبة الرقم ٣٢ إلى هناك.

٧- من دفتر ملاحظات: أفكار حول التفاوض

١) ابدأ بالتفاوض.

٢) يجدر تحرير السجناء السياسيين قبل عيد الميلاد.

التقاط أفكار هذا الجمهور ومشاعره بلغة الفن البليغة. في هذا الجو المعين الذي يملأه الموسيقى والرقص، هي أشبه بقطرات مطر منهمرة من السماء الزرقاء.

(١) سام نتولي (توفي العام ١٩٩١). عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية تم اغتياله. قتل رجل مسلح المعزين في جنازته في كاتلهونغ، شرق راند.

(5)

and the developing world.

4

Aids.

aids is a major problem to be tackled by the entire world. To deal with it requires resources far beyond the capacity of one Continent. No single Country has the capacity to deal with it.

An aids epidemic will destroy or retard the economic growth throughout the world. a world wide multi-faceted strategy in this regard is required.

5.

The Continent of Africa is well aware of the importance of environment. But most of the Continent's problems on environment are simply the product of poverty and lack of education. Africa has no resources or skills to deal with desertation, deforestation, soil erosion and

من دفتر ملاحظات راجعوا ص ٣٥٩.

٨- من دفتر ملاحظات

فكروا من خلال الدماغ، وليس الدم.

٩- من دفتر ملاحظات

الأيدز مشكلة كبيرة يجدر بالعالم أجمع الاهتمام بها. والاهتمام بهذا المرض يتطلب موارد كبيرة تتخطى قدرة قارة واحدة. لا توجد ثمة قارة واحدة تملك القدرة منفردة على معالجة هذا الأمر. سيعمد وباء الأيدز إلى تدمير النمو الاقتصادي في العالم، وتأخيره لذا، يتطلب اتباع استراتيجية متعددة الأوجه، وعلى مستوى العالم في هذا الصدد.

١٠- من دفتر ملاحظات

تعي قارة أفريقيا جيداً أهمية البيئة. لكن معظم مشاكل القارة المتعلقة بالبيئة هي بكل بساطة نتاج الفقر ونقص التعلم. لا تملك أفريقيا أي موارد أو مهارات لمعالجة التصحُّر وانعدام الغابات وانجراف التربة والتلوث.

لا تجدر معالجة أي من هذه المشاكل بشكل منفصل كأن العالم ليس واحداً. وما يزيد الوضع سوءاً، هو الدول الغنية التي تستغل فقر الناس في أفريقيا وترمي الأوساخ السامة في قارتنا. إنهم يعطونهم المال. يرشونهم بكل ما للكلمة من معنى، لتعريض الناس لجميع مخاطر التلوث.

١١- من دفتر ملاحظات

ثمة نقطة هامة علينا أن نُبقيها في بالنا دوماً، وهي النجم الهادي الذي يُبقينا على مسارنا، في حين نفاوض في التفاصيل العسيرة المجهولة للصراع الرامي إلى التحرير، وهي حقيقة أن النجاح لا ينجم أبداً عن الجهد الفردي، بل هو دوماً نتيجة الجهد والنصر الجماعيين.

١٢- *من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

اكتشفت في خلال مسيرتي السياسية أنه في جميع المجتمعات، الأفريقية والهندية والشعوب البيضاء البشرة وأصحاب البشرة الملونة، وفي جميع المنظمات السياسية بدون استثناء، ثمة رجال ونساء أخيار يتمنون بحرارة أن يمضوا قدماً في حياتهم، ويتوقون إلى السلام والاستقرار، ويرغبون في رواتب قيّمة، ومنازل جيدة، وإرسال أولادهم إلى أفضل المدارس، ويحترمون ويرغبون في الحفاظ على النسيج الاجتماعي للمجتمع.

١٣- *من دفتر ملاحظات*

٢١-٩-٩٢

الثلاثية: التحقيق، تحركات شعبية، مشاعر.

اتهام، اهتمام بشأن الاقتصاد، النسيج الاجتماعي للسود.

يجدر مسح غرفة الاجتماع قبل اجتماعنا في الساعة الواحدة بعد الظهر.

١٤- *من دفتر ملاحظات*

في المستقبل يجدر بك المجيء باكراً.

تحرك أقوى من أجل الوحدة.

حالة لخزي منظمات معينة.

مهاجمة شاب يعجز عن الدفاع عن نفسه.

مراجعة.

دخول.

١٠٠ ألف.

هامفري – فيديو.

سأعمد إلى استشارة الزعماء.

لا يجدر بشيوخ القبائل أن يكونوا أعضاء في تنظيمات سياسية.

(كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١)

١٥- *من مسودة رسالة إلى غراسا ماشيل، حوالى العام ١٩٩٢*[١]

لا بد من أن إضاعة الأمتعة، خصوصاً في الطريق إلى خارج البلاد، تجربة مؤلمة. لا أود التفكير في كل الإحراج والضيق اللذين عانيتهما بين الغرباء في دول غريبة. ولحسن الحظ، أخبرتني بالأمر قرابة نهاية زيارتك، إلى درجة أن انزعاجي خف لدى معرفتي أنك ستعودين قريباً، وتنضمين إلى الأولاد.

لا بد من أنهم اشتاقوا إليك كثيراً، برغم تطميناتك أنت وزيني، إلا أنني وجدت صعوبة في الارتياح. بالنسبة إلى أخيك، بت مميزة جداً، وتم تركيز الكثير من التفكير والمشاعر عليك. لا بد أن زيارة عاصمتين كانت عسيرة عليك نوعاً ما، لكنك إنسانة مميزة، وذات قدرة هائلة على القيام بهذا العمل الشاق.

أفكر فيك.

١٦- *من دفتر ملاحظات في خلال المفاوضات السياسية في كوديسا (مؤتمر لأجل جنوب أفريقيا ديموقراطية)*[٢]

(١) غراسا ماشيل، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) كوديسا، كان منتدى مفاوضات متعدد الأحزاب ابتدأ في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١ في مركز التجارة العالمي في جوهانسبورغ.

١) اقتراح وقف العنف.

٢) هل بوسعنا مواصلة لامبالاتنا بالمذبحة، والاستمرار في التكلم مع النظام؟

٣) هل سيكون الانسحاب من كوديسا أقصر طريق لتحقيق النجاح؟

٤) والانسحاب.

١٧ - من دفتر ملاحظات

٢٠-٨-٩٢

اجتماع مع عناصر ٣ مناطق من ناتال[١].

العنف، عدد القتلى.

آذار/مارس	١٤٠ قتيلاً
نيسان/أبريل	٩١
أيار/مايو	٧٩
حزيران/يونيو	٨٢
تموز/يوليو	١٣٣
آب/أغسطس	٥٢

(١) أعمال عنف بين أنصار حزب إنكاثا الحر والهيئة الأفريقية الوطنية أدت إلى وقوع آلاف القتلى في كوازولو - ناتال من العام ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥.

قُتل أكثر من ٧٠٠ شخص.

٧ آلاف لاجئ في ميدلاندز.

نغويليزانا وستانغر.

هجمات قامت بها جماعات من المسلحين. هاجمت المنازل في معاقل الهيئة الأفريقية الوطنية. الأهداف الأساسية: الهيئة الأفريقية الوطنية وحلفاؤها.

دور جوهري للقوى الأمنية.

أسلحة مضخات، استخدام رصاص.

هجمات على الناس في مناسبات الهيئة الأفريقية الوطنية فحسب.

وجود فرق القتلة المستأجرين. حزيران/يونيو: قُتل ١١٩ شخصاً جراء هجمات فرق القتلة المستأجرين، وقُتلَ ٤٥ شخصاً منهم في ناتال.

١٨ - من دفتر ملاحظات

٢٦-٨-٩٢

أياً كان من يدير البلاد، فسيرغب في وجود اقتصاد جيد.

شهران: تدهور الاقتصاد.

إعادة تحسين وضع الاقتصاد ستكون أمراً بالغ الصعوبة.

١٩ - من دفتر ملاحظات

كنت داخل السجن حينما اغتيل روث فيرست، فشعرت بأنني بتُّ وحيداً تقريباً، فقد خسرت أخاً في السلاح.

لا يغريني معرفة أنها تعيش خارج قبرها. هذه الذكرى الخالدة لامرأة يهودية من عائلة ميسورة الحال، خرجت من صفوف مجتمعها الموسر.

٢٠- من مسودة رسالة إلى الرئيس أف دبليو دي كليرك، حوالى العام ١٩٩٢، عشية مجزرة بيشو[١]

يجدر إرسال هذه الرسالة إلى السيد أف دبليو دي كليرك عند الساعة ٧:٣٠ صباحاً.

أعود إلى حديثنا الذي تبادلناه مساء البارحة، وأؤكد أن ما قلته لي لا يتسق مع محتوى رسالتك في ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٩٢.

ففي تلك الرسالة، تشير علانية إلى أن ما وقع في سيسكي في ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٢ كان مدبراً. ثم تقول إن حكومتك لا تعارض التظاهرات السلمية التي تجري في إطار اتفاق السلام الوطني والخطوط الهادية للجنة غولدستون[٢].

لهذا السبب، أشرت؛ لا تشكك في الأهداف الرئيسة لمنظمي المسيرة المخطّط لها كما تم تعريفها.

وتشير أيضاً إلى أنك تفعل ما في وسعك للمساعدة على ترتيب اتفاق بين جميع المعنيين، سيكفل حدوث هذا التحرك المخطّط له بسلام، ثم تطلب إلي ضمان أن تقدم الهيئة الأفريقية الوطنية تعاوناً في هذا الصدد. وأكدت لك على الفور استعدادنا للتعاون. وتناولت جميع هذه التصريحات والتأكيدات ما تم تخطيطه داخل سيسكي،

(١) تم رمي ٢٨ شخصاً من أنصار الهيئة الأفريقية الوطنية وقتلهم على أيدي جنود في ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٢، في خلال مسيرة احتجاجية حاول فيها ٧٠ ألفاً من أنصار الهيئة الأفريقية الوطنية دخول ستاد رياضي في بيشو، سيسكاي.

(٢) اتفاق السلام الوطني، فاوضت فيه المنظمات السياسية في جنوب أفريقيا العام ١٩٩١، وكان يهدف إلى منع العنف. تألفت لجنة غولدستون للتحقيق في العنف السياسي والتهويل.

وليس خارجها. لقد تغير موقفنا كله اليوم جذرياً. لم تلمح في أي مكان في الرسالة المذكورة أعلاه، إلى أنك في حين كنت تطلب تعاوننا، كنت في الوقت عينه تنشر الجنود على حدود سيسكي، وتضع الحواجز على الطرق، وتعلن وجود مناطق مضطربة، وهذا كله، لعلمك، يخلق التوتر.

وما يضايقني بالقدر ذاته، هو أنك صرحت هذا المساء، على عكس ما أفشيته في رسالتك في ٤ أيلول/سبتمبر، بأنك لن تتدخل في الشؤون الداخلية في سيسكي. هذه التناقضات غير مقبولة، وتميل إلى تعزيز الاعتقاد أنني أنا وأنت لا نتفاوض بنية حسنة. إنني أحثك على احترام اتفاقنا الذي جرى في ٤ أيلول/سبتمبر، وألا تفعل شيئاً من شأنه إفساد جو المفاوضات السلمية الذي عملنا جميعاً بجهد كي نوجده.

أؤكد لك أيضاً أننا لا نعترف بالبانتوستانات، وبالتالي لا نعد أنفسنا ملزمين بقرارات محاكمها. نأمل أن تساعد جميع الأطراف المعنية على نزع فتيل الوضع المتفجر، والسماح للتظاهرات بأن تتم كما خُطّط لها.

سيقود المسيرة أميننا العام، سيريل رامافوسا وكريس هاني وغيرترود شوب وروني كاسريلز ورايموند ساتنر وطوني ينجيني وغيرهم[1].

مع تحياتي

نيلسون مانديلا

رئيس الهيئة الأفريقية الوطنية

(١) ماتاميلا سيريل رامافوسا (١٨٥٢-). تيمبيسيل (كريس) هاني، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث). غيرترود شوب (١٩٢٥-). روني كاسريلز (١٩٣٨-). د. رايموند ساتنر (١٩٤٥-). طوني ينجيني (١٩٥٤-) قادة في الهيئة الأفريقية الوطنية.

٢١- من دفتر ملاحظات

تكمن قوتنا في الانضباط.

الحق بتظاهر سلمي.

كان إجرامياً.

قوى لأجل الديموقراطية.

ليس للانتقام. ابقوا في حالة استعداد.

مهما فعلنا يجب أن يكون في إطار عملية السلام. لا يمكن أن نسمح لأنفسنا بأن نُتَّهم بخرق عملية السلام.

٢٢- من دفتر ملاحظات

موقفنا الحالي في هذا الصدد هو ذاته موقف جمهورية ألمانيا الفيديرالية، التي يتضمن دستورها فقرة حول القومية، لكونها أحد الخيارات التي قد توظفها الحكومة في حال دعت الحاجة. هذا الخيار لم يُطبَّق في تلك الدولة منذ عقود.

اقتصاد جنوب أفريقيا في وضع خطر.

٢٣- من دفتر ملاحظات: *حوالى العام* ١٩٩٣

في الفترة التي نمر فيها، علينا التفكير في الابتعاد عن ماضينا. علينا تغيير مقاربتنا. في مثل هذا الوضع، يقلق جميع الناس بشأن المستقبل. ماذا سيحل بي وبزوجتي وأولادي. تحتاج كل دولة إلى قوة شرطة تحمي قيمها.

نحن... الذين كنا نكافح، يجدر بنا التغير.

نحن نأتي من بيئة عدت الشرطة عدائية. أنتم تأتون من خلفية استخدمتكم فيها الحكومة للدفاع عن مصالح الحزب الحاكم. ما من شك، أن العديد منكم انضموا إلى قوة الشرطة لخدمة الدولة والشعب. لكن الحزب الحاكم جعل نفسه مرادفاً لتلك الدولة.

لدى الانتقال إلى دولة نريد فيها جميعاً أن نكون جزءاً منها. عندئذ في وسع الشرطة أن تحمي الناس.

والأفضل أن يعمد أولئك الذين كانوا في سلك الشرطة وخارجها إلى القيام بذلك معاً.

لا شك في أن الهيئة الأفريقية الوطنية ستكون حزباً أساسياً في الحكومة. نريد تجنب خطأ الماضي، لا نريد للشرطة أن تدافع عن الهيئة. هذا لا يعني أنكم تحايدون الشرطة كأفراد.

الشرطة محايدة سياسات الحزب، ولكنها تدافع عن الديموقراطية.

عالجوا همومها الأساسية.

من الجلي أنه ستحدث تغييرات. تجربة إدارة دائرة الشرطة تحضر في هذه المرحلة الحالية.

مثالياً، يجب أن تتضمن جميع التغييرات عناصر الشرطة، وأولئك الذين ليسوا من عناصرها. يجب أن يشملهم أي تغيير ناشئ.

سنعتمد مقاربة موحّدة ونتبنى حكومة وطنية موقتة.

نناشدهم أن يصبحوا جزءاً من عملية التغيير تلك، وخصوصاً تغيير دائرة الشرطة. وسيوقنون، بهذه الطريقة أن الهيئة الأفريقية الوطنية تعالج همومهم.

٢٤- *من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

كان كريس هاني قد تسجل العام ١٩٥٩ في جامعة فورت هير، وجذب انتباه غوفان مبيكي، الذي أدى دوراً تأسيسياً في تطور هاني. هنا تعرف هاني إلى الأفكار الماركسية، وانضم إلى الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي الذي كان أصلاً غير مشروع، وسرياً. يركز دوماً على أن تحوله إلى الماركسية عمّق أيضاً منظوره اللاعرقي. كان هاني شاباً جريئاً وصريحاً، ولم يتردد في انتقاد منظمته، حتى حينما كان يشعر بأنها تخفق في القيادة. قال: «من كان منا في المخيمات في الستينيات لم يكن لديه فهم عميق للمشاكل. كان معظمنا صغاراً جداً في السن، في بداية العشرينات. كنا نتحرق للبدء في التحرك. حيث كنا نقول: «لا تقولوا لنا ليس ثمة وسائل. يجدر نشرنا لإيجاد هذه الوسائل. هذا ما تدربنا لأجله».

٢٥- *من خطاب متلفز للأمة بعد اغتيال كريس هاني على يد يانوس والاس في ١٠ نيسان/أبريل ١٩٩٣* [١]

أتوجه اليوم إلى كل جنوب أفريقي، أسود وأبيض، من عمق أعماق نفسي.

أتى رجل أبيض مليء بالحقد والكراهية، إلى بلدنا، واقترف فعلاً في منتهى السوء، إلى درجة أن أمتنا بأسرها تترجّح اليوم على حافة الهاوية.

خاطرت امرأة بيضاء، أفريقية الأصل، بحياتها، حتى نعرف هذا القاتل، ونقدمه للمحاكمة[٢].

لقد أثارت جريمة قتل هاني كريس الشنعاء موجات الصدمة في أرجاء البلاد والعالم. حزننا وغضبنا يمزقاننا.

---

(١) كريس هاني، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) يشير مانديلا إلى جارة هاني التي سجلت رقم لوحة سيارة والاس، واتصلت بالشرطة.

إن ما جرى هو مأساة وطنية أثرت في ملايين الأشخاص عبر الانقسامات السياسية والعرقية.

سيجد حزننا المشترك وغضبنا المشروع تعبيراً له في الصلوات التي ستُقام إحياءً لذكراه على امتداد الأمة، التي تتزامن مع الجنازة...

الآن، هو الوقت الذي يجدر بكل الجنوب أفريقيين الوقوف معاً في وجه أولئك الذين يرغبون، من أي مكان كانوا، في تدمير ما وهب هاني كريس حياته لأجله: الحرية لنا جميعاً.

الآن، هو الوقت كي يقوم مواطنونا، الذين تصلنا منهم رسائل تعزية بشكل متواصل، بفهم هذه الخسارة الفادحة لأمتنا، للانضمام إلى القداديس والصلوات التي ستُقام عند الدفن.

الآن، هو الوقت كي تتصرف الشرطة بحساسية وتحفظ، أن يكون عناصرها رجالاً ونساءً بحق، يخدمون الناس. لا يجدر أن تقع خسائر أخرى في الأرواح في هذا الوقت المأسوي.

هذه لحظة فاصلة لنا جميعاً.

ستحدد قراراتنا وتصرفاتنا ما إذا كنا نستخدم ألمنا وحزننا وغضبنا للتقدم نحو ما يمثل الحل الدائم الوحيد لبلدنا: حكومة منتَخَبة من الناس، بواسطة الناس، وللناس.

لا يجدر بنا السماح للرجال الذين يعبدون الحرب والمتعطشين إلى الدماء، بالاندفاع واقتراف أفعال تدفع بلدنا ليكون أنغولا ثانية.

كان كريس هاني جندياً. آمن بالانضباط الحازم. كان ينفذ التعليمات بحذافيرها. وطبّق ما كان يعظ به.

أي نقص في الانضباط يدوس القيم التي مثلها هاني كريس. إن أولئك الذين يقترفون هذه الأفعال لا يخدمون سوى مصالح القتلة، ويدنسون ذكراه.

وحينما نقوم نحن كشعب واحد بالعمل معاً بشكل حاسم بانضباط وعزم، لا يمكن شيئاً أن يردعنا.

دعونا نكرم جندي السلام هذا بشكل لائق. دعونا نُعِدْ تكريس أنفسنا لتحقيق الديموقراطية التي حارب لأجلها طوال حياته: الديموقراطية التي ستحقق تغييرات حقيقية وملموسة للشعب العامل، والفقراء، والعاطلين عن العمل، والمشردين.

٢٦- من *تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

قضى هاني السنوات الأخيرة من حياته في عقد الاجتماعات من دون كلال أو ملل في جميع أرجاء جنوب أفريقيا: تجمعات قروية ومجالس ممثلي النقابات العمالية ولجان الشوارع. كرس كل سلطته ومقامه العسكري المرموق للدفاع عن المفاوضات، وغالباً ما كان يتكلم بكل أناة مع شبان مشككين جداً، أو لجان تعاني وطأة عنف القوى الثالثة... اعترف كلايف ديربي لويس بأنهم أملوا إخراج المفاوضات عن مسارها عبر إطلاق موجة من الحقد العرقي والحرب الأهلية. إنه إجلال لجميع الجنوب أفريقيين من جميع الأطياف، وإجلال لذكرى هاني، لأن موته قد حقق أخيراً بشكل مأسوي، ولكن واقعي ملموس، التركيز والإلحاح في تسويتنا التي نتفاوض فيها.

٢٧- من دفتر ملاحظات

١٤-٥-٩٣

١- الأولوية هي لالتزام المضطَهَدين.

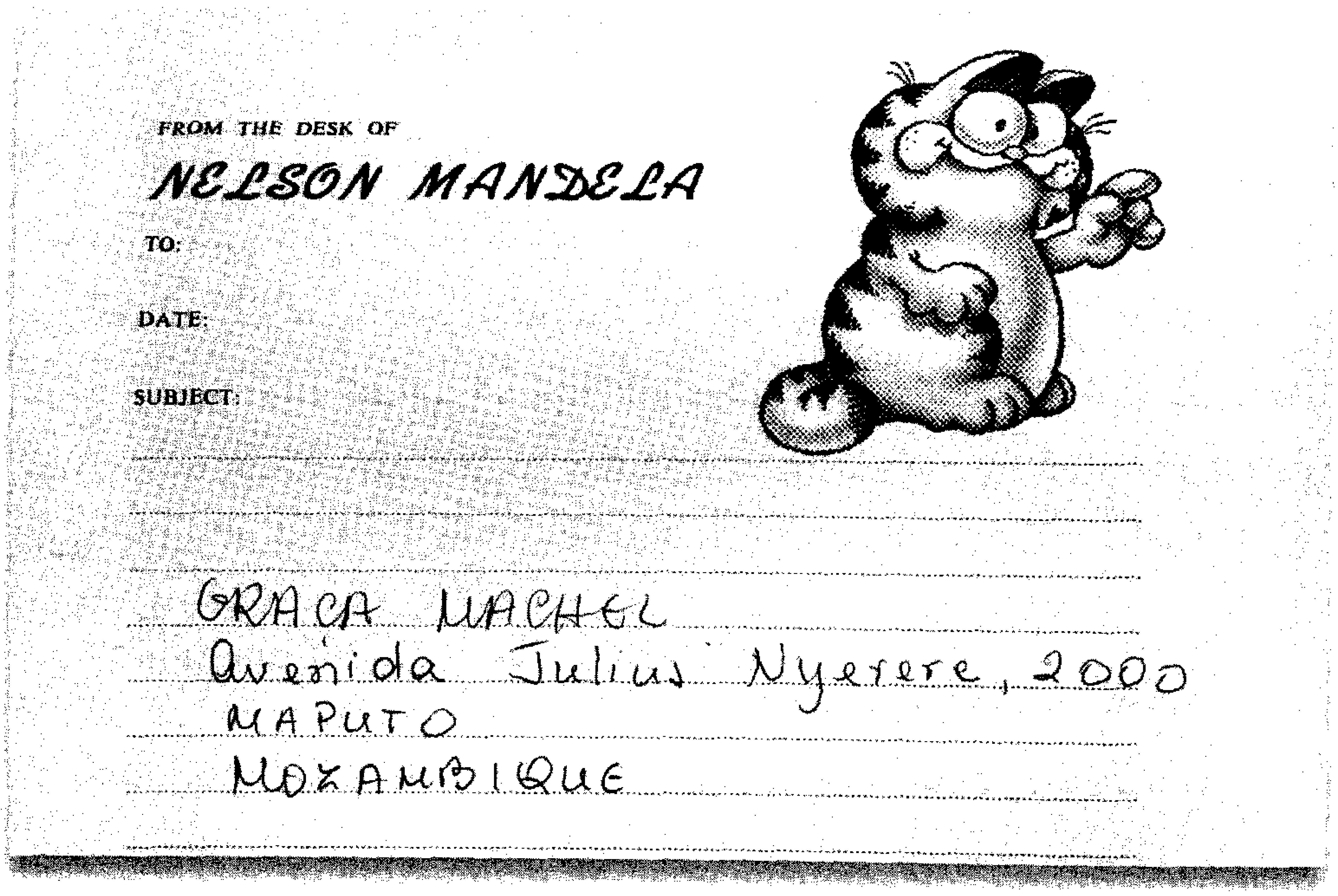
سنسقط أو ننجح، استناداً إلى نجاحنا أو فشلنا في معالجة حاجاتهم، وتلبية طموحاتهم. علينا تحديداً توفير منازل لهم، ووضع حد للمستوطنات غير المرخصة وللبطالة، ووضع حد للبطالة، وأزمات المدارس، والنقص في المنشآت الطبية.

٢- خوف الأقليات من المستقبل.

٣- التهديد الآتي من جناح اليمين، وليس من الوكلاء السود.

٢٨- من حديث مع ريتشارد ستينغل

كان كريس هاني بطلاً من شعبنا، خصوصاً بالنسبة إلى الشبان، لذا فار الغضب جراء موته. اضطررنا إلى فعل شيء للتخفيف من وطأته، ولم يسعنا سوى إطلاق تظاهرات في أرجاء البلاد حتى يستطيع الناس التعبير عن غضبهم. لو أننا لم نفعل


FROM THE DESK OF
NELSON MANDELA
TO:
DATE:
SUBJECT:
GRACA MACHEL
Avenida Julius Nyerere, 2000
MAPUTO
MOZAMBIQUE

دوّن مانديلا عنوان غراسا ماشيل (التي أصبحت في وقت لاحق زوجته الثالثة) على ورقة ملاحظات شخصية.

ذلك لكان جناح اليمين، وهذه العناصر الفاسدة، أفلحا في جر البلاد إلى حرب عرقية، أوقعت خسارة لا حصر لها في الأرواح، وأراقت الدماء... لكن بسبب الخطوات التي اتخذناها منعنا حدوث ذلك. وعلى الرغم من وقوع حوادث عنف معزولة، سارت هذه التظاهرات بشكل جيد... فأحبطنا هدف الأشخاص الذين قتلوا هاني.

٢٩ من دفتر ملاحظات

التقيت غراسا ماشيل في جوهانسبورغ ما لا يقل عن ثلاث مناسبات مختلفة. لطالما كانت مهذبة ومتفهمة ومتميزة. لكن في مابوتو، حيث كانت وزيرة التربية والثقافة مدة ١٤ سنة، ونائبة في البرلمان مسؤولة عن العلاقات الدولية، التقيتها مختلفة تماماً، فوجدتها صلبة وجازمة، وساحرة ولطيفة. أكنّ احتراماً بالغاً للرئيس شيسانو[١].

٣٠- من دفتر ملاحظات حوالى ١٩٩٣

سأغادر غداً في الساعة السابعة صباحاً إلى بيترم (أريتزبورغ) وسأعود مساء يوم الأحد. قامت عناصر قوة ثالثة، يُعتقد أنها دائرة الأمن الحكومية، بقتل عدد كبير من المدنيين الأبرياء في الآونة الأخيرة في تلك المنطقة، ومن بينهم أطفال متوجهون إلى المدارس. وقعت المجزرة قبل يوم من بدء محادثات السلام في جوهانسبورغ. نتوقع أن تريد هذه العناصر الدخيلة لأفراد شعبنا مواصلة ذبح بعضهم بعضاً بغية إيقاف المفاوضات. فقد أظهرت تحقيقاتنا تناقضاً صارخاً بين تقرير الشرطة عما حدث وتقريرنا.

٣١- من دفتر ملاحظات حوالى العام ١٩٩٣

كانت كتابة رسائل للأصدقاء إحدى الهوايات المفضلة لديّ، وكانت كل رسالة تمدني بسرور هائل. اليوم بات ضغط العمل يمنع عني تماماً ممارسة هذه الهواية.

---

(١) جواكيم ألبرتو شيسانو (١٩٣٩-). رئيس الموزامبيق، ١٩٨٦-٢٠٠٥.

فعدا الرسائل الرسمية المطبوعة من مكتب الرئيس، لا يسعني تذكر كتابة أي رسالة مشابهة لها منذ شباط/فبراير ١٩٩٠.

٣٢- *من مسودة رسالة إلى غراسا ماشيل*

الوضع في أنغولا يثير قلقاً شديداً.

دعتني اللجنة الأولمبية الدولية إلى منتجع صحي في سويسرا للقيام بفحص عام وعلاج مدة حوالى ٧ أيام. وعلى الرغم من أن معرفتي محدودة جداً بشأن هذه المراكز الصحية، إلا أنني وافقت على الذهاب. على الأرجح تعرفين هذه الأمور أفضل مني، ويسرني الحصول على نصيحتك.

لقاء الفتيات للمرة الأولى جعلني متردداً في مناقشة بعض الأفكار معهن، أقله مع أوليفيا. أردت أن أعرف وضعها الدراسي. ولكونها ابنتك، يُتوقَع منها الكثير داخل الموزامبيق وخارجها. بكل تأكيد سيضعها تحسين مؤهلاتها الأكاديمية العالية في موقع أفضل لخدمة الموزامبيق وشعبها. إن كانت مهتمة بدراسة المرحلة الثانوية أو دخول الجامعة، فعندئذ في وسعنا أنا وأنت مناقشة المسألة بشكل مستفيض أكثر. قد يكون من الحكمة عدم ذكر المسألة لها إلى أن نتبادل الآراء. عدت إلى المكتب في ٨ آذار/مارس، وانغمست على الفور في العمل، حيث كان أول ارتباط في الساعة السابعة صباحاً، وانتهاء الدوام في الخامسة عصراً. بدأت البارحة العمل في الساعة ٦:٤٥ صباحاً ولكن عدت إلى المنزل في الثانية عصراً. نحاول حصر عملي في المكتب ضمن الفترة الصباحية فحسب. اليوم بدأت العمل من جديد في الساعة ٦:٤٥ صباحاً. تناولت الغداء مع مجلس مدراء شركة ليبيرتي أوف لايف للتأمين ورجال أعمال بارزين آخرين، وعدت إلى المنزل في الساعة ٣:٤٥ عصراً.

حينما يسافر الأصدقاء نشعر بالوحدة برغم أننا لم نعش معهم فعلياً. ثمة دوماً صراع بين الواقع والمشاعر، بين الدماغ والدم.

٣٣- من حديث مع ريتشارد ستينغل

كان جلياً أن ثمة أمراً ما إذ وقعت أحداث عنف كثيرة وغير مقبولة قُتل فيها الناس. وكانت حملات الاعتقال والدهم قليلة جداً، وبدا جلياً وجود تغاض من قبل القوى الأمنية. أشارت بعض الأحداث إلى تورط الشرطة ذاتها، الشرطة، الجيش، لأنك إن توجهت إلى البلدات وتحدثت مع الناس هناك، فستجد أنه ليس لديهم شك في أن الشرطة تؤدي دوراً فاعلاً في هذا الوضع... توجهت البارحة إلى فال، إلى سيبوكينغ، ثم قلت في سياق خطابي إن الشرطة متورطة جداً....[١] ذهبت إلى المستشفى في البداية، ورأيت الناس، المرضى هناك الذين تعرضوا لإطلاق النار، لكن نفذوا من الموت. رأيتهم وقالت شابة منهم إن رجلاً أبيض في شاحنة خفيفة لنقل السلع رماها بالنار، أجل... فقلت: «هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها مثل هذا الكلام». فقالت: «لا، أمكنني رؤية الرجل الأبيض بوضوح تام، ورأيته حينما أطلق النار علي». كانت الصحافة والمحطات التلفزيونية والإذاعية تقول إن المسؤولين عن الحادث هم ٤ رجال سود... في حين قالت هذه الشابة: «لا، كان ثمة رجل أبيض».

٣٤- من دفتر ملاحظات

حول تخفيض سن الاقتراع إلى ما دون الـ ١٨ سنة... يتضح من التفسير الذي قدمه الرفيق سيريل رامافوسا البارحة صباحاً، أن اللجنة المفاوضة لم تتبنّ اقتراحي كما ظننت، وأن المنظمة ككل لم تقبله[٢].

لا يجدر تقديم بيان حول مسائل السياسة الأساسية بدون دراستها وتوضيحها، مهما كان وضع الرفيق.

---

(١) في ٢٦ آذار/مارس ١٩٩٠ قُتل ١٢ شخصاً وجُرح ٣٠٠ آخرون، حينما فتحت الشرطة النار على مجموعة من المحتجين من الهيئة الأفريقية الوطنية في سيبوكينغ، التي تبعد ٣٠ ميلاً عن جوهانسبورغ.

(٢) اقترح مانديلا العام ١٩٩٣، تخفيض سن الاقتراع من ١٨ إلى ١٤ سنة. لكن اللجنة التنفيذية في الهيئة الأفريقية الوطنية رفضت هذه الفكرة.

يجب أن يمثل البيان إحراجاً شديداً لبنى صناعة السياسات في المنظمة، وللأعضاء كافة...

٣٥- *من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

في اجتماعات الهيئة الأفريقية الوطنية غالباً ما ركزت على فكرة عدم رغبتي في رفقاء ضعفاء، أو دمى يسلّمون بكل ما أقوله لمجرد أنني رئيس المنظمة. ناديت بعلاقة سليمة يمكننا فيها معالجة المسائل، ليس كأسياد وخدم، بل كأفراد متساوين، حيث يعبر كل رفيق عن رأيه بحرية وصراحة، بدون الخشية من التعرض للتهميش والسقوط كضحية.

على سبيل المثال، كان أحد اقتراحاتي الذي ولّد الكثير من الضجيج والغضب، هو تخفيض سن الاقتراع إلى الـ١٤، وهي خطوة اتخذتها العديد من الدول الأخرى في العالم. ويعود ذلك إلى كون الشبان في مثل هذه السن في تلك البلاد هم في أوج نضالاتهم الثورية. ومساهماتهم هي التي دفعت حكوماتهم المنتصرة إلى مكافأتهم عبر إعطائهم الحق في التصويت. وأتى الاعتراض على اقتراحي من أعضاء اللجنة التنفيذية الوطنية قوياً وعنيفاً، فسحبته وتراجعت عنه. عرضت الصحيفة السويتية هذه المسألة في عمود الرسوم الكرتونية فيها، حيث رسمت طفلاً يرتدي حفاضاً وهو يقترع. كانت إحدى أكثر الطرائق التصويرية المستخفة بفكرتي. لم أملك الشجاعة على الإصرار عليها من جديد.

٣٦- *من دفتر ملاحظات*

تقع القيادة ضمن فئتين، هما:

أ- أولئك المتناقضون مع أنفسهم الذين لا يمكن توقع تصرفاتهم، فيوافقون اليوم على مسألة، ويرفضونها في اليوم التالي.

ب - وأولئك الثابتون على مبادئهم، الذين يتمتعون بالكرامة والرؤية.

٣٧- من دفتر ملاحظات

المهمة الأولى للقائد تكمن في خلق رؤية.

ومهمته الثانية محورها خلق أتباع لمساعدته على تطبيق الرؤية، ولإدارة عملية تطبيقها عبر فرق فعالة. والناس الذين لهم قيادة يدركون أين يسيرون لأن القائد وضع الرؤية، وآمن الأتباع بالهدف الذي وضعه، وبطريقة الوصول لتحقيقه هذا الهدف.

٣٨- من تتمة سيرته *الذاتية غير المنشورة*

ثمة حاجة إلى قائد فذّ، قادر على النجاح في المنفى ليفلح في الحفاظ على وحدة منظمة كبيرة متعددة الأعراق، فيها مدارس فكرية متعددة، ولها أعضاء منتشرون في قارات بعيدة، وشبان يستشيطون غضباً بسبب اضطهاد شعبهم، ويعتقدون أن الغضب وحده من دون موارد أو تخطيط مناسب، يساعد على خلع النظام العرقي.

حقق أوليفر تامبو هذا كله: بالنسبة إلى السجناء السياسيين وسجناء الأحكام العادية داخل البلاد؛ وبالنسبة إلى المقاتلين الأحرار الأجانب، والدبلوماسيين، ورؤساء الدول تم الاعتراف بأوليفر كمثال بارز للقائد الذكي والمتوازن الذي ساعد على استعادة كرامة الشعب المقهور، ووضع مصيره بيده وحده.

٣٩- من تتمة سيرته *الذاتية غير المنشورة*

كانت وفاة أوليفر تامبو أشبه بسقوط شجرة سنديان عملاقة، كانت قد انتصبت في مكانها لأجيال، توحي بالقوة، ومجمّلة المكان بأسره وجاذبة الجميع من حولها: الناس والحيوانات على السواء. كانت نهاية حقبة بالنسبة إلى قائد... له اقتناعات

دينية راسخة، متخصص بارز في الرياضيات، وموسيقي مميز لم يكن له نظير في التزامه ناحية شعبه[1].

٤٠- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن وفاة أوليفر تامبو

شعرت بالوحدة الشديدة. وحينما رأيته مستلقياً في مكانه، لم أصدّق أنه مات. كانت مأساة.

٤١- من مسودة رسالة إلى غراسا ماشيل

يُمسي بعض الأشخاص مصادر قوة وطنية أو دولية بطريقتهم الخاصة المتواضعة. أمضيت بعض الوقت أفكر في ذاك اليوم، في الأمور التي نصحتني بها. آمل أن تتفهمي أنه لا يسهل أبداً على الأشخاص المتورطين مباشرة في المسائل، أن يفكروا بشكل موضوعي، لأنهم متأثرون بالعواطف وليس المنطق. لكني أعد خطة لأعالج فيها بعض الأمور التي تقلقك، وسأبلغك الأمر في الوقت المناسب.

سيكون خطأً فادحاً من قبلك أن تواصلي التركيز على كون نصيحتك قد يُساء فهمها، وحسبانها تدخلاً في شؤون لا تعنيك. وجدت أفكارك سليمة، وكالعادة أنا واثق بأن ما سأقوله لن يملأك بالغرور. لكني أعرف إنسانة قريبة جداً مني، هي في الواقع أختي، أصبحت مصدر قوة دولية بطريقتها المتواضعة الخاصة، زارت بلداناً متعددة عدة مرات.

٤٢- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن مقابلته مع الكاتب المسرحي آرثر ميلر

لا يسعني تذكر التفاصيل الآن، ما عدا أنهم قالوا لي من دائرتنا، دائرة الإعلام والإعلان، بأن محطة «بي بي سي» تود إرسال آرثر ميلر إلي ليقابلني. كنت بالطبع

(١) أوليفر تامبو، الذي عاد إلى جنوب أفريقيا العام ١٩٩١ بعد تمضيته ثلاثة عقود في المنفى، مات جراء سكتة قلبية في ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٩٣.

أتوق إلى رؤيته لأنه شخصية دولية تتمتع بشجاعة ومقدرة هائلتين. وقد كان شرفاً لي أن يقابلني. أمضينا معاً حوالى ٤ ساعات، وتحققت انطباعاتي حياله: كان رجلاً مميزاً. يعرف ما يجدر به سؤاله. كحال جميع الرجال العظماء بحق، لم يكن ينزع إلى الاستبداد، حاول قدر استطاعته أن يجعلني أشعر بالراحة بحضور عظمته (يضحك)... كنت مسروراً جداً بمقابلته، مقابلة آرثر ميلر. إنه بحق رجل مذهل.

٤٣- من دفتر ملاحظات حوالى العام ١٩٩٣

في ليلة مغادرتي إلى الولايات المتحدة والأمم المتحدة من جنوب أفريقيا، تم رمي عدد من الأشخاص بالرصاص وقتلهم على طريق سريع خارج جوهانسبورغ.

فشلت الشرطة من جديد في حماية الناس المتوجهين إلى أداء أعمالهم اليومية العادية، وعجزت عن القبض على القتلة.

لكن ظهر نمط واضح لهذه الهجمات التي ما فتئت تقع منذ ثلاث سنوات. في هذه الأعوام الثلاثة، قُتل أكثر من ١٠ آلاف شخص، ولم يُقبض إلا على عدد قليل من مرتكبيها.

إن الفشل الذريع للقوى الأمنية في إمساك القتلة، هو ما يلقي باللوم على دائرة الشرطة في جنوب أفريقيا وعلى عناصر قوى الدفاع جراء عدم الاستقرار، وكذلك على تغاضي الحكومة.

يوقن الضحايا المرميون على الأرض، أن هذه القوى الأمنية لها يد طولى في جرائم القتل.

وتفيد تجربتي وتجربة رفقائي في الهيئة الأفريقية الوطنية، بأن حكومة دي كليرك لا تبدي استعداداً للرغبة في حل هذه المشكلة الخطيرة بشكل مناسب.

28. 1. 94 Rockey 404 1227

Students task force 648-5575 (Aziz)

Women task force.

religious groups.

28. 1. 94

legislation on land reform, industrial policy housing

2. 1 94.

The entire Country was deeply shocked by the murder of so many children in Mitchell's Plain.
Last Sunday I sent a telegram of sympathy to the bereaved families which we distributed to the mass media.
In spite of my tight schedule I will spend the rest of the day visiting the bereaved families to give them support. Children are our most precious possession, it is an indescribable tragedy that they should die under such tragic circumstances

من ملف شخصي، كانون الثاني/يناير ١٩٩٤، راجعوا ص. ٣٨١.

٤٤- من ملف شخصي، كانون الثاني/يناير ١٩٩٤

مُنيت البلاد بصدمة كبيرة جراء قتل هذا العدد الكبير من الأطفال في ميتشلز بلاين[1].

أرسلت الأحد الفائت برقية تعزية إلى العائلات المفجوعة، وزعناها على وسائل الإعلام.

وعلى الرغم من أن برنامج عملي مكثف، سأمضي بقية اليوم في زيارة العائلات المفجوعة لتقديم الدعم إليها. الأطفال هم أثمن ما لدينا، وبالتالي موتهم وسط هذه الظروف المأسوية هو فاجعة مؤلمة.

٤٥- من ملف شخصي

١- تقاسم التطورات في القوى الديموقراطية.

٢- مشكلتنا هي مواجهة أول انتخابات ديموقراطية، فثمة ١٧ مليون ناخب لم يسبق لهم التصويت من قبل.

٣- تبلغ نسبة الأمية ٦٧٪، و٦٣٪ من ناخبينا موجودون في القرى.

٤- مشكلتنا هي كيفية الوصول إلى الناس وتثقيف الناخبين بشأن طريقة التصويت.

٥- إننا نتنافس في هذه الانتخابات مع الحزب الوطني الذي لديه أصلاً ١٥٠ مكتب اقتراع. ونحن ليس لدينا أي مكتب ما خلا مكاتبنا الإقليمية.

٦- الحزب الوطني هو أحد الأحزاب الأكثر فاعلية وتنظيماً في البلاد.

(١) قُتل ١٩ صبياً على يد قاتل متسلسل في ميتشلز بلاين، كايب تاون.

٧- التمتع بالدعم الشعبي، حيث تشير استطلاعات الرأي أننا سنخرج بأصوات الأغلبية. لكن المسألة الحساسة هي التمكن من دفع الناخبين إلى أكشاك التصويت.

٤٦- *من ملف شخصي حوالى العام ١٩٩٤*

١- شخصنة التجربة السياسية.

٢- الفرق بين الزيارة الأولى والزيارتين اللاحقتين.

سجين يواجه المجهول.

حثّ ٢٥ رفيقاً على مغادرة السجن...

٣- وفاة أمي وابني البكر.

أسباب طبيعية، حادث.

لم أُعطَ الإذن بحضور الجنازتين.

٤- الفشل في شكر أولئك الذين ساعدوني في بداية الأربعينيات.

٥- أملت أن أجدهم على قيد الحياة بعد عودتي. لكن رحلوا جميعاً. شعرت بأن العالم نفسه يموت.

٦- تحرش بعائلتي.

زامي والأولاد.

اضطهاد نفسي.

أخبار غير مناسبة عن زوجتي.

٧- العلاقات بين السجناء والحراس سيئة جداً.

لكن نشبت جدالات عنيفة بين الحراس: الرقيب أوبرمان.

٨- الوحدة بين عداد السجناء: الهيئة الأفريقية الوطنية، الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية، الاتحاد الديموقراطي لجنوب أفريقيا التابع للشعب الأفريقي- ماكويتو، بوكيلا، إيدي، نيفيل، ساش كوبر، والتر، غوفان، كاثي، بيكي، دينيس بروتوس، جبناء، أبطال[١].

٩- فرصة للتراجع إلى الوراء والتفكر.

١٠- كرامات، مسرحيات، أنتيغون.

القدرة على قراءة السير الذاتية والصحف، لتبادل الآراء مع الآخرين.

١١- مفاوضات: اللقاء مع بي دبلوي بوثا[٢].

١٢- لقاء دي كليرك في ٩-٢-٨٩.

١٣- بولسمور وفيكتور فيرستر.

٤٧- من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة

تلقيت تقارير استخبارية تفيد بأن الأفارقة من جناح اليمين، قرروا إيقاف الانتخابات المقبلة بالعنف. يجدر برئيس المنظمة توخياً للسلامة أن يتحقق من دقة مثل هذه التقارير. ففعلت. وحينما اكتشفت أن التقارير دقيقة قررت التحرك.

(١) كلارنس ماكويتو، جون نياثي بوكيلا، إدوارد (إيدي) دانيلز، د. نيفيل ألكسندر، ساثاسيفان (ساش) كوبر، والتر سيسولو، غوفان مبيكي، أحمد كاثرادا، جورج بيكي، دينيس بروتوس، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

(٢) بيتر ويليم (بي دبليو) بوثا، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).

سافرت إلى ويلديرنيس، المنزل التقاعدي للرئيس السابق، بي دبليو بوثا، وذكرته بالإعلان الرسمي الذي أصدرناه بشكل مشترك حينما كنت لا أزال في السجن في تموز/يوليو ١٩٨٩. تعهدت في ذاك الإعلان العمل معاً من أجل إحلال السلام في مجتمعنا. أطلعته على أن السلام بات اليوم مهدداً من قبل جناح اليمين وطلبت إليه التدخل. فأبدى تعاوناً، وأكد أن الأفارقة مصممون على إيقاف الانتخابات. لكنه أضاف أنه لا يريد مناقشة هذه المسألة معي وحدي، واقترح أن أجلب الرئيس أف دبليو دي كليرك وفيردي هارتزينبيرغ والجنرال كونستاند فيليجون[1].

اقترحت أيضاً وجوب حضور قائد جناح اليمين الأفريقي المتطرف، يوجين تيري بلانش، على أساس أنه زعيم متهور، في مقدوره جذب حشود أكثر من الرئيس دي كليرك[2]. في هذه المسألة، كان الرئيس السابق سلبياً جداً فكففت عن طرحها.

عدت إلى جوهانسبورغ واتصلت على الفور بالرئيس دي كليرك، وأطلعته على دعوة بوثا. أبدى معارضة شديدة لمجمل فكرة لقاء الرئيس السابق بقدر معارضة الأخير لقاء تيري بلانش. ثم تكلمت مع اللاهوتي الأفريقي التقدمي، البروفيسور جوهان هاينز، للجمع بيني وبين الجنرال وهارتزينبيرغ وتيري بلانش[3]. فأبدى تيري بلانش تصلباً ورفض لقائي أنا، الشيوعي، كما قال.

ثم التقيت الجنرال وهارتزينبيرغ، وسألتهما ما إذا صح خبر تهيئتهما لإيقاف الانتخابات بوسائل عنيفة. كان الجنرال صريحاً، واعترف بصحة هذا الكلام وبأن الأفارقة يتسلحون، وبأن البلاد مقبلة على حرب أهلية دامية. تزعزع كياني، لكني

(١) فيرديناند هارتزينبيرغ (١٩٣٦-). في الأصل كان سياسياً في الحزب الوطني، ولكنه ساعد على تشكيل حزب اليمين المحافظ العام ١٩٨٢. كونستاند فيليجون (١٩٣٣-). الرئيس السابق لقوة الدفاع في عهد التمييز العنصري، وقائد جبهة الحرية.

(٢) يوجين ني تيري بلانش (١٩٤١-٢٠١٠) مؤسس منظمة ويرستاند سبيويجينغ الأفريقانية اليمينية المتطرفة (أو أي دبليو بي) التي التزمت تأسيس جمهورية أفريقانية بويرية.

(٣) جوهان آدام هاينز. (١٩٢٨-٩٤). لاهوتي من كنيسة الإصلاح الهولندية.

ادعيت أنني على ثقة تامة بتحقيق حركة التحرر للنصر. قلت لهما إنهم سيعطوننا وسيتعبوننا، فهم أفضل تدريباً منا من الناحية العسكرية، ويملكون أسلحة أكثر فتكاً، وبسبب مواردهم يعرفون البلاد أفضل منا. لكنني حذرتهما من أنه في نهاية هذه المغامرة المتهورة سيتم سحقهم. كنا على شفير نصر تاريخي بعد أن أنزلنا ضربة مهلكة بهيمنة البيض. وأشرت إلى أن هذا لم ينجم عن موافقتهم، بل حدث برغم معارضتهم. أضفت إننا نملك قضية حقّة ودعم المجتمع الدولي. وهم لا يملكون أياً من هذا. وطلبت إليهم إيقاف مخططاتهم والانضمام إلى المفاوضات في مركز التجارة العالمي.

٤٨- من تتمة سيرته *الذاتية* غير *المنشورة*

إن تنصيبي أول رئيس مُنتخَب ديموقراطياً لجمهورية جنوب أفريقيا فُرض عليّ رغماً عني.

مع اقتراب موعد الانتخابات العامة، أطلعني ثلاثة مسؤولين بارزين في الهيئة الأفريقية الوطنية، على أنهم أجروا مشاورات واسعة ضمن المنظمة، وأنه تم الإجماع على وجوب شغلي منصب الرئيس إن فزنا في الانتخابات. قالوا إنهم سيطرحون هذا الأمر لدى عقد أول مؤتمر حزبي برلماني.

عرضت هذا القرار على أساس أنني كنت سأبلغ الـ٧٦ من عمري في تلك السنة، وأنه من الحكمة تنصيب شخص أصغر سناً مني، سواء أكان ذكراً أم أنثى: شخص خرج من السجن، والتقى رؤساء دول وحكومات، وحضر اجتماعات لمنظمات عالمية وإقليمية، وواكب التطورات الدولية والوطنية، ومن يمكنه قدر الإمكان توقع المسار المستقبلي لهذه التطورات.

أشرت إلى أنني لطالما أُعجبت بالرجال والنساء الذين يستخدمون مواهبهم لخدمة المجتمع، ويلقون إعجاباً وتقديراً جراء جهودهم وتضحياتهم، برغم أنهم لا

يشغلون أي منصب في الحكومة أو المجتمع. إن جمع المرء بين الموهبة والتواضع وقدرته على تفهم كل من الغني والفقير، الضعيف والقوي، الأشخاص العاديين والملكيين، الصغار والكبار، الرجال والنساء بالقدر ذاته، بغض النظر عن عرقهم أو خلفيتهم، هما أمر ينال إعجاب جميع البشر في العالم كله.

شددت على المسؤولين البارزين بأنني أفضّل تقديم الخدمات بدون شغل أي منصب في المنظمة أو الحكومة. لكن أحدهم صدمني بكلامه، حيث ذكّرني بأنني ما دمت أيدت أهمية القيادة الجماعية، وما دمنا نخدم بشكل دقيق هذا المبدأ، فلن نقترف خطأً أبداً. سألني بكل صراحة ما إذا كنت أعكس الأشياء التي لطالما وعظت بها. برغم أن ذاك المبدأ لم أهدف منه قط إلى استثناء دفاع قوي عما يؤمن به المرء من كل قلبه، قررت قبول عرضهم.

لكنني أوضحت أنني سأشغل المنصب لولاية واحدة فحسب. وعلى الرغم من أن تصريحي هذا فاجأهم، إلا أنهم أجابوا بأنه يجدر أن أترك هذه المسألة للمنظمة. لم أرد أي شك في هذا الصدد وأعلنت على الملأ، بعد أن أصبحت رئيساً بوقت قصير، أنني سأتولى الرئاسة لولاية واحدة فقط، ولن أسعى إلى الترشح ثانية.

٤٩- من تتمة سيرته *الذاتية غير المنشورة*

أتت في يوم التصويت سيدة أفريقية مسنة من شمال ترانسفال، كما كانت تُعرف حينذاك، وأخبرت من المسؤول عن الانتخابات في مركز الاقتراع، أنها تريد التصويت للرجل الذي خرج من السجن. برغم أنها ذكرت اسماً ما، لم تعرف إلى أي منظمة ينتمي. وبعد التحقيق، تمكن مركز الاقتراع من تسوية المسألة بشكل يرضيها.

٥٠- من تتمة سيرته *الذاتية غير المنشورة*

أظهر مقاتلو أمخونتو وي سيزوي شجاعة فائقة وتسللوا إلى البلاد وهاجموا

المراكز الحكومية وتصادموا مع قوى التمييز العنصري، وراحوا يدفعونهم إلى الرحيل.

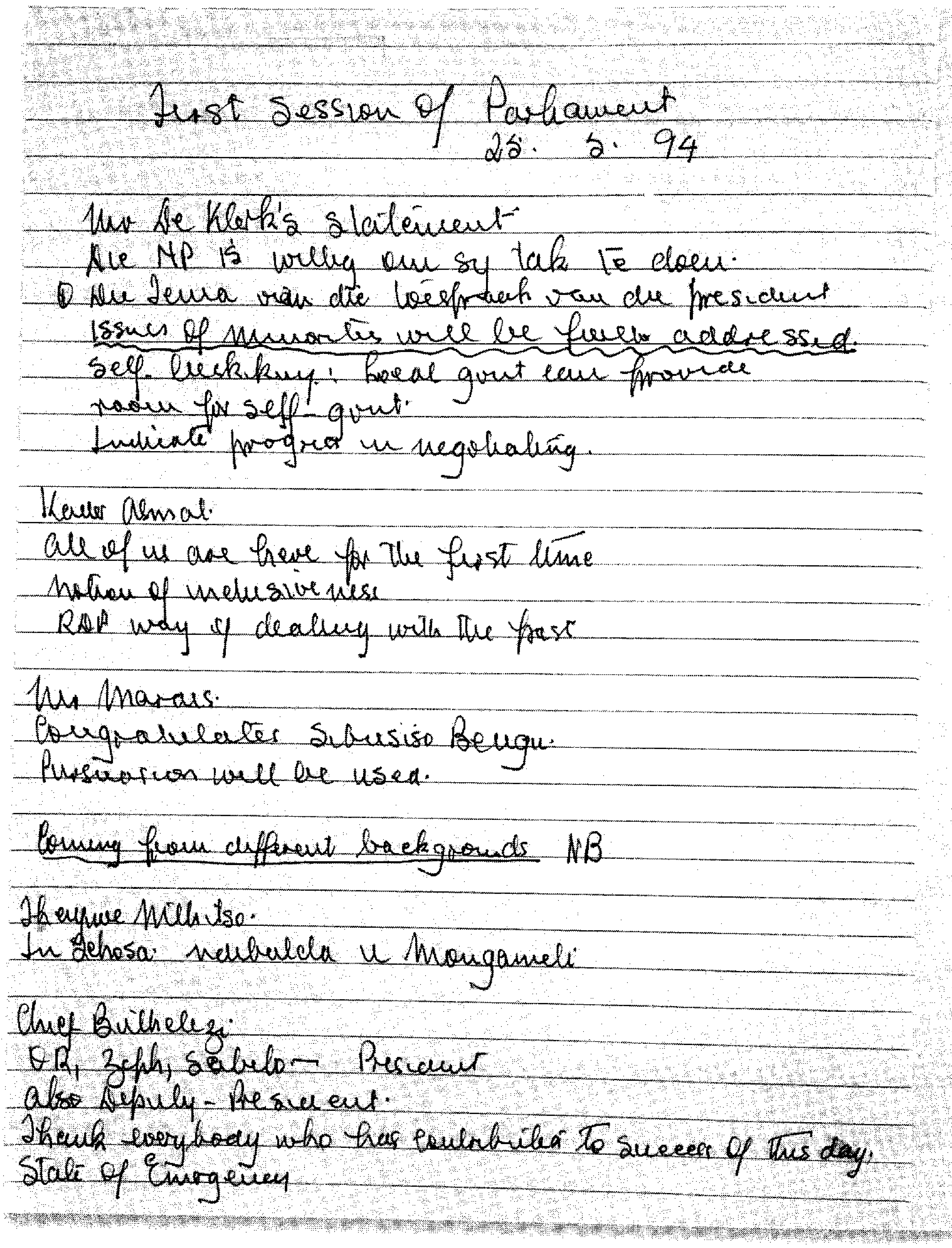
عمل غيرهم من المقاتلين لأجل الحرية داخل البلاد، إما بشكل سري وإما علناً، محفزين الناس على النهوض ومقاومة جميع أنواع الاضطهاد والاستغلال. تحدوا وحشية النظام بغض النظر عما حل بهم. كانوا مستعدين من أجل التحرير لدفع أغلى الأثمان.

وما زال آخرون يناضلون في سجون التمييز العنصري، يؤكدون بكل جسارة حقهم في المعاملة كبشر في موطنهم. لقد زجوا بأنفسهم بكل ما للكلمة من معنى في عرين الأسد، مظهرين من جديد المبدأ العالمي الذي يفيد بأنه لا يمكن الأشرار إخماد شعلة الحرية.

فجأة في نيسان/أبريل من العام ١٩٩٤، عاد الأبطال أنفسهم الذين أتقنوا فن المقاومة وعملوا بدون هوادة للقضاء على هيمنة البيض بشكل كامل، بدون أي تدريب مسبق أو تجربة في الحكم، ائتُمنوا على مهمة رائعة، ألا وهي البلد الأكثر تطوراً وثراءً في القارة الأفريقية.

التحدي غير المسبوق، كان استعادة الكرامة الإنسانية لجميع أفراد شعبنا عبر إزالة جميع أنواع التمييز العنصري، وتقديم مبدأ المساواة في جميع مجالات حياتنا.

كان هذا التحدي الخطير الذي واجه روادنا في الحكومة الديموقراطية، هو العائق الأساسي الذي انبغى على مقاتلينا الأحرار السابقين اجتيازه، وهم الذين حثوا على المقاطعة والعقوبات والحكم الرديء، في حين أن «الإرهابي السابق» كانت لديه مهمة توحيد جنوب أفريقيا، وتطبيق المبدأ الرئيسي لدستور الحرية الذي ينص على أن جنوب أفريقيا هي ملك لجميع شعبها، سوداً وبيضاً.


First Session of Parliament
25. 5. 94

Mr De Klerk's statement
Die NP is willig om sy taak te doen.
① Die Tema van die toespraak van die president
Issues of minorities will be fully addressed.
Self-beskikking: local govt can provide
room for self-govt.
Indicate progress in negotiating.

Kader Asmal.
All of us are here for the first time
notion of inclusiveness
RDP way of dealing with the past

Mr Marais.
Congratulates Sibusiso Bengu.
Persuasion will be used.

Coming from different backgrounds NB

Thenjwe Mthintso.
In Xhosa: ndibulela u Mongameli

Chief Buthelezi:
OR, Zeph, Sabelo — President
also Deputy-President.
Thank everybody who has contributed to success of this day.
State of Emergency

ملاحظات مانديلا من أول جلسة برلمانية كرئيس لجنوب أفريقيا، ٢٥ أيار/مايو ١٩٩٤.

٥١- *من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

إن القادة الجيدين يدركون تماماً أن إزالة التوترات من المجتمع، مهما كانت طبيعتها، تضع المفكرين المبدعين في مرحلة مركزية عبر خلق بيئة مثلى للرجال والنساء ذوي الرؤى المميزة للتأثير في المجتمع. في المقابل، يتعيش المتطرفون من التوترات والشك المتبادل. لم يكن التفكير الصافي والتخطيط الجيد سلاحهم قط.

٥٢- *من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

وضع نظام التمييز العنصري النظام والقانون في حالة خزي. تم قمع الحقوق الإنسانية لمعظم السكان بشكل عنيف، حيث كان يتم احتجاز الناس بدون محاكمات، وتم تعذيب النشطاء السياسيين وقتلهم، وأثيرت انتقادات مفتوحة في وجوه قضاة محكمة الاستئناف، الذين كانوا مستقلين وأصدروا أحكاماً ضد النظام، وحشوا النظام القضائي بمحامين متحفظين. كانت الشرطة، وخصوصاً فرع الأمن، عبارة عن قانون في ذاته. وبسبب هذه الممارسات الفجة، ونتيجة اقتناعاتي الخاصة، استغللتُ كل فرصة للتشجيع على احترام القانون والقضاء... في جنوب أفريقيا الجديدة، لا أحد، ولا حتى الرئيس، فوق القانون... يجدر احترام القانون عموماً، والقضاء خصوصاً.

٥٣- *من ملف شخصي*

يجدر إبلاغ الرئيس ونائبيه ووزيري الدفاع والأمن والسلامة ، والجنرالين جورج ميرينغ وفان دير ميروي من قبل دائرة الاستخبارات الوطنية، في أقرب فرصة ممكنة، المسائل التالية:

١- هل تم إتلاف أي وثائق تحوي موادَّ استخبارية، أو محو أي معلومات استخبارية من الحواسيب، بين الفترة الممتدة بين الأول من شباط/فبراير ١٩٩٠ و٣١ أيار/مايو ١٩٩٤؟

أ- إن حدث ذلك فما كانت التفاصيل الكاملة لهذه المواد أو المعلومات؟

ب- تواريخ تلفها أو محوها.

ج- اسم أو أسماء الأشخاص الذين سمحوا بهذا التلف أو المحو.

٢- هل لا يزال مجلس الأمن الوطني وهيئاته، مثل لجنة الإدارة المشتركة، موجوداً؟

أ- إن صح ذلك، فمن هم أعضاء مجلس الأمن الوطني ولجنة الإدارة المشتركة؟

ب- إن لم تكن موجودة، فما هي التفاصيل الدقيقة لوعد حلّها.

ج- قائمة بالأعضاء قبل حلّها.

د- هدف مجلس الأمن الوطني.

هـ. ما الذي حل بأموالها وتجهيزاتها.

٣- قائمة بالمنظمات التي تجسست عليها مجموعة من الجواسيس الذين خرقوا المنظمات أو المؤسسات.

٤- هل لا يزال مكتب التعاون المدني موجوداً؟ يجدر وضع تفسير مفصل لبنيته وموظفيه.

أ- إن لم يكن موجوداً، فمن الذي فككه؟

ما الذي حل بأمواله وتجهيزاته الأخرى؟

٥- هل لا تزال مديرية الجمع السري موجودة؟

أ- إن كانت موجودة، فمن هم أعضاؤها؟

ب- إن لم تكن موجودة، فمتى تم حلّها؟

ج- ماذا حل بأموالها وتجهيزاتها؟

٦- يجدر توفير النسخة الأصلية لتقرير الجنرال بيار ستاين.

أ- ما هي الأفعال الجرمية بالضبط التي صُرف لأجلها العديد من الضباط المرموقين في الجيش، أو طُلبت إليهم الاستقالة نتيجة هذا التقرير؟

ب- من المسؤول عن العنف المحفّز سياسياً، الذي أدى إلى مقتل ما يقارب ٢٠ ألف شخص؟

ج- هل زُعم أن الجهات المسؤولة عن العنف المحفز سياسياً، كانت أيضاً مسؤولة عن مقتل المقاتلين لأجل الحرية أمثال نيل أجيت، (ريك) ترنر، إمام هارون، أحمد تيمول، دايفيد ويبستر، (ماثيو) غونيوي وغيرهم، غريفيثس وفيكتوريا مزينج، بيبكو ٣، بيكي ملانجيني.

٧- هل لا تزال وحدة فلاكبلاس موجودة[١]

من كان أعضاؤها، وماذا حل بهم؟ ما هو هدفها من قبل؟

إن كانت موجودة أم تم تفكيكها، فما الذي حل بأموالها وتجهيزاتها؟

٨- معلومات مفصلة عن عمليات فرق القتلة المرتزقة المتسأجَرين في البلاد. هل هذا صحيح؟ ما المبالغ التي دُفعت لهم وفقاً لأعضاء تقرير غولدستون في وحدة فلاكبلاس؟

---

(١) «وحدة فلاكبلاس»، قسم في وحدة مناهضة التمرد ضمن الشرطة في جنوب أفريقيا، كانت مسؤولة عن تعذيب العديد من النشطاء المناهضين للتمييز العنصري، وقتلهم.

٥٤- من دفتر ملاحظات

مزاج مفعم بالثقة والأمل.

(ميدلبيرغ).

وضعت مصادر متنوعة تقويماً مشجعاً لأداء الحكومة.

مراجعة العام ١٩٩٥ والأداء المتوقَع للعام ١٩٩٦: إيجابي - إعلام.

الأمل في المستقبل يظل المزاج المسيطر.

عملية متواصلة أو منتهية من التخطيط والتطبيق المرئي وتسريع التغيير.

حكومة محلية محوّلة حيث يُحكم الناس.

ازدياد الثقة بمجال الأعمال: بدأت جنوب أفريقيا تختبر استنزافاً صافياً لرؤوس الأموال العام ١٩٨٥، وتواصل لمدة ٩ سنوات ونصف السنة أي إلى العام ١٩٩٤.

غادر ٥١،٧ مليار رند البلاد.

تغير الوضع جذرياً بعد ١٠ أيار/مايو ١٩٩٤. تم اختبار حالة تدفق صاف لرؤوس الأموال.

قُدّر التدفق الصافي لرؤوس الأموال من منتصف العام ١٩٩٤ إلى نهاية ١٩٩٥، بـ٣٠ مليار رند.

وعند قرابة نهاية العام ١٩٩٥، كان بنك الاحتياط قد أعاد دفع جميع القروض الأجنبية القصيرة الأمد.

ازدياد الثقة الشعبية.

٦٣٪=٦٦٪

الدخول إلى مناطق كانت بعيدة عن متناول اليد.

٥٥- من ملف شخصي حوالى العام ١٩٩٦

الضحايا في ترانسفيل منذ تموز/يوليو ١٩٩٠ أو ١٩٩١:

سيبوكينغ ± ٣٢

كروغرسدورب -٣٦

سيبوكينغ -٢٠٠

سويتو وجوهانسبورغ -٤٥ + ٩

لقاء دي كليرك بشأن سيبوكينغ - ١٩٩٠

لم يتم تقديم أي تعاز.

ما من اعتقال.

٨٠٠،٠٠٠

٥٦- من دفتر ملاحظات

١- فون تيد.

٢- كوفي عنان.

٣- جايكس غيرويل[١].

٤- أوبرا وينفري.

٥- جوارب مطاطة.

٥٧- من ملف شخصي

أصبحت أسفار الأم غرا (غراسا ماشيل) في العالم مصدر قلق بالنسبة إليّ منذ مدة، وسأرتاح كثيراً حينما ينتهي عقدها مع اليونيسيف في نهاية السنة، وساعتئذ ستتمكن من تخصيص قدراتها المذهلة للناس، خصوصاً أطفال الموزامبيق.

عادت إلى جنوب أفريقيا.... في آب/أغسطس ٩٦ حينما كانت هي مع زملائها ينهون تقريرهم لمنظمة الأمم المتحدة[٢]. لقد عاشت معنا، كالعادة، حتى آب/أغسطس ٩٦ حينما غادرت إلى الموزامبيق. لا يسعني وصف فرحتي باستقبال حب مثل هذه السيدة المتواضعة وإنما الفاتنة والذكية، ودفء أحاسيسها.

لكن الاختراعات الحديثة تمكّننا من البقاء على تواصل حتى حينما تكون خارج البلاد. أشعر بالارتياح الشديد والرضا لمعرفة أنه يوجد شخص في مكان ما في العالم، يمكنني الاستناد إليه، خصوصاً في مسائل لا يستطيع رفقائي السياسيون مساعدتي فيها.

٥٨- من ملف شخصي

كالعادة، بعد الساعة، ٩ مساء جلست حفيدتي روشيل على سريري بعد إعطائي علاجاً لعيني. توقعت منها بضع كلمات لطيفة، قبل أن تقبلني وتودعني لتذهب

(١) جي جاي (جايكس) غيرويل، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) العام ١٩٩٦ عينت الأمم المتحدة ماشيل للإشراف على دراسة عن تأثير الصراع المسلح في الأطفال.

وتنام. وعوضاً من ذلك، وجدتها تطلق قنبلة. قالت: «جدي، عليّ نقل تقرير لك سيدمرك تماماً. وهو ليس من النوع الذي تتوقعه مني. وبنتيجته، سأترك المنزل على الفور، وأستقر في مكان آخر. لطالما ركزت على أهمية التعليم عموماً، بالنسبة إلي وإلى منزل آل ثيمبو الملكي خصوصاً، وهم الذين كان أداؤهم في هذا الصدد أقل من الوسط. لقد مددتني بالدعم الكامل في هذا الخصوص. وستكون دوماً في بالي يا جدي. لكنني سأغادر المنزل لأستقر في مكان آخر».

وعلى الرغم من كياستها وجدتها تتكلم بوضوح وبدون خوف.

لقد صُدمت، ولم أصدق أن حفيدتي كانت تمزق قلبي. لطالما كانت موسوسة برعايتي، تنزع حذائي وجواربي من قدميّ قبل خلودي إلى النوم، وتخبرني قصصاً جميلة، وتسألني في أي وقت أرغب في تناول الفطور في صباح اليوم التالي.

٥٩- من ملف شخصي: مسودة ملاحظات في عيد العشاق، إجابة عن سؤال تلميذة عن معنى عيد العشاق بالنسبة إليه

السن والخلفية الثقافية المحافظة لا تسهلان علي مناقشة مشاعري الحميمة أو عواطفي على الملأ. وهذه هي حالتي بالذات، حينما تطرح علي السؤال فتاة صغيرة في عمر أحفادي. إن سعى المرء إلى إيجاد تعريف بعيد عما يظهر في القواميس العادية، واضعاً في باله الأشكال الرئيسة للحضارة في العالم، قد يجد الكثير من التعريفات بعدد البشر.

آمل أن يختبر الفرد العادي أحد أرقى مستويات الارتباط العاطفي، ويشعر بالرضا والسعادة حينما يقع في الحب...

على الأرجح سأصدم العديدين من الأشخاص حينما يكتشفون مدى جهلي في شأن الأمور البسيطة التي يعدها الشخص العادي من المسلّمات. فلكوني وُلدت

ونشأت في بيئة قروية مع والدين لا يقرآن ولا يكتبان، بالكاد سمعت عن عيد العشاق.

بعد الانتقال إلى المدن، رحت تدريجاً أنجر إلى عالم السياسة، ولم أجد مجالاً كبيراً لتثقيف نفسي بمعلومات عن هذه المسائل. ففي خلال السنوات الخمس الأخيرة فقط تلقيت بطاقات معايدة وهدايا بحلول عيد العشاق. لكن يجدر بالمرء أن يكنّ احتراماً بالغاً، كما هو طبيعي، للأشخاص الذين يجلبون السعادة للآخرين من بعيد، ويظلون مجهولي الهوية.

ولسوء الحظ، لا يسمح لي برنامج عملي الحافل بإيجاد الوقت للاحتفال بعيد العشاق لا اليوم ولا في المستقبل.

كثر من أبناء جيل اليوم الأصغر سناً هم مستقلون وذوو تفكير صاف، ولديهم معاييرهم وقيمهم الخاصة. وبالتالي ستكون وقاحة من رجل في عمر الـ٧٨ أن ينصحهم بشأن كيفية إقامة العلاقات. إضافة إلى ذلك، هذه ليست مسألة نصيحة، وإن كانت مسألة وضع اجتماعي. أعطوا الفرصة للجيل الأصغر كي يتعلم ويحظى بمستوى حياة أفضل، وسنراه يبرع إلى أقصى الحدود.

أظن أن الأشخاص الذين يمتلكون القيم ذاتها، ويتقاسمون رؤى مشتركة ويتقبل بعضهم استقامة بعض، قد وضعوا الأساس لعلاقة جيدة. لكن ستكون لهذه القاعدة استثناءات ملحوظة.

٦٠- من دفتر ملاحظات حوالى العام ١٩٩٦ بشأن مشاريع لتحويل سجن جزيرة روبن إلى متحف

جزيرة روبن.

وزارة الفنون، الثقافة... إلخ.

بنية مستقلة.

خارج مدى المألوف.

رغبة بشرية في الاستثمار.

تدمير السياح.

يجب أن يكون المتحف مصدر وحي وليس تحصيل أموال.

مجلس أمناء خاصين.

٦١- من دفتر ملاحظات

١- انشغال في مكان آخر: تمنيات بالسلامة.

٢- لطالما كانت أيرلندا تحت الضوء طوال تاريخها.

٣- لا يصعب أبداً تحديد من الذي بدأ المتاعب.

لكننا سرعان ما نصل إلى مرحلة حيث ما من حزب معين على حق أو خطأ.

٤- اتهام القادة الأيرلنديين بأنهم غير قادرين على حل مشاكلهم الخاصة.

٦٢- من مذكرة رئاسية

الإثنين ٢٩-١٢-٩٧ : غادرت كونو متجهاً إلى كايب تاون، لكنني ألغيت موعد حضور حفلة زفاف ابنة فرانكلين سون، بسبب شعوري بألم حاد في العصب الوركي في رجلي اليمنى[1].

٣٠-١٢-٩٧: عوضاً من وصول العروسين في السابعة صباحاً لتناول الفطور وفق

(١) فرانكلين سون (١٩٣٩-). عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية. سفير جنوب أفريقيا إلى الولايات الأميركية المتحدة ١٩٩٥-٩٨.

الموعد المحدد، أتيا في الساعة ٨:٤٥. اضطر مصورهما من جريدة «رابور» إلى المغادرة. ثم غادر العروسان الإسبانيان قاعدة يستربلات الجوية في الساعة العاشرة صباحاً، ووصلا إلى مابوتو في الساعة ١٢:١٥.

مكثت في أقرب منزل ضيوف حكومي إلى منزل غراسا ماشيل.

٣١-١٢-٩٧: بقيت في الطابق العلوي غير قادر على التحرك بسبب الألم الحاد في العصب الوركي. زارني الرفيق الرئيس جواشيم شيسانو، وأطلعني على الإقامة الجبرية لكينيث كوندا في منزله، وأحوال هذه الإقامة الجبرية[١].

تناولت العشاء مع غرا، والأولاد ورحت أراقب انقضاء السنة القديمة وعروض المفرقعات من فندق بولانا.

١-١-٩٨: لم أقو على تناول الغداء مع عائلتي، فاضطررت إلى تناوله مع زينا في مقري الخاص. تمنيت عاماً سعيداً لزيندزي وروشيل، ثيرون ومعالج فيزيائي.

٢-١-٩٨: رئيس الوزراء.

٣-١-٩٨: ما من شيء خاص، رفضت العودة إلى «أس كيو».

٤-١-٩٨: أتى المفوض الأعلى.

د. هيوغو، ثيرون وأنا تناولنا الغداء مع غرا.

أعطاني حقنتين وعاد.

(١) كينيث كوندا (١٩٢٤-). رئيس زامبيا، ١٩٦٤-٩١. وُضع في الإقامة الجبرية في منزله مدة خمسة أشهر.

٥-١-٩٨: جدال مع جودي، غرا حول ويني مانديلا. قلت إنني لا أريد أن أحظى بعلاقة لا يمكننا فيها تقاسم مناطق معينة. إنها جزء من تاريخك.

٦-١-٩٨: يريد المفوض الأعلى في الموزامبيق عقد آخر مدة ولايته: ٤ سنوات.

٧-١-٩٨: التقيت صديقي جيريمي أندرسون مدة ١٥ دقيقة، مدير حديقة عامة سابق لمحمية حيوانات مبومالانجا. هنأت أراب موا على تنصيبه رئيساً كينياً.

اتصلت هاتفياً بالرئيس أنطونيو فرنانديز من مابوتو إلى واشنطن لأتمنى له ميلاداً مجيداً ورأس سنة سعيداً. أشار إلى أنه حاول الاتصال بي عدة مرات من واشنطن، لكنه عجز عن الوصول إلي. يؤلمني أحياناً حينما يعمد فريق العمل إلى اعتبار أصدقائنا، الذين يُعوّل عليهم وتشاطروا معنا الموارد حينما كنا وحدنا في الصراع ضد التمييز العنصري، مجرد غرباء يرغبون في إزعاج الرئيس.

١٩-١-٩٨: تم استدعائي إلى الطبقة التاسعة في «شيل هاوس»، وأطلعوني على أن الأمن يرفض مكوثي في مكتب في هذه الطبقة، وينصحني بالعودة إلى الطبقة العاشرة(١). رفضت تماماً التزام توصيته. وافقني في الرأي الأمين العام مغاليما (موتلانثي)(٢). كما ناقشت مع نائب الأمين العام المنتهية مدة ولايته شيريل كارولوس المسألة المذكورة أعلاه، حيث شرحت أنني سأحضر(٣).

٢٢-١-٩٨: أطلقنا أنا ولمك ليتسي الثالث، بحضور رئيس بوتسوانا ماسير، مشروع مرتفعات ليسوثو المائي. لكنني اضطررت إلى المغادرة بدون تناول الغداء بسبب أحوال الطقس.

---

(١) (شيل هاوس) كان مقر الهيئة الأفريقية الوطنية في وسط جوهانسبورغ.

(٢) كغاليما بيتروس موتلانثي (١٩٤٩-). عضو بارز في الهيئة الأفريقية الوطنية. الرئيس الموقت لجنوب أفريقيا.

(٣) شيريل كارولوس(١٩٥٨-). سياسي. عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية. المفوض الأعلى لجنوب أفريقيا في لندن.

٢٣-١-٩٨: زرت نائبة ملكة غرب بوندولاند والملكة الأم لتقديم التعازي، رتبت مع كولن روس أمر إدخال الملك المستقبلي نداماس مانغاليسو جامعة كيرنسلي[١].

٢٤-١-٩٨: تفحصت منزل السيد زيكا المعروض للبيع في مقابل ٩٥٠ ألف رند، وسألت عن تفاصيل سند البيع.

٢٤-١-٩٨: التقيت الزعيم بانغيليزوي، دالاغوبا، زويلودوما، الزعيم سانديل مغولدوا، الزعيم خاوودل، الزعيم سيليميلا، الزعيم منكانكيني.

٢٤-١-٩٨: أصدرت تعليمات لجورج ميرينغ بأن يرسل طوافة إلى تانزانيا.

٢٤-١-٩٨: غداء مع الملك بوييليخايا والملكة[٢].

٢٤-١-٩٨: تلقيت اتصالاً من الرئيس بيل كلينتون.

٢٥-١-٩٨: تلقيت اتصالاً من الرئيس موسيفيني.

٦٣- من دفتر ملاحظات

شعرت ببعض الانزعاج من الاحتفالات التي جرت في كونو في رأس السنة. استضفنا في يوم الميلاد أكثر من ألف طفل من القرى المحيطة، وحوالى ١٠٠ بالغ. ذبحنا ١١ خروفاً، وقد تبرع بخروف واحد زويليبانزي داليندييو، ملك شعب الثيمبو، وثور مقدم من زويليثيني ملك شعب الزولو. كانت الحشود في مزاج سعيد، وأكلوا جميعاً كل اللحم ما عدا الجلد والقرون.

كان ضيوفي في مناسبات سابقة في رأس السنة أقل عدداً من ضيوف عيد

(١) الملكة بونغوليثو نداماس، والدة نداماس نداماس، الحاكم الحالي لمقاطعة أبا ثيمبو.
(٢) بوييليخايا داليندييبو. وارث عرش أبا ثيمبا الملكي. الملكة نولونتو داليندييبو. الزوجة الثانية للملك بوييليخايا داليندييبو.

الميلاد. لكن في هذه المناسبة ذبحت ١٢ خروفاً فقط على اعتقاد أنها ستكفينا. ولكم أن تتخيلوا مدى انزعاجي حينما وصل عدد أكبر من ذاك الذي يحضر ليلة الميلاد، وعندما اشتكى بعض الأطفال الذين مشوا كيلومترات إلى كونو من أنهم لم يأكلوا. في المرة المقبلة لن أسمح بألا أكون مستعداً لاستقبالهم.

زارني ثانديزولو سيغكو، ملك شعب البوندو. وفقاً للتقاليد، ذبحت له خروفاً، ووفرت له وسائل الراحة. لم يكن موافقاً تماماً على اقتراح أخيه، فوليندليلا نداماس، ملك غرب بوندولاند، القاضي بوجوب كون الملوك أعضاء في مجلس القادة التقليديين في المناطق الخاصة. ثم اقترحت أنني أفضل أن يرشدوني بأنفسهم حيال هذا الموضوع. اقترحت وجوب لقائهم ليتخذوا موقفاً موحداً. زارتني أيضاً الملكة كليوباترا داليندييبو، برفقة الزعيم نوكوال باليزولو، الزعيم الحاكم على منطقتنا. ثَمَل وسط زعماء الثيمبو.

٦٤- من دفتر ملاحظات

كم نبعد عن وضع قاعدة بيانات مشتركة.

تدفق الفساد.

أهلية المحللين.

عدة رحلات غير شرعية.

السفر إلى الخارج بشكل منتظم.

٦٥- من دفتر ملاحظات

١- نمر على هذا العالم مرة واحدة، ولن تتوافر لك الفرص التي تفوتها مجدداً في حياتك.

٢- أصلح أهدافك ومراميك في الحياة، وكقاعدة عامة، لا تحد عنها أبداً قدر الإمكان.

٣- فهمت الهيئة الأفريقية الوطنية هذا المبدأ جيداً.

٤- دعونا في بداية الخمسينيات جميع الجنوب أفريقيين إلى إرسال مطالبات بوضع دستور للشعب.

٥- كما دعونا القادة من جميع الأحزاب السياسية في ذاك اليوم، إلى الانضمام إلينا في تهيئة كونغرس للشعب: الحزب الوطني، الحزب الليبيرالي.

٦- تبنينا سياسية أساسية - دستور الحرية الذي يقول إن جنوب إفريقيا ملك لنا كلنا.

٧- دعا العام ١٩٦١ إلى عقد اتفاق بين الشعب.

٨- جرت العام ١٩٨٤ مقاربة من الهيئة الأفريقية الوطنية مع الرئيس بوثا: لقاء بين الهيئة الأفريقية الوطنية والحزب الوطني.

خلعُ هيمنة البيض هو ثمرة عمل حركة التحرير - الهيئة الأفريقية الوطنية، الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية، أزابو (المنظمة الآزنية الشعبية) بدرجات متفاوتة[1].

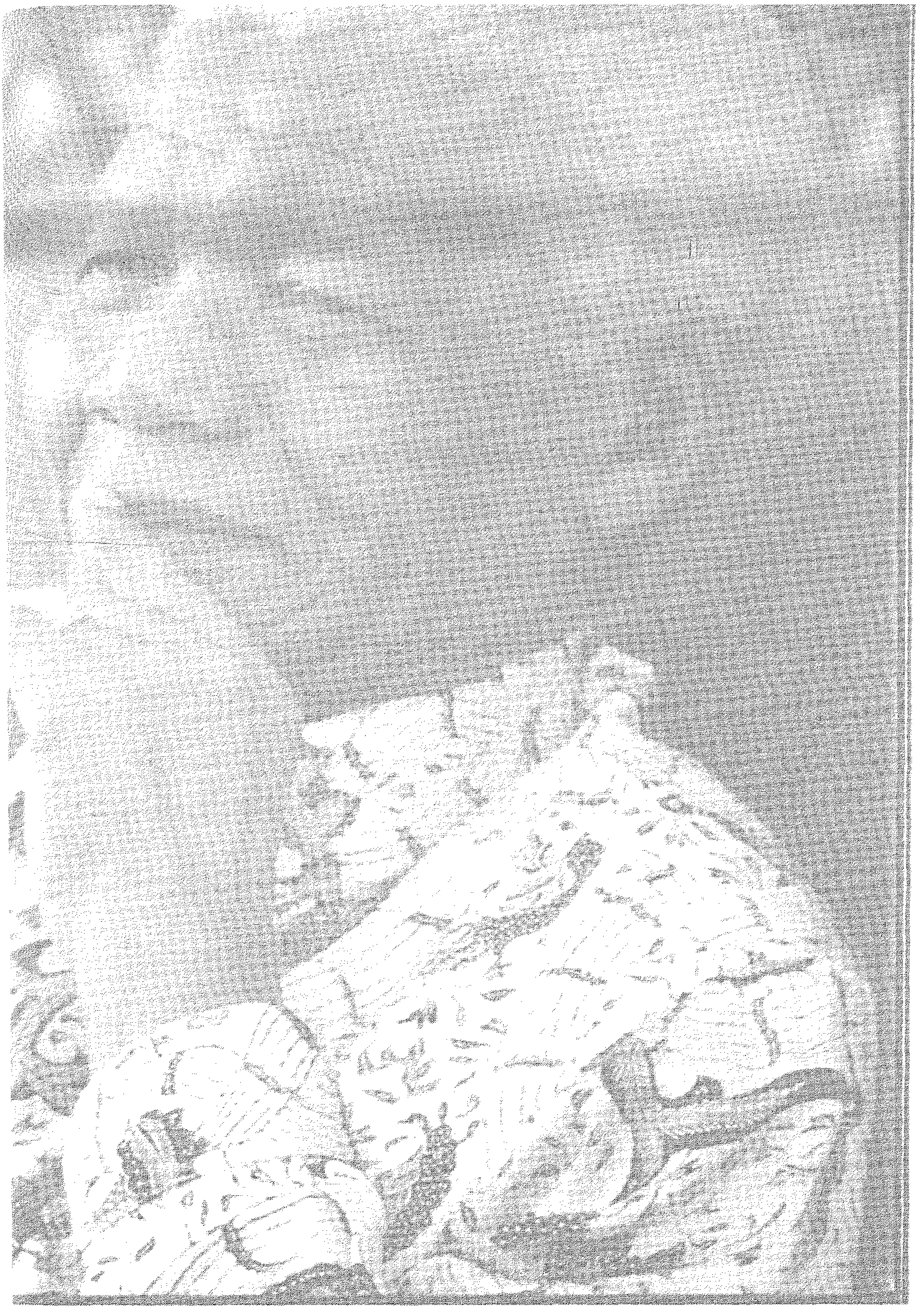
التحول هو أيضاً نتيجة عمل جماعي.

٩- غيّرت مبادرة الهيئة الأفريقية الوطنية الوضع: من سجين إلى معجزة.

١٠- برامج تنموية - بيض وسود.

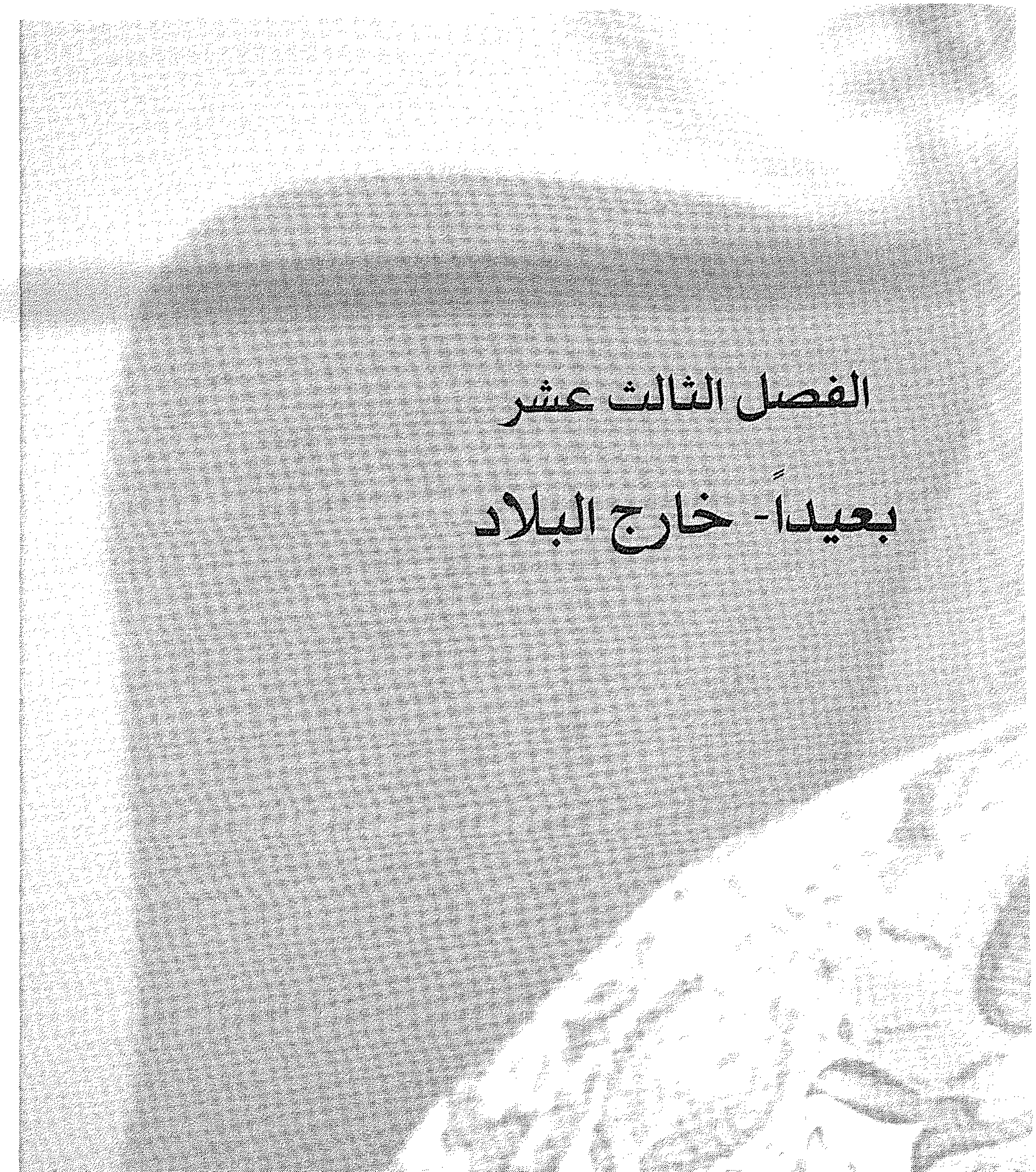
فُتحت أبواب العالم.

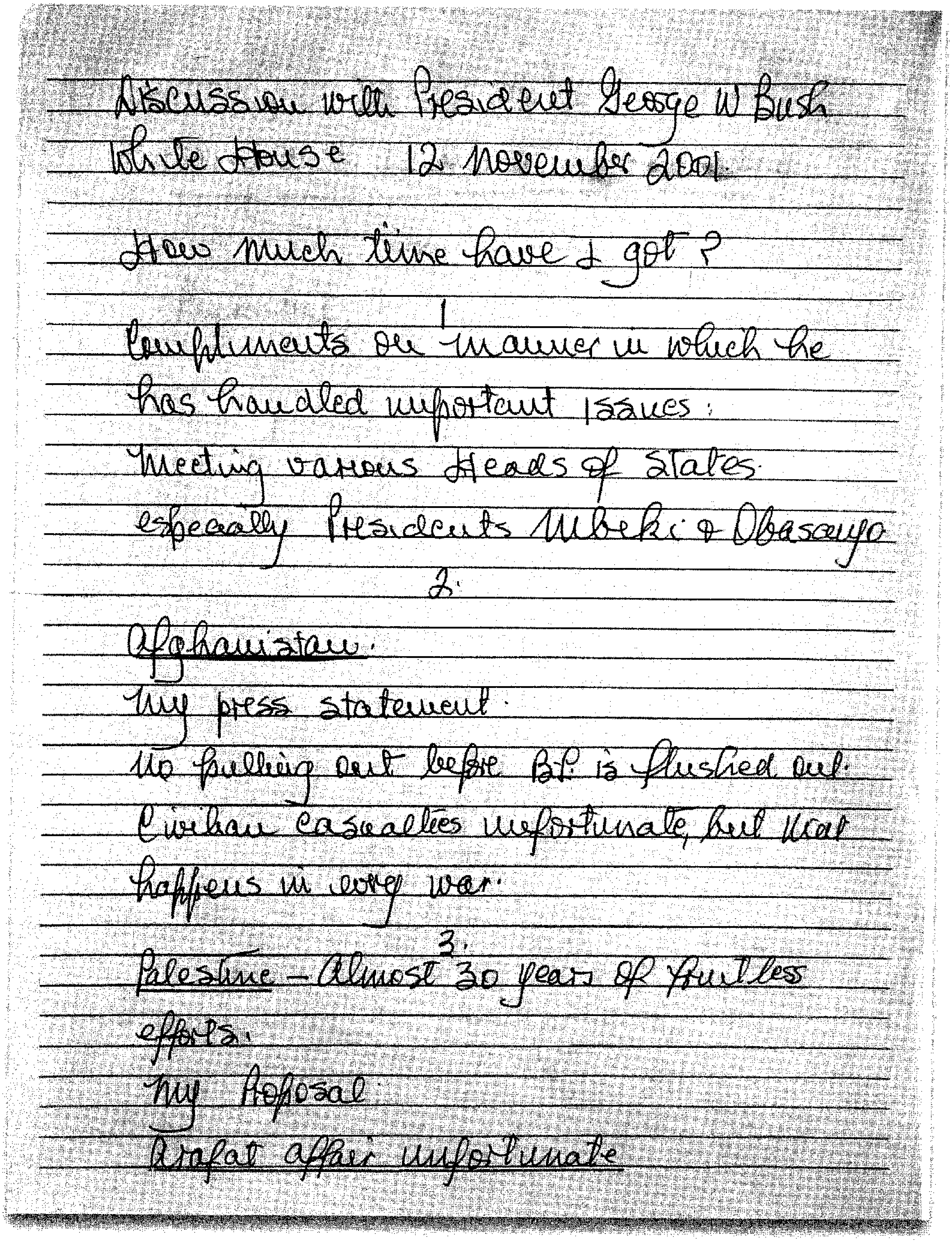
(١) المنظمة الآزنية الشعبية، التي تأسست عام ١٩٧٨، تم استلهام تأسيسها من حركة نشر الوعي لدى السود وأدمجت ٣ منظمات محظورة: تجمع السود (بي بي سي)، منظمة الطلاب الجنوب أفريقيين (ساسو)، برامج المجتمع الأسود (بي سي بي).



الفصل الثالث عشر

بعيداً- خارج البلاد





Discussion with President George W Bush
White House 12 November 2001.

How much time have I got?

1.
Compliments on manner in which he
has handled important issues:
Meeting various Heads of States.
especially Presidents Mbeki & Obasanjo

2.
<u>Afghanistan.</u>
my press statement.
no pulling out before B.L. is flushed out.
Civilian casualties unfortunate, but that
happens in every war.

3.
<u>Palestine</u> – Almost 30 years of fruitless
efforts.
my Proposal
<u>Arafat affair unfortunate</u>

من دفتر ملاحظات.

١- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن رحلته إلى مصر

كان (ياسر) عرفات أيضاً يزور مصر، والتقيته بعد لقاء (الرئيس حسني) مبارك. التقيت مبارك مباشرة بعد خروجي من المطار، حيث توجهت إلى قصره واستقبلني بحرارة وتناولنا العشاء هناك، بعد أن أوجزت له وضعنا وشكرته هو وشعب مصر على دعمهما. تناولنا العشاء ثم توجهت إلى فندقي، وفي اليوم التالي التقيت عرفات.

كانت تجربتنا هناك رهيبة، لأنه وجب علي إلقاء خطاب في اجتماع في قاعة، وقد رافقتنا الشرطة إليه. لكن الحشود كانت غفيرة على نحو مخيف، فأدركت ما الذي سيحدث. قلت لضابط الشرطة إنه يجدر بهم استقدام تعزيزات وفتح طريق حتى نقوى على العبور. حاولوا ذلك، حيث جمعوا عدداً من عناصر الشرطة، أكبر مما أعطونا، لمرافقتنا. ثم قال الضابط المسؤول إنه يجدر بي الخروج. فقلت: «لا، دعوا أفراد حاشيتي يدخلوا أولاً» لأنني خشيت بسبب عدد الحشود الكبير أن يحدث اندفاع أو جلبة كبيرة، فيعجز وفدي عن الوصول لأن الشرطة كانت تركز عليّ وتستثنيه. ثم حاول الضابط الوصول إلى وفدي، لكن بعد أن ابتعد بضع خطوات عاد أدراجه وقال: لا، في وسعك المجيء الآن.

لذا، خرجت على الرغم من النطاق العسكري الذي كانوا يضربونه، إلا أن الحشود اخترقته. فقدت إحدى فردتَي حذائي نتيجة التدافع، ما اضطرهم إلى جلبها إلى داخل القاعة حينما دخلتها. وانفصلت عن ويني. دفعوها إلى الخارج.

يريدون اللمس، ومصافحة الأيدي، ويمكن أن يكون بعض منهم أنانياً جداً... أفراد الشعب. يمسكونك ويأبون تركك، في حين يكافح أشخاص آخرون لإمساكك.

«لقد رغبت في رؤيتك منذ أمد طويل، كم يسرني أن أمسك بيدك». فيمسكك... وقد نفش شعري... وداسوا عقب قدمي، فأفلتوا الحذاء منها. راحوا يبحثون عن ويني مدة حوالى ١٠ دقائق، وأخيراً وجدوها. كانت غاضبة جداً مني، فأبت التكلم طوال اليوم. «لمَ تركتني؟»، فأجبتها: «وأي خيار كنتُ أملك؟». راحوا يدفعونني ذات اليمين وذات اليسار، وكان عناصر الشرطة أنفسهم يدفعونني لتهريبي من الحشود. لم أملك الفرصة حتى لمخاطبتهم لأنهم أبوا التزام الصمت حيث كانوا يصرخون: «مانديلا»... وهكذا، كنوع من الإعجاب. حاولنا القول: «إسمعوا، لقد أتيت إلى هنا لمحاولة التكلم معكم». لكنهم رفضوا إعطائي الفرصة. ثم قلت: «إذاً، سأغادر». فساد بعض الهدوء. لكن بمجرد أن بدأت الكلام، عاودوا الصراخ من جديد. لذا، قررنا التوجه إلى الطابق العلوي إلى الشرفة، لنتمكن من مخاطبتهم من هناك. لكن لم تجد محاولتنا نفعاً. لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الحشد الصاخب. صاخب بسبب الحماسة، والحب. لم ألقِ خطابي البتة. حاولت إلقاءه عدة مرات... ثم اضطررت إلى تركه.

٢- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن زيارته الولايات المتحدة*

كان الأميركيون لطفاء جداً ومتحمسين جداً. بالطبع، كان الذهاب إلى نيويورك مشوقاً كثيراً، وهي مدينة سمعت وقرأت عنها مذ كنت مراهقاً. بالطبع، وجدت ممثلتنا في الولايات المتحدة، الآنسة ليندي مابوزا يرافقها ثابو مبيكي، رئيس دائرة الشؤون الخارجية، طوماس نكوبي، وزير المالية، باربارا ماسيكيلا المسؤولة اليوم عن مكتب الرئيس، والكثير غيرهم. عندئذ رافقتنا القوى الأمنية إلى الفندق.

... لا يسعني التذكر. متى جرى استعراض الاستقبال... وتسلسل الأحداث. كان استعراض الاستقبال التجربة الأكثر تشويقاً التي خضتها في الولايات المتحدة الأميركية. علمت أن ثمة اهتماماً كبيراً في الولايات المتحدة بالصراع ضد التمييز

العنصري الذي جرى في جنوب أفريقيا. لكن رؤية هذا الاهتمام تنعكس في تصرفات الناس لدى وصولي إلى نيويورك، كان أمراً مشجعاً جداً وملهماً جداً. حماسة الناس والملاحظات التي أبدوها دلت على تعاضد بالغ مع نضالنا - في الشارع وفي المباني والمكاتب والشقق السكنية - وكانت أمراً مذهلاً. أدهشني تماماً. أن تعرف أنك موضع استحسان الناس، يجعل المرء يشعر بالتواضع بحق. وهكذا شعرت.

٣- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن زيارته الأمم المتحدة

عندئذ ألقيت خطاباً، لكن في خلال الجلسة اضطروا إلى إرسالي إلى الفندق لأنه كان لدينا الكثير من الأصدقاء في الأمم المتحدة وكانوا يأتون لمصافحتي، ولا أستطيع مصافحتهم وأنا جالس. حينما يأتي الدبلوماسيون، وخصوصاً السيدات منهم - سيدات دبلوماسيات - وعندما يحضر آخرون، كنت أقف على الفور وأصافحهم. طلب إلي ثابو مبيكي وفرين غينوالا، وهما عضوان من وفدنا، أن أظل جالساً[1].

فقلت لهما: لكن لا يسعني البقاء جالساً، حينما يقترب مني أحد ما لا بد لي من الوقوف ومصافحته. فقالا: أنت تسبب الإزعاج في الاجتماع. فقلت: إذاً، امنعوهما من المجيء، وإلقاء التحية علي. إن سمحتما لهم بالمجيء وإلقاء التحية علي، فليس في يدي حيلة. لا بد لي من الوقوف. فقالا: لا، اذهب إلى الفندق. من الأفضل لك أن تبقى هناك عوضاً من التسبب بالإزعاج هنا في الاجتماع، وهكذا غادرت. (يضحك) أجل. وقالا: ابقَ هناك إلى أن ينتهي الاجتماع، وحتى ينتهي هنا في مجلس الأمن في الأمم المتحدة. وهذا ما جرى. (يضحك بخفوت).

٤- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن رأيه في الأمن الأميركي

الأمن الأميركي محترف جداً، إلى درجة عالية. يطلعونك على كيفية تحركك

(١) فرين غينوالا (١٩٣٢-). صحفي وسياسي. المتحدث باسم المجلس التشريعي الوطني في جنوب أفريقيا. ١٩٩٤-٢٠٠٠.

ويخبرونك أن أخطر لحظة تكون لدى مغادرتك أي مكان للتوجه إلى سيارتك، وحينما تغادرها لتدخل أي مكان. ويصرون كثيراً على أن يحيط بك عناصر الأمن لدى السفر من مكان إلى آخر. من الصعب التوقف والتكلم مع الناس كما يحلو للمرء حينما يزور مكاناً جديداً.... ليكتشف كيف يفكرون، وماهية آرائهم في موضوعات مختلفة. لكن الأمن هنا، وفي الولايات المتحدة، لا يسمح لك بفعل ذلك. لذلك، من الصعب جداً أن يقوّم المرء الاختلافات في المناطق المختلفة التي يزورها، أو يتعرف إليها.

٥- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن تنصيب الرئيس كلينتون*

لم يسبق لي أن رأيت هذا العدد من الأشخاص المحتشدين في مكان واحد، إلا في كنيسة زيون المسيحية في نيسان/أبريل من العام الفائت، حيث كان هناك أكثر من مليون شخص. ذاك المكان الذي أقاموا فيه حفلة التنصيب، عبارة عن تلة صغيرة. وهناك تستطيع رؤية الناس يسيرون نزولاً إلى الوادي ويملأون الشوارع. وثمة منصة، مسرح... ثم بدأ الاحتفال. تم تنظيمه بدقة مدهشة جداً. كانت القدرة على تنظيم مثل هذا الحدث الكبير فائقة. لم أقو على التركيز بسبب لطف الناس الذين توافدوا لإلقاء التحية علي، وأحياناً كانوا يحجبون عني رؤية ما كان يجري على المسرح. وعناصر الأمن من أجل حمايتي، وقفوا أيضاً أمامي، وحجبوا عني رؤية المنصة أيضاً.

اندهشت كثيراً بسبب تعاطف الناس مع الهيئة الأفريقية الوطنية. حسبت أن أشخاصاً، مثل أوليفر تامبو وآخرين، بذلوا مجهوداً مذهلاً في تعريف الناس، أي الأميركيين، إلى الهيئة. كان الناس بسبب العمل الذي قامت به المنظمة، يعون جيداً من أكون. وعلى الرغم من أن ذلك أعاق متابعتي ماجريات التنصيب، لكن أعجبني الأمر لأنه كان تعبيراً عن المحبة واللطف والتعاطف. من ثم غطى خطاب كلينتون على كل شيء تقريباً. كان شاملاً ومقتضباً جداً. قال ما وجده ضرورياً، وقد أعجبني

ذلك. ثم طريقة إعجابه ببوش. اتضح أن الصراع قد انتهى، وأن الأميركيين يتعاضدون معاً لمجابهة تحدياتهم المشتركة، حسبتها رؤية ممتازة.

في المساء، أقيمت حفلات رقص، حضرت إحداها. ثم قيل لي إنني سأقابل أنا والسيد كويسي مفوم، رئيس مجلس إدارة مؤتمر السود الحزبي، كلينتون في غرفة اجتماعات[1]. توجهنا إلى هناك وصافحناه، وتبادلنا بعض الأحاديث. لم نطل الحديث لأنه كان واقفاً. توجه بعد ذلك إلى القاعة. وكانت ثمة فرقة تعزف، فأخذ الساكسوفون وراح يعزف، ورحنا كلنا نرقص ونمرح. كانت تجربة مؤثرة جداً. واتسامه بعدم الرسمية كان أمراً جميلاً أيضاً: أن يوجد رئيس قريب جداً من الناس. كان يتمتع بالود مع الجميع، وقد أثّر فيَّ ذلك كثيراً. وبرغم كبريائه كلها كان يتسم بالود مع الجميع.

٦- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن حفلة ١٩٩٠ الموسيقية في ستاد ويمبلي في لندن

أردت رؤية ترايسي تشابمان ومانهاتن بروذرز، لطالما أعجبتني تلك السيدة الشابة. كنت جالساً في مقصورة، حينما ظهرت على المسرح. تحمست كثيراً، ثم راحت تعزف. كنت قد بدأت أستمتع بالموسيقى عندما قيل لي إن نيل كينوك قد أتى لرؤيتي، ووجب علي الخروج. كنت أتوق إلى رؤية كينوك، لأن حزب العمال وقائده نيل كينوك مثلا دعماً قوياً لنا في نضالنا ضد التمييز العنصري. كانا قد طالبا بإطلاقي، ورحبا بي حينما وصلت إلى لندن. كانا طيبين جداً، وسررت بلقاء كينوك. لكنني ندمت على تفويت مشاهدة عرض ترايسي تشابمان. لكن، بعد أن قابلت نيل كينوك عدت إلى مقعدي وظهرت فرقة مانهاتن بروذرز على المسرح. يا للهول! أعادوا إلي ذكريات زمن الخمسينيات الجميلة. ثم سمعت أن السفير الروسي أتى لرؤيتي. حدثان تطلعت إلى مشاهدتهما ضاعا علي. في نهاية الحفلة توجهت لمقابلة

---

(١) كويسي مفوم (١٩٤٨-). رئيس مجلس إدارة الجمعية الوطنية لتطوير الشعوب الملونة البشرة.

جميع النجوم، وصافحتهم. استمتعت كثيراً بوقتي، لكن بالطبع كان عناصر الأمن يتدخلون. لم يريدوا لي البقاء هناك لوقت طويل. لذا، لم يتسن لي سوى مصافحة النجوم وتهنئتهم. وبالطبع توجهت بالكلام إلى الحشود.

٧- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن التأميم*

كان قد جرى رد فعل غاضب في جنوب أفريقيا جراء التصريح الذي ألقيته من السجن، حيث قلت إن التأميم لا يزال سياستنا، ولم نتغير... بالطبع، جرى رد فعل من مجتمع رجال الأعمال. ورد الفعل هذا جعلني أعيد النظر، لأن ثمة أمراً هاماً هو الحصول على دعم رجال الأعمال. حينما خرجت من السجن ركزنا على الشرح لرجال الأعمال سبب تبنينا سياسة التأميم. وبالطبع، مارس رجال الأعمال الأميركيون ضغطاً كبيراً علينا لإعادة النظر في مسألة التأميم. من وجهة نظر تشجيع الاستثمار في جنوب أفريقيا، وجب على المرء التفكير بجدية في هذه المسألة.

كانت اللحظة الحاسمة حينما حضرت المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، سويسرا، حيث التقيت أبرز القادة الصناعيين في العالم، الذين ركزوا على التعبير عن آرائهم بشكل صريح جداً في مسألة التأميم. وأدركت، كما لم يسبق لي من قبل، أنه في حال أردنا الاستثمارات فسيتحتم علينا مراجعة مسألة التأميم بدون إلغائها تماماً من سياستنا. وجب علينا تبديد خشية الشركات من تأميم أصولهم.

٨- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن رحلته إلى كندا*

ستينغل: في كندا استقبلك السيد مولروني؟[1]

مانديلا: أجل، هذا صحيح. وفي كندا ألقيت خطاباً في اجتماع. فطرحت عليَّ حينئذ سيدة سؤالاً في حين كنت أهمّ بالخروج. كان براين مولروني قد أعطاني

(١) براين مولروني (١٩٣٩-) رئيس وزراء كندا، ١٩٨٤ - ٩٣.

خمسة ملايين دولار، فسألتني تلك السيدة: يا سيد مانديلا، هذه الملايين الخمسة التي أخذتها من السيد مولروني هل ستستخدمها في قتل الناس؟ كما كنت تفعل؟

أردت الإجابة عن سؤالها بشكل سلمي، وبطريقة جادة. لكن بسرعة البرق رميت في الخارج. دفعوها فسقطت. حاولت أن أوقفهم عن هذا الفعل، لكني تأخرت وأبعدوني. فتبين أنها تنتمي إلى الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (باك). والطريقة التي نظرت بها إلي وقالت: يا سيد مانديلا، هذه الملايين الخمسة التي أخذتها من السيد مولروني هل ستستخدمها في قتل الناس؟ (يضحك)... يا للهول! عاملوها بقسوة بالغة.

٩- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن غوز باي*

في كندا، وفي مكان يسمى غوز باي، توقفنا هناك لنتزود الوقود قبل انطلاقنا إلى دبلن. وحين كنت أسير إلى مبنى المطار، رأيت بعض الأشخاص واقفين خارج سياج المطار، فسألت الموظف الذي كان يأخذنا إلى مبنى المطار: من هؤلاء؟ فأجاب: هؤلاء من شعب الإسكيمو.

لم يسبق لي من قبل أن رأيت فرداً من الإسكيمو، ولطالما ظننتهم شعباً يصطاد الدببة القطبية والفقمات، فاعتقدت أنه يجدر بي الذهاب للقائهم. وأشعر بالامتنان لكوني فعلت ذلك، لأنهم كانوا مراهقين في عمر يقل عن العشرين. وحينما رحت أحدثهم، اندهشت لمعرفتي أنهم طلاب في المرحلة الثانوية. علموا، أو سمعوا بأننا سنحط بطائرتنا لنتزود الوقود و... كنت مسروراً جداً بلقائهم، انبهرت كثيراً لأنهم يعرفون بشأن الإفراج عني. شاهدوا عملية إطلاقي، كما يعرفون بشأن خطاب أو خطابين ألقيتهما. جرى بيننا حديث رائع جداً لأنه كان مثيراً للصدمة بشكل محدد. صُدمت جداً بعد أن تنبهت إلى أن معرفتي بشعب الإسكيمو محدودة جداً، لأنني لم أتخيل قط أنهم يرتادون المدارس وأنهم يشبهوننا تماماً. لم أتخيل ذلك قط. وبرغم

أنني كنت منخرطاً في الصراخ لنيل الحرية، إلا أنه وجبت علي معرفة أن الناس في أي مكان في العالم، يغيرون مكانتهم الأقل تقدماً.

استمتعت جداً بذاك الحديث، لكني بالنتيجة أصبت بذات الرئة لأنني كنت قد أتيت من أوكلاند حيث الحرارة تبلغ حوالى ٤٠ درجة، وسافرت دونما توقف من أوكلاند إلى غوز باي حيث كانت تبلغ الحرارة ١٥ درجة تحت الصفر، وكنا نرى نتفاً من الثلج... جراء تغير الطقس والوقوف في الخارج وسط البرد (برغم أنني كنت أرتدي معطفاً)، لدى دخولي مبنى المطار، كنت قد أصبت بالبرد. وكان مبنى المطار دافئاً، حيث كانوا يشعلون ناراً، والمديرة امرأة من شعب الإسكيمو، لكنها متقدمة جداً، إنسانة مثقفة ثقافة عالية، أخبرتني بأحد أصدقائها في السفارة الكندية في جنوب أفريقيا. ثم قابلت شخصاً آخر من الإسكيمو، كان يعمل مساعداً للسيدة. وقد كان مميزاً جداً أيضاً، وقال: وفقاً لتقاليدنا، علي أن أرحب بك بالموسيقى. ثم شرح لي الأمر. أخذ آلة موسيقية، كانت غيتاراً، لكنه تقليدي. دلت بنيته الخشبية أنه تقليدي. وحتى الأوتار لم تكن مرتبة بالطريقة ذاتها للغيتارات الغربية. ثم شرح لي الأمر، وقال: إن هذه الأغنية التي سأعزفها ترحيباً بك، تتحدث عن الليل. ثم بدأ يعزف. كان اللحن مملاً، والنوتات حزينة، ثم بعد قليل تغيرت حالة اللحن وأمسى أكثر صخباً، لم ألحظ ذلك في البداية. ثم لمّا واصل عزف الأغنية، أمست هذه النوتة المبهجة هي السائدة، ثم أصبح اللحن مفرحاً أكثر فأكثر. وحتى قسمات وجهه كانت تتغير تناغماً مع الموسيقى، إلى أن وصل إلى الذروة حيث استحالت الموسيقى مبهجة جداً، وفي منتهى الحيوية. بهذه الطريقة استقبلنا.

١٠- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن التقاطه ذات الرئة*

كنت في أيرلندا حينما أُصبت بالبرد. كنت قد اتصلت بطبيب عائلتي د. نثاتو موتلانا، وبالطبيب غيسيلتر، الشاب الذي ساعد على إجراء العملية لي. وطلبت

إليهما أن يلاقياني في دبلن، لأنني أشعر بتوعك. اعتقدت أنه يجدر بالأطباء الذين كانوا يعاينونني أن يفحصوني. رأياني وقالا إنني لا أعاني مشكلة خطيرة. كما قام طبيب رئيس الوزراء في دبلن بمعاينتي، ثم ألقيت خطاباً في الجلسة المشتركة في البرلمان. انطلقنا بعدها إلى لندن. كنت أتماثل إلى الشفاء، لكن حينما خرجت من الفندق لم أع أنها كانت تمطر، فقالت لي ويني: أرجوك، دعنا نعُد لنجلب معطفك. لم أُرد التأخر على رئيس الوزراء البريطاني، فقلت: لا، دعينا نذهب، فسوف نتأخر إن عاودنا الدخول. لذا، حينما دخلت السيارة، كانت بضع قطرات من المطر قد انهمرت علي. وما زاد من سوء حالتي وأصبحت إصابتي بذات الرئة شديدة، أني في حين كنت أهمّ بالخروج، التقيت مجموعة من الشباب دون سن العشرين أيضاً، أرادوا الحصول على توقيعي فقلت: اسمعوا، إنني في عجلة من أمري. حينما أعود أعطيكم توقيعي. فقالوا: في أي ساعة؟ فأجبت: بعد الظهر. ونسيت أمر هذا الموعد. وحينما عدت كنت أيضاً مسرعاً لحضور اجتماع آخر، ووجدتهم لا يزالون واقفين في انتظاري. وجدتهم هناك في الساعة التاسعة صباحاً، وفي الرابعة كانوا لا يزالون ينتظرون. فقلت: أيها السادة، أنا آسف، ولكني مسرع، إذ لدي موعد. فقالوا: لقد وعدتنا، أعطيتنا كلمتك... كلمة الشرف. وانتظرناك. وقّع! حينما قالوا إني تعهدت لهم بشرفي، وجدت صعوبة في عدم الالتزام، ورحت أوقّع لكل شخص منهم. وحين كنت أوقع، قال أحد أعضاء وفدنا: لا، وقّع مرة واحدة. لكن الشبان كانوا قد انتظروا في مكانهم طوال اليوم، وقعت بالتالي كل ما أعطوني إياه. قال لي أحدهم: لا، سوف يبيعون التواقيع الأخرى. (يضحك) هذا ما يفعلونه. يصطادون المشاهير للحصول على تواقيعهم، ثم يذهبون ويقولون للناس: اسمعوا هل تريدون توقيع فلان وفلان؟ خذوا.

في مقابل ٥ جنيهات أو ما شابه. إذاً، لا بد من أنهم جنوا بعض المال (يضحك).

التقيت السيدة تاتشر لمدة تقارب ٣ ساعات، وكما هو طبيعي، ناقشنا معاً مسألة العقوبات والوضع السياسي العام في جنوب أفريقيا. كانت مهتمة بعلاقتنا مع (مانغوسوثو) بوثيليزي... لم أبد أي تعليق على مسألة العقوبات... قلت لها: إننا شعب مقهور ونحتاج إلى القيام بشيء ما لنضغط على النظام كي يغير سياساته. والضغط الوحيد ذو الطبيعة المرعبة التي استطعنا ممارسته هو العقوبات.

لم أقوَ على إعطاء أي انطباع. لكنها كانت مذهلة، ثم تناولت معها غداء خاصاً. كانت في منتهى اللطف، ووجدتها على عكس ما أخبروني عنها. أجل. وفي الواقع، اضطررت حينئذ إلى الاستئذان بالانسحاب، لأنه كان لدي موعد آخر. لكن هي نفسها كانت سخية جداً في وقتها، وقد أثارت انطباعي. انبهرت بقوة شخصيتها، وجدتها بالفعل امرأة حديدية.

أدليت بتصريح في أيرلندا يفيد بأننا قررنا في جنوب أفريقيا التكلم مع النظام، مع العدو، ونعد ذلك متساوقاً مع الخطوط الهادية التي وضعتها الأمم المتحدة... حيث يجب على الدول الأعضاء محاولة حل مشاكلها بالوسائل السلمية. وطلبت إلى الحزب الجمهوري الأيرلندي والحكومة البريطانية حل مشاكلهما سلمياً. ثم طُرح عليّ هذا السؤال في مجلس العموم، وكررت ما قلته. (يضحك بخفوت) لكن الشاب الذي طرح هذا السؤال وانتقدني لتقديمي هذا الاقتراح، راح نواب البرلمان يطلقون أصوات استهجان وسخرية ضده. قال أحدهم: هذا هراء وتفاهة (يضحك بخفوت).

١١- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن الملكة بياتريس والملكة إليزابيث الثانية

وجدت الملكة الهولندية مثيرة جداً للاهتمام، وفي منتهى الذكاء والاطلاع

والثقة بالنفس والانفتاح. لم يكن ثمة بروتوكول صارم. أمضيت معها وقتاً ممتعاً، واندهشت لكمية المعلومات التي تملكها، وتوقها إلى مناقشة مشاكل العالم. إنها سيدة رائعة حقاً.

الملكة إليزابيث هي إحدى الملكات التي تعد مدة حكمهن الأطول، وهي سيدة لطيفة. حينما تتحدث معها تجد لديها حساً فكاهياً عالياً. راقبتها من خلال مؤتمر الكومونويلث في هيريري العام ١٩٩١ بحسب ما أعتقد. طُلب إلى د. ماهاتير، رئيس وزراء ماليزيا، تقديم نخب وقال: كنا نخضع للأمبراطورية البريطانية، وكانت الملكة إليزابيث موجودة، وكان لدينا سلطان لا يحكم، وولي عهد ومستشارون وجب تقبل نصائحهم. إننا أعضاء في الكومونويلث، حيث لا تعد فيه الثروة مشتركة.

كانت تستمتع بهذا المزاح كله. وقد حظيت بفرصة التكلم معها، كانت تضج حيوية ومرتاحة تماماً. وجدتها سيدة رائعة، ولاذعة جداً أيضاً. لاذعة جداً. صحيح أنها قد تتسم بقدر كبير من الرسمية، لكنها كفرد إنسانة بسيطة جداً وواضحة جداً. كوّنت انطباعاً حسناً عنها.

١٢- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن رحلته إلى فرنسا*

استقبلني الرئيس فرنسوا ميتران بأسلوب راق. ثمة خطأ في الاعتقاد أن الاشتراكيين يتصرفون بوضاعة. تم الترتيب بأن أقترب من ناحية معينة من المكان في حين يقترب هو من الناحية الأخرى ونلتقي في الوسط. كان واقفاً هناك مع زوجته دانيال، وأنا واقف ومعي ويني، والمطر ينهمر. كانت أحوال الطقس قاسية جداً، لكنه كان يرتدي معطفه وأنا أرتدي معطفي. التقينا في الوسط وتصافحنا. ثم توجهنا إلى ما يشبه الخيمة وتبادلنا الآراء. أوجزت له الوضع في بلدنا، ثم توجهنا لتناول العشاء.

تم إعطاؤنا إحدى الطائرات الخاصة من باريس إلى جنيف. كانت حالة الطقس رديئة جداً، وكان الناس متوترين جداً، فارتأيت أن ألقي دعابة فقلت: إن حل أي مكروه بزوجتي فسأقاضي هؤلاء الرجال.

لم يفهم الناس الدعابة إذ كانوا قلقين جداً بشأن المطبات الهوائية وما شابه. لكن إن حل مكروه بالطائرة فسوف نموت جميعاً، لذا لن أحظى بالفرصة لرفع قضية. كانوا في منتهى القلق إلى درجة أنهم لم يفهموا الدعابة.

١٣- حديث مع ريتشارد ستينغل

مانديلا: يا للهول! البابا رجل مميز أيضاً[١]. إنه متواضع جداً. وقد اجتمعت به لحوالى نصف ساعة، إن لم أكن مخطئاً. ثم تم استدعاء بقية أفراد الوفد إلى الداخل، ومنحنا ميداليات وصلّى لأجلنا. انبهرت لأنني حينما كنت في السجن، قرأت قصة تفيد بأنه قضى عطلة في جبال الألب، وكان حينئذ يسير مع أحد زملائه، فتوقف فجأة وقال: بالمناسبة، اليوم يصادف عيد مولد نيلسون مانديلا. هذا هو فحوى القصة. قال بكل بساطة: هل تذكر أن اليوم يصادف عيد مولد نيلسون مانديلا؟

ستينغل: البابا قال هذا الكلام؟

مانديلا: البابا قال هذا الكلام، تذكر عيد مولدي. وبالتالي نجده رجلاً لا يولي شؤوننا في جنوب أفريقيا مجرد اهتمام سطحي عادي. استقبلنا استقبالاً حاراً. وأطلعته على الوضع، ثم أدلى بتصريح يفيد بأنه يدعم بالكامل الصراع ضد التمييز العنصري، ويتمنى لنا الخير والقوة. أجل، إنه متعدد اللغات. هل تعرف أنه يعزف أيضاً على الغيتار. إنه رجل رائع، يضحك. كما أن البابا صاحب العدد الأكبر من

(١) البابا جون بول الثاني (١٩٢٠-٢٠٠٥).

الأسفار بحق. التقيت رئيس الوزراء أندريوتي، كما اجتمعت بالرئيس[1]. كيف نسيت اسم الرئيس؟ (يضحك).

١٤- من حديث مع ريتشارد ستينغل

في بلد آخر - لن أذكر اسمه، فالناس حساسون جداً في أفريقيا - خُيّل إلينا أنه بلد ديموقراطي ، حينما كنت في السجن ولمّا خرجت منه، لأنه تجري فيه انتخابات، أو هكذا حسبنا. استقبلنا بحرارة هناك، وعاملوني كرئيس دولة وما إلى هنالك، وفي خلال مأدبة العشاء، هنأت الرئيس على السماح بحلول الديموقراطية في البلاد، وسماحه للشعب بتحديد الأشخاص الذين يجدر بهم تشكيل الحكومة. لكن، حين كنت أتكلم، رأيت بعض الأشخاص يبتسمون بسخرية... (يضحك)، لذا سألت أحد رفاقنا: ما هو الوضع هنا؟ فأجاب: لقد قلت كلاماً لطيفاً، لكن هل تعلم كم يبلغ عدد الأشخاص المسجونين هنا، بسبب معارضتهم الحكومة بوسائل سلمية ليس أكثر؟ يريدون تحدّيهم في الانتخابات، ولأن الحكومة تخشاهم زجوا بهم في السجن (يضحك)، هذا صعب جداً... حينما أتوجه إلى بلد أركز على قراءة بعض المعلومات عنه: السمات الأساسية لنظامه السياسي، والمشاكل التي يعانيها.

١٥- من حديث مع ريتشارد ستينغل عن لقاء فيديل كاسترو

كاسترو رجل لافت جداً. ألقينا خطاباً معاً. ما اسم تلك البلدة؟ كان يوجد حشد من الناس في بلدة صغيرة. كان حشداً مذهلاً. أظن أنه كان يوجد حوالى ٣٠٠ ألف شخص. والجميع جالسون على الكراسي. تكلم نحو ٣ ساعات بدون ورقة واحدة، واقتبس أرقاماً، مُظهراً أن أميركا مفلسة. ولم يغادر أي شخص إلا للذهاب إلى الحمام ومن ثم العودة. لقد بهرني كاسترو وتواضعه. إنه رجل في منتهى التواضع. حينما كنت أركب السيارة معه في المدينة، كان جالساً مكتوف اليدين وأنا الذي كنت ألوّح

(١) فرانسيسكو كوسيغا (١٩٢٨-). رئيس الجمهورية الإيطالية، ١٩٨٥-٩٢.

للحشود بيدي. دخلنا بعد التكلم بين الحشود، وأخذ يحيي الجميع. لاحظت أنه راح يحيي رجلاً أبيض، ثم ينتقل لإلقاء التحية على رجل أسود. لا أدري إن كان ذلك مصادفة، أم متعمداً. كان لطيفاً جداً، وتكلم معهم لبعض الوقت، ثم أدركت أن هذه الحماسة والتلويح باليد لم يكونا موجهين إليّ ونحن نمر في المدينة بل إلى كاسترو. لم يكن أحد يهتم بأمري البتة (يضحك).... لقد أثار انطباعي كثيراً.

١٦- *من حديث مع ريتشارد ستينغل عن زيارة كينيا وأوغندا والموزامبيق*

وجدت في كل من أوغندا وكينيا المناخ مثيراً للاهتمام. التربة في أوغندا غنية جداً إلى درجة أنه في وسعك زرع أي شيء، ويمكن أي بذر أن ينمو. إنهم مكتفون ذاتياً، في أشياء مثل الفاكهة وعدد من المنتجات الزراعية الأخرى. وجدت في كينيا أن في مقدورهم زرع الذرة على امتداد السنة. لديهم مراحل نمو ثلاث: ذرة ناضجة، وأخرى على وشك النضج، وثالثة وهي نبتة فوق الأرض. وهذا يشير إلى أن مناخهم مناسب جداً للزراعة. في جنوب أفريقيا، ما عدا المزارع التي تتوافر فيها وسائل ري كافية، تزرع الذرة مرة في السنة. لكن نستقبل بكل ترحيب في هذه البلدان كلها. قابلت الرئيس شيسانو في الموزامبيق، في مابوتو. اتضح جلياً أن الحرب قد دمرت اقتصاد البلاد. كانوا يمرون في وقت عصيب جداً، لكني وجدت شيسانو يحل المشاكل بطريقة جيدة. كما قابلت السيدة غراسا ماشيل، زوجة رئيس الموزامبيق الراحل، وقد سُررت جداً. التقيتها للمرة الأولى ووجدتها امرأة مذهلة، تتمتع بشخصية لافتة. أمضيت حوالى ٣ ساعات في مابوتو. ووقعت يوم مغادرتنا حالة ذعر من احتمال وجود قنبلة أتت من جنوب أفريقيا. كان ثمة (يُفترض وجودها) قنبلة على الطائرة، ما اضطرهم إلى إنزالنا منها، ليبحثوا عنها، واضطررنا إلى إبعاد أمتعتنا. كان عليهم أن يفتحوها ويفتشوا فيها بشكل مناسب وإرسالها في اليوم التالي. حينما عدنا، وجدنا حراسة مشددة في المطار، لأن الذين أثاروا حالة الفزع هذه هددوا أيضاً بأنهم سيتولون أمري حينما أعود. لكن لم يحدث شيء.

١٧- من دفتر ملاحظات

نقاش مع الرئيس جورج بوش، الابن

البيت الأبيض ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١

كم أملك من وقت؟

١- إطراءات على الأساليب التي عالج بواسطتها المسائل الهامة ، لقاء رؤساء دول متعددين، خصوصاً الرئيسين مبيكي وأوباسانجو

٢- أفغانستان

بياني الصحافي.

ما من انسحاب قبل القضاء على أسامة بن لادن. وقوع ضحايا من المدنيين أمر مؤسف، لكن هذا وارد الحدوث في كل حرب.

٣- فلسطين: حوالى ٣٠ سنة من الجهود غير المثمرة.

اقتراحي

مسألة عرفات تعسة.

٤- تزيد بوروندي من التمويل[١]

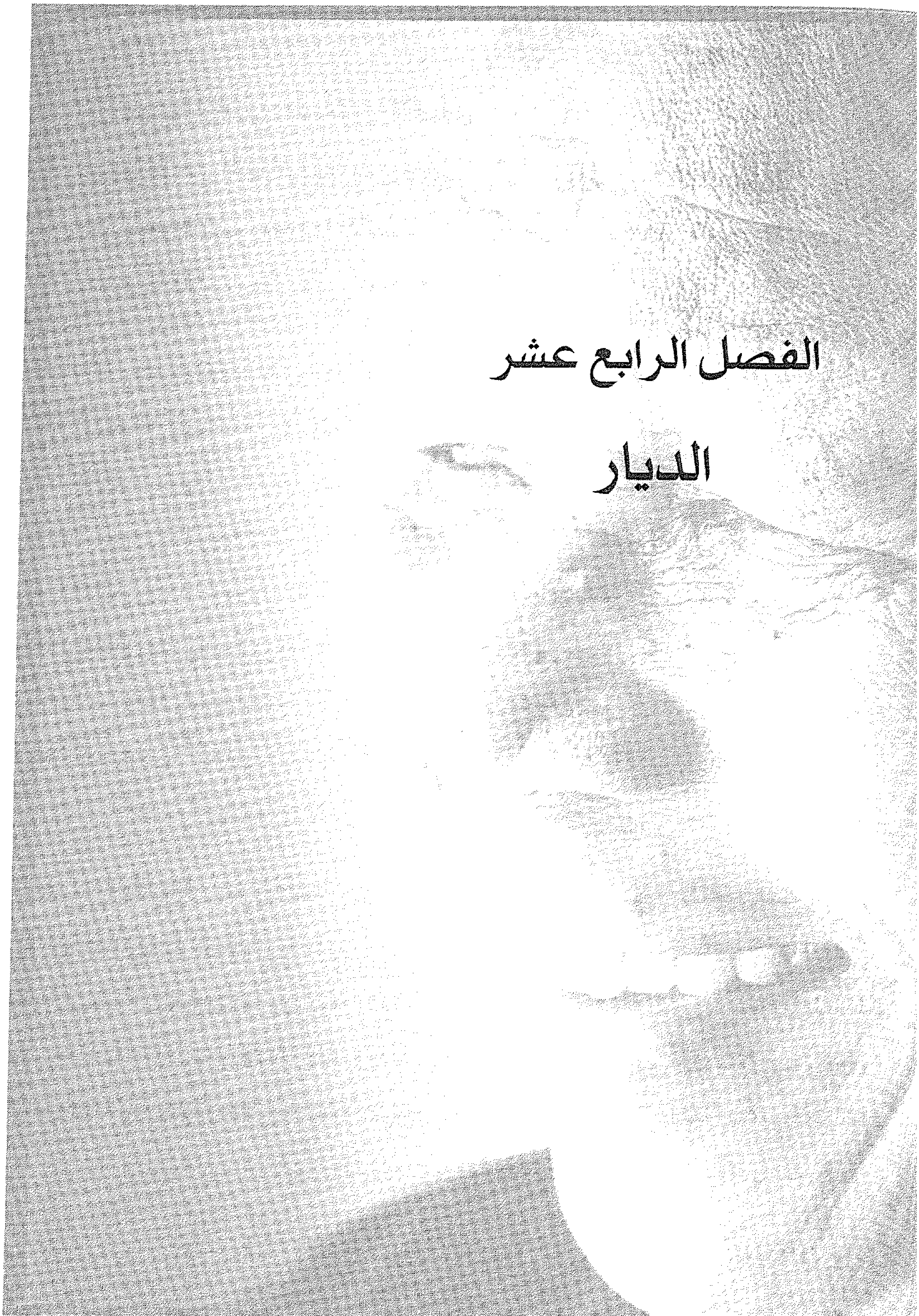
٥- لوكربي[٢]

(١) عام ١٩٩٩ تم تعيين مانديلا من قبل الأمين العام للأمم المتحدة كبير الوسطاء في مفاوضات السلام الرامية إلى وضع حد للحرب الأهلية الجارية في بوروندي بين شعبي التوتسي والهوتو.

(٢) عقب تفجير رحلة بان آم رقم ١٠٣ الذي وقع في لوكربي عام ١٩٨٨، حيث قُتل ٢٧٠ شخصاً، توسط مانديلا مع القائد الليبي الكولونيل معمر القذافي ليسلم عبد الباسط علي محمد المقرحي وزميله المتهم للأمم المتحدة.

الفصل الرابع عشر

الديار



إن نهب أراضي السكان الأصليين، واستغلال ثروتها المعدنية وغيرها من المواد الخام، وحصر أهلها في مناطق معينة، والحد من تحركاتهم، لطالما كانت، لكن باستثناءات ملحوظة، حجارة الزاوية للاستعمار على امتداد الأرض.

مقطع مقتبس من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة.

١- *مقطع مقتبس من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة*

إن نهب أراضي السكان الأصليين، واستغلال ثروتها المعدنية وغيرها من المواد الخام، وحصر أهلها في مناطق معينة، والحد من تحركاتهم، لطالما كانت، باستثناءات ملحوظة، حجارة الزاوية للاستعمار على امتداد الأرض. كان هذا شكل الاستعمار البريطاني الذي فُرض على جنوب أفريقيا، إلى درجة أنه بعد إمرار قانون الأرض للعام ١٩١٣ من قبل الحكومة الجنوب أفريقية، امتلكت أقلية من البيض، بالكاد تبلغ ١٥ في المئة من سكان البلاد، حوالى ٨٧ في المئة من الأراضي، في حين احتلت الأغلبية من السود – الأفارقة وأصحاب البشرات الملونة والهنود - أقل من ١٣ في المئة. لقد أُجبروا على العيش رهن الفساد والفقر، أو على السعي إلى العمل لدى مزارع الأشخاص البيض والمناجم والمناطق المدينية، حينما وصل الحزب الوطني إلى السلطة العام ١٩٤٨، تصرف الأفارقة بقسوة لا تُصدق، وسعوا إلى حرمان السود حتى من أقل حقوقهم بالحصول على الأراضي التي لا يزالون يمتلكونها.

والمجتمعات الكبيرة والصغيرة، التي سكنت المناطق من غابر الزمان، حيث دُفن أسلاف أهلها وأحباؤهم، قد اقتلعت من دون رأفة من أرضها ورمي سكانها في الحقول، وتُركوا هناك ليعيلوا أنفسهم. وتم ذلك على يد مجتمع من البيض يقوده رجل دين مثقف، لكن سيئ السمعة ومن خلفوه ممن استخدموا مهاراتهم ودينهم لارتكاب شتى الفظائع التي حرّمها الله في حق الأغلبية من السود. وبرغم ذلك ادعوا بكل نفاق أنهم استلهموا مكايدهم الشريرة من الله.

(اقتباس: سول بلاتجي من قانون الأرض للعام ١٩١٣).

٢- حديث مع أحمد كاثرادا عن الضغط الذي تعرض له جراء كونه معروفاً

مانديلا: بالمناسبة، هل سبق وأخبرتك أنني ذات يوم، سرت من أسفل هيوتن إلى منزل مايكل؟ مايكل هارمل وإيلي واينبيرغ؟[١]

كاثرادا: في تلك الأيام؟

مانديلا: لا، قلت إنني سرت الأحد الفائت. سرت من أسفل هيوتن صعوداً إلى منزليهما القديمين.

كاثرادا: يا للهول!

مانديلا: لكن بالطبع بات يملك منزل مايكل شخص آخر، إلا أني أفلحت في الوصول إليه.

كاثرادا: لا يزال منزل واينبيرغ موجوداً.

مانديلا: لا يزال موجوداً.

كاثرادا: لا تزال شيلا هناك[٢].

وصلت شيلا حينما كنت هناك، لقد كانت ثمة شكوك إلا أنه بات اليوم مسيّجاً بطريقة مختلفة، بواسطة أعمدة...

كاثرادا: أجل.

مانديلا: ... وما إلى هنالك. لكني كنت واثقاً بأن هذا هو المنزل. حينما كنت لا

(١) إيلي واينبيرغ، راجعوا قسم (أشخاص وأماكن وأحداث).
(٢) شيلا واينبيرغ (١٩٤٥-٢٠٠٤). ناشطة ضد التمييز العنصري. عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية ومشرّعة في غوتينغ. ابنة إيلي واينبيرغ.

أزال هناك، أتت سيدة مسنة وقالت: لا، هذا منزل مايكل هارميل السابق، ثم انضمت إلينا شيلا أيضاً.

كاثرادا: آمل أنك كنت هناك مع عناصر الأمن.

مانديلا: أجل، كانت الشرطة وعناصر الأمن هناك.

كاثرادا: هل يبعد المكان كثيراً؟

مانديلا: استغرق الوصول إليه زهاء الساعة.

كاثرادا: إنها مسافة طويلة.

مانديلا: مسافة طويلة، لكني كنت أسير ببطء شديد، وليس في عجلة.

كاثرادا: لكن، ألا يجذب ذلك الكثير من الانتباه؟

مانديلا: يا للهول! لا تقل هذا، لا تقله.

أتعلم؟ حياتي هذه صعبة.

كاثرادا: أجل.

مانديلا: أن أكون غير قادر على فعل ما يحلو لي.

كاثرادا: أجل، إنها جد....

مانديلا: لأنني أحب التنزه سيراً على القدمين. وبات يصعب عليّ القيام بذلك. المكان هنا أفضل في ويستبروك، لأن الحديقة ذاتها...

كاثرادا: أجل، فسيحة جداً.

٣- حديث مع أحمد كاثرادا عن عناصر الشرطة

كاثرادا: هل تذكر يوم ذهبنا إلى هويك؟

مانديلا: أجل.

كاثرادا: ذاك الكولونيل الذي كان هناك، أخبرني أن فان وايك يقوم بالزراعة. حتى أنه أخبرني بمكانه، لكني نسيت الآن.

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: أجل.

مانديلا: تعرف أنه أدلى بتصريحات جيدة جداً.

كاثرادا: أجل، في صحيفة «صانداي تايمز»؟

مانديلا: أجل.

كاثرادا: قال إنه مستعد للخدمة تحت إمرة مانديلا.

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: سيشرفه أن يخدم...

مانديلا: أجل، تسرني رؤية هؤلاء الرجال. توفي ديركير، أليس كذلك؟

كاثرادا: لا، إنه حي، وبصحة جيدة. توجه صحافي ما لرؤيته.

مانديلا: حقاً؟

كاثرادا: وقال ديركير: اسمع، هل أنت عضو في «أي دبليو بي» (ويرستاندس بيويغينغ الأفريقية)؟ فأجاب الصحافي: لا.

فقال ديركير: إذاً، لا أود التكلم معك، هل هو عضو في «أي دبليو بي»؟

كاثرادا: أجل، ديركير عضو فيها.

مانديلا: هذا صحيح.

كاثرادا: إنه في أوتسهورن. تعلم بأنه من هناك.

مانديلا: هل هو يمارس الزراعة أيضاً؟ أم...

كاثرادا: لا أعلم ذلك. لكن في أوتسهورن . كان ذاك الشاب فظاً جداً.

مانديلا: يا للهول. وماذا حل بكروغر؟ هل تعرف؟

كاثرادا: لا شيء إطلاقاً. لم أسمع شيئاً عنه.

مانديلا: لا، أرغب في رؤية هذا الرجل.

كاثرادا: أجل، لقد كان شاباً محترماً جداً.

مانديلا: بكل تأكيد.

كاثرادا: أجل، سيكون لطيفاً لو يقوى المرء على أن يرى يوماً ما الأصدقاء القدامى المميزين. سيخبروننا بأماكن الأشخاص.

مانديلا: من عسانا أن نقابل؟ لأنه فعل ينمّ عن كرم أخلاق... أن تقول لهؤلاء الشبان: هل يمكننا أن نقيم حفلة شواء؟

كاثرادا: بالضبط، هذا يدور في ذهني الآن. لو أمكننا التفكير في إقامة حفلة ما

لنستضيف هؤلاء الشبان والشرطة والحراس. لو أمكننا الوصول إليهم ستكون مبادرة لطيفة جداً.

مانديلا: بالطبع. إن ذكّرتني يوم الأربعاء ففي وسعي أن أطلب إلى الجنرال فان دير ميروي، المجيء ورؤيتي، وإسدائي خدمة تعقب أثر هؤلاء الأشخاص.

كاثرادا: سيكون أمراً جيداً جداً.

مانديلا: أجل، أنا واثق بأن ديركير سيأتي.

كاثرادا: بالطبع، سيأتي.

مانديلا: وفان وايك المسن. ماذا عن الوحش سوانيبول. هل لا يزال حياً؟

كاثرادا: أجل، لا أعلم إن كنت لا تزال تذكر. جرى اجتياح للسفارة الإسرائيلية في شارع فوكس؟ في العام ١٩٦٧ أو ١٩٦٨.

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: وكان حصار.

مانديلا: أجل، هذا صحيح.

كاثرادا: حيث قام بعض الأشخاص بغزوها واحتلالها، ثم جرى تبادل لإطلاق النار، أو...

مانديلا: أجل، هذا صحيح، أذكر ذلك.

كاثرادا: كان سوانيبول مسؤولاً عن عملية الشرطة، وحُكم عليه بالسجن ٢٠ سنة أو ما شابه. تم إطلاق سراحه، وتوجه لزيارة سوانيبول الذي قال: أصبح فرداً من

العائلة... زاره كثيراً، والآن يتساءل عن سبب عدم زيارته منذ وقت طويل. ما الذي حل بذاك الشاب....

مانديلا: سيكون أمراً رائعاً لو أمكننا الاتصال بهؤلاء الشبان.

كاثرادا: أجل، وحتى سوانيبول. لمَ لا؟

مانديلا: أجل، أجل.

كاثرادا: لكن علينا التفكير في الأمر، لوجود عدائية بالغة تجاه سوانيبول.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: ثم، بالطبع ثمة عدائية تجاه عناصر شرطة آخرين قاموا بتعذيب شعبنا.

مانديلا: أجل.

كاثرادا: شاب مثل ماك (ماهاراج) على سبيل المثال. لا أعلم إن كان سيوافق على المجيء، لأن سوانيبول...

مانديلا: عذّبه؟

كاثرادا: أجل... أنديمبا (توافو جا توافو)، إلى درجة بالغة أيضاً[١].

مانديلا: أجل.

كاثرادا: زيف (موثوبينغ)[٢].

مانديلا: أجل.

(١) هيرمان أنديمبا توافو جا توافو (١٩٢٤-). مقاتل ناميبي حر. قائد في المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو) وسجين سياسي.

(٢) زيفانيا ليكوامي موثوبينغ (١٩١٣-٩٠). ناشط سياسي. رئيس الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (باك).

كاثرادا: لقد عذب الكثير من الأشخاص.

مانديلا: أجل.

٤- حديث مع أحمد كاثرادا عن المبالغة

كاثرادا: حسناً، ثم في الصفحة ١٥٦ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية»... «كانت القوى الأمنية في جنوب أفريقيا تعرف مكاني بالضبط، وهذا ما أردناه بالضبط». وفي قسم أخير من هذا الفصل تتكلم على رحلتك إلى إنكلترا، حيث لم تشأ للناس أن يعرفوا.

مانديلا: لا، هذه مبالغة. هذا ما أردناه. لم نشأ ذلك قط.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: ألغِ هذه المعلومة.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: إنها مسألة تضخيم الأشياء، حتى عندما لا تكون صحيحة، هو فعل أميركي نموذجي.

٥- حديث مع أحمد كاثرادا عن مسائل شخصية

كاثرادا: ثم في الصفحة ١١٥ من مسودة كتاب «مشوار طويل إلى الحرية» «كيف كان رد فعل ويني تجاه إعلانك رغبتك في الزواج بها. أردتها أن تتزوج بك؟ لا بد من أنها كانت تجربة مذهلة»؟

مانديلا: لا، لقد قلت لهم إنني لا أريد الخوض في المسائل الشخصية.

قل إنني أرفض الإجابة عن هذا السؤال.

لقد قلت لهم.

كاثرادا: حسناً.

مانديلا: أو قل فحسب إنني لا أذكر.

ولا أحبذ الخوض في المسألة أكثر، لأنهم قد يصوغونها بكلامهم الخاص.

كاثرادا: ثمة سؤال أخير: «كيف كان رد فعل عائلتك تجاه طلاقك وزواجك من جديد؟».

مانديلا: لا، لن أجيب عن هذا السؤال.

كاثرادا: من جديد؟

مانديلا: أجل، لن أجيب عن هذا السؤال.

٦- *من ملف شخصي: ملاحظات دوّنها في اجتماع في أروشا، تانزانيا، في خلال عملية السلام في بوروندي، ١٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٠*

يبدو أن قلة من الجهات المتفاوضة، أو ربما أحداً منها، لم يتعلم فن التسويات. فعدم مرونة بعض الأحزاب سيجعل حتماً من الصعب ضمان التسويات اللازمة للتوصل إلى اتفاق مجمع عليه. ثمة اعتقاد راسخ، يتشاطره حتى بعض المحللين السياسيين النزهاء وذوو الخبرة العالية، يفيد بأن المشكلة الحقيقية في بوروندي هي عدم وجود قيادة دينامية تفهم أهمية الوحدة الوطنية والسلام والمصالحة، معادلة تتمتع برؤية، ويؤثر فيها مقتل المدنيين الأبرياء.

لا أعلم إذا كان هذا الاعتقاد صحيحاً، أم لا. سأقرر في هذه المسألة في الوقت

الذي نواصل معاً لإيجاد معادلة من إجل إحلال السلام والاستقرار. أعتقد أن جميعكم قادرون على أن تكونوا على قدر التوقعات، وأن تواجهوا التحديات الهائلة التي تواجه بلدكم. إن حقيقة شغلكم مناصب القادة في بلادكم، مهما كانت الأخطاء التي ارتكبتموها ونقاط الضعف التي تجلت في تفكيركم وأفعالكم، تثبت أنكم جميعاً صانعو أفكار تقلقهم الأحداث المأسوية التي أدت إلى مقتل الآلاف من شعبكم.

لكن الفشل في الموافقة على الكثير من المسائل الأساسية: الانقسامات الكبيرة في منظماتكم السياسية، افتقاركم إلى الإحساس بالحاجات الملحة، في وضع يتطلب مبادرات جريئة، كلها من دون شك أمور تدينكم. التسوية هي فن القيادة، والمرء يضع تسويات مع عدوه، وليس صديقه. ويبدو بعد دراسة وضعكم أنكم جميعاً كنتم تبدون تصلباً وعدم مرونة، وتركزون على المناورة لإضعاف الثقة بأعدائكم. وبالكاد، ركز أي منكم على جذب الانتباه إلى هذه المسائل التي توحّدكم وتوحّد شعبكم.

بعد دراسة الجزء الأخير من تاريخ بلدكم، يبدو أنكم لا تعون أبداً المبادئ الأساسية التي يجدر بها تحفيز كل قائد.

أ- ثمة رجال ونساء أخيار في جميع المجتمعات. وتحديداً هناك رجال ونساء في عداد شعب الهوتو، والتوتسي، والتوا. وواجب القائد الحقيقي يتمحور حول تحديد هؤلاء الرجال والناس الأخيار، ومنحهم مهمات خدمة المجتمع.

ب- على القائد الحقيقي أن يعمل جاهداً للتخفيف من التوترات، وخصوصاً حينما يتعامل مع مسائل حساسة ومعقدة. عادة، يزدهر المتطرفون في حالة وجود توترات، وتميل العواطف الصافية إلى التغلب على صوت العقل.

ج- يستخدم القائد الفعلي كل مسألة، مهما بلغت مدى أهميتها وحساسيتها، لضمان أنه في نهاية كل خلاف، علينا أن نخرج أقوى وأكثر وحدة من ذي قبل.

د- نتوصل في النهاية في كل خلاف إلى نقطة حيث لا يكون أي حزب محقاً تماماً، أو مخطئاً تماماً. حينئذ تكون التسويات هي البديل الوحيد لأولئك الذين يرغبون بجدٍ في السلام والاستقرار.

٧- من تتمة سيرته *الذاتية* غير *المنشورة*

مسودة:

١٦-١٠-٩٨

السنوات الرئاسية.

الفصل الأول.

الرجال والنساء في جميع أنحاء العالم، على مرور السنوات، يأتون ويذهبون.

بعضهم لا يترك وراءه شيئاً، ولا حتى اسمه. فيبدو أن أياً منهم لم يوجد قط على هذه الأرض.

وبعضهم الآخر يترك وراءه شيئاً: الذكريات الدائمة للأفعال الشريرة التي اقترفها في حق غيره من الناس؛ خروقات فادحة لحقوق الإنسان، وليست محصورة باضطهاد الأقليات الإثنية واستغلالها أو العكس فحسب، بل حتى يلجأون إلى الإبادة الجماعية من أجل الحفاظ على سياساتهم الشنيعة.

إن الانحطاط الأخلاقي في بعض المجتمعات في مختلف أنحاء العالم، يكشف ذاته لدى الآخرين عبر استخدام اسم الله لتبرير اقتراف بعض الأفعال التي يدينها العالم أجمع، ويعدها جرائم ضد الإنسانية.

ومن بين الأشخاص الكثر الذين كرسوا أنفسهم على مر التاريخ للصراع من أجل

Draft. 16. 10. 98

The Presidential Years

Chapter One.

Men and women, all over the ~~years~~ world, right down the centuries, come and go.

Some leave nothing behind, not even their names. It would seem that they never existed at all.

Others do leave something behind: the haunting memory of the evil deeds they committed against other peoples; gross violation of human rights, not only limited to oppression and exploitation ~~but~~ of ethnic minorities or vice versa, but who even resort to ~~murder~~ genocide in order to maintain their ~~dominant~~ horrendous policies.

The moral decay of some communities in various parts of the world among others reveals itself in the use of the name of God to justify the maintenance of actions which are condemned by the entire world as crimes against humanity.

Among the multitude of those who have throughout history committed themselves to the struggle for justice in all its implications, are some of those who have commanded

من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة، راجعوا ص ٤٣٦ وما بعدها.

invincible liberation armies who waged stirring operations and sacrificed enormously in order to free their people from the yoke of oppression, and to better their lives by creating jobs, building houses, schools, hospitals, introducing electricity, and bringing water clean and healthy water to people especially in the rural areas. Their aim was to remove the gap between the rich and the poor, the educated and uneducated, the healthy and those afflicted by preventable diseases.

Indeed when reactionary regimes were ultimately toppled, the liberators tried to the best of their ability and within the limits of their resources to carry out these noble objectives and to introduce clean government free of all forms of corruption. Almost every member of the oppressed group was full of hope that their cherished dreams would at last be realised, that they would in due course regain the human dignity denied to them for decades and even centuries.

But history never stops to play tricks even with seasoned & world famous freedom fighters. Frequently ~~in history~~ erstwhile revolutionaries have easily succumbed to greed, and the tendency to divert public resources for

من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة، راجعوا ص ٤٣٦ وما بعدها.

إحلال العدالة مع كل تضميناتها، ثمة بعض الأشخاص الذين قادوا جيوش تحرير لا تُقهر، شنت عمليات قوية وضحت بالغالي والنفيس بغية تحرير شعوبها من نير الاضطهاد، ولتحسين حياتهم عبر خلق فرص عمل، وبناء منازل ومدارس ومستشفيات وتوفير الكهرباء، وجر المياه النظيفة والصحية للناس، خصوصاً في المناطق القروية. كان هدفهم إزالة الفجوة بين الأغنياء والفقراء، والمتعلمين والأميين، والمعافين وأولئك المصابين بأمراض يمكن درؤها.

وبالفعل، حينما سقطت أخيراً الأنظمة الرجعية، حاول المحررون بأقصى جهودهم، وضمن حدود مواردهم، تنفيذ هذه الأهداف النبيلة وتقديم حكومة نظيفة خالية من جميع أشكال الفساد. كل عضو من المجموعات المقموعة تقريباً، كان مفعماً بأمل أن أحلامه الكبيرة ستتحقق أخيراً، وأنه مع الوقت سيستعيد كرامته الإنسانية التي حُرم منها عقوداً، وحتى قروناً من الزمن.

لكن التاريخ لا يتوقف لممارسة الألاعيب حتى مع أشهر المقاتلين الأحرار وأكثرهم خبرة في العالم. في السابق، غالباً ما انزلق الثوار بكل سهولة إلى الطمع، وغلبهم الميل إلى تحويل الموارد العامة ثروات شخصية. وعبر جمع ثروات هائلة وخيانة الأهداف النبيلة التي جعلتهم مشهورين، تخلوا عن الشعب، وانضموا إلى عداد المضطهِدين السابقين الذين اغتنوا عبر سرقة أفقر الفقراء من دون رحمة أو رأفة.

ثمة احترام وإعجاب عالميان بأولئك الذين يتسمون بالتواضع والبساطة، والذين يملكون ثقة تامة بالبشر بغض النظر عن مراكزهم الاجتماعية. هؤلاء هم رجال ونساء، معروفون وغير معروفين، أعلنوا حرباً شاملة على جميع أشكال الخروقات الفادحة لحقوق الإنسان، حيثما تقع هذه الانتهاكات في العالم.

personal enrichment ultimately overwhelmed them. By amassing vast personal wealth, and by betraying the noble objectives which made them famous, they virtually deserted the masses of the people and joined the former oppressors, who enriched themselves by mercilessly robbing the poorest of the poor

There is universal respect and even admiration for those who are humble and simple by nature, and who have absolute confidence in all human beings irrespective of their social status. These are men and women, known and unknown, who have declared total war against all forms of gross violation of human rights wherever in the world such excesses occur.

They are generally optimistic, believing that, in every community in the world, there are good men and women who believe in peace as the most powerful weapon in the search for lasting solutions. The actual situation on the ground may justify the use of violence which even good men and women may find it difficult to avoid. But even in such

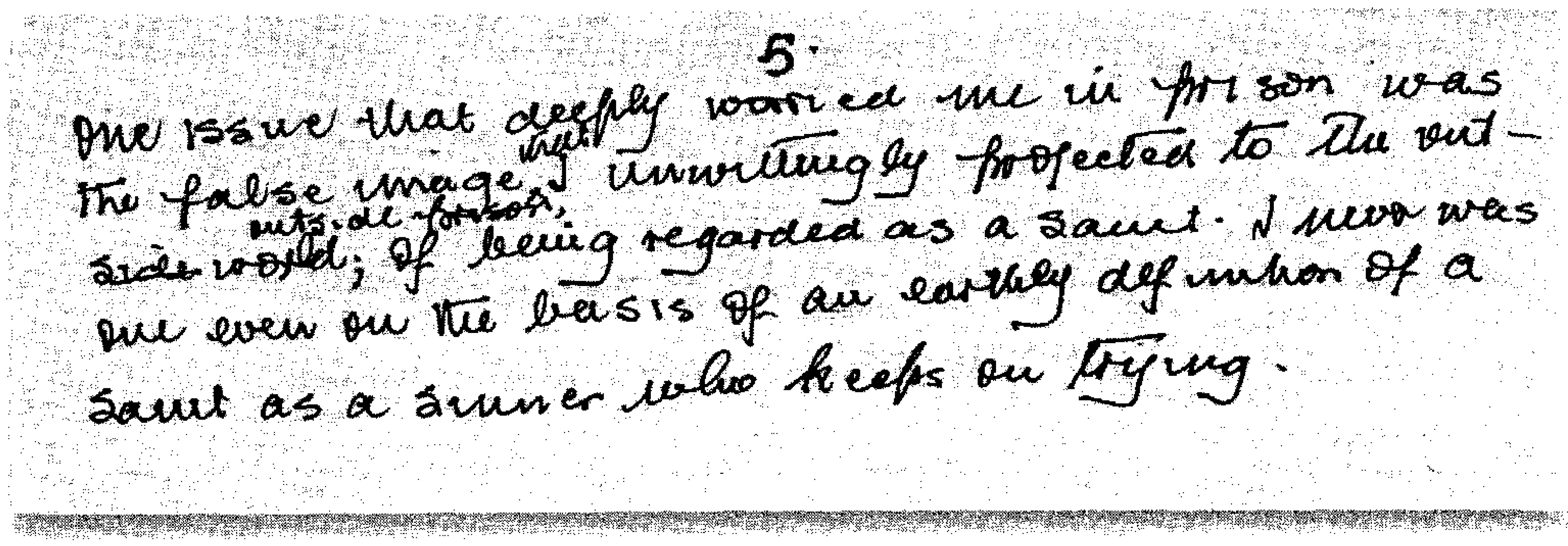
من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة، راجعوا ص ٤٣٦ وما بعدها.

cases the use of force would be an exceptional measure whose primary aim is to create the necessary environment for peaceful solutions. It is such good men and women who are the hope of the world. Their efforts and achievements are recognised beyond the grave, even far beyond the borders of their countries, ~~beyond the grave~~. They become immortal.

My general impression, after reading several autobiographies, is that an autobiography is not merely a catalogue of events and experiences in which a person has been involved, but that it also serves as some blue print on which others may well model their own lives.

This book has no such pretensions as it has nothing to leave behind. As a young man I was the combined all the weaknesses, errors and indiscretions of a country ~~lad~~ joy, whose range of vision and experience was influenced mainly by events in the area in which I grew up and the colleges to which I was sent. I was relied on arrogance in order to hide my weakness. As an adult my comrades raised me from and ~~obscurely~~ other fellow prisoners, with some significant exceptions, from obscurity to either a ~~devil~~ foggy or hero. enigma, although the aura of being one of the worlds longest serving prisoner never totally evaporated.

من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة، راجعوا ص ٤٣٦ وما بعدها.



5.
One issue that deeply worried me in prison was
the false image which I unwittingly projected to the out-
side world; of being regarded as a saint. I never was
one even on the basis of an earthly definition of a
saint as a sinner who keeps on trying.

من تتمة سيرته الذاتية غير المنشورة، راجعوا ص ٤٣٦ وما بعدها.

إنهم بشكل عام متفائلون، ويؤمنون بأنه في كل مجتمع في العالم، ثمة رجال ونساء أخيار يؤمنون بالسلام لكونه السلاح الأقوى للبحث عن حلول دائمة.

قد يبرر الوضع الفعلي على الأرض استخدام العنف الذي قد يجد الرجال والنساء الأخيار أنه يصعب تفاديه. لكن حتى في هذه الحالات، سيكون استخدام القوة وسيلة استثنائية هدفها الأساسي خلق بيئة ضرورية لحلول سلمية. هؤلاء النساء والرجال الأخيار هم أمل العالم. وتظل إنجازاتهم وجهودهم مقدّرة حتى بعد موتهم، ويصبحون خالدين حتى في بلدان بعيدة جداً عن بلادهم.

إن انطباعي العام، بعد قراءة الكثير من السير الذاتية، أن السيرة الذاتية ليست مجرد سرد للأحداث والتجارب التي خاضها الشخص، بل تخدم أيضاً مخططاً يبني وفقه الآخرون حياتهم الخاصة.

هذا الكتاب لا يحوي مثل هذه الادعاءات، إذ لم يخلّف شيئاً وراءه. في مرحلة شبابي جمعت كل نقاط الضعف والأخطاء والحماقات التي يحصيها شاب قروي في شخصه: هذا الشاب تأثر على مدى رؤيته وتجربته بالأحداث الواقعة في المنطقة التي نشأت فيها وبالمدارس التي ارتدتها. اعتمدت على التعجرف لإخفاء نقاط ضعفي. وكبالغ رفعني رفقائي أنا وغيري من الزملاء في السجن، باستثناءات بارزة،

من الظلمة، فأصبحت إما بعبعاً وإما لغزاً، برغم أن هالة كوني أحد السجناء الذين قضوا أطول فترة في السجن لم تتبخر تماماً.

ثمة مسألة معينة قضّت مضجعي كثيراً في السجن، هي الصورة المزيفة التي عكستها بدون عمد على العالم الخارجي، أن يُنظر إليّ كقديس. لم أكن قديساً قط، حتى على أساس التعريف الدنيوي للقديس الذي يفيد بأن القديس هو آثم لا ينفك يحاول.

معلومات إضافية

ملحق أ

الجدول الزمني

١٩١٨: ولد روليلاهلا مانديلا في ١٨ تموز/يوليو في مفيزو في ترانسكي، لوالديه نوسيكيني فاني ونكوسي مفاكانييسوا غادالا مانديلا.

١٩٢٥: ارتاد المدرسة الابتدائية بالقرب من قرية كونو. أعطاه معلمه اسم نيلسون.

١٩٢٧: وُضع مانديلا عقب وفاة والده، في رعاية الزعيم جونغينتابا داليندييبو، حاكم شعب الثيمبو. توجه للعيش معه في مخيكيزويني في «الموقع العظيم».

١٩٣٤: خضع لشعيرة الختان التقليدية، كطقس استهلالي لدخوله مرحلة البلوغ. ارتاد معهد كلاركبوري الداخلي في إنغكوبو.

١٩٣٧: ارتاد هيلدتاون، جامعة ويسلية في فورت بوفورت.

١٩٣٩: ارتاد جامعة أليس في فورت هير، الجامعة الوحيدة في جنوب أفريقيا الخاصة بالسود. التقى أوليفر تامبو.

١٩٤٠: طُرد من فورت هير لانخراطه في تحرك احتجاجي.

١٩٤١: هرب من زواج مدبّر، انتقل إلى جوهانسبورغ حيث وجد عملاً في مناجم

الذهب مراقباً ليلياً. التقى والتر سيسولو الذي وفر له وظيفة محام متمرن في شركة قانونية تدعى «ويتكين وسيديلسكي وإيدلمان».

١٩٤٢: واصل دراسته للحصول على درجة الإجازة بالمراسلة مع جامعة جنوب أفريقيا. بدأ يحضر اجتماعات الهيئة الأفريقية الوطنية بشكل غير رسمي.

١٩٤٣: نال درجة الإجازة وتسجل في جامعة ويتواترزراند للحصول على إجازة في الحقوق.

١٩٤٤: شارك في تأسيس رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية. تزوج بإيفلين نتوكو مايس وأنجبا ٤ أولاد: ثيمبيكيل (١٩٤٥-٦٩)، ماكازيوي (١٩٤٧) ماتت في عمر ٩ أشهر، ماكغاثو (١٩٥٠-٢٠٠٥)، ماكازيوي (١٩٥٤).

١٩٤٨: انتُخب الأمين الوطني لرابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية، والمدير التنفيذي الوطني في الهيئة الأفريقية الوطنية لمنطقة ترانسفال.

١٩٥١: اُنتخب رئيساً لرابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية.

١٩٥٢: انتُخب رئيساً للهيئة الأفريقية الوطنية في مقاطعة ترانسفال، ويعتبر أوتوماتيكياً نائب رئيس الهيئة الأفريقية الوطنية. المتحدث العام والمتطوع الوطني المسؤول في حملة التحدي، التي بدأت في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٥٢. اعتُقل عدة مرات وأمضى أياماً في السجن. دين إلى جانب ١٩ شخصاً غيره بموجب قانون قمع الشيوعية، وحُكم عليه بالسجن ٩ أشهر مع الأعمال الشاقة، وتم تعليق أعماله مدة سنتين، كما تلقى أول أمر بتقييد الحرية الذي منعه من المشاركة في أي نشاط سياسي. فتح مع أوليفر تامبو «شركة مانديلا وتامبو»، أول شراكة قانونية أفريقية في جنوب أفريقيا.

١٩٥٣: وضع «خطة مانديلا» الخاصة بالعمليات السرية المستقبلية للهيئة الأفريقية الوطنية.

١٩٥٥: تم تبني دستور الحرية في هيئة الشعب في كايتاون، وضمت مانديلا إلى جانب رفقاء آخرين، وراقبت الماجريات سراً، عن سطح متجر مجاور.

١٩٥٦: اعتقل واتهم بالخيانة إلى جانب ١٥٥ عضواً آخر من تحالف الهيئة. تواصلت المحاكمة مدة ٤ سنوات ونصف السنة.

١٩٥٨: طلّق إيفلين مايس. تزوج بنومزامو وينفريد ماديكيزيلا، وأنجبا ابنتين: زيناني (١٩٥٩) وزيندزيسوا (١٩٦٠).

١٩٦٠: عقب مجزرة شاربفيل، أعلنت الحكومة حالة طوارئ، وتم احتجاز مانديلا. في ٨ نيسان/أبريل، تم حظر الهيئة الأفريقية الوطنية والهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية.

١٩٦١: تمت تبرئته، وهو في عداد آخر مجموعة مؤلفة من ٣٠ شخصاً في المحاكمة بتهمة الخيانة العام ١٩٥٦. جميع المتهمين الآخرين سُحبت التهم الموجهة إليهم في مراحل مختلفة من المحاكمة. اتجه مانديلا في نيسان/أبريل إلى المقاومة السرية وظهر في المؤتمر الأفريقي الجامع في بيترماريتزبورغ ناطقاً أساسياً ودعا إلى عقد مؤتمر وطني لوضع دستور جديد لجنوب أفريقيا. في حزيران/يونيو تم تشكيل الجناح المسلح في الهيئة الأفريقية الوطنية، واسمه «أمخونتو وي سيزوي» (أم كاي)، وكان مانديلا أول قائد له، ونفذ في ١٦ كانون الأول/ديسمبر أول سلسلة من المتفجرات.

١٩٦٢: غادر مانديلا في كانون الثاني/يناير جنوب أفريقيا ليخضع لتدريب عسكري ولحشد الدعم للهيئة الأفريقية الوطنية . غادر البلاد سراً عبر بوتسوانا (كان اسمها آنذاك بيشوانالاند)، وعاود دخول جنوب أفريقيا من هناك في شهر تموز/يوليو. تلقى تدريباً عسكرياً في إثيوبيا والمغرب، إلى جوار الحدود مع الجزائر. بشكل إجمالي، زار ١٢ دولة أفريقية، كما أمضى أسبوعين في لندن، المملكة المتحدة، مع أوليفر تامبو. اعتقل في ٥ آب إلى جوار هويك

في كوازولو - ناتال، وحُكم عليه بالسجن ٥ سنوات في ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر بسبب مغادرته البلاد بدون جواز سفر وحث العمال على الإضراب.

١٩٦٣: تم نقل مانديلا إلى سجن جزيرة روبن في أيار/مايو قبل إعادته فجأة إلى سجن بريتوريا المركزي بعد أسبوعين. في ١١ تموز/يوليو أغارت الشركة على مزرعة ليليزليف في ريفونيا، واعتقلت جميع المسؤولين الكبار تقريباً في «أمخونتو وي سيزوي». في تشرين الأول حوكم مانديلا لقيامه بأعمال تخريبية إلى جانب ٩ آخرين في قضية عُرفت بمحاكمة ريفونيا. تم سحب التهم عن جايمس كانتور، وتمت تبرئة راستي بيرنشتاين.

١٩٦٤: في حزيران/يونيو، دين مانديلا، ووالتر سيسولو، وأحمد كاثرادا، وغوفان مبيكي، ورايموند ملابا، ودينيس غولدبيرغ، وأندرو ملانجيني، وإلياس موتسوليدا وحُكم عليهم بالسجن المؤبد. نقلوا كلهم إلى سجن جزيرة روبن ما عدا غولدبيرغ الذي قضى محكوميته في بريتوريا.

١٩٦٨: ماتت والدة مانديلا في ٢٦ أيلول/سبتمبر. وتم رفض طلبه حضور جنازتها.

١٩٦٩: قُتل ابن مانديلا البكر، ماديبا ثيمبيكيل (ثيمبي) في حادث سيارة في ١٣ تموز/يوليو. تم تجاهل رسالة مانديلا الموجهة إلى سلطات السجن التي طلب فيها الإذن بحضور جنازة ابنه.

١٩٧٥: بدأ كتابة سيرته الذاتية سراً. وكان سيسولو وكاثرادا يراجعان المسودة ويقدمان التعليقات. ويقوم ماك ماهاراج ولالو شيبا بنسخها بخط صغير، ويخبئها شيبا داخل دفاتر تمارين ماهاراج، تم تهريبها بواسطة ماهاراج حينما أطلق العام ١٩٧٦.

١٩٨٢: تم إرسال مانديلا إلى سجن بولسمور إلى جانب والتر سيسولو ورايموند ملابا وأندرو ملانجيني، وأُرسل معهم لاحقاً كاثرادا. تشاطروا زنزانة جماعية كبيرة في آخر طبقة من مبنى زنازين.

١٩٨٤: رفض عرضاً قدمه ابن أخته كاي دي ماتانزيما، رئيس ما يسمى ولاية ترانسكي المستقلة (أو البانتوستان)، ويقضي بإطلاقه إلى ترانسكي.

١٩٨٥: رفض عرض الرئيس بي دبليو بوثا بإطلاقه إن شجب العنف كاستراتيجية سياسية. في ١٠ شباط/فبراير قامت ابنته زيندزي بقراءة بيان رفضه على حشد من الناس في سويتو. في تشرين الثاني/نوفمبر، خضع مانديلا لعملية جراحية في البروستات في مستشفى فولكس. زاره في المستشفى وزير العدل كوبي كوتسي، حينما عاد إلى السجن وُضع في زنزانة منفردة. بدأ محادثات استكشافية مع أعضاء الحكومة حول خلق أجواء للمفاوضات مع الهيئة الأفريقية الوطنية.

١٩٨٨: أُقيمت في ستاد ويمبلي في لندن في المملكة المتحدة حفلة غنائية مدتها ١٢ ساعة احتفالاً بعيد مولد مانديلا السبعين، وبث في ٦٧ دولة. أصيب بالسل وأُدخل مستشفى تايغربيرغ، ثم عيادة كونستانتيابيرغ. خرج في كانون الأول/ديسمبر، ونُقل إلى سجن فيكتور فيرستر، قرب بارل.

١٩٨٩: تخرج في جامعة جنوب أفريقيا ونال إجازة في الحقوق.

١٩٩٠: رُفع الحظر عن الهيئة الأفريقية الوطنية في ٢ شباط/فبراير. وأُخرج مانديلا من السجن في ١١ شباط/فبراير.

١٩٩١: انتُخب رئيساً للهيئة الأفريقية الوطنية في أول مؤتمر وطني للهيئة في جنوب أفريقيا منذ حظرها العام ١٩٦٠.

١٩٩٣: مُنح جائزة نوبل مع الرئيس أف دبليو دي كليرك.

١٩٩٤: صوّت لأول مرة في حياته في أول انتخابات ديموقراطية في جنوب أفريقيا في ٢٧ نيسان/أبريل. في ٩ أيار/مايو انتُخب أول رئيس لدولة جنوب أفريقيا الديموقراطية، وفي ١٠ أيار تم تنصيبه رئيساً في بريتوريا. نُشر كتاب سيرته الذاتية الذي يحمل عنوان «مشوار طويل إلى الحرية».

١٩٩٦: طلق ويني مانديلا.

١٩٩٨: تزوج بغراسا ماشيل في عيد مولده الثمانين.

١٩٩٩: تنحّى عن الحكم بعد ولاية واحدة من الرئاسة.

٢٠٠١: تم تشخيص إصابته بسرطان في البروستات.

٢٠٠٤: أعلن أنه سيتنحى عن الحياة العامة.

٢٠٠٥: ماكغاثو، ثاني ابن يولد لمانديلا، توفي في كانون الثاني/يناير. يعلن مانديلا على الملأ أن ابنه توفي جراء إصابته بالأيدز.

٢٠٠٧: يشهد على تنصيب حفيده ماندلا مانديلا زعيماً لمجلس مفيزو التقليدي.

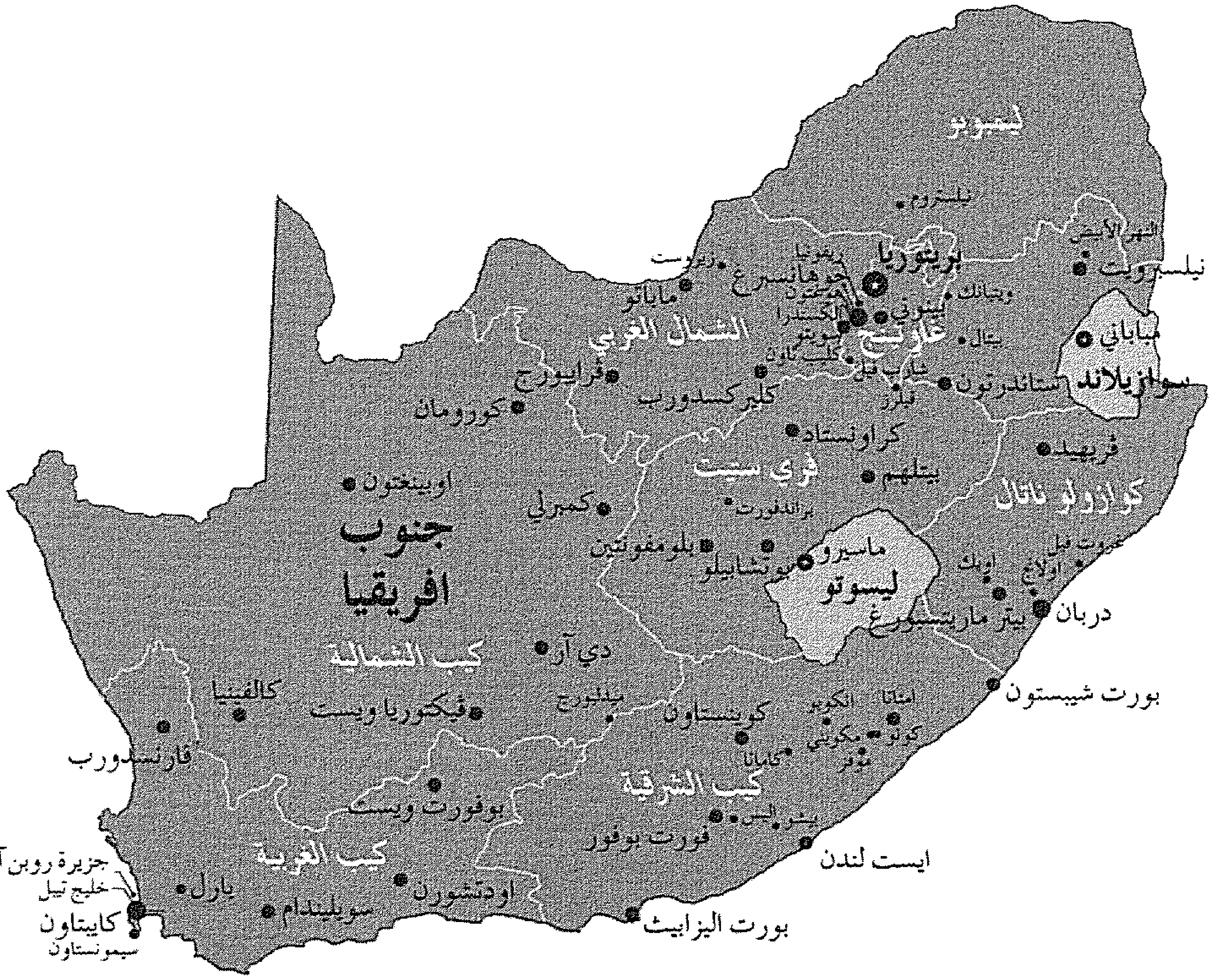
٢٠٠٨: يبلغ التسعين من عمره. يطلب إلى الأجيال الصاعدة مواصلة الكفاح من أجل العدالة الاجتماعية. ينشر مانديلا: الصورة المرخصة.

٢٠٠٩: يتم تبني عيد مولد مانديلا، ١٨ تموز/يوليو، من قبل الأمم المتحدة كاليوم الدولي لنيلسون مانديلا.

٢٠١٠: قُتلت ابنة حفيده، زيناني مانديلا، في حادث سير في حزيران/يوليو.

الملحق ب

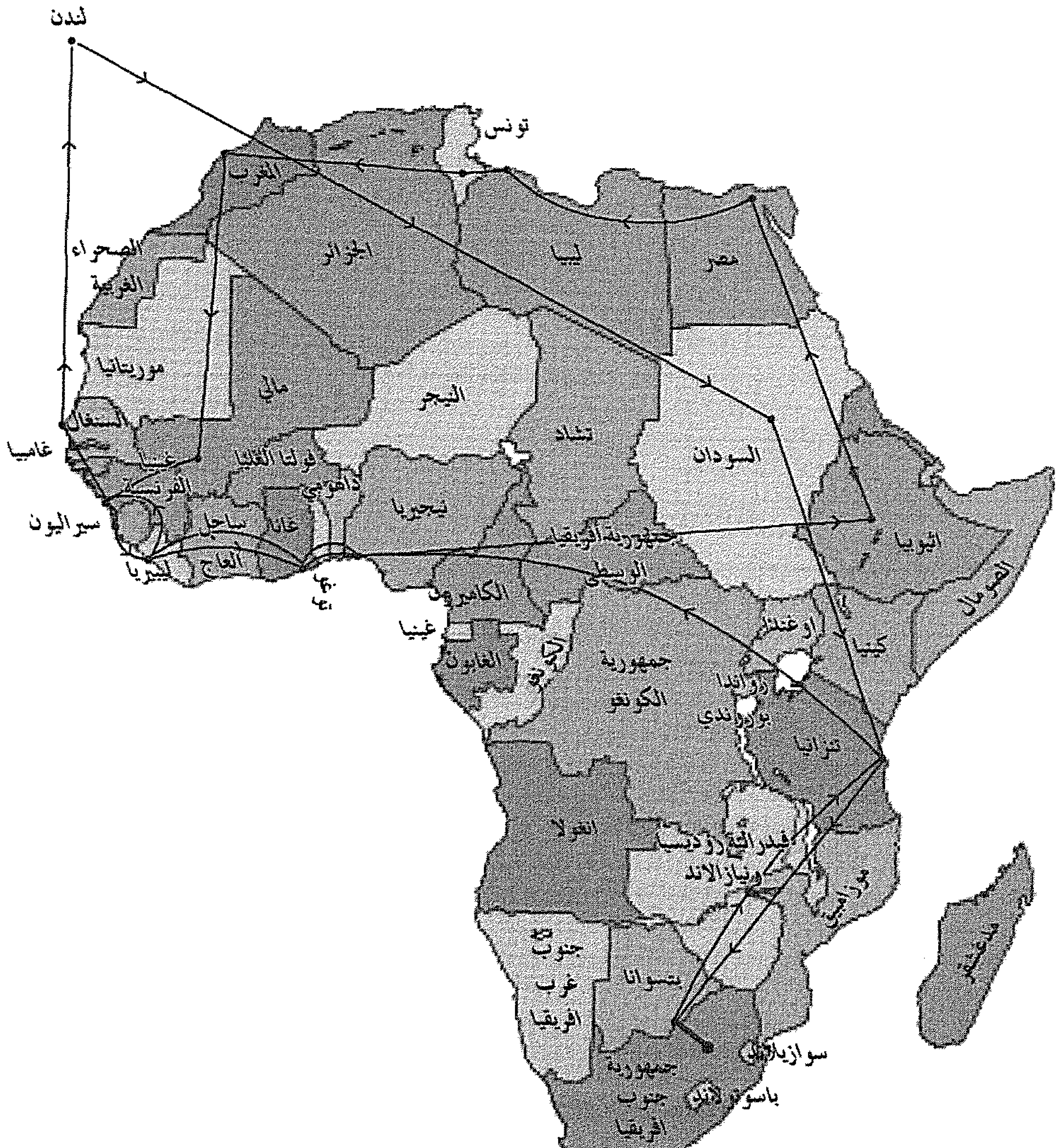
خريطة جنوب أفريقيا، حوالى العام ١٩٩٦



المقاطعة	المدينة/ البلدة/ القرية	الوصف
شرق كايب	مفيزو	مسقط رأس مانديلا
	كونو	قرية عاش فيها مانديلا حينما كان طفلاً، وبنى فيها منزلاً بعد خروجه من السجن.
	مكيزيويني	«الموقع العظيم» الذي انتقل مانديلا للعيش فيه حينما كان في حوالى سن التاسعة.
	إنغكوبو	معهد كلاركبوري الداخلي حيث نال مانديلا شهادته الابتدائية
	فورت بوفورت	درس المرحلة الثانوية في هيلدتاون.
	أليس	ارتاد جامعة فورت هير.
غوتينغ	جوهانسبورغ	انتقل إلى جوهانسبورغ في نيسان/أبريل ١٩٤١. عاش في ألكساندرا وسويتو قبل سجنه. عاش في سويتو وهيوتن بعد إطلاق سراحه. عاش في هيوتن في خلال فترة رئاسته وتقاعده.
	كليباتون	تبنت هيئة الشعب دستور الحرية عام ١٩٥٥.
	بريتوريا	سجن بريتوريا المركزي. ١٩٦٢-٦٣، ١٩٦٣-٦٤. موقع إجراء محاكمته العام ١٩٦٢ ومحاكمة ريفونيا. تم تنصيبه رئيساً العام ١٩٩٤. مكاتبه في مباني الاتحاد في خلال فترة رئاسته، ١٩٩٤-١٩٩٩.
	شاربفيل	مجزرة شاربفيل، ٢١ آذار/مارس ١٩٦٠.
	ريفونيا	مزرعة ليليزليف، المخبأ السري.
كوازولو	بيترماريتزبورغ	المؤتمر الأفريقي الجامع، ٢٢ آذار/مارس ١٩٦١
	هويك	اعتُقل، ٥ آب/أغسطس ١٩٦٢
غرب كاب	جزيرة روبن	سُجن على جزيرة روبن مدة أسبوعين من أيار/مايو ١٩٦٣، ومدة ١٨ سنة من ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٦٤ إلى ٣٠ آذار/مارس ١٩٨٢.
	كايب تاون	احتُجز في سجن بولسمور، آذار/مارس ١٩٨٢ إلى آب/أغسطس ١٩٨٨. عُولج في مستشفى تايغربيرغ، ١٩٨٨. عُولج في عيادة كونستانتيابيرغ، ١٩٨٨. مكتبه ومنزله في خلال رئاسته، ١٩٩٤-٩٩.
	بارل	احتُجز في سجن فيكتور فيرستر، من كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨ إلى ١١ شباط/فبراير ١٩٩٠.

خريطة جنوب أفريقيا، حوالى العام ١٩٦٢

خريطة تُظهر الطريق الذي سلكه نيلسون مانديلا في خلال رحلته إلى أفريقيا ولندن في المملكة المتحدة العام ١٩٦٢. زار ١٢ دولة أفريقية، التقى في خلالها القادة السياسيين في محاولة لحشد الدعم السياسي والاقتصادي لـ«أمخونتو وي سيزوي»، وخضع لتدريب عسكري في المغرب وإثيوبيا. كما أمضى أسبوعين في لندن مع أوليفر تامبو.



الدول التي زارها بحسب ترتيبها (مع مدن معينة عُرفت عنه زيارته لها)

وصل إليها في ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢.	بيشوانالاند (لوباتسي، كاسان)
وصل إليها في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢.	تانجانيقا (مبيا، دار السلام)
وصل إليها في ٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢.	نيجيريا (لاغوس)
وصل إليها في ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢.	إثيوبيا (أديس أبابا)
وصل إليها في ١٢ شباط/فبراير ١٩٦٢.	مصر (القاهرة)
وصل إليها في ٢٥ شباط/فبراير ١٩٦٢.	ليبيا (طرابلس)
وصل إليها في ٢٧ شباط/فبراير ١٩٦٢.	تونس (تونس)
وصل إليها في ٦ آذار/مارس ١٩٦٢.	المغرب (الدار البيضاء، الرباط، وجدة)
وصل إليها في ٢٨ آذار/مارس ١٩٦٢.	مالي (باماكو)
وصل إليها في ١٢ نيسان/أبريل ١٩٦٢.	غينيا الفرنسية (كوناكري)
وصل إليها في ١٦ نيسان/أبريل ١٩٦٢.	سييرا ليونا (فريتاون)
وصل إليها في ١٩ نيسان/أبريل ١٩٦٢.	ليبيريا (مونروفيا)
وصل إليها في ٢٧ نيسان/أبريل ١٩٦٢.	غانا (أكرا)
وصل إليها في ١٧ أيار/مايو ١٩٦٢.	نيجيريا (لاغوس)
وصل إليها في ٢٧ أيار/مايو ١٩٦٢ (توقف مدة ٤٥ دقيقة).	غانا (أكرا)
وصل إليها في ٢٧ أيار/مايو ١٩٦٢.	ليبيريا (مونروفيا)
وصل إليها في ٢٨ أيار/مايو ١٩٦٢.	غينيا الفرنسية (كوناكري)
وصل إليها في الأول من حزيران/يونيو ١٩٦٢.	السنغال (داكار)
وصل إليها في٧ حزيران/يونيو ١٩٦٢.	المملكة المتحدة (لندن)
وصل إليها في ١٩ حزيران/يونيو ١٩٦٢.	السودان (الخرطوم)
وصل إليها في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٦٢.	إثيوبيا (أديس أبابا)
وصل إليها العام ١٩٦٢، (التاريخ المحدد مجهول).	السودان (الخرطوم)
وصل إليها العام ١٩٦٢، (التاريخ المحدد مجهول).	تانجانيقا (دار السلام، مبيا)
وصل إليها العام ١٩٦٢ (التاريخ المحدد مجهول)	بيشوانالاند (كاني، لوباتسي)

الملحق ج

اختصارات المنظمات

المؤتمر الأفريقي الجامع	AAC
الهيئة الأفريقية الوطنية (كان اسمها SANNC قبل العام ١٩٢٣)	ANC
الرابطة النسائية في الهيئة الأفريقية الوطنية	ANCWL
رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية	ANCYL
الاتحاد الديموقراطي للشعب الأفريقي في جنوب أفريقيا	APDUSA
كونغرس الديموقراطيين	COD
مؤتمر النقابات التجارية الجنوب أفريقية	COSATU
مؤتمر الأشخاص أصحاب البشرة الملونة	CPC
الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا (أصبح اسمه SACP بعد العام ١٩٥٣)	CPSA
فيديرالية النساء الجنوب أفريقيات	FEDSAW
حزب الحرية في إنكاثا	IFP
أمخونتو وي سيزوي	MK
الجبهة المتحدة غير الأوروبية	NEUF
حركة الوحدة غير الأوروبية	NEUM
المؤتمر الهندي الناتالي	NIC
الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية	PAC
الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي (كان اسمه CPSA قبل العام ١٩٥٣)	SACP
المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات التجارية	SACTU
المؤتمر الهندي الجنوب أفريقي	SAIC
المؤتمر الناتالي القومي الجنوب أفريقي	SANNC
المؤتمر الهندي الترانسفالي	TIC
الجبهة الديموقراطية المتحدة	UDF

الملحق د

أشخاص وأماكن وأحداث

عبد الرحمن، عبد الله

(١٨٧٢-١٩٤٠). طبيب، وسياسي، ومناهض للتمييز العنصري. والد سيسي غول. أول شخص أسود يُنتخب عضواً في مجلس مدينة كايب تاون ومجلس كايب المحلي. رئيس المنظمة السياسية الأفريقية (APO). منح بعد وفاته وسام الخدمة الجليلة: من الدرجة الأولى (الذهبية)، قدمه إليه مانديلا العام ١٩٩٩، تقديراً لجهوده في مكافحة الاضطهاد العرقي.

الهيئة الأفريقية الوطنية (ANC)

تأسست الهيئة الوطنية المحلية الجنوب أفريقية (SANNC) العام ١٩١٢. أعيدت تسميتها الهيئة الوطنية الأفريقية (ANC) العام ١٩٢٣. عقب مجزرة شاربفيل في آذار/مارس ١٩٦٠، تم حظر الهيئة من قبل حكومة جنوب أفريقيا، واتجهت إلى العمل السري إلى أن رُفع الحظر عنها العام ١٩٩٠. تأسس جناحها العسكري، «أمخونتو وي سيزوي»، في العام ١٩٦١، وكان مانديلا قائداً له. أصبحت (ANC) الحزب الحاكم في جنوب أفريقيا بعد أول انتخابات ديموقراطية في البلاد في ٢٧ نيسان/أبريل ١٩٩٤.

الرابطة النسائية للهيئة الأفريقية الوطنية (ANCWL)

تأسست العام ١٩٤٨. انخرطت بشكل ناشط في حملة التحدي للعام ١٩٥٢، والحملات المناهضة لحمل التصاريح.

رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية (ANCYL)

أسسها العام ١٩٤٤ نيلسون مانديلا، وأنطون ليمبيدي، ووالتر سيسولو، وأي بي مدا، وأوليفر تامبو، كرد

فعل على نظرة الهيئة الأفريقية الوطنية الأكثر تحفظاً. تشمل نشاطاتها العصيان المدني والإضرابات احتجاجاً على نظام الفصل العنصري. تركها العديد من أعضائها، وأسسوا الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (PAC) العام ١٩٥٩. تم حظرها بين العامين ١٩٦٠ و١٩٩٠.

الاتحاد الديموقراطي للشعب الأفريقي في جنوب أفريقيا (APDUSA)

تأسس العام ١٩٦١ لمناصرة حقوق طبقات الفلاحين القرويين المقموعين، والطبقات المدينية العاملة، ولتثقيفهم سياسياً. تعاون مع حركة الوحدة غير الأوروبية (NEUM) والمؤتمر الأفريقي الجامع (AAC). قاده تاباتا إسحاق بانغاني.

ألكساندر، د. نيفيل

(١٩٣٦-). أكاديمي وناشط سياسي ومناهض للتمييز العنصري. مؤسس جبهة التحرير الوطنية (NLF) المناهضة لحكومة العزل العنصري. دين بالقيام بأعمال تخريبية العام ١٩٦٢، وسُجن على جزيرة روبن مدة ١٠ سنوات. منح جائزة لينغوا باكس لمساهمته في تقديم التعددية اللغوية في جنوب أفريقيا عقب إزالة العزل العنصري، ٢٠٠٨.

أسفات، د. زينب

(١٩٢٣-). ناشطة مناهضة للعزل العنصري. سُجنت بسبب مشاركتها في حملة المقاومة السلبية العام ١٩٤٦. أولى النساء اللواتي يُنتخبن في المجلس التنفيذي في المؤتمر الهندي الترانسفالي (TIC) العام ١٩٤٦. تم تقييد تحركها لـ٥ سنوات العام ١٩٦٣. وحينما انتهى أمر التقييد توجهت إلى لندن بتصريح مغادرة. شارك والدها إبراهيم أسفات في حملات المقاومة السلبية لغاندي. انتُخب رئيس مجلس إدارة جمعية ترانسفال البريطانية الهندية في العام ١٩١٨.

أوتشوماو (يلفظ مانديلا هذا الاسم «أوتشومايو»)

(توفي العام ١٦٦٣). قائد «الكواكوا». تعلم الإنكليزية والهولندية، وعمل مترجماً للاستعمار الهولندي لرأس الرجاء الصالح العام ١٦٥٢. تم نفيه مع اثنين من أتباعه من قبل جان فان ريبيك

إلى جزيرة روبن العام ١٦٥٨ بعد شن حرب مع المستوطنين الهولنديين. كان أول الأشخاص الذين سُجنوا على جزيرة روبن، والوحيد الذي أفلح في الهرب.

برنار، د. لوكاس (نيل)

(١٩٤٩-). أكاديمي. بروفيسور في الدراسات السياسية في جامعة ولاية أورانج فري، ١٩٧٨. رئيس دائرة الاستخبارات في جنوب إفريقيا، (١٩٨٠-٩٢). عقد اجتماعات سرية مع مانديلا في السجن تهيئة لخروجه اللاحق من حبسه وتسلمه سدة السلطة السياسية. وتضمن ذلك تسهيل اللقاءات بين مانديلا والرئيسين بي دبليو بوثا وأف دبليو دي كليرك لاحقاً. المدير العام لإدارة غرب كايب المحلية، (١٩٩٦-٢٠٠١).

برنشتاين (كنيتها قبل الزواج شوارتز)، هيلدا

(١٩١٥-٢٠٠٦). كاتبة وفنانة وناشطة ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق المرأة. الشيوعية الوحيدة التي انتُخبت لمنصب عام، في خلال تصويت محصور بالبيض. تزوجت بليونيل (راستي) بيرنشتاين. العضو المؤسس لفيديرالية النساء الجنوب أفريقيات (FEDSAW)، أول منظمة نسائية غير عرقية في جنوب أفريقيا العام ١٩٥٦، ومجلس السلام الجنوب أفريقي. عضو في رابطة النساء في (ANC). عقب محاكمة ريفونيا العام ١٩٦٤، هربت سيراً على القدمين إلى بوتسوانا، قبل الانتقال إلى لندن في المملكة المتحدة. مُنحت وسام لوثولي الفضي العام ٢٠٠٤ لمساهمتها في تحقيق المساواة بين الجنسين وقيام مجتمع حر وديموقراطي في جنوب أفريقيا.

برنشتاين، ليونيل (راستي)

(١٩٢٠-٢٠٠٢). مهندس معماري وناشط ضد التمييز العرقي. عضو بارز في الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا (CPSA). عضو مؤسس وقائد كونغرس الديموقراطيين (COD)، إحدى المنظمات المشاركة في مؤتمر الشعب العام ١٩٥٥، حيث تم تبني دستور الحرية. مُدّعىً عليه في محاكمة ريفونيا العام ١٩٥٦. بعد تبرئته في محاكمة ريفونيا هو وزوجته هيلدا، توجه إلى المنفى (عابراً سيراً على القدمين إلى بوتسوانا المجاورة). بقي عضواً بارزاً في الهيئة الأفريقية الوطنية في خلال ممارسته الهندسة المعمارية.

بيزوس، جورج

(١٩٢٨-). محام في مجال حقوق الإنسان، يوناني المولد. عضو وشريك في تأسيس مجلس المحامين المعني بحقوق الإنسان. عضو في لجنة (ANC) القانونية والدستورية. مستشار قانوني للمؤتمر الداعي إلى جنوب أفريقيا ديموقراطية (CODESA). محامي دفاع في محاكمة ريفونيا. كما مثّل نشطاء مناهضين للتمييز العرقي رفيعي المستوى، من بينهم عائلات ستيف بيكو وكريس هاني وكرادوك فور في لجنة الحقيقة والمصالحة. عيّنه مانديلا في لجنة الخدمات القضائية في جنوب أفريقيا.

حركة توعية السود

حركة مناهضة للتمييز العرقي تستهدف الشباب والعمال السود. تشجع على اعتزاز الأسود بهويته. ظهرت في منتصف الستينيات كرد فعل على الفراغ السياسي الذي أوجده التقييد المتواصل للتحركات وسجن أعضاء (ANC) و(PAC). تفرّعت من منظمة الطلاب الجنوب أفريقيين (SASO) التي قادها ستيف بيكو الذي أسس الحركة.

بوثا، بيتر ويليم (بي دبليو)

(١٩١٦-٢٠٠٦). رئيس وزراء جنوب أفريقيا، (١٩٧٨-٨٤). أول رئيس دولة تنفيذي (١٩٨٤-٨٩). قائد الحزب الوطني في جنوب أفريقيا. مناصر لنظام التمييز العنصري. العام ١٩٨٥، رفض مانديلا عرض بوثا بإطلاق سراحه شرط نبذه العنف. رفض بوثا أن يشهد في لجنة الحقيقة والمصالحة العام ١٩٩٨ حول جرائم التمييز العرقي.

بروتوس، دينيس

(١٩٢٤-٢٠٠٩). تربوي وناشط مناهض للتمييز العنصري وفي مجال حقوق الإنسان. شارك في تأسيس اللجنة الجنوب أفريقية الأولمبية غير العرقية (SANROC)، وترأسها، وهي التي أقنعت اللجان الأولمبية من دول أخرى بتعليق مشاركة جنوب أفريقيا في الألعاب الأولمبية للعامين ١٩٦٤ و١٩٦٨، وبالنتيجة طرد الدولة من الحركة الأولمبية عام ١٩٧٠. حُكم عليه بـ ١٨ شهراً سجناً مع

الأعمال الشاقة لخرقه أمر تقييد حريته. أمضى جزءاً من محكوميته في سجن جزيرة روبن. هرب من جنوب أفريقيا العام ١٩٦٦.

بوثيليزي، مانغوسوثو

(١٩٢٨-). سياسي جنوب أفريقي وأمير في شعب الزولو. عضو في (ANC) حتى تدهورت علاقته بالهيئة العام ١٩٧٩. مؤسس حزب الحرية في إنكاثا (IFP) ورئيسه العام ١٩٧٥. أبرز وزراء كوازولو. عُيّن وزيراً للشؤون الداخلية في جنوب أفريقيا، (١٩٩٤-٢٠٠٤)، وناب عن الرئيس عدة مرات في خلال فترة رئاسة مانديلا.

كاشاليا (كنيتها قبل الزواج أسفات)، أمينة

(١٩٣٠-). ناشطة في مجال حقوق المرأة ومناهضة ضد التمييز العرقي. عضو في (ANC) و(TIC). شاركت في تأسيس فيديرالية النساء الجنوب أفريقيات (FEDSAW) وأمينة صندوقها. مؤسسة اتحاد النساء التقدمي. تزوجت بيوسف كاشاليا. قيدت حريتها من العام ١٩٦٣ حتى ١٩٧٨، ومنعت من حضور المناسبات الاجتماعية أو اللقاءات السياسية، ومن دخول أي مكان تربوي أو دار نشر، كما مُنعت من مغادرة مقاطعة جوهانسبورغ.

كاشاليا، إسماعيل أحمد (مولفي)

(١٩٠٨-٢٠٠٣). ناشط ضد التمييز العرقي. عضو بارز في (ANC) و(TIC)، والمؤتمر الهندي الجنوب أفريقي (SAIC). مشارك رئيسي في حملة المقاومة السلبية العام ١٩٤٦. نائب لكبير المتطوعين «مانديلا» في حملة التحدي العام ١٩٥٢، وهو أحد الأشخاص العشرين المتهمين في محاكمة حملة التحدي. توجه إلى مؤتمر باندونغ العام ١٩٥٥ مع موزز كوتاني. هرب إلى بوتسوانا العام ١٩٦٤ وأقام مكاتب للهيئة الأفريقية الوطنية في نيودلهي. كان والده أحمد محمد كاشاليا زميلاً مقرباً إلى غاندي، وكان ضمن رئاسة مجلس الجمعية البريطانية الهندية في ترانسفال، (١٩٠٨-١٨).

كاشاليا، يوسف

(١٩١٥-٩٥). ناشط سياسي. الأمين العام للمؤتمر الهندي الجنوب أفريقي (SAIC). أخو مولفي كاشاليا. زوج أمينة كاشاليا. صدر في حقه حكم معلق بالسجن مدة ٩ أشهر في إثر تورطه في حملة التحدي العام ١٩٥٢. قيدت حريته بشكل متواصل من العام ١٩٥٣.

شيبا، إيسو (لالو)

(١٩٣٠-). ناشط مناهض للتمييز العنصري. عضو في الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي (SACP) والمؤتمر الهندي الترانسفالي (TIC). قائد فصيل في «أمخونتو وي سيزوي». عذّب على يد الشرطة الأمنية في جنوب أفريقيا، ففقد سمعه في إحدى أذنيه. عضو في القيادة الوطنية العليا الثانية في «أمخونتو وي سيزوي»، لذا حُكم عليه بالسجن ١٨ سنة، قضاها في سجن جزيرة روبن. ساعد على نسخ مسودة السيرة الذاتية لنيلسون مانديلا داخل السجن. أُطلق سراحه العام ١٩٨٢. عضو في الجبهة الديموقراطية المتحدة (UDF). نائب بين العامين ١٩٩٤-٢٠٠٤. نال وسام لوثولي الفضي العام ٢٠٠٤ لقاء مساهمته الحياتية في الكفاح لجعل جنوب أفريقيا دولة عادلة وديموقراطية وخالية من التمييز العرقي والجنسي.

كوتسي، هندريك (كوبي)

(١٩٣١-٢٠٠٠). سياسي ومحام وإداري ومفاوض جنوب أفريقي. نائب وزير الدفاع والاستخبارات الوطنية، (١٩٧٨). وزير العدل (١٩٨٠). عقد اجتماعات مع مانديلا من العام ١٩٨٥ حول خلق أجواء لإجراء محادثات بين (ANC) والحزب الوطني. انتُخب رئيساً لمجلس الشيوخ بعد أول انتخابات ديموقراطية في جنوب أفريقيا العام ١٩٩٤.

الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا (CPSA)

(راجعوا الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي)

تحالف الهيئات

تأسس في الخمسينيات وتألف من الهيئة الإفريقية الوطنية (ANC) و(SAIC)، وكونغرس

الديموقراطيين (COD)، ومنظمة أصحاب البشرة الملونة في جنوب أفريقيا (أصبحت لاحقاً تُعرف بمؤتمر الأشخاص أصحاب البشرة الملونة CPC). حينما تم تأسيس المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات التجارية (SACTU) العام ١٩٥٥، أصبح العضو الخامس في التحالف. أدى دوراً أساسياً في تنظيم مؤتمر الشعب وإعداد المواد لتضمينها دستور الحرية.

مؤتمر الشعب

أتى ثمرة حملة مدتها سنة زار فيها أعضاء تحالف الهيئات المنازل في جميع أرجاء جنوب أفريقيا، وسجلوا مطالب الناس القاضية بالحصول على جنوب أفريقيا حرة، وتم تضمينها دستور الحرية. عقد في ٢٥-٢٦ حزيران/يونيو العام ١٩٥٥ في كليبتاون، جوهانسبورغ، وحضره ٣ آلاف مندوب. تم تبني دستور الحرية في اليوم التالي من المؤتمر.

كوبر، ساثاسيفان (ساثس)

(١٩٥٠-). طبيب نفسي وناشط ضد التمييز العنصري. داعم لحملة توعية السود. أمين السر لمؤتمر الأشخاص السود، ١٩٧٢. قيدت حريته وتحركاته ضمن مقاطعة دربان مدة ٥ سنوات العام ١٩٧٣. اتُّهم بالاعتداء على شرطي في خلال تظاهرة العام ١٩٧٣. حُكم عليه بالسجن ١٠ سنوات العام ١٩٧٤ لمساعدته على تنظيم اجتماعات حاشدة تحتفل بانتصار حركة التحرير الموزامبيقية. أُطلق سراحه في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢. انتُخب نائب رئيس منظمة الشعب الآزانية (AZAPO) العام ١٩٨٣.

دادو، د. يوسف

(١٩٠٩-٨٣). طبيب وخطيب وناشط ضد التمييز العنصري. رئيس (SAIC). نائب أوليفر تامبو في المجلس الثوري في «أمخونتو وي سيزوي». رئيس مجلس إدارة (SACP)، (١٩٧٢-٨٣). عضو بارز في (ANC). سُجن أول مرة العام ١٩٤٠ بسبب نشاطاته المناهضة للحرب، ثم مدة ٦ أشهر في خلال حملة المقاومة السلبية العام ١٩٤٦. وكان من بين المتهمين العشرين في محاكمة حملة التحدي العام ١٩٥٢. انخرط في العمل المقاوم السري في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠، واتجه

إلى المنفى هرباً من التعرض للاعتقال. مُنح الوسام الأرفع في (ANC)، إيسيتوالاندوي سيبارانكو، في مؤتمر الشعب العام ١٩٥٥.

دالينديبو، الزعيم جونغينتابا

(توفي العام ١٩٤٢). زعيم شعب الثيمبو، وحاكمه أصبح الوصي على مانديلا عقب وفاة والده. انتقل مانديلا للعيش معه في «الموقع العظيم» في مخيكيزويني، حينما كان في التاسعة من عمره.

دالينديبو، الملك ساباتا جونغولانغا

(١٩٢٨-٨٦). زعيم كبير في الترانسكي، (١٩٥٤-٨٠). قائد الحزب الديموقراطي التقدمي. ابن أخي الزعيم جونغينتابا دالينديبو. هرب إلى زامبيا العام ١٩٨٠ بعد دينه بإهانة كرامة رئيس الترانسكي ماتانزيما.

دانيالز، إدوارد (إيدي؛ يناديه مانديلا بداني)

(١٩٢٨-). ناشط سياسي. عضو في حزب جنوب أفريقيا الليبيرالي. عضو في حركة المقاومة الأفريقية التي عمدت إلى تخريب أهداف لاإنسانية كموقف لها ضد الحكومة. قضى حكماً بالسجن ١٥ سنة في سجن جزيرة روبن، حيث احتُجز في القسم «ب» مع مانديلا. قيدت حريته فور خروجه العام ١٩٧٩. تلقى وسام لوثولي الفضي من الحكومة الجنوب أفريقية العام ٢٠٠٥.

دي كليرك، فريديريك ويليم (أف دبليو)

(١٩٣٦-). محام. رئيس جنوب أفريقيا (١٩٨٩-٩٤). قائد الحزب الوطني (١٩٨٩-٩٧). في شباط/فبراير من العام ١٩٩٠ رفع الحظر عن (ANC) ومنظمات أخرى، وأُطلق مانديلا من السجن. نائب رئيس مع ثامبو مبيكي في خلال رئاسة مانديلا من العام ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦. قائد الحزب الوطني الجديد، (١٩٩٧). مُنح جائزة أمير أستورياس العام ١٩٩٢ وجائزة نوبل للسلام العام ١٩٩٣ مع نيلسون مانديلا لقاء الدور الذي أداه في النهاية السلمية لحقبة التمييز العنصري.

حملة التحدي ضد القوانين الجائرة

بدأتها (ANC) في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١ وأطلقها (SAIC) في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٥٢ ضد ٦ قوانين مناهضة للتمييز العنصري. تضمنت الحملة قيام أفراد بخرق القوانين العنصرية مثل دخول أماكن مخصصة للبيض فحسب، وخرق حظر التجوال واستجداء التعرض للاعتقال. عُيّن مانديلا كبير المتطوعين الوطنيين ومولفي كاشاليا نائباً له. تم سجن أكثر من ٨٥٠٠ متطوع جراء مشاركاتهم في حملة التحدي.

دوب، جون لانغاليباليل

(١٨٧١-١٩٤٦). تربوي وناشر ومحرر ومؤلف وناشط سياسي. أول رئيس عام للمؤتمر الناتالي القومي الجنوب أفريقي (SANNC) (أُعيدت تسميته الهيئة الأفريقية الوطنية ANC العام ١٩٢٣) الذي تأسس العام ١٩١٢. أسس مدرسة الزولو الصناعية المسيحية في أولانج. أسس أول صحيفة زولو/إنكليزية اسمها «شمس ناتال» العام ١٩٠٤. معارض لقانون الأراضي العام ١٩١٣. عضو في المجلس التنفيذي في المؤتمر الأفريقي الجامع (AAC)، ١٩٣٥. صوّت مانديلا في مدرسة أولانج العام ١٩٩٤ لأول مرة في حياته، ثم زار قبر دوب ليخبره أن جنوب أفريقيا باتت حرة.

فيديرالية النساء الجنوب أفريقيات (FEDSAW)

تأسست في ١٧ نيسان/أبريل ١٩٥٤ في جوهانسبورغ كمنظمة وطنية لاعرقية. كان لها دور فاعل في الحملات المناهضة لحمل التصاريح التي أدت إلى تظاهرة تاريخية تألفت من ٢٠ ألف امرأة في ٩ آب/أغسطس ١٩٥٦ (وفي هذا اليوم يُحتفل بعيد المرأة في جنوب أفريقيا) سرن إلى مباني اتحاد الحكومة في جنوب أفريقيا في بريتوريا.

فيرست، روث

(١٩٢٥-٨٢). أكاديمية وصحافية وناشطة في مجال حقوق المرأة وضد التمييز العنصري. تزوجت بجو سلوفو، ١٩٤٩. التقت مانديلا في خلال ارتيادها لجامعة ويتواترزراند. اعتُقلت ودينت، ثم

برئت في محاكمة الخيانة. هربت إلى سوازيلاند مع أولادها في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. وُضعت في الحجز الانفرادي مدة ٩٠ يوماً العام ١٩٦٣، وهربت إلى المملكة المتحدة لدى إطلاقها. عاشت في المنفى في الموزامبيق من العام ١٩٧٧ وقُتلت بواسطة مغلف مفخخ هناك في ١٧ آب/ أغسطس ١٩٨٢.

فيشر، أبرام (برام)

(١٩٠٨-٧٥). محام وناشط سياسي وضد التمييز العنصري. قائد الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا (CPSA). عضو في كونغرس الديموقراطيين (COD). اتُّهم بالقيام بالتحريض نتيجة تورطه في إضراب عمال مناجم الأفارقة، مطالبة برواتب أفضل العام ١٩٤٦. دافع بنجاح عن مانديلا وغيره من أعضاء الهيئة الأفريقية الوطنية البارزين في محاكمة الخيانة. قاد جهة الدفاع في محاكمة ريفونيا، (١٩٦٣-٦٤). تعرض بشكل متواصل لأوامر تقييد الحرية، وحُكم عليه في العام ١٩٦٦ بالسجن المؤبد لخرقه قانون قمع الشيوعية والتآمر على إحداث أعمال تخريبية. مُنح جائزة لينين للسلام العام ١٩٦٧.

فيشر (كنيتها قبل الزواج كريغ)، سوزانا جوهانا (مولي)

(١٩٠٨-٦٤). مدرّسة وناشطة ضد التمييز العنصري. عضو في (CPSA) و(FEDSAW). تزوجت من برام فيشر العام ١٩٣٧. وفي ١٩٥٥ تم حظر مشاركتها في ٣ منظمات، وأُجبرت على الاستقالة من منصبها كأمينة سر للجمعية الجنوب أفريقية للسلام والصداقة مع الاتحاد السوفياتي. احُتجزت في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. توفيت في حادث سيارة العام ١٩٦٤ حينما كانت متوجهة إلى كايب تاون مع زوجها لحضور حفلة عيد مولد ابنتها الحادي والعشرين.

دستور الحرية

بيان مبادئ تحالف الهيئات، تبناه مؤتمر الشعب، في كليبتاون، سويتو، في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٥٥. حشد تحالف الهيئات آلاف المتطوعين من أرجاء جنوب أفريقيا لتسجيل مطالب الشعب. تبنى دستور الحرية: منح حقوق متساوية لجميع الجنوب أفريقيين بغض النظر عن العرق، توزيع الأراضي،

ظروفاً وظيفية ومعيشية أفضل، التوزيع العادل للثروة، التعليم الإلزمي، قوانين أكثر عدلاً. كان دستور الحرية وسيلة نافذة استُخدمت في الكفاح ضد التمييز العنصري.

غيرويل، جاي جاي (جايكس)

(١٩٤٦-). أكاديمي. المدير العام في مكتب الرئيس مانديلا، (١٩٩٤-٩٩). أمين السر لرئاسة الوزارة في حكومة الوحدة الوطنية، (١٩٩٤-٩٩). رئيس جامعة رودز. بروفيسور متميز في مجال الإنسانيات، جامعة غرب كايب. رئيس مجلس إدارة مؤسسة نيلسون مانديلا الوقفية.

غولدبيرغ، دينيس

(١٩٣٣-). ناشط سياسي وضد التمييز العنصري. عضو في (SACP). قائد وشريك في تأسيس (COD). ضابط تقني في «أمخونتو وي سيزوي» (MK). اعتُقل في ريفونيا العام ١٩٦٣ وقضى بالنتيجة حكماً بالسجن المؤبد في سجن بريتوريا المركزي. عاش عند إطلاقه العام ١٩٨٥ في المنفى في المملكة المتحدة ومثّل (ANC) في اللجنة المناهضة للتمييز العنصري في الأمم المتحدة. أسس جمعية heart (قلب) العام ١٩٩٥ لمساعدة الجنوب أفريقيين السود الفقراء. عاد إلى جنوب أفريقيا العام ٢٠٠٢ وعُيّن مستشاراً خاصاً لوزير الشؤون المائية والحرجية روني كاسريل.

غول، زينونيسا (سيسي)

(١٨٩٧-١٩٦٣) محامية وناشطة في مناهضة التمييز العنصري. ابنة عبد الله عبد الرحمن. مؤسّسة رابطة التحرير الوطنية (NLL) والرئيسة الأولى ورئيسة الجبهة الموحدة غير الأوروبية (NEUF) في الأربعينيات. اعتُقلت ودينت بتورطها في حملة المقاومة السلبية العام ١٩٤٦، وقُيدت حريتها العام ١٩٥٤. وفي ١٩٦٢، كانت أول امرأة سوداء تتخرج في كلية الحقوق في جنوب أفريقيا، وأول من سُميت محامية كايب. مُنحت بعد وفاتها وسام لوثولي الفضي من قبل الحكومة الجنوب أفريقية لمساهمتها المميزة في الكفاح من أجل التحرير، وفي سبيل دعمها لجعل جنوب أفريقيا دولة عادلة وديموقراطية وغير عنصرية.

هاني، ثيمبيسيل (كريس)

(١٩٤٢-٩٣). ناشط سياسي وضد التمييز العنصري. عضو في رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية (ANCYL) منذ الخامسة عشرة. كما انضم إلى الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي (SACP). عضو في (MK) وصار في النهاية قائداً لهذا الجناح. كان فاعلاً في المقاومة السرية ضمن الهيئة الأفريقية الوطنية في شرق كايب وغربها، وعاش أخيراً في المنفى حيث ظل بين صفوف «أمخونتو وي سيزوي». عاد إلى جنوب أفريقيا العام ١٩٩٠. الأمين العام لـ(SACP) منذ العام ١٩٩١. اغتيل خارج منزله في جوهانسبورغ في ١٩٩٣ على يد جانوز والوس. مُنح بعد وفاته الوسام الأرفع في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو«، العام ٢٠٠٨.

هارمل، مايكل

(١٩١٥-٧٤). صحافي، ومفكر، ونقابي، وناشط ضد التمييز العنصري. عضو بارز في (SACP) ومحرر صحيفة «الشيوعي الأفريقي». عضو في (MK). شارك في تأسيس (SACTU). شارك في تأسيس (COD). قُيدت حريته بشكل متواصل. طلب إليه (SACP) التوجه إلى المنفى العام ١٩٦٢، حيث أدى دوراً بارزاً في (SACP) و(ANC) و(MK).

هيبيل، بوب

(١٩٣٤-). محام وأكاديمي وناشط ضد التمييز العنصري. عضو في (SACTU) و(COD). مثّل مانديلا العام ١٩٦٢ عقب اعتقاله جراء مغادرته البلاد بشكل غير شرعي، لتحفيز العمال على الإضراب. اعتُقل في مزرعة ليليزليف العام ١٩٦٣، لكن أُسقطت التهم شرط مثوله كشاهد للدولة. من ثم هرب من جنوب أفريقيا. رُفع إلى رتبة فارس العام ٢٠٠٤.

هودجسون، جاك

(١٩١٠-٧٧). ناشط ضد التمييز العنصري. عضو في (SACP). أمين السر الوطني لفيلق سبرينغبوك، منظمة مناهضة للفاشستية، خصوصاً المحاربين القدامى في الحرب العالمية الثانية. شارك في تأسيس كونغرس الديموقراطيين (COD) وأول أمين سر له. شارك في تأسيس (MK). ساعد على تدريب جنود (MK). قيدت الحكومة العنصرية تحركاته. دين في محاكمة الخيانة. أُدرج كمتآمر شريك من جملة الاتهامات الموجهة في محاكمة ريفونيا.

جابافو، دايفيدسون دون تينغو

(١٨٨٥-١٩٥٩). أكاديمي وشاعر وسياسي وناشط سياسي ومناهض للتمييز العنصري. ابن جون تينغو جابافو. أول بروفيسور أسود في جامعة فورت هير، أليس. رئيس المؤتمر الأفريقي الجامع (AAC)، أُسس العام ١٩٣٥، معارضةً لتشريعات العزل العنصري. تربوي وشريك في تأسيس (SANNC) الذي سُمي لاحقاً (ANC) العام ١٩٢٣.

جابافو، جون تينغو

(١٨٥٩-١٩٢١). أكاديمي ومؤلف ومحرر صحافي وناشط سياسي. والد دايفدسون دون تينغو جابافو. أسس أول صحيفة يملكها أسود واسمها «رأي السود» العام ١٨٨٤. ساعد على تأسيس الجامعة القومية الجنوب أفريقية (جامعة فورت هير) العام ١٩١٦. مُنح بعد وفاته وسام لوثولي الذهبي.

جوزيف (كنيتها قبل الزواج فينيل)، هيلين

(١٩٠٥-٩٢). مدرّسة وعاملة اجتماعية وناشطة في مجال حقوق المرأة وضد التمييز العنصري. عضو مؤسّسة (COD). أمينة السر الوطنية لـ(FEDSAW). المنظمة الأساسية للتظاهرة النسوية التي تألفت من ألفي امرأة، وسارت إلى مباني الاتحاد في بريتوريا. متهَمَة في محاكمة الخيانة العام ١٩٥٦. وُضعت في الإقامة الجبرية داخل منزلها العام ١٩٦٢. ساعدت على الاعتناء بزيندزي وزيني مانديلا حينما كان والداهما مسجونين. منحت أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو«، العام ١٩٩٢.

كانتور، جايمس

(١٩٢٧-٧٥). محام. على الرغم من أنه لم يكن عضواً في (ANC)، أو (MK)، إلا أنه حوكم في ريفونيا، ربما لأن أخا زوجته وشريكه في الأعمال هو هارولد وولب. اعتُقل في مزرعة ليليزليف فارم. ثم بُرّئ، وهرب من جنوب أفريقيا.

كاثرادا، أحمد محمد (كاثي)

(١٩٢٩-). ناشط ضد التمييز العنصري، سياسي، سجين سياسي، ونائب. عضو بارز في (ANC)، وفي (SACP). عضو مؤسّس لرابطة المتطوعين الهندية الترانسفالية وخليفتها هيئة الشبيبة الهندية الترانسفالية. سُجن شهراً واحداً العام ١٩٤٦ لمشاركته في حملة المقاومة السلبية التي قام بها (SAIC) ضد قانون التمثيل الهندي وامتلاك الآسيويين الأراضي. دين لمشاركته في حملة التحدي العام ١٩٥٢. قيدت حريته في ١٩٥٤. شارك في تنظيم مؤتمر الشعب، وعضو في لجنة الأهداف العامة في تحالف الهيئات. احتجز في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. أحد آخر ثلاثين متهماً في محاكمة ريفونيا، بُرِئ العام ١٩٦١. وُضع في الإقامة الجبرية في منزله العام ١٩٦٢. اعتُقل في مزرعة ليليزليف في تموز/يوليو من العام ١٩٦٣ واتهم بقيامه بأعمال تخريبية في محاكمة ريفونيا. سُجن على جزيرة روبن، (١٩٦٤-٨٢)، ثم في سجن بولسمور إلى أن أُطلق في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩. نائب من العام ١٩٩٤، بعد أول انتخابات ديموقراطية في جنوب أفريقيا، ومستشار سياسي للرئيس مانديلا. رئيس مجلس إدارة جمعية روبن آبلاند، (١٩٩٤-٢٠٠٦). منح وسام «إيسيتوالاندوي سيبارانكو»، أرقى وسام في (ANC) العام ١٩٩٢، وجائزة برافاسي باراتيا سامان من رئيس الهند، وعدة شهادات دكتوراه فخرية.

كواكوا

السكان الأصليون في جنوب أفريقيا. كان شعب الكواكوا من الرعاة يعتمدون في معيشتهم على الماشية والأغنام.

كوتاني، موزز

(١٩٠٥-٧٨). ناشط سياسي وضد التمييز العنصري. الأمين العام لـ(SACP)، (١٠٣٩-٧٨). أمين الصندوق العام لـ(ANC)، (١٩٦٣-٧٣). مدَّعى عليه في محاكمة الخيانة العام ١٩٥٦. أحد الأشخاص العشرين المتهمين في محاكمة حملة التحدي. حضر العام ١٩٥٥ مؤتمر باندونغ في إندونيسيا. احتُجز في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠، ثم وُضع في الإقامة الجبرية في منزله. توجه للعيش في المنفى العام ١٩٦٣. مُنح وسام «إيسيتوالاندوي سيبارانكو»، أرقى وسام في (ANC) العام ١٩٧٥.

كروغر، جايمس (جيمي)

(١٩١٧-٨٧). سياسي. وزير العدل والشرطة، (١٩٧٤-٧٩). رئيس مجلس الشيوخ، (١٩٧٩-٨٠). عضو في الحزب الوطني. أشار بشكل شائن إلى أن موت ستيف بيكو في سجنه العام ١٩٧٧ جعله «بارداً».

لوثولي، الزعيم ألبرت جون مفومبي

(١٨٩٨-١٩٦٧). مدرّس وناشط ضد التمييز العنصري وكاهن. رئيس محمية غروتفيل. الرئيس العام لـ (ANC)، (١٩٥٢-٦٧). وُضع في الإقامة الجبرية من العام ١٩٥٣ في منزله بفعل أوامر حظر من الحكومة. مدعى عليه العام ١٩٥٦ في محاكمة الخيانة. حُكم عليه بالسجن مدة ٦ أشهر (عُلق الحكم) العام ١٩٦٠ بسبب إحراق تصريحه علناً، والمطالبة بإقامة يوم حداد وطني على مجزرة شاربفيل. مُنح جائزة نوبل العام ١٩٦٠ على دوره اللاعنفي في الصراع ضد التمييز العنصري. مُنح وسام «إيسيتوالاندوي سيبارانكو»، أرقى وسام في الهيئة الأفريقية الوطنية عام ١٩٥٥ في مؤتمر الشعب.

ماشيل، غراسا (كنيتها قبل الزواج سيمبين)

(١٩٤٥-) مدرّسة موزامبيقية، ناشطة في مجال حقوق الإنسان، مناصرة دولية لحقوق الأطفال والنساء وسياسية. تزوجت بنيلسون مانديلا في تموز/يوليو ١٩٩٨. أرملة الرئيس الموزامبيقي سامورا ماشيل (توفي العام ١٩٨٦). عضو في جبهة التحرير الموزامبيقية التي حاربت لأجل نيل الاستقلال عن البرتغال العام ١٩٧٦، ونالته. وزيرة التعليم والثقافة في الموزامبيق بعد الاستقلال. من بين عدة جوائز، تلقت ميدالية نانسن من الأمم المتحدة لقاء عملها الإنساني الطويل خصوصاً مع الأطفال اللاجئين.

ماديكيزيلا - مانديلا، نومزامو وينفريد (ويني)

(١٩٣٦-). عاملة اجتماعية وناشطة في مجال حقوق المرأة وضد التمييز العنصري. عضو في (ANC). تزوجت بنيلسون مانديلا، ١٩٥٨-٩٦ (انفصلا العام ١٩٩٢). والدة زيناني وزيندزيسوا مانديلا. أول مساعدة اجتماعية طبية سوداء كفؤة في مستشفى باراغواناث في جوهانسبورغ.

وُضعت في الحجز الانفرادي مدة ١٧ شهراً العام ١٩٦٩. وُضعت في الإقامة الجبرية في منزلها من العام ١٩٧٠، وخضعت لمجموعة من أوامر تقييد الحرية من العام ١٩٦٢ حتى ١٩٨٧. أسست اتحاد النساء السوداوات العام ١٩٧٥ وجمعية الأهالي السود العام ١٩٧٦ استجابة لانتفاضة سويتو. رئيسة الرابطة النسائية في (ANC)، (١٩٩٣-٢٠٠٣). نائب عن (ANC).

ماهاراج، ساتياندرانات (ماك)

(١٩٣٥-). أكاديمي وسياسي وناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي ونائب. عضو بارز في (ANC) و(SACP) و(MK). اتُهم بالقيام بأعمال تخريب العام ١٩٦٤ وحُكم عليه بالسجن ١٢ سنة قضاها في سجن جزيرة روبن. ساعد على النسخ سرياً لسيرة مانديلا الذاتية «مشوار طويل إلى الحرية» وهرّبها إلى خارج السجن حينما أُطلق العام ١٩٧٦. ترأس عملية فولينذليلا (فولا)، وهي عملية مقاومة تابعة لـ (ANC)، هدفت إلى تأسيس قيادة سرية داخلية. شارك في أمانة السر (CODESA). وزير النقل (١٩٩٤-٩٩). مبعوث للرئيس جايكوب زوما.

ماكي

(راجعوا مانديلا، ماكازيوي).

ماكويتو، كلارنس

(١٩٢٨-). سياسي وناشط ضد التمييز العنصر وسجين سياسي. عضو في رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية. شارك في تأسيس الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية، وأصبح لاحقاً رئيساً لها. اتُّهم بمناصرة أهداف الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية العام ١٩٦٣ وحُكم عليه بالسجن ٥ سنوات. بعد إطلاقه من سجن جزيرة روبن، تمت مرافقته إلى ترانسكي، لكن قريبه كاي دي ماتانزيم نفاه العام ١٩٧٩. أول رئيس للحركة المؤيدة للشؤون الأفريقية (PAM)، المنظمة الطليعية للهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (PAC)، (١٩٨٩). نائب عقب انتخابات العام ١٩٩٤ الديموقراطية. حائز وسام لوثولي الفضي.

مانديلا، إيفلين نتوكو

(راجعوا مايز، إفلين نتوكو).

مانديلا، ماديبا ثيمبيكيل (ثيمبي)

(١٩٤٥-٦٩). الابن البكر لمانديلا من زوجته الأولى، إفلين. توفي جراء حادث سير.

مانديلا، ماكازيوي

(١٩٤٧). المولودة الثانية لمانديلا من زوجته الأولى، إفلين.

مانديلا، ماكازيوي (ماكي)

(١٩٥٤-)، الإبنة التي وُلدت ثانياً من زوجته الأولى إيفلين.

مانديلا، ماكغاثو (كغاثو)

(١٩٥٠-٢٠٠٥). المولود الثاني لمانديلا من زوجته الأولى إفلين. محام. توفي جراء تعقيدات ناجمة عن إصابته بالأيدز في ٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥ في جوهانسبورغ عقب وفاة زوجته الثانية زوندي مانديلا جراء إصابتها بذات الرئة نتيجة إصابتها بالأيدز في تموز/يوليو ٢٠٠٣.

مانديلا، نكوسي مفاكانييسوا غادلا

(توفي العام ١٩٢٧). زعيم ومستشار وناصح. متحدر من آل إكزيبا. والد مانديلا. حرم من زعامته على القبيلة جراء خلاف مع حاكم أبيض محلي.

مانديلا، نوسيكيني فاني

(توفيت العام ١٩٦٨). والدة مانديلا. الزوجة الثالثة لنكوسي مفاكانييسوا غادلا مانديلا.

مانديلا، ويني

(راجعوا ماديكيزيلا - ماندي، نومزامو وينفريد)

....

ماندي، زيناني (زيني)

(١٩٥٩-). أول مولودة لماندي من زوجته الثانية ويني.

....

ماندي، زيندزيسوا (زيندزي)

(١٩٦٠-). المولودة الثانية لماندي من زوجته الثانية ويني.

....

ماركس، جون بيفر (جاي بي)

(١٩٠٣-١٩٧٢). سياسي وناشط ضد التمييز العنصري ونقابي. رئيس (ANC) الوطنية في ترانسفال. رئيس مجلس إدارة (SACP). دين بموجب قانون قمع الشيوعية. رئيس مجلس ترانسفال للنقابات غير الأوروبية. رئيس نقابة عمال المناجم الأفارقة (AMWU). نظم العام ١٩٤٦ إضراب عمال المناجم الأفارقة. أوفدته (ANC) للانضمام إلى مقار البعثة الخارجية في تانزانيا العام ١٩٦٣.

....

مايز، إيفلين نتوكو

(١٩٢٢-٢٠٠٤). ممرضة. تزوجت بنيلسون ماندي، ١٩٤٤-٥٧. والدة ماديبا ثيمبيكيل (١٩٤٥-٦٩)، وماكازيوي (١٩٤٧) التي توفيت وهي ذات تسعة أشهر، وماكغاثو (١٩٥٠-٢٠٠٥)، وماكازيوي (١٩٥٤-). نسيبة والتر سيسولو الذي كان أول من عرّفها إلى ماندي. تزوجت برجل أعمال سويتي متقاعد، سيمون راكيبايل العام ١٩٩٨.

....

ماتانزيما، كايسر داليوونغا (كاي دي)

(١٩١٥-٢٠٠٣). زعيم ثيمبو وسياسي. ابن أخت ماندي. عضو في مجلس ترانسكي الإقليمي المتحد، ١٩٥٥. وعضو تنفيذي في سلطة ترانسكي الإقليمية، (١٩٥٦). وزير بارز لمنطقة ترانسكي، (١٩٦٣). أسس وقاد حزب الاستقلال الوطني الترانسكي مع أخيه جورج ماتانزيما. أول

رئيس وزراء لبانتوستان الترانسكي حينما حاز الاستقلال الاسمي العام ١٩٧٦. رئيس ترانسكي، (١٩٧٩-٨٦).

ماثيوز، بروفيسور زكريا كيوديرلانغ (زد كاي)

(١٩٠١-١٩٦٨). أكاديمي وسياسي وناشط ضد التمييز العنصري. عضو في (ANC). أول جنوب أفريقي أسود يحوز درجة بكالوريوس من مؤسسة تعليمية جنوب أفريقية، (١٩٢٣). أول جنوب أفريقي أسود يحوز شهادة بكالوريوس في القانون في جنوب أفريقيا، (١٩٣٠). وضع مفهوم كونغرس الشعب ودستور الحرية. عقب مجزرة شاربفيل، نظم مع الزعيم ألبرت لوثولي، حملة «ابقوا بعيداً»، وهي يوم حداد وطني، في ٢٨ آذار/مارس ١٩٦٠. تقاعد العام ١٩٦٥ في بوتسوانا، وأصبح سفيرها إلى الولايات المتحدة.

مبيكي، آرتشيبالد مفوييلوا غوفان (اسم العشيرة، زيزي)

(١٩١٠-٢٠٠١). مؤرخ وناشط ضد التمييز العنصري. عضو بارز في (ANC) و(SACTU). شارك في القيادة العليا لـ»أمخونتو وي سيزوي». والد ثابو مبيكي (رئيس جمهورية جنوب أفريقيا، ١٩٩٩-٢٠٠٨). دين في محاكمة ريفونيا وحُكم عليه بالسجن المؤبد. أُطلق من سجن جزيرة روبن العام ١٩٨٧. شارك في مجلس الشيوخ التالي لحقبة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، (١٩٩٤-١٩٩٧)، نائباً لرئيس المجلس وفي مجلس المقاطعات الوطني، (١٩٩٧-٩٩). منح أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو«، العام ١٩٨٠.

مبيكي، مفوييلوا ثابو

(١٩٤٢-). سياسي وناشط ضد التمييز العنصري. رئيس جنوب أفريقيا، (١٩٩٩-٢٠٠٨). نائب الرئيس، (١٩٩٤-٩٩). ابن غوفان مبيكي. انضم إلى رابطة الشباب في الهيئة الأفريقية الوطنية العام ١٩٥٦ في سن الرابعة عشرة. غادر جنوب أفريقيا مع طلاب آخرين العام ١٩٦٢. برز سريعاً في صفوف (ANC) في المنفى، وخضع لتدريب عسكري في الاتحاد السوفياتي. عمل عن كثب مع أو آر تامبو، وقاد بعثة (ANC) التي عقدت محادثات سرية مع الحكومة الجنوب إفريقية،

مشاركاً في جميع الاتصالات اللاحقة مع الحكومة الجنوب أفريقية. كان رئيساً لـ(ANC)، (١٩٩٧-٢٠٠٧).

مير، بروفيسورة فاطمة

(١٩٢٨-٢٠١٠). كاتبة وأكاديمية وناشطة ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق المرأة. تزوجت بإسماعيل مير، (١٩٥٠). أسست لجنة المقاومة السلبية الطالبية دعماً لحملة المقاومة السلبية العام ١٩٤٦ ضد التمييز العنصري. عضو مؤسسة لفيديرالية النساء الجنوب أفريقيات. أول امرأة سوداء تعين محاضرة في جامعة جنوب أفريقية خاصة بالبيض (جامعة ناتال) (١٩٥٦). قيدت حريتها من العام ١٩٥٣، ونجت من محاولة اغتيال. اعتنقت أيديولوجية نشر الوعي بين عداد السود. أسست معهد البحوث للأشخاص السود (IBR)، (١٩٧٥). أول رئيسة لفيديرالية النساء السوداوات، التي أُسّست عام ١٩٧٥. مؤلفة كتاب «أكبر من الأمل» الذي نُشر العام ١٩٨٨، أول سيرة ذاتية مرخص لها لمانديلا.

ملابا، رايموند (اسم العشيرة، ندوبي)

(١٩٢٠-٢٠٠٥). ناشط ضد التمييز العنصري وسياسي ودبلوماسي وسجين سياسي. عضو بارز في (ANC) و(SACP) وقائد في (MK). اعتُقل العام ١٩٦٣ في ريفونيا، وحُكم عليه بالسجن المؤبد في محاكمة ريفونيا. سُجن على جزيرة روبن إلى أن نُقل إلى سجن بولسمور العام ١٩٨٢. أُطلق العام ١٩٨٩. انخرط في المفاوضات التي جرت مع حكومة الحزب الوطني التي أدت إلى إحلال الديمواقراطية في جنوب أفريقيا. عضو في اللجنة التنفيذية الوطنية في (ANC)، (١٩٩١). رئيس وزراء إيسترن كايب، (١٩٩٤). المفوض الجنوب أفريقي الأعلى إلى أوغندا، (١٩٩٧). منح أرقى وسام في الهيئة الأفريقية الوطنية، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٩٢.

أم كاي MK

(راجعوا «أمخونتو وي سيزوي»)

مكوايي، زيماسيل ويلتون (اسم العشيرة، مبونا. لقبه، بري بري)

(١٩٢٣-٢٠٠٤). نقابي وناشط سياسي وسجين سياسي. عضو في (ANC) و(SACTU). منظم نقابي لعمال النسيج الأفارقة في بورت إليزابيث. متطوع في حملة التحدي العام ١٩٥٢، ونشط لاحقاً في حملة دعم كونغرس الشعب. هرب في خلال محاكمة الخيانة العام ١٩٥٦ وتوجه إلى ليسوتو. انضم إلى (MK) وخضع للتدريب العسكري في جمهورية الصين الشعبية. أصبح قائد «أمخونتو وي سيزوي» بعد الاعتقالات في مزرعة ليليزليف. دين وحُكم عليه بالسجن المؤبد في ما عُرف بـ«محاكمة ريفونيا الصغيرة». أمضى محكوميته في سجن جزيرة روبن. أُطلق في تشرين الأول عام ١٩٨٩. انتُخب في مجلس الشيوخ في البرلمان الوطني العام ١٩٩٤، ثم بعث إلى الهيئة التشريعية الإقليمية في إيسترن كايب حيث عمل إلى أن تقاعد من الحياة العام ١٩٩٩. منح أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٩٢.

ملانجيني، أندرو موكيتي (اسم العشيرة، موكوتلوانا. لقبه، مباندلا)

(١٩٢٦-). ناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي ونائب. عضو في (ANCYL) و(ANC) و(MK). دين في محاكمة ريفونيا العام ١٩٦٣، وحُكم عليه بالسجن المؤبد. سُجن مدة ١٨ سنة في سجن جزيرة روبن ثم نُقل إلى سجن بولسمور العام ١٩٨٢. منح أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٩٢.

مومباثي، روث سيغوموتسي

(١٩٢٥-). ناشطة ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق المرأة، نائبة، سفيرة ومحافظة. عاملة طباعة في شركة المحاماة التابعة لمانديلا وأوليفر تامبو في جوهانسبورغ، (١٩٥٣-٦١). عضو في الهيئة الأفريقية الوطنية. رئيسة قسم النساء في (ANC) في تانزانيا. رئيسة مجلس الشؤون الدينية في (ANC). عضو مؤسسة في فيديرالية النساء الجنوب أفريقيات. سفيرة جنوب أفريقيا إلى سويسرا، (١٩٩٦-٢٠٠٠). محافظة فريبورغ/ناليدا، المقاطعة الشمالية الغربية.

مولا، موسى محمد (موزي)

(١٩٣٤-). ناشط ضد التمييز العنصري ودبلوماسي. عضو في مؤتمر الشباب الهندي الترانسفالي (TIYC) والمؤتمر الهندي الترانسفالي. موظف بدوام كامل في مجلس العمل الوطني لكونغرس الشعب. من بين آخر ٣٠ متهماً في محاكمة الخيانة بين العامين ١٩٥٦ و٦١. احتُجز ووُضع في الحجز الانفرادي بموجب قانون (٩٠ يوماً) العام ١٩٦٣. سُجن لكنه أفلح في الهروب عبر رشوة حارس شاب اسمه جوهانس غريف وهرب عبر الحدود إلى تانزانيا. أصبح العام ١٩٧٢ أبرز ممثل لـ (ANC) في الهند. في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩، عين ممثلاً لدى مجلس السلام العالمي. من العام ١٩٩٠، عمل في مديرية الشؤون الدولية في جنوب أفريقيا التابعة (ANC). كان أول سفير جنوب أفريقي إلى إيران، ثم المفوض الأعلى في الباكستان إلى أن تقاعد العام ٢٠٠٤.

موروكا، د. جايمس سيبي

(١٨٩٢-١٩٨٥). طبيب وسياسي وناشط ضد التمييز العنصري. رئيس الهيئة الأفريقية الوطنية، (١٩٤٩-٥٢). دين في محاكمة حملة التحدي العام ١٩٥٢. خلال المحاكمة عيّن محاميه الخاص، عزل نفسه عن (ANC) والتمس تخفيف العقوبة. ونتيجة ذلك لم يُعَد انتخابه كرئيس لـ (ANC)، وحل محله الزعيم لوثولي.

موتسوليدا، إلياس (اسم العشيرة، موكوني)

(١٩٢٤-٩٤). نقابي، وناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي. عضو في و (ANC) ومجلس النقابات غير الأوروبية. قيدت حريته بعد حملة التحدي العام ١٩٥٢. ساعد على تأسيس (SAC-TU) التجارية العام ١٩٥٥. سُجن مدة ٤ أشهر في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠، وسُجن ثانية بموجب قوانين الاحتجاز تسعين يوماً عام ١٩٦٣. حُكم عليه بالسجن المؤبد في محاكمة ريفونيا وسُجن على جزيرة روبن من العام ١٩٦٤ إلى ١٩٨٩. انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية الوطنية في (ANC) عقب إطلاقه. منح أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٩٢.

نيكر، د. غانغاثورا موهامبري (مونتي)

(١٩١٠-٧٨). طبيب وسياسي وناشط ضد التمييز العنصري. شارك في تأسيس مجلس مناهضة العزل العرقي، وأول رئيس مجلس إدارة له. رئيس المؤتمر الهندي الناتالي، (١٩٤٥-٦٣). موقّع ميثاق الأطباء في آذار/مارس ١٩٤٧، بيان تعاون بين (ANC) و(TIC) و(NIC)، الذي وقعه أيضاً د. ألبرت زوما (رئيس (ANC)) ود. يوسف دادو (رئيس (NIC)).

نير، بيلي

(١٩٢٩-٢٠٠٨). سياسي وناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي ونائب. عضو في (ANC) و(NIC) و(ACP) و(ACTU) و(MK). اتُّهم بالقيام بأعمال تخريب العام ١٩٦٣ وسُجن على جزيرة روبن مدة ٢٠ عاماً. انضم إلى الجبهة الديموقراطية المتحدة عقب خروجه من السجن. اعتُقل العام ١٩٩٠ واتُّهم بضلوعه في عملية فولا. نائب في جنوب أفريقيا الديموقراطية الجديدة.

الحزب الوطني

حزب سياسي محافظ جنوب إفريقي أُسّس في بلومفونتين العام ١٩١٤ من قبل وطنيين أفارقة. الحزب الحاكم في جنوب أفريقيا، حزيران/يونيو ١٩٤٨ إلى أيار/مايو ١٩٩٤. طبق نظام التمييز العنصري، وهو نظام عزل عرقي مشرّع أعطى أفضلية لحكم الأقلية من السكان البيض. حُلّ العام ٢٠٠٤.

ندوبي

(راجعوا ملابا، رايموند)

نغويي، ليليان ماسيديبا

(١٩١١-٨٠). سياسية وناشطة ضد التمييز العنصري، وفي مجال حقوق المرأة وخطيبة. عضو بارز في (ANC). أول امرأة تُنتخب في اللجنة التنفيذية لـ(ANC)، (١٩٥٦). رئيسة رابطة النساء في

الهيئة الأفريقية الوطنية. رئيسة فيديرالية النساء الجنوب أفريقيات، (١٩٥٦). قادت تظاهرة النساء المناهضة لقوانين حمل التصاريح، (١٩٥٦). تم اتهمت وبرئت في محاكمة الخيانة. سُجنت في خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. احتُجزت ووُضعت في السجن الانفرادي مدة ٧١ يوماً العام ١٩٦٣ بموجب قانون الحجز مدة ٩٠ يوماً. تعرضت بشكل متواصل لتقييد حريتها. منحت أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٨٢.

نوكوي، فيلمون بيرس دوماسيل (دوما)

(١٩٢٧-٧٨). محام وناشط سياسي. عضو في لـ (ANC). عضو بارز في (ANC). أمين السر لرابطة الشباب في (ANC)، (١٩٥٣-٥٨). شارك في حملة التحدي. مُنع من التدريس، درس القانون وأصبح أول محام أسود يدخل المحكمة العليا في ترانسفال. لكن، لم تسعه ممارسة المحاماة، إذ كان متهماً في محاكمة الخيانة (١٩٥٦-٦١). انتُخب أميناً عاماً في المؤتمر السنوي لـ (ANC) العام ١٩٥٨، وتولى هذا المنصب حتى العام ١٩٦٩. أمرته (ANC) بالهرب إلى المنفى، وغادر البلاد العام ١٩٦٣ مع موزز كوتاين. ساعد على تأسيس (ANC) في المنفى، حيث مارس الضغط في العديد من المنتديات الدولية.

نزو، ألفرد بافتوزولو

(١٩٢٥-٢٠٠٠). عضو بارز في (ANCYL) و (ANC). مشارك في حملة التحدي العام ١٩٥٢ وفي كونغرس الشعب. وُضع نزو العام ١٩٦٢، في الإقامة الجبرية في منزله مدة ٢٤ ساعة وسُجن العام ١٩٦٣ مدة ٢٣٨ يوماً. بعد إطلاقه أمرته (ANC) بمغادرة البلاد. مثّل (ANC) في عدد من البلدان، منها مصر والهند وزامبيا وتانزانيا. خلف دوما نوكوي كأمين عام وذلك العام ١٩٦٩، وظل في منصبه إلى أن أقيم أول مؤتمر شرعي لـ(ANC) في جنوب أفريقيا العام ١٩٩١. كان في عداد وفد (ANC) الذي شارك في المحادثات مع حكومة دي كليرك بعد العام ١٩٩٠. عين وزيراً للشؤون الخارجية في جنوب أفريقيا الديموقراطية الجديدة، (١٩٩٤). تلقى عدداً من الجوائز منها وسام لوثولي الذهبي، (٢٠٠٣).

أو آر

(راجعوا تامبو، أوليفر)

الهيئة المؤيدة للشؤون الأفريقية (PAC)

منظمة انفصلت عن (ANC)، أُسست العام ١٩٥٩ من قبل روبرت سوبوكوي الذي أيّد الفلسفة القائلة بأن «أفريقيا للأفريقيين». تضمنت حملات هذه الهيئة تظاهرة على امتداد الأمة ضد قوانين حمل التصاريح، قبل ١٠ أيام من الموعد الذي كان يُفترض أن تبدأ فيه (ANC) حملتها. انتهت بمجزرة شاربفيل في ٢١ آذار/مارس ١٩٦٠، حيث أردت الشرطة ٦٩ محتجاً أعزل بالرصاص وقتلتهم. تم حظر الهيئة إلى جانب (ANC) في نيسان/أبريل ١٩٦٠. ثم رفع حظرها في ٢ شباط/فبراير ١٩٩٠.

بيكي، جورج

(١٩٢٢-). ناشط سياسي، عضو مؤسس ورئيس مجلس إدارة منظمة الأشخاص الملوني البشرة في جنوب أفريقيا (التي أصبحت تُعرف لاحقاً بمؤتمر الأشخاص أصحاب البشرة الملونة)، (١٩٥٣). اتهم وبُرّئ في محاكمة الخيانة. تم قُيّدت حريته مراراً واحتُجز مدة ٥ أشهر خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. عضو مجلس مدينة كايب تاون من آذار/مارس ١٩٦١ إلى أن اتُّهم بالقيام بأعمال تخريب وسُجن مدة سنتين العام ١٩٦٢. هرب من جنوب أفريقيا في ١٩٦٤.

بلاتجي، سولومون تشيكيشو (سول)

(١٨٧٦-١٩٣٢). كاتب، صحافي، لغوي، محرر في جريدة، ناشر سياسي، ناشط في مجال حقوق الإنسان. عضو في منظمة الشعب الأفريقي. أول أمين عام للمؤتمر الناتالي القومي الجنوب أفريقي (SANNC) (الذي أُعيد تسميته ليصبح (ANC) العام ١٩٢٣)، (١٩١٢). أول جنوب أفريقي أسود يكتب رواية بالإنكليزية (مودي، نُشرت العام ١٩١٣). أسس أول سيتسوانا/الإنكليزية الأسبوعية، كورانتا إي بيكونا (صحيفة تسوانا)، (١٩٠١)؛ وتسالا إي بيكونا (صديقة الشعب)، (١٩١٠). عضو في وفد (SANNC) الذي احتج لدى الحكومة البريطانية على قانون الأراضي العام ١٩١٣، الذي قيد بشكل حاد حقوق الأفارقة بامتلاك الأراضي أو السكن فيها.

بوكيلا، جون نياثي

(١٩٢٢-٨٥). ناشط ضد التمييز العنصري. عضو في (ANCYL). شارك في تأسيس (PAC)، وكان عضواً بارزاً فيها. حُكم عليه بالسجن مدة ١٣ سنة العام ١٩٦٦ بسبب مشاركته في بوكو، الجناح المسلح لـ(PAC). رئيس (PAC) من العام ١٩٨١.

سجن بولسمور المشدد الحراسة

سجن يقع في ضاحية توكاي، كايب تاون. نُقل مانديلا إلى هناك مع والتر سيسولو ورايموند ملابا وأندرو ملانجيني وأحمد كاثرادا العام ١٩٨٢.

كونو

قرية ريفية في مقاطعة إيسترن كايب في جنوب أفريقيا، عاش فيها مانديلا بعد انتقال عائلته من مسقط رأسه في مفيزو.

راديبي، غور

(١٩٠٨ - حوالى ١٩٦٨). سياسي وناشط ضد التمييز العنصري. زميل مانديلا في «يتكين وسيدلسكي وإيدلمان» شجعه على حضور اجتماعات (ANC) و(SACP). عضو في (ANC). شارك في تأسيس نقابة عمال المناجم الأفارقة، (١٩٤١). ساعد في تنظيم حملات مقاطعة الحافلات في ألكساندرا، (١٩٤٣-٤٤). وساعد سيلوب ثيما على تشكيل «كتلة التفكير الوطني»، وهي عبارة عن جناح محافظ في (ANC) التي عارضت تحالف الهيئة مع (SACP). عضو بارز في (PAC) بعد تشكيلها العام ١٩٥٩.

ريشا، روبرت

(١٩٢٠-١٩٧٣). سياسي وناشط ضد التمييز العنصري. عضو بارز في (ANCYL) و(ANC). نائب رئيس (ANCYL)، (١٩٥٤-٥٥). شارك في حملة التحدي. نشط في الحملة المناهضة لتهجير الناس بالقوة من صوفياتاون. برئ العام ١٩٦١ مع آخر مجموعة مؤلفة من ٣٠ شخصاً في محاكمة

الخيانة العام ١٩٥٥. سرعان ما غادر البلاد بعدها، وأدى دوراً بارزاً في (ANC) في المنفى، حيث مثلها في الكثير من المنابر، ومنها الأمم المتحدة. رافق مانديلا إلى وجدة، المغرب، في خلال رحلته إلى أفريقيا العام ١٩٦٢، ومثّل (ANC) في الجزائر المستقلة.

محاكمة ريفونيا

محاكمة جرت بين العامين ١٩٦٣ و١٩٦٤ حيث اتُّهم ١٠ أعضاء بارزين من تحالف الهيئات بالقيام بأعمال تخريب، وواجهوا عقوبة الإعدام. سُميت تيمناً بضاحية ريفونيا في جوهانسبورغ حيث اعتُقل ٦ أعضاء من القيادة العليا في (MK) من مخبئهم في مزرعة ليليزليف في ١١ تموز/يوليو ١٩٦٣. صودرت وثائق مجرِّمة، ومنها اقتراح إقامة حالة عصيان للعصابات تحت عنوان عملية ماييبويي. مانديلا الذي كان أصلاً يمضي عقوبة سجن بسبب قيامه بالتحريض ومغادرة جنوب أفريقيا بشكل غير شرعي، تم تضمينه، كما تمت مصادرة ملاحظاته حول حرب العصابات، ومذكراته من رحلته عبر أفريقيا العام ١٩٦٢. وبدلاً من استجوابه كشاهد قدم مانديلا إفادته من قفص الاتهام في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٦٤. وأصبح خطابه الشهير الذي حمل عنوان «أنا مستعد للموت». في ١١ حزيران/يونيو ١٩٦٤ دين ٨ من المتهمين من قبل القاضي كارتوس دي ويت في قصر العدل في بريتوريا، وفي اليوم التالي حُكم عليهم بالسجن المؤبد.

جزيرة روبن

جزيرة واقعة في خليج تايبل على بُعد ٧ كيلومترات عن ساحل كايب تاون، يبلغ طولها حوالى ٣/٣ كلم، وعرضها ١/٩ كلم. غالباً ما كانت تُستخدم مكاناً للنفي والسجن، خصوصاً للسجناء السياسيين منذ الاستعمار الهولندي في القرن الـ١٧. تم هناك سجن ٣ رجال أصبحوا لاحقاً رؤساء لجنوب أفريقيا وهم: نيلسون مانديلا (١٩٦٤-٨٢)، كغاليما موتلانثي (١٩٧٧-٨٧)، جايكوب زوما (١٩٦٣-٧٣). الآن، باتت متحفاً ومقر إرث عالمي.

سامبسون، أنطوني

(١٩٢٦-٢٠٠٤). كاتب وصحافي. كاتب سيرة مانديلا في كتاب «مانديلا: سيرة حياته المرخصة»

الذي نُشر العام ١٩٩٩. حرر المجلة الجنوب إفريقية «درام» وهي مجلة بارزة للقراء الجنوب أفريقيين السود المدينيين، في جوهانسبورغ في الخمسينيات.

مجزرة شاربفيل

مواجهة في بلدة شاربفيل، مقاطعة غوتينغ. في ٢١ آذار/مارس ١٩٦٠، تم رمي ٦٩ متظاهراً أعزل كانوا يحتجون على حمل التصاريح بالرصاص من قبل الشرطة، وجرح أكثر من ١٨٠ شخصاً. جذبت التظاهرة التي نظمتها (PAC) ما بين ٥ آلاف إلى ٧ آلاف متظاهر. يحتفل بهذا اليوم سنوياً في جنوب أفريقيا كعطلة رسمية: يوم حقوق الإنسان.

سيدلسكي، لازار

(١٩١١-٢٠٠٢). عضو في المجتمع الحقوقي في ترانسفال. وظف مانديلا محامياً متدرجاً في شركة المحاماة خاصته (ويتكن وسيدلسكي وإيدلمان) في جوهانسبورغ العام ١٩٤٢. قدم رهوناً عقارية للأفارقة في وقت كان عدد قليل من الشركات مستعداً للقيام بذلك.

سيخاخاين، جويس

(١٩٤٣-). صحافية وناشطة ضد التمييز العنصري. كتبت عن عائلات السجناء السياسيين، ومنهم ألبرتينا سيسولو ويني مانديلا، فتعرضت لاعتقال بموجب قانون الحماية من الشيوعية، ثم أُعيد سجنها بموجب قانون الإرهاب، وأُجبرت على تمضية ١٨ شهراً في الحجز الانفرادي. قيدت حريتها بعد إطلاق سراحها. هربت من جنوب أفريقيا العام ١٩٧٣. وظفتها وزارة الاستخبارات في جنوب أفريقيا الديموقراطية.

سيسولو (كنيتها قبل الزواج ثيثيوي)، نونتسيكيليلو (نتسيكي) ألبرتينا

(١٩١٨-٢٠١١). ممرضة وقابلة وناشطة ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق المرأة ونائب. عضو بارز في (ANC). تزوجت بوالتر سيسولو بعد أن التقته عبر صديقتها الممرضة إفلين مايس (الزوجة الأولى لمانديلا)، (١٩٤٤). عضو في الرابطة النسائية في الهيئة الأفريقية الوطنية وفيديرالية النساء الجنوب أفريقيات. أدت دوراً بارزاً العام ١٩٥٦ في تظاهرة النساء ضد حمل التصاريح. أول امرأة

تُعتقل بموجب قانون تعديل القوانين العامة، (١٩٦٣)، وحينذاك احتُجزت في السجن الانفرادي مدة ٩٠ يوماً. خضعت بشكل متواصل لعقوبات تقييد حريتها وتحركاتها ولتحرش الشرطة بها من العام ١٩٦٣. انتُخبت كواحدة من الرؤساء الثلاثة للجبهة الديموقراطية المتحدة لدى تشكيلها في آب/أغسطس ١٩٨٣. اتُّهمت العام ١٩٨٥ إلى جانب ١٥ عضواً آخرين من الجبهة الديموقراطية المتحدة والقادة النقابيين بالخيانة في ما بات يُعرف بمحاكمة بيترماريتزبورغ على جرم الخيانة. نائب من ١٩٩٤ إلى أن تقاعدت العام ١٩٩٩. رئيسة مجلس السلام العالمي، (١٩٩٣-٩٦). تلقت جائزة المرأة المتميزة التي تحمل عنوان «النساء للنساء في جنوب أفريقيا»، العام ٢٠٠٣، تقديراً لنضالها الجسور طوال حياتها في مجال حقوق الإنسان وكرامته.

سيسولو، والتر أوليات ماكس (اسما العشيرة: زاميلا وتيهوفو)

(١٩١٢-٢٠٠٣). ناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي. زوج ألبرتينا سيسولو. التقى مانديلا العام ١٩٤١ وعرّفه إلى لازار سيدلسكي الذي وظفه محامياً متدرجاً. قائد (ANC). يعد عموماً «أبا الصراع». شارك في تأسيس (ANCYL) العام ١٩٤٤. اعتُقل واتُّهم بموجب قانون قمع الشيوعية بلعب دور بارز في حملة التحدي العام ١٩٥٢. اعتُقل ثم برئ لاحقاً في محاكمة الخيانة العام ١٩٥٦. خضع بشكل متواصل لعقوبات تقييد حريته، ووُضع تحت الإقامة الجبرية في منزله عقب حظر (ANC) و(PAC). ساعد على تأسيس (MK)، وشارك في القيادة العليا فيها. انخرط في المقاومة السرية العام ١٩٦٣، واختبأ في مزرعة ليليزليف، في ريفونيا حيث اعتُقل في ١١ تموز/يوليو ١٩٦٣. دين بالقيام بأعمال تخريب في محاكمة ريفونيا، وحُكم عليه بالسجن المؤبد في ١٢ تموز/يوليو ١٩٦٤. قضى فترة عقوبته على جزيرة روبن وفي سجن بولسمور. أُطلق في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩. أحد أعضاء الفريق التفاوضي في (ANC) الذي تفاوض مع حكومة التمييز العنصري في وضع حد لحكم البيض. منح أرقى وسام في (ANC)، إيسيتوالاندوي سيبارانكو العام ١٩٨٢.

سكوتا، مويلي

(وُلد حوالى الثمانينيات من القرن التاسع عشر). كاتب وصحافي ومترجم في المحكمة ورجل

أعمال وناشر صحيفة. عضو بارز في (SANNC) (الذي أُعيد تسميته لاحقاً ليصبح (ANC)). مؤسس ومحرر «أبانتو باثو»، صحيفة الهيئة الأفريقية الوطنية. عضو في المؤتمر الأفريقي الجامع.

سلوفو، جو

(١٩٢٦-٩٥). ناشط ضد التمييز العنصري. تزوج بروث فيرست، (١٩٤٩). عضو بارز في (ANC) و(CPSA). قائد (MK). انضم إلى (CPSA) العام ١٩٤٢ ودرس القانون في جامعة ويتواترزراند، حيث التقى مانديلا، ونشط في مجال السياسة الطالبية. ساعد على تأسيس (COD)، واتهم في محاكمة الخيانة العام ١٩٥٦. سُجن مدة ٦ أشهر خلال حالة الطوارئ العام ١٩٦٠. ساعد على تأسيس (MK). عاش في المنفى من ١٩٦٣ إلى ١٩٩٠، وعاش في المملكة المتحدة، وأنغولا والموزامبيق وزامبيا. الأمين العام لـ(SACP)، (١٩٨٦). رئيس أركان (MK). شارك في المفاوضات المتعددة الأطراف لوضع حد لحكم البيض. وزير الإسكان في حكومة مانديلا من العام ١٩٩٤. منح أرقى وسام في (ANC)، إيسيتوالاندوي سيبارانكو العام ١٩٨٢.

سوبوكوي، روبرت مانغاليسو

(١٩٢٤-٧٨). محام وناشط ضد التمييز العنصري وسجين سياسي. عضو في (ANCYL) و(ANC) إلى أن شكّل (PAC) استناداً إلى الرؤية القائلة «أفريقيا لكل الأفارقة». محرر صحيفة «الأفريقاني». اعتقل وسجن عقب مجزرة شاربفيل العام ١٩٦٠. دين بالتحريض، وحُكم عليه بالسجن ٣ سنوات. قبل إطلاقه سُنّ قانون تعديل القانون العام الرقم ٣٧ للعام ١٩٦٣، الذي سمح بإعادة تجديد فترة عقوبات الأشخاص المدينين بجنح سياسية. عُرف هذا القانون، بفقرة سوبوكوي. وأمضى بالتالي ٦ سنوات أخرى في سجن جزيرة روبن. أُطلق العام ١٩٦٩. وانضم إلى عائلته في كيمبرلي حيث بقي في الإقامة الجبرية في منزله التي تمتد ١٢ ساعة ومُنع من المشاركة في أي نشاط سياسي نتيجة عقوبة تقييد الحرية التي فُرضت على (PAC). درس في خلال وجوده في السجن القانون، وأسس شركته القانونية الخاصة العام ١٩٧٥.

الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي (SACP)

أُسّس العام ١٩٢١ الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا (CPSA)، لمناهضة الإمبريالية والسيطرة

العرقية. تغيّر اسمه ليصبح الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي (SACP) العام ١٩٥٣ عقب حظره العام ١٩٥٠. تم تشريع هذا الحزب في العام ١٩٩٠ فقط. يشكل الحزب ثلث التحالف الثلاثي مع الهيئة الأفريقية الوطنية ومؤتمر النقابات التجارية الجنوب أفريقية.

المؤتمر الهندي الجنوب أفريقي (SAIC)

أُسّس العام ١٩٢٣ لمناهضة قوانين التمييز العنصري. تألف من مؤتمري كايب وناتال وترانسفال الهندي. كان في البداية منظمة متحفظة، كانت تحركاته تقتصر على الالتماسات وإرسال الوفود إلى السلطات، تحت قيادة أكثر راديكالية فضلت المقاومة المناضلة غير العنيفة ووصلت إلى السلطة في الأربعينيات تحت قيادة يوسف دادو ومونتي نيكر.

حالة الطوارئ، (١٩٦٠)

أُعلنت في ٣٠ آذار/مارس ١٩٦٠ كرد فعل على مجزرة شاربفيل. اتسمت بحملات الاعتقال الواسعة وسجن معظم القيادات الأفريقية. في ٨ نيسان/أبريل ١٩٦٠ تم حظر (ANC) و(PAC)بموجب قانون المنظمات غير المشروعة.

ستينغل، ريتشارد

محرر وكاتب. تعاون مع مانديلا في كتابة سيرته الذاتية، «مشوار طويل إلى الحرية» (نُشر العام ١٩٩٤). ساعد على إنتاج الوثائقي «مانديلا»، ١٩٩٦. محرر مجلة «تايم».

قانون قمع الشيوعية، الرقم ٤٤، ١٩٥٠

قانون أُقرَّ في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٥٠، حظرت فيه الدولة الحزب (SACP)، أي نشاط تعده شيوعياً، معرّفة الشيوعية بمعايير واسعة بحيث يعد أي شخص يحتج على نظام التمييز العنصري خارقاً للقانون.

سوزمان، هيلين

(١٩١٧-٢٠٠٩). أكاديمية وسياسية وناشطة ضد التمييز العنصري ونائبة. أستاذة تاريخ الاقتصاد

في جامعة ويتواترزاند. أسست فرعاً من الحزب المتحد في جامعة ويتواترزراند كرد على السياسات العرقية لدولة التمييز العنصري. نائبة عن الحزب المتحد، (١٩٥٣-٥٩)، ثم لاحقاً عن الحزب الفيديرالي التقدمي المناهض للتمييز العنصري (١٩٦١-٧٤). القائدة السياسية المعارضة الوحيدة التي سُمح لها بزيارة جزيرة روبن.

تامبو (كنيتها قبل الزواج: تشوكودو)، أديلايد فرانسيس

(١٩٢٩-٢٠٠٧). ممرضة وعاملة اجتماعية وناشطة ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق المرأة. تزوجت بأوليفر تامبو، (١٩٥٦). عضو في (ANCYL). شاركت في التظاهرة النسائية العام ١٩٥٦. تلقت عدة جوائز، منها وسام سيمون من سايرين، تموز/يوليو (١٩٩٧)، أرقى وسام تعطيه الكنيسة الإنجيلية لعامة العشب، لقاء خدمتهم المتميزة، ووسام باوباب الذهبي العام ٢٠٠٢.

تامبو، أوليفر ريجينالد (أو آر)

(١٩١٧-٩٣). محام وسياسي وناشط ضد التمييز العنصري. عضو بارز في (ANC) وعضو مؤسس في (ANCYL). شارك إلى جانب مانديلا في تأسيس أول شركة قانونية أفريقية في جنوب أفريقيا. أصبح الأمين العام لـ (ANC) بعد تقييد حرية والتر سيسولو ونائب رئيس (ANC) العام ١٩٥٨. خضع لعقوبة تقييد حريته مدة ٥ سنوات العام ١٩٥٩. غادر جنوب أفريقيا في خلال الستينيات ليدير النشاطات الخارجية لـ (ANC) ولتحريك المعارضة ضد نظام التمييز العنصري. أسس مخيمات التدريب العسكري خارج جنوب أفريقيا. أطلق حملة تحرير مانديلا في الثمانينيات. عاش في المنفى في لندن في المملكة المتحدة حتى العام ١٩٩٠. نائب رئيس (ANC) العام ١٩٦٧ بعد وفاة الزعيم ألبرت لوثولي. انتُخب رئيساً لـ (ANC) العام ١٩٦٩ في مؤتمر موروغورو، وهو منصب تولاه حتى العام ١٩٩١ حينما أصبح رئيس مجلس الإدارة الوطني لـ (ANC). منح أرقى وسام في (ANC)، «إيسيتوالاندوي سيبارانكو» العام ١٩٩٢.

ثيما، سيلوب

(١٨٨٦-١٩٥٥). صحافي وناشط سياسي. عضو بارز في (ANC). أمين السر للوفد إلى مؤتمر السلام في فيرساي وإلى الحكومة البريطانية العام ١٩١٩.

....

محاكمة الخيانة

(١٩٥٦-٦١). كانت محاولة حكومة التمييز العنصري لقمع قوة تحالف الهيئات. في خلال غارات جرت في الصباح الباكر من يوم ٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦، تم اعتقال ١٥٦ فرداً واتهامهم بالخيانة العظمى. عند نهاية المحاكمة في آذار/مارس ١٩٦١ إما سُحبت الاتهامات عن المتهمين، وإما بُرئوا كما جرى في حالة آخر ٣٠ متهماً، ومن بينهم مانديلا.

....

تشويت، ستيف فوكيل

(١٩٣٨-٢٠٠٨). ناشط ضد التمييز العنصري، سجين سياسي، سياسي، نائب. عضو في (ANC) و(MK). سُجن على جزيرة روبن، (١٩٦٤-٧٨)، لكونه عضواً في منظمة محظورة. شارك في اللجنة التنفيذية لـ (ANC) العام ١٩٨٨، وشارك في المحادثات في غروت شور العام ١٩٩٠. وزير الرياضة والاستجمام، (١٩٩٤-٩٩). عزز عملية إلغاء التمييز العنصري من الرياضة في جنوب أفريقيا. وزير الأمن والسلامة، (١٩٩٩-٢٠٠٢).

....

توروك، بن

(١٩٢٧-). أكاديمي ونقابي وناشط ضد التمييز العنصري ونائب. عضو في (CPSA) و(MK). عضو بارز في (COD) الذي انخرط في تنظيم مؤتمر الشعب، (١٩٥٥). عضو مؤسس في (MK). اعتقل ثم برئ لاحقاً في محاكمة الخيانة. مثّل أفارقة شرق كايب في مجلس كايب الإقليمي العام ١٩٥٧. هرب إلى المنفى العام ١٩٦٦.

....

توتو، رئيس الأساقفة ديزموند

(١٩٣١-). رئيس أساقفة إيميريتوس وناشط ضد التمييز العنصري وفي مجال حقوق الإنسان. أسقف ليسوتو، (١٩٧٦-٧٨). أول أمين عام أسود لمجلس الكنائس في جنوب أفريقيا، (١٩٧٨). ترأس عقب انتخابات العام ١٩٩٤، بعثة الحقيقة والمصالحة التي سعت إلى التحقيق في جرائم عهد التمييز العنصري. تلقى جائزة نوبل العام ١٩٨٤ لسعيه إلى وضع حد للتمييز العنصري عبر وسائل لاعنفية، وجائزة ألبرت شويتزر الإنسانية عام ١٩٨٦، وجائزة غاندي للسلام عام ٢٠٠٥.

تايهوفو

(راجعوا سيسولو، والتر)

أمخونتو وي سيزوي (أم كاي)

تعني عبارة «أمخونتو وي سيزوي» رمح الأمة، أُسست العام ١٩٦١ وتُعرف عموماً باختصار MK. كان نيلسون مانديلا أول قائد أعلى لها. أصبحت الجناح العسكري لـ(ANC). بعد انتخابات العام ١٩٩٤، تم تفكيك (MK) وإدماج جنودها في قوة الدفاع الوطنية الجنوب أفريقية (SANDF) التي تشكلت حديثاً إلى جانب جنود من القوة الدفاعية الجنوب أفريقية التابعة لنظام التمييز العنصري والقوى الدفاعية البانتوستانية ووحدات الحماية الذاتية في حزب الحرية في إنكاثا وجيش تحرير الشعب الآزني (APLA)، الجناح العسكري لـ(PAC).

فيروورد، د. هندريك فرينش

(١٩٠١-٦٦). رئيس وزراء جنوب أفريقيا (١٩٥٨-٦٦). وزير الشؤون المحلية، (١٩٥٠-٥٨). سياسي من الحزب الوطني. اعتُبر على نحو واسع مهندس نظام التمييز العنصري، حيث دعم نظام «التنمية المنفصلة». أصبحت جنوب أفريقيا تحت قيادته جمهورية في ٣١ أيار/مايو ١٩٦١. اغتاله داخل البرلمان ديميتري تسافينداس.

سجن فيكتور فيرستر

سجن مخفف الحراسة، يقع بين بارل وفرانسشلوك في غرب كايب. نُقل مانديلا إلى هناك العام

١٩٨٨، وعاش في منزل خاص داخل مجمع السجن. يوجد تمثال لمانديلا خارج بوابة السجن. أصبح اسمه اليوم مركز درايكنشتاين التصحيحي.

فورستر، بالثازار جوهانس (بي جاي)

(١٩١٥-٨٣). رئيس وزراء جنوب أفريقيا (١٩٦٦-٧٨). رئيس جنوب أفريقيا، (١٩٧٨-٧٩).

واينبيرغ، إيلي

(١٩٠٨-٨١). نقابي، مصور، ناشط سياسي، عضو في (SACP). خضع بشكل متواصل لعقوبات تقييد الحرية منذ العام ١٩٥٣. سُجن مدة ٣ أشهر العام ١٩٦٠ في خلال حالة الطوارئ، ثم في أيلول/سبتمبر ١٩٦٤. حُكم عليه بالسجن ٥ سنوات بعد أن دين بكونه عضواً في اللجنة المركزية لـ(SACP). هرب من جنوب أفريقيا العام ١٩٧٦ وفق تعليمات (ANC).

زاميلا

(راجعوا سيسولو، والتر).

زامي

(راجعوا ماديكيزيلا - مانديلا، نومزامو وينيفريد).

زيني

(راجعوا مانديلا، زيناني).

زيندزي

(راجعوا مانديلا، زيندزيسوا).

ببليوغرافيا

Davenport, Rodney and Saunders, Christopher, *South Africa: A Modern History*, 5th ed., Macmillan Press Ltd, London, 2000.

Kathrada, Ahmed, *Memoirs,* Zebra Press, Cape Town, 2004.

Mandela, Nelson, *Long Walk to Freedom*, Little, Brown and Company, London, 1994.

Meer, Fatima, *Higher Than Hope*, Skotaville Publishers, Johannesburg, 1988.

Nelson Mandela Foundation: *A Prisoner in the Garden: Opening Nelson Mandela's Prison Archive,* Penguin, 2005.

Nicol, Mike, *Mandela: The Authorised Portrait,* PQ Blackwell, Auckland, 2006.

Sampson, Anthony, *Mandela: The Authorised Biography,* HarperCollins Publishers, London, 2000.

Sisulu, Elinor, Walter and Albertina Sisulu: *In Our Lifetime,* David Philip Publishers, Cape Town, 2002.

www.justice.gov.za/trc
www.nelsonmandela.org
www.robben-island.org.za
www.sahistory.org.za

شكر

كل الامتنان لزيندزي مانديلا لسماحها بنشر قصيدتها «شجرة قُطعتْ»، ولدعمها مركز نيلسون مانديلا للذاكرة والحوار.

نشكر الرئيس باراك أوباما على مقدمته السخية، وكذلك السفير دونالد غيبس لتسهيل تواصلنا مع الرئيس.

نعزو أهمية هذا الكتاب إلى الأرشيفين السليمين اللذين وضعهما أحمد كاثرادا وريتشارد ستينغل، وكلا الأرشيفين أودعهما واضعهما في مركز الذاكرة والحوار بعد التفكير بتأليف الكتاب.

قام ماثيو ويلمان بتزويد الكتاب بالصور الفوتوغرافية بمهارة وطول أناة باستثناء بعض الصور التالية:

(المشهد القروي) ص ٢٢-٢٣، (مُستَهَلات ثيمبو الصغير) ص٢٦-٢٧، (متحف ماكريغور، كمبرلي، مجموعة دوغان - كرونين؛ (الصور الرسمية لمانديلا) ص ٤٢-٤٣، (حشود عند بوابة دريل هول) ص ٥٠-٥١، (متحف إفريقيا، مجموعة تايمز للإعلام) ٥٤-٥٥، (مانديلا يحرق تصريح مروره) ص ٨٠-٨١، (مانديلا في لندن، المملكة المتحدة) - ماري بينسون ص ١٠٦-١٠٧، (مانديلا تحت غطاء سريره القطني) إيلي واينبيرغ ص ١٣٢-١٣٣، (بريد راند اليومي) - منشورات أفوسا ص ١٣٢-١٣٣؛ (مظاهرة كاتو مانور الاحتجاجية) - لوري بلومفيلد ص١٣٢-١٣٣، (سياج الأسلاك الشائكة، جزيرة روبن) ص ١٥٠-١٥١، (مساجين في الفناء) - جامعة

غرب كايب - متحف جزيرة روبن، أرشيف مايبوتي، كلوتيه برايتناك ص ١٥٤-١٥٥، (زنزانة مانديلا على جزيرة روبن) - ماثيو ويلمان ص ١٨٠-١٨١، (مانديلا في حديقة السجن) - (الأرشيف الوطني لجنوب إفريقيا، مؤسسة نيلسون مانديلا المبجلة ص ٢٢٨-٢٢٩، (مانديلا يعاود زيارة زنزانته في سجن جزيرة روبن) - كوربيس، دايفيس تورنلي ص ٢٦٠-٢٦١، (مكتب مانديلا، جزيرة روبن) ص ٢٨٤-٢٨٥، (أف دبليو دي كليرك ومانديلا في مؤتمر السلام الوطني، جوهانسبورغ) - روجر بوش ص ٣٤٨-٣٤٩، (طابور في يوم الانتخاب عام ١٩٩٤) - أرغوس نيور ص٣٥٢-٣٥٣، (مانديلا بقميص من قماش مطبوع) - بي كيو بلاكويل ص ٤٠٢-٤٠٣، (صورة مأخوذة عن قرب لمانديلا) - مؤسسة نيلسون مانديلا) ص ٤٢٠-٤٢١.

ندين بالفضل للمصادر التالية لتوفيرها إمكانية ولوج إلى المواد: متحف منزل مانديلا، وأرشيف جنوب إفريقيا الوطني، وجامعة فورت هير، وجامعة ويتواترزراند (الصحف التاريخية).

على المساعدة والدعم نشكر زهيرة أدامز وجون باتلر وإيريك تشنسكي وديانا وكليت كوزينز وأشمات دانغور ولي دايفيس وإيماني ميديا وزيلدا لا غرانج ومولي لوات ويني ماديكيزيلا - مانديلا وزيناني مانديلا وزيندزي مانديلا وروشيل متيرارا والقاضي ثومبا بيلاي وناتالي سكومولو وويندي شميث وجاك سوارت وإيفان فلاديسلافيك وغيريت واغنر.

ونشكر من مركز مؤسسة نيلسون مانديلا للذاكرة والحوار الأشخاص التالية أسماؤهم:

فيرن هاريس وسام فينتر وأحمد كاثرادا وتيم كوزينز وسيلو هاتانغ ورازيا صالح ولوشيا رادشيلديرز وزانيل ريبا وبونيسوا نياتي.

كما نشكر الناشرين في بلاكويل:

جيوف بلاكويل وروث هوبداي وبيل فيليبس وكاميرون غيب وراشيل كلير وداينا ستانلي وجوني غيلير وبيتسي روبنز وكايت كوبر وسلوان هاريس.

صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

سلسلة السياسة

روبرت فيسك

- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة - (في كتاب واحد)
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة - الجزء الأول الحرب الخاطفة
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة - الجزء الثاني الإبادة
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة - الجزء الثالث إلى البرية
- ويلات وطن
- زمن المحارب

عصام نعمان

- هل يتغيّر العرب؟
- العرب على مفترق
- أميركا والإسلام والسلاح النووي
- حقيقة العصر - عصام نعمان وغالب أبو مصلح
- على مفترق التحوّلات الكبرى... ما العمل؟

محمد حسنين هيكل

- الحل والحرب!
- آفاق الثمانينات
- قصة السويس
- عند مفترق الطرق
- لمصر لا لعبد الناصر
- زيارة جديدة للتاريخ
- حديث المبادرة
- خريف الغضب
- السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة
- وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي
- بين الصحافة والسياسة

سليم الحص

- صوت بلا صدى
- تعالوا إلى كلمة سواء
- سلاح الموقف
- في زمن الشدائد لبنانياً وعربياً
- للحقيقة والتاريخ
- نحن والطائفية
- عصارة العمر
- محطات وطنية وقومية
- ما قَلَّ ودَلّ
- ومضات في رحاب الأمة
- قِطاف من التجارب

وليد رضوان

- مشكلة المياه بين سوريا وتركيا
- العلاقات العربية التركية
- تركيا بين العلمانية والإسلام

جوزيف أبو خليل

- رؤية للمستقبل
- لبنان وسوريا مشقة الأخوة
- قصة الموارنة في الحرب
- لبنان... لماذا؟

بول فندلي

- من يجرؤ على الكلام
- الخداع
- لا سكوت بعد اليوم
- أميركا في خطر

كريم بقرادوني

- لعنة وطن
- السلام المفقود
- صدمة وصمود

شكري نصرالله

- مذكرات قبل أوانها
- السنوات الطيبة

شادي خليل أبو عيسى

- الولايات غير المتحدة اللبنانية
- رؤساء الجمهورية اللبنانية
- قيود تتمزق

مريم البسّام

- حقيقة ليكس
- وثائق ويكيليكس الكاملة: لبنان وإسرائيل - (الجزء الأول)
- وثائق ويكيليكس الكاملة - لبنان وإسرائيل - (الجزء الثاني)

غادة عيد

- سوكلين وأخواتها
- ...؟! أساس الملك
- الخلوي أكبر الصفقات

موريال ميراك - فايسباخ

- عبر جدار النار
- مهووسون في السلطة

جيمي كارتر

- ما وراء البيت الأبيض
- السلام ممكن في الأراضي المقدسة

◆ ◆ ◆

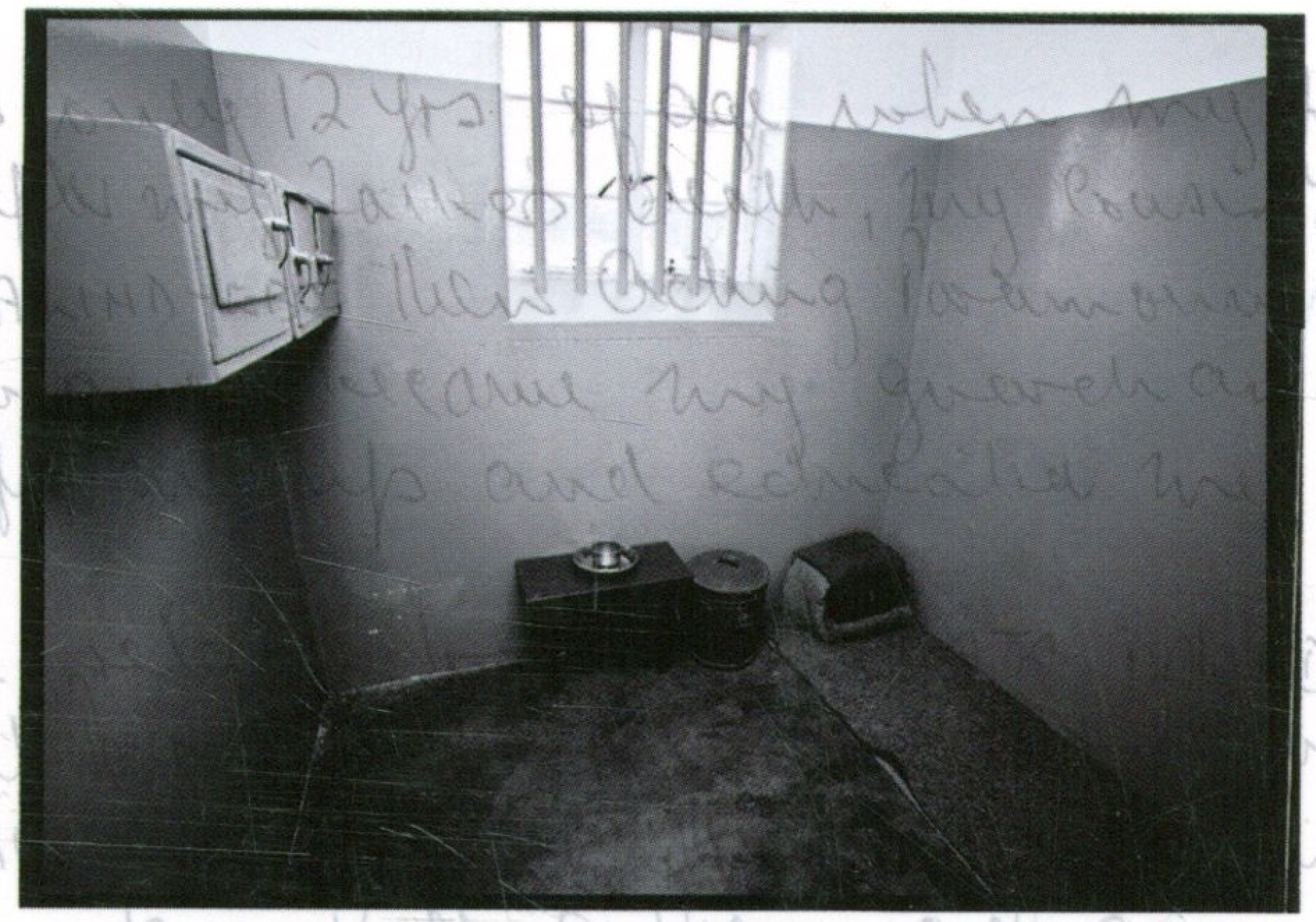
- **تقي الدين الصلح سيرة حياة وكفاح** - (جزآن) - عمر زين
- **مبادئ المعارضة اللبنانية** - حسين الحسيني
- **رؤية للمستقبل** - الرئيس أمين الجميل
- **الضوء الأصفر** - عبدالله بو حبيب
- **الخلوي أشهر فضائح العصر** - ألين حلاق
- **أصوات قلبت العالم** - كيري كندي
- **الخيارات الصعبة** - د. إيلي سالم
- **أسرار مكشوفة** - اسرائيل شاحاك
- **الولايات المتحدة الصقور الكاسرة في وجه العدالة والديموقراطية** - تحرير برند هام
- **مزارع شبعا حقائق ووثائق** - منيف الخطيب
- **الأشياء بأسمائها** - العقيد عاكف حيدر
- **اللوبي** - إدوار تيڤنن
- **أرض لا تهدأ** - د. معين حداد
- **الوجه الآخر لإسرائيل** - سوزان نايثن
- **مساومات مع الشيطان** - ستيفن غرين
- **بالسيف أميركا وإسرائيل في الشرق الأوسط** - ستيفن غرين
- **الأسد** - باتريك سيل
- **الفرص الضائعة** - أمين هويدي
- **طريق أوسلو** - محمود عباس
- **الأمة العربية إلى أين؟** - د. محمد فاضل الجمالي
- **النفط** - د. هاني حبيب
- **الصهيونية الشرق أوسطية** - إنعام رعد
- **حربا بريطانيا والعراق** - رغيد الصلح
- **نحو دولة حديثة بعيداً عن ٨ و١٤ آذار** - الشيخ محمد علي الحاج العاملي
- **الحصاد** - جون كوولي
- **عاصفة الصحراء** - اريك لوران
- **حرب تحرير الكويت** - د. حبيب الرحمن
- **حرب الخليج** - بيار سالينجر واريك لوران

- **المفكرة المخفية لحرب الخليج** - بيار سالينجر وإريك لوران
- **الماسونية - دولة في الدولة** - هنري كوستون
- **النفط والحرب والمدينة** - د. فيصل حميد
- **رحلة العمر من بيت الشعر إلى سدّة الحكم** - د. عبد السلام المجالي
- **الدولة الديموقراطية** - د. منذر الشاوي
- **التحدي الإسلامي في الجزائر** - مايكل ويليس
- **السكرتير السابع والأخير** - ميشيل هيلير
- **التشكيلات الناصرية في لبنان** - شوكت اشتي
- **عزيزي الرئيس بوش** - سيندي شيهان
- **أوزبكستان على عتبة القرن الواحد والعشرين** - إسلام كريموف
- **أوزبكستان على تعميق الإصلاحات الاقتصادية** - إسلام كريموف
- **العرب والإسلام في أوزبكستان** - بوريبوي أحمدوف وزاهدالله مندوروف
- **إسرائيل والصراع المستمر** - ربيع داغر
- **أبي لافرنتي بيريا** - سيرغو بيريا
- **الفهم الثوري للدين والماركسية** - زاهر الخطيب
- **الديبلوماسية على نهر الأردن** - د. منذر حدادين
- **المال إن حكم** - هنري إده
- **قراصنة أميركا الجنوبية - أبطال يتحدّون الهيمنة الأميركية** - طارق علي
- **اللوبي الإسرائيلي وسياسة أميركا الخارجية** - جون ج. ميرشايمر وستيفن م. والت
- **الطبقة الضاربة** - دايفد روثكوبف
- **إرث من الرماد** - تيم واينر
- **بلاكووتر - أخطر منظمة سرية في العالم** - جيريمي سكاهيل
- **حروب الأشباح** - ستيف كول
- **الأيادي السود** - نجاح واكيم
- **تعتيم** - بقلم آمي وديفيد جودمان
- **دارفور تاريخ حرب وإبادة** - جولي فلنت وألكس دي فال
- **بالعطاء لكلٍّ منّا أن يغيّر العالم** - بيل كلينتون
- **رئيس مجلس الوزراء في لبنان بعد الطائف ١٩٨٩ - ١٩٩٨** - محمود عثمان
- **تواطؤ ضد بابل** - جون كولي
- **العلاقات اللبنانية - السورية** - د. غسان عيسى
- **المصالحة - الإسلام والديموقراطية والغرب** - بنازير بوتو
- **قضيّة سامة** - يوست ر. هيلترمان
- **لبنان بين ردَّة وريادة** - ألبير منصور
- **الأمن الوطني الداخلي لدولة الإمارات العربية المتحدة** - عائشة محمد المحياس
- **سجن غوانتانامو - شهادات حيّة بألسنة المعتقلين** - مايفيتش رخسانا خان
- **في قلب المملكة - حياتي في السعودية** - كارمن بن لادن
- **هكذا.. وقع التوطين** - ناديا شريم الحاج
- **إرث من الرماد - تاريخ «السي.آي.أيه.»** - تيم واينر
- **لبنان: أزمات الداخل وتدخّلات الخارج** - مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية
- **أميركا من الداخل** - د. سمير التنير
- **سوريا ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط** - جمال واكيم
- **ضريبة الدم** - ت. كريستيان ميلر
- **ابنة القدر** - بنازير بوتو
- **الطبقة الخارقة** - دايفيد ج. روثكوبف
- **بوّابة الحقيقة** - عبد السلام المجالي
- **الأُخطبوط الصهيوني والإدارة الأميركية** - علي وهب
- **الصراع على السلطة في لبنان جدل الخاص والعام** - زهوة مجذوب
- **أوباما.. والسّلام المستحيل** - سمير التنّير
- **الأحزاب السياسية في العراق** - عبد الرزاق مطلك الفهد

- **صيف من نار في لبنان** - الجنرال ألان بيلليغريني
- **غزّة في أزمة** - إيلان بابه ونعوم تشومسكي
- **صراع القوى الكبرى على سوريا** - جمال واكيم
- **محو العراق** - مايكل أوترمان وريتشارد هيل
- **مصر على شفير الهاوية** - طارق عثمان
- **وهم السلم الأهلي** - حسين يعقوب
- **حركات ثورية** - ستيف كراوشو وجون جاكسون
- **أمبراطورية الإرهاب** - اليهاندرو كاسترو اسبين
- **قصور من الرمل** - أندريه جيروليماتوس
- **الثورات العربية في ظل الدين ورأس المال** - راضي شحادة
- **نظرية الاحتواء** - إيان شابيرو
- **ويليس من تونس** - ناديا خياري
- **العودة إلى الصّفر** - ستيفن كينزر
- **ديبلوماسيّة إسرائيل السريّة في لبنان** - كيرستين شولتزه
- **مدن تحت الحصار** - ستيفن غراهام
- **نوال السعداوي والثورات العربية** - نوال السعداوي
- **قضيّتي ضد إسرائيل** - أنطوني لوينستاين
- **القياصرة الأميركيُّون** - نايجل هاملتون
- **المراقبة الشاملة** - أرمان ماتلار
- **مصر ثورة العشرين عاماً عبر تلفزيون الجديد** - مريم البسّام
- **توازن الرعب** - هادي زعرور
- **مذكرات نيلسون مانديلا** - نيلسون مانديلا

بُعيد زهاء العقدين من دخولي لأول مرة عالم السياسة، وقفتُ في زنزانة مانديلا السابقة في سجن جزيرة روبن. وهناك حاولت إرجاع نفسي إلى تلك الأيام عندما كان الرئيس مانديلا لا يزال السجين رقم ٤٦٦/٦٤، وهي فترة زمنية كان فيها نجاح نضاله أمراً مؤكَّداً دون أدنى شك. حاولت تخيُّل مانديلا – الأسطورة التي غيرت التاريخ – رجُلاً ضحّى بالغالي والرخيص من أجل إحداث التغيير. يقدّم هذا الكتاب إلى العالم خدمة استثنائية بأنه رسم تلك الصورة لمانديلا الرجل.

الرئيس باراك أوباما



في الحياة الواقعية لا نتعامل مع آلهة بل مع بشر عاديين مثلنا: رجال ونساء تملؤهم التناقضات، يتّسمون بالاستقرار والزعزعة، والقوة والضعف، والصيت الحسن والسمعة السيئة.

نيلسون مانديلا

يُعدُّ نيلسون مانديلا أحد أبرز شخصيات عصرنا وأكثرها إلهاماً. بعد قضائه عمراً بأكمله، وهو يتأبّط الورقة والقلم لتدوين الأفكار والأحداث والمصاعب والانتصارات، فتح أرشيفه الشخصي الذي يشكّل مدخلاً غير مسبوق إلى حياته اللافتة.

يتيح هذا الكتاب للقراء إمكانية التعرُّف إلى الوجه الآخر لمانديلا: من رسائله التي كتبها في أحلك ساعات الاحتجاز خلف القضبان الذي تعرَّض له على مدى ٢٧ سنة، إلى مسوَّدة الجزء غير المنتهي من كتاب (مشوار طويل نحو الحرية). هنا يعرض ملاحظات دوّنها، بل خربشات كتبها خلال الاجتماعات، أو يُسجّل أحلاماً مزعجة على رزنامة مكتبه في زنزانته داخل سجن جزيرة روبن، أو يدوّن يوميات على عجل خلال مسيرة نضالاته المناهِضة للتمييز العنصري في بداية الستينيات، أو يعرض أحاديثه [illegible] أصدقاء ضمن حوالى ٧٠ ساعة من الأحاديث المُسجّلة. في هذه الصفحات لا ترون مانديلا لا رمزاً [illegible]، بل ترونه شخصاً عاديّاً مثلي، ومثلكم. رحلة حميمة من أول انخراط لمانديلا في الحياة [illegible] وصولاً إلى دوره المهم في الساحة العالمية. ويُعدّ فرصة نادرة لقضاء الوقت معه كر[illegible]: المباشر والواضح والشخصي.

ISBN 978-9953-88-769-2

شارع جان دارك - بناية الوهاد
ص.ب. ٨٣٧٥: - بيروت - لبنان
تلفون: ٧٥٠٨٧٤ - ٧٥٠٨٧٤ - ٩٦١١٣٥٠٧٢٢+
تلفون+فاكس: ٣٤١٩٠٧ - ٣٤٢٠٠٥ - ٩٦١١٧٥٢٥٤٧+
tradebooks@all-prints.com
www.all-prints.com

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر